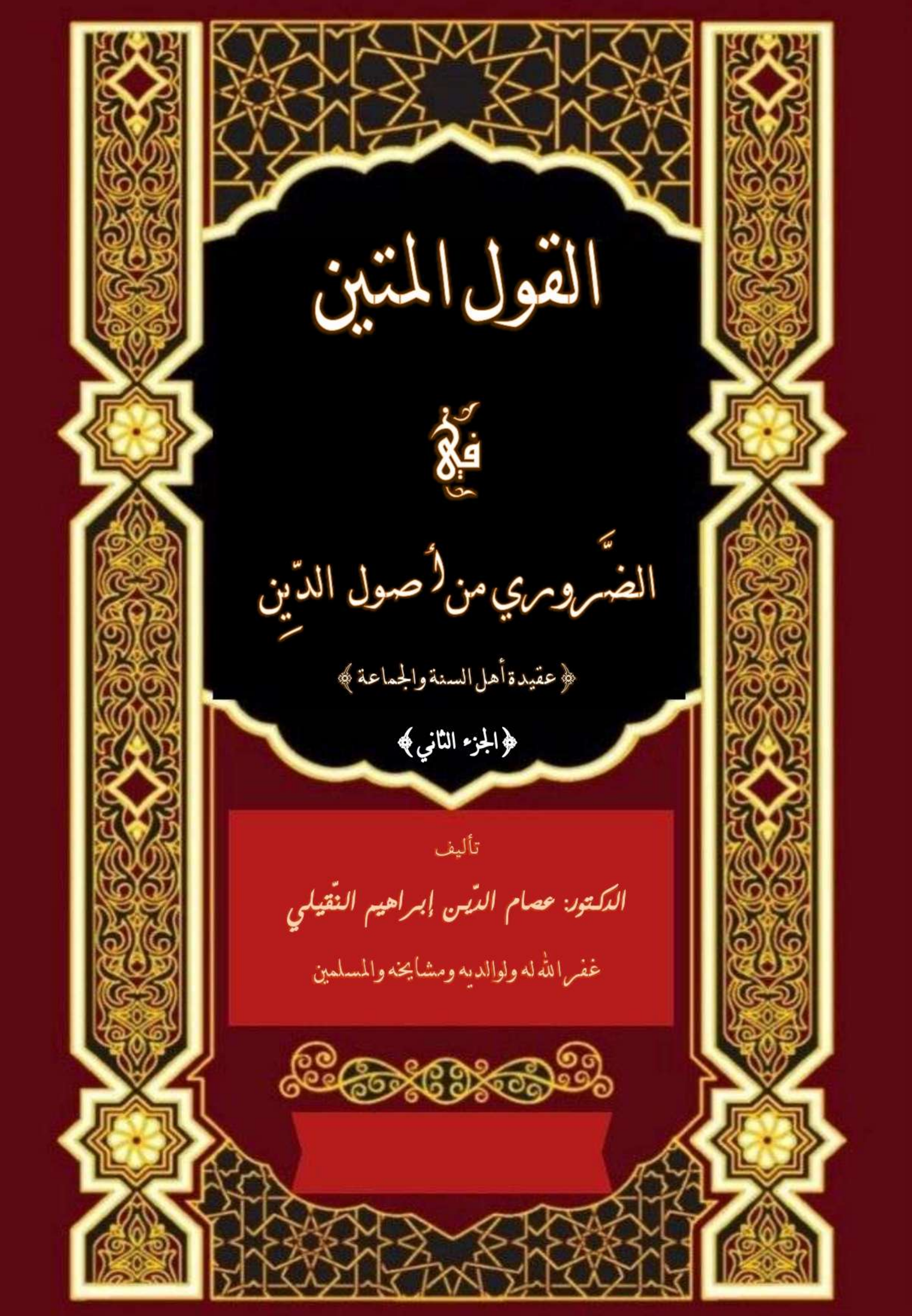

القول المتين
في
الضّروري من أصول الدّين
﴿عقيدة أهل السنة والجماعة﴾
﴿الجزء الثاني﴾
تأليف
الدكتور: عصام الدّين إبراهيم النّقيلي
غفر الله له ولوالديه ومشايخه والمسلمين

القول المتين

في

الضَّروري من أصول الدِّين

﴿الجزء الثاني﴾

تأليف

الدكتور: عصام الدّين إبراهيم النّقيلي

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه

وللمسلمين

آمين


الله
بسم الله الرحمن الرحيم

يا ناظرًا فيمَا عمدتُ لجمعـــــهِ * عذرًا فإنَّ أخَا البصيرةِ يعـــــذرُ

واعلمْ بأنَّ المرءَ لوْ بلغَ المـــدَى * في العُمرِ لاقَى الموتَ وهوَ مقصِّرُ

فإذا ظفرتَ بزلَّةٍ فافْتحْ لــــــهَا * بابَ التَّجاوزِ فالتَّجاوزُ أجـــدرُ

ومنَ المحالِ بأن نرَى أحدًا حوَى *كُنهَ الكَمالِ وذَا هوَ المتعـــذِّرُ[1]

---

[1]عَلَمُ الدِّينِ الْقَاسِمُ بْنُ أَحْمَدَ الأَنْدَلُسِيُّ ، كتاب "أسنى المقاصد وأعذب الموارد."

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ [البقرة: 177].

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر: 49].



﴿بسم الله الرحمن الرَّحيم﴾

وبه نستعين

عن يحيى بن يعمر؛ قال: كان أوَّل من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني، فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري حاجين أو معتمرين فقلنا: لو لقينا أحد من أصحاب رسول الله ﷺ فسألناه عمَّا يقول هؤلاء في القدر، فوُفِّق لنا عبد الله بن عمر بن الخطَّاب داخلا المسجد، فاكتنفته أنا وصاحبي أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله، فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إلي فقلت: أبا عبد الرحمن! إنَّه قد ظهر قبلنا ناس يقرؤون القرآن ويتقفَّرون العلم، وذكر من شأنهم، وأنَّهم يزعمون أن لا قدر، وأن الأمر أنف، قال: فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم، وأنهم برآء مني، والذي يحلف به عبد الله بن عمر! لو أنَّ لأحدهم مثل أُحُدٍ ذهبًا فأنفقه، ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر، ثم قال: حدثني أبي عمر بن الخطاب، قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبيِّ ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال: يا محمد! أخبرني عن الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: {الإسلام أن تشهد أن لا إله إلَّا الله وأَنَّ محمَّدًا رسول الله ﷺ، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحجَّ البيت، إن استطعت إليه سبيلا}، قال: صدقت، قال فعجبنا له يسأله ويصدقه، قال: فأخبرني عن الإيمان، قال: {أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره}، قال: صدقت، قال: فأخبرني عن الإحسان، قال: {أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه، فإنَّه يراك}، قال: فأخبرني عن السَّاعة، قال: {ما المسؤول عنها بأعلم من السائل}، قال: فأخبرني عن أمارتها، قال: {أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة

العراة العالة رعاء الشاء، يتطاولون في البنيان}، قال ثمَّ انطلق، فلبثت مليًّا، ثمَّ قال لي: {يا عمر أتدري من السائل؟} قلت: الله ورسوله أعلم، قال: {فإنَّه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم}[1].



[1] صحيح مسلم 8.

﴿ مقدّمة ﴾

الْحَمْدُ للهِ الأَحَدُ الصَّمَدُ الذِي لَمْ يَلَدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ، جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ، نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ، وأَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ، جَامِعِ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ، وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ.

والصَّلاةُ علَى النَّبيِّ محمَّدٍ الماحِي الذي يَمْحُو اللَّهُ به الكُفْرَ، والحاشِرُ الذي يُحْشَرُ النَّاسُ علَى قَدَمِهِ، والعاقِبُ الذِي ليسَ بعدَه نَبيٌّ[1]، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجهم إلى يوم الدين، وسلم تسليما كثيرا.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: 102].

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: 1].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: 70 – 71].

أمَّا بعد:

فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله عزَّ وجل، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشرّ الأمور محدثاتها، وكلّ محدثة بدعة، وكلّ بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

وبعدُ: فهذا هو الجزء الثاني من كتاب القول المتين في الضروري من أصول الدين، ونستفتح هذا الجزء بالمبحث الخامس من فصل الإيمان بالله تعالى، المبحث الخامس نواقض التوحيد، ونسأل الله تعالى أن يجعله خالصا لوجهه الكريم وأن ينفني به والمسلمين، آمين.



[1] روى البخاري بسنده إلى جبير بن مطعم قال: قال رسول الله ﷺ: إنَّ لي أسماءً، أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يُحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب (4896). وللترمذي: والعاقب الذي ليس بعده نبي.

﴿ المبحث الخامس ﴾

﴿ نواقض التوحيد ﴾

النواقض لغة:

النواقض جمع ناقض، وهو أبطل، تقول نقض الحكم أبطله، أو نقض عهده إذ لم يوفي به.

والناقض المفسد، فالنواقض هي المفسدات لمعنى الشهادة، والمبطلات لمعانيها، وعدم الوفاء بشروطها، بحيث لا تترتب على نطقها واعتقادها والعمل بمدلولها آثارها، وهي الدخول في الإسلام، والبراء من ضده، وعليه فإذا وجد في العبد ناقض من النواقض؛ فإنه لا يكون من المسلمين، ولا يكتسب أحكام المسلمين، بل يعطى أحكام أهل الشرك والكفر، إن كان الناقض وجد معه ابتداء، والردة إن وجد بعد أن دخل الإسلام[1].

ونواقض (لا إله إلا الله) وتسمى (نواقض الإسلام) و (نواقض التوحيد) وهي الخصال التي تحصل بها الردة عن دين الإسلام، فهي كثيرة، وقد ذكر بعضهم أنها تصل إلى أربعمائة ناقض[2].

وهذه النواقض تجتمع في ثلاثة نواقض رئيسية هي:

الأول: الشرك الأكبر: وهو أنواع كثيرة.

الثاني: الكفر الأكبر: وهو أنواع كثيرة.

الثالث: النفاق الاعتقادي[3].

والأحكام المترتبة على وجود الناقض نوعان:

الأول: عدم دخوله في الإسلام إن وجد الناقض معه ابتداء، على معنى أنه نطق بها، واعتقد مدلولها، وعمل بموجباتها مع وجود ما يناقضها فيه.

---

[1] المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية لإبراهيم بن محمد البريكان– ص: 111 . بتصرف شديد.

[2] ينظر: الدرر السنية 1/ 100.

[3] تسهيل العقيدة الإسلامية لعبد الله بن عبد العزيز الجبرين بتصرف – ص64.

الثاني: أن يرد عليه الناقض بعد دخوله في الإسلام، فيكون بوروده عليه مرتداً، خارجاً عن دين الإسلام[1].

ونواقض التوحيد هي:

أولاً: الجهل بمعنى الشهادة:

فإن قولها لا ينفع المتكلم بها بلا فهم ومعرفة.

قال تعالى: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾ [الروم: 7].

فهم علماء بأمور الدنيا جهلاء بأمور الآخرة.

ثانياً: الشك والتردد في مدلولها، أو بعضه:

لأنه بذلك يفرض جوازه وعدمه، حتى ولو رجح أحد الطرفين، فلابد من اليقين به.

قال تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۖ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ * بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ﴾ [الدخان: 8 – 9].

ثالثاً: الشرك بالله:

قال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ﴾ [المائدة: 72].

وإن البراء منه جزء معناها، لأن معناها يتضمن أمرين:

1 – إثبات الألوهية، والعبادة، والطاعة لله وحده.

2 – نفي استحقاق شيء من الألوهية، والعبادة، والطاعة لما سواه، وهذا القسم هو الشرك بالله تعالى، كما قال سبحانه وتعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [زخرف: 26 – 28]، **وهذا يستلزم العلم بالشرك وحدوده، حتى يمكن اجتنابه، والبراء منه ومن أهله، فإن عدم المعرفة به أوقع الكثير من الناس في شرك المشركين، ظناً منه أنه من التوحيد المأمور به، أو في أقل الأحوال أنه جائز، لا محظور فيه.**

[1] كتاب الموسوعة العقدية لمجموعة من المؤلفين 269/1.

رابعاً: الكذب العقدي (النفاق):

بأن يبدي الإيمان ويضمر الكفر، قال تعالى عن المنافقين: ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [الفتح: 11]، **فالمضاد هو من يعرف معنى هذه الكلمة، ويقبله ويعمل بما تقتضيه، وما يلزم قائلها من واجبات الدين، ويصدق قلبه لسانه.**

خامساً: البغض الكلمة التوحيد، وما تحمله من معنى، وعداء أهلها، ومقاومة دعاتها، ومحاولة صد الناس عنها، بالدعوة إلى ما يضادها، ونصرة أهله، ومحبتهم واتخاذهم أولياء من دون الله:

قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد: 9].

سادساً: الترك لمعناها ولفظها والعمل بموجبها جملة وتفصيلاً:

فلا يصلي، ولا يصوم، ولا يحج، ولا يزكي، ولا يعمل أي عمل من أعمال الإسلام، وإن ادعى فهمه للمعنى، وأنه معتقد له، أو محب لأهله، مبغض لضده، وأهل ذلك الضد، فإن ذلك لا يغني عنه من الله شيئاً، فلا يدخل في الإسلام وإن دخل فيه فهو مرتد عنه.

قال تعالى: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ * وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ﴾ [المدثر: 22 – 44].

سابعاً: الرد والإعراض عن معناها واعتقاده:

فإن مشركي العرب كانوا يعلمون معناها، لكنهم رافضون له، غير راضين به، قال الله تعالى: ﴿إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ * وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ [الصافات: 35 – 36].

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [آل عمران: 23].

وقد اتخذ بعض العلماء في بيان النواقض طريقة غير التي بنينا عليها بحثنا، فقسم النواقض إلى أربعة أنواع هي:

الأول: الناقض القولي: كـ (سب) الله تعالى، وسب الرسول ﷺ ، والبراء من دين الإسلام، ودعوى أن النفع والضر بيد غير الله تعالى، ودعاء غير الله تعالى، والاستغاثة بغيره، والاستجارة بسواه ونحو ذلك.

الثاني: الناقض الفعلي: كالسجود لغيره، والركوع لسواه، والصلاة لغيره، ونحو ذلك.

الثالث: الناقض الاعتقادي: كاعتقاد تعدد الإله أو أن هناك من يجيب الدعاء، ويكشف الضر سواه، ونحو ذلك.

الرابع: الشك في شيء من مدلولاتها: كالشك في كون الله إلهاً واحداً أو أكثر وفي كون الكاشف للضر الله، أو غيره ونحو ذلك.

ومن العلماء من اختار تقسيماً ثالثاً هو:

أولاً: النواقض المتعلقة بالذات والإلهية: كالشرك، وإنكار الصفات، والأسماء وإنكار الربوبية، ونحو ذلك.

ثانياً: النواقض المتعلقة بالنبي ﷺ: كإنكار الرسالة، أو ما جاء به الرسول، أو إنكار بعض ما جاء به، وجحده.

ثالثاً: النواقض المتعلقة بالشريعة: كتجويز التعبد بغيرها، أو الحكم بغير ما أنزل الله تعالى، أو إنكار ما هو معلوم بالضرورة من دين الإسلام، أو الاستهزاء بالدين وأهله، أو الإعراض عن دين الإسلام لا يتعلمه ولا يعمل به.

رابعاً: النواقض المتعلقة بأعداء الله: كموالاة المشركين، ومظاهرتهم، ومعاونتهم على المسلمين، والسحر، والكهانة، والعرافة، ونحوها.

وهذه التقاسيم مهما اختلفت موارد التقسيم فيها، فإنها متفقة غير مختلفة، وإن لحظ كل واحد منهم مورداً خاصاً به يرجع إليه التقسيم، وهي في جملتها تقاسيم صحيحة المعنى والمبنى، فلا حرج في اعتبار أي واحد منها، لأن اختلافها اختلاف في الأسلوب، لا في أصل الفكرة ولا معناها[1].

---

[1] المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية لإبراهيم بن محمد البريكان– ص: 111.

وقد جمعها الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى في قوله:

اعْلَمْ أَنَّ نَوَاقِضَ الإِسْلَامِ عَشَرَةُ نَوَاقِض:

الأَوَّلُ:

الشِّرْكُ فِي عِبَادَةِ اللهِ: قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾[النساء: 48]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾[المائدة: 72]، وَمِنْهُ الذَّبحُ لِغَيرِ اللهِ تعالى، كَمَن يَذبَحُ لِلجِنِّ أَو لِلقَبرِ.

وهو أن يصرف شيئا من العبادة كما ذكرناها في الجزء الأول من هذا الكاب لغير الله تعالى.

الثَّانِي:

مَن جَعَلَ بَينَهُ وَبَينَ اللهِ تعالى وَسَائِطَ يَدعُوهُمْ وَيسأَلُهُم الشَّفَاعَةَ، وَيَتَوَكَّلُ عَلَيهِم كَفَرَ إِجمَاعًا:

فهذا الفعل يُعتبر كفراً، كأن يجعل شخصاً أو شيئاً بينه وبين الله تعالى يتوسّل إليه بالدعاء لله، وذلك في قوله تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾[الزمر: 3].

الثَّالِثُ:

مَنْ لَمْ يُكَفِّرِ المُشرِكِينَ أَوْ شَكَّ فِي كُفرِهِم، أَوْ صَحَّحَ مَذهَبَهُم، كَفَرَ.

إن من لا يُكفّر المشركين أو يشكّك في كُفرهم، أو يصحّح مذهبهم، يعد كافراً؛ وذلك لأنّه سبحانه وتعالى كفَّرهم في آياتٍ عديدة، وأمر المسلمين بعداوتهم؛ لافترائهم الكذبَ على الله عز وجل، كما أنه لا يُحكَم بإسلام الفرد حتى يكفِّر المشركين، فإن لم يفعل أو شكَّ في كفرهم؛ فهو منهم، كذلك من يصحّح مذهبهم، ويستحسن ما هم عليه، يقول سبحانه وتعالى:

﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾[الممتحنة: 4]، فلا بدّ من أن يتبرّأ المسلم من عبادة من سوى الله وأن يُنكرها ويُبغضها ويُبغض أهلها

ويُعاديهم، من ذلك من لم يكفر الصليبين، قال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[المائدة: 73]، فمن لم يكفرهم فقد كذَّب الله تعالى.

الرَّابعُ:

مَن اعتقَدَ أَنَّ غَيرَ هَدْي النَّبِيِّ ﷺ أَكمَلُ مِن هَديِهِ وَأَنَّ حُكمَ غَيرِهِ أَحسَنُ مِن حُكمِهِ كَالذِينَ يُفَضِّلُونَ حُكمَ الطَّوَاغِيتِ عَلَى حُكمِهِ فَهُوَ كَافِرٌ.

من يعتقد أن غير هدي الرسول محمد ﷺ أكمل من هديه ﷺ أو أن حكم غيره أفضل من حكمه ﷺ يعد كافراً، مثل الذين يُفضلون حكم الطواغيت على حكم النبي ﷺ؛ كالذين يقولون إنّ رجم الزاني المُحصن أو قطع يد السارق لا يتناسب مع عصرنا الحديث، وأنّ الزمن قد تغيّر، أو الذين يعتقدون أن الحكم بالقوانين أحسن وأكمل من الحكم بالشريعة، يقول تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[النساء: 65].

الخَامِسُ:

مَن أَبغَضَ شَيْئًا مِمَّا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ وَلَوْ عَمِلَ بِهِ، كَفَرَ.

إن من يُبغض شيئاً جاء به النبي ﷺ والعمل به؛ فإن هذا كفرٌ بإجماع العلماء، وهذا ما كان يقوم به المنافقون الذين يَعملون بشرائع الإسلام بالظاهر، وفي الخفاء يُبغضون هذه الشريعة وأهلها، قال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾[المنافقون: 1]؛ فإن كل كره أو بغض أو حقد لأي شعيرة أو عبادة أو أمر، جاء به الرسول ﷺ ينقض الإسلام ويبطله، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾[محمد: 9].

السَّادِسُ:

مَنِ استَهزَأَ بِشَيءٍ مِن دِينِ الرَّسُولِ ﷺ، أَو ثَوَابَ اللهِ، أَو عِقَابِهِ، كَفَرَ:

وَالدَلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِؤُونَ * لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴾[التوبة: 65 – 66].

السَّابِعُ:

السِّحرُ:

وَمِنهُ: الصَّرفُ وَالعَطفُ، فَمَن فَعَلَهُ أَو رَضِيَ بِهِ كَفَرَ، وَالدَلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ﴾[البقرة: 102].

وسبب كفر الساحر ومن يتعامل بالسحر، هو أن قيامه بالسح يتطلب تواصله مع الشياطين ومساعدتهم إياه، بل وتقديم القربات للشياطين، ولا يتم ذلك إلا بشرط الإشراك بالله تعالى وبفعل أمور محرمة ومشركة، تخرجه عن الإسلام، فيتقرّب إلى الجنّ والشياطين بالشركيّات.

الثَّامِنُ:

مُظَاهَرَةُ المُشرِكِينَ وَمُعَاوَنَتُهُم عَلَى المُسلِمِينَ:

وَالدَلِيلُ قَولُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[المائدة: 51] .

التَّاسِعُ:

مَنْ اعْتَقَدَ أَنَّ بَعضَ النَّاسِ يَسَعُهُ الخُرُوجُ عَن شَرِيعَةِ النبي ﷺ كَمَا وَسِعَ الخَضِرُ الخُرُوجَ عَن شَرِيعَةِ مُوسَى عَلَيهِ السَّلَامُ، فَهُوَ كَافِرٌ.

قال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾[آل عمران: 85].

العَاشِرُ:

الإِعرَاضُ عَن دِينِ اللهِ تَعَالَى لَا يَتعَلَّمُهُ وَلَا يعمَلُ بِهِ:

وَالدَلِيلُ قَوْلُهُ تعَالَى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾[السجدة: 22] .

وَلَا فَرقَ فِي جَمِيعِ هَذِهِ النَّوَاقِضِ بَينَ الهَازِلِ وَالجَادِّ وَالخَائِفِ إِلَّا المُكرَهِ، إكراها ملجئا كاملا، كما سبق وبينّاه في الجزء الأول من هذا الكتاب..

وَكُلُّهَا مِن أَعظَمِ مَا يَكُونُ خَطَرًا، وَأَكثَرِ مَا يَكُونُ وُقُوعًا، فَيَنبَغِي لِلمُسلِمِ أَن يَحذَرَهَا وَيَخَافَ مِنهَا عَلَى نَفسِهِ.

نَعُوذُ بِاللهِ مِن مُوجِبَاتِ غَضَبِهِ، وَأَلِيمِ عِقَابِهِ.



﴿المطلب الأول﴾

﴿ضوابط التكفير﴾

الأوَّل: يحرم تكفير المسلم بغير حق:

عن أبي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عنه أنَّه سَمِعَ النبيَّ ﷺ يقولُ: {لا يَرمي رجُلٌ رجُلًا بالفُسوقِ، ولا يَرميه بالكُفرِ، إلَّا ارتَدَّت عليه، إن لم يكن صاحِبُه كذلك}[1].

وفي لَفظٍ: {ومَن دعا رجُلًا بالكُفرِ –أو قال: عَدُوُّ اللهِ– وليس كذلك، إلَّا حار عليه}[2].

قال ابنُ هُبَيرةَ: فيه شِدَّةُ الحَظرِ على من رمى أخاه المُسْلِمَ بالكُفْرِ، فإنَّه بهذا الحديثِ على يقينٍ من ارتدادِها إليه إن لم يكُنْ أخوه كما ادَّعاه؛ فلْيحذَرْ أن يقولَها أبدًا لِمن هو من أمْرِه في شَكٍّ، وكذلك أن يرميَه بالفِسْقِ فإنَّه على سبيلِه في ارتدادِه عليه إنْ لم يكُنْ كما ذَكَره بيَقين[3].

وعن ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عنهما قال: قال رَسولُ اللهِ ﷺ: {أيُّما امرئٍ قال لأخيه: يا كافِرُ، فقد باءَ بها أحَدُهما؛ إن كان كما قال، وإلَّا رجَعَت عليه}[4].

قال ابنُ عبدِ البَرِّ: المعنى فيه عند أهلِ الفِقهِ والأثَرِ أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ: النَّهيُ عن أن يُكَفِّرَ المسلِمُ أخاه المسلِمَ بذَنبٍ، أو بتأويلٍ لا يُخرِجُه من الإسلامِ عند الجميعِ؛ فورد النَّهيُ عن تكفيرِ المسلِمِ في هذا الحديثِ وغيرِه بلَفظِ الخَبَرِ دونَ لَفظِ النهيِّ، وهذا موجودٌ في القرآنِ والسُّنَّةِ، ومعروفٌ في لسانِ العَرَبِ... وهذا غايةٌ في التحذيرِ مِن هذا القَولِ، والنَّهيِ عن أن يقالَ لأحدٍ مِن أهلِ القِبلةِ: يا كافِرُ[5].

---

[1] أخرجه البخاري (6104) مختصراً، ومسلم (60) باختلاف يسير.

[2] أخرجه البخاري (3508) مختصراً، ومسلم (61) .

[3] يُنظر: ((الإفصاح)) (2/ 170).

[4] أخرجه البخاري (6104) مختصرا، ومسلم (60) واللَّفظُ له.

[5] يُنظر: ((التمهيد)) (17/14-22).

وقال المناوي: (قال لأخيه)، أي: في الإسلامِ (كافِرٌ، فقد باء بها أحَدُهما) أي: رجع بها أحَدُهما (فإن كان كما قال) أي: كان في الباطِنِ كافِرًا (وإلا) أي: وإن لم يكُنْ كذلك (رجَعَت عليه) أي: فيَكفُر[1].

وقال ابنُ عاشور: قال النبي ﷺ: {مَنْ قالَ لأخيهِ يَا كافِرُ، فقد بَاء هوَ بهَا}[2]؛ لأنَّه إذا نَسَب أخاه في الدِّين إلى الكُفرِ فقد أخذ في أسبابِ التفريقِ بين المسلِمين وتوليدِ سَبَبِ التقاتُلِ، فرجَعَ هو بإثمِ الكُفرِ؛ لأنَّه المتسَبِّبُ فيما يتسَبَّبُ على الكُفرِ، ولأنَّه إذا كان يرى بعضَ أحوالِ الإيمانِ كُفرًا، فقد صار هو كافِرًا؛ لأنَّه جعل الإيمانَ كُفرًا[3].

وعن ثابتِ بنِ الضَّحَّاكِ رَضِيَ اللهُ عنه عن النبيِّ ﷺ قال: {ومَنْ رمى مُؤمِنًا بكُفرٍ، فهو كقَتلِه}[4].

قال ابنُ بطال: معنى قَولِه: «من رمى مُؤمِنًا بكُفرٍ فهو كقَتْلِه» يعني في تحريمِ ذلك عليه، واللهُ أعلَمُ[5].

وقال ابنُ القَيِّم: من الكبائِرِ تكفيرُ مَن لم يُكَفِّرْهُ اللهُ ورَسولُه[6].

الثاني: عدم التكفير بالذنب:

من عقيدةِ أهلِ السُّنَّةِ والجماعة أنَّهم لا يُكَفِّرون أحدًا من أهلِ القِبلةِ بكُلِّ ذَنبٍ ما لم يستحِلَّه، ويقصِدون الذَّنبَ الذي لا يَكفُرُ صاحِبُه.

قال ابنُ أبي العِزِّ: امتنع كثيرٌ من الأئمَّةِ عن إطلاقِ القَولِ بأنَّا لا نُكَفِّرُ أحدًا بذَنبٍ، بل يقال: لا نُكَفِّرُهم بكُلِّ ذَنبٍ، كما تفعَلُه الخوارجُ، وفَرْقٌ بين النَّفيِ العامِّ، ونَفيِ العُموم.

---

[1] ينظر: ((فيض القدير)) (3/ 136).

[2] لم أجد الحديث باللفظ الذي رواه ابن عاشور، واللفظ المشهور هو: أيُّما امرِئٍ قال لأخيه: يا كافِرُ، فقد باءَ بها أحَدُهما؛ إن كان كما قال، وإلَّا رجَعَت عليه. أخرجه البخاري 6104 ومسلم 60. إذا قال الرجلُ لأخيهِ يا كافِرُ باءَ به أحَدُهما. أخرجه البخاري (6103)

[3] يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (3/ 12).

[4] أخرجه البخاري (6105) مُطَوَّلًا.

[5] يُنظر: ((شرح صحيح البخاري)) (6/ 104).

[6] يُنظر: ((إعلام الموقعين)) (577/6).

فالنفيُ العامُّ قد يُفهَمُ منه عدمُ تكفيرِ المعَيَّنِ مُطلقًا مهما عَمِلَ من الذُّنوبِ، ولو عَمِلَ ناقِضًا من نَواقِض الإسلامِ، أمَّا نفيُ العمومِ، فيُفهَمُ منه أنَّهم يُكَفِّرون ببعضِ الذُّنوبِ، ولا يكَفِّرون ببَعْضِها[1].

قال ابنُ تيميَّةَ عن عقيدةِ السَّلَفِ: وهم مع ذلك لا يُكَفِّرون أهلَ القِبلةِ بمُطلَقِ المعاصي والكبائِرِ، كما يفعَلُه الخوارجُ، بل الأُخُوَّةُ الإيمانيَّةُ ثابتةٌ مع المعاصي، كما قال سُبحانَه وتعالى في آيةِ القِصاصِ: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ﴾[البقرة: 178]، وقال: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[الحجرات:9][2].

وقال الهرَّاسُ شارحًا كلامَ ابنِ تيميَّةَ: ومع أنَّ الإيمانَ المُطلَقَ مركَّبٌ من الأقوالِ والأعمالِ والاعتقاداتِ؛ فهي ليست كُلُّها بدرجةٍ واحدةٍ، بل العقائِدُ أصلٌ في الإيمانِ، فمَنْ أنكر شيئًا مما يجِبُ اعتقادُه في اللهِ أو ملائِكَتِه أو كُتُبِه أو رُسُلِه أو اليومِ الآخِرِ أو ممَّا هو معلومٌ من الدِّين بالضَّرورةِ؛ كوُجوبِ الصَّلاةِ، والزَّكاةِ، وحُرمةِ الزِّنا والقَتْلِ... إلخ؛ فهو كافِرٌ، قد خرجَ من الإيمانِ بهذا الإنكارِ[3].

وقال ابنُ عثيمين في شَرْحِه لكلامِ ابنِ تيميَّةَ أيضًا: فالمُسْلِمُ عند أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ لا يكفُرُ بمُطلَقِ المعاصي والكبائِرِ... والفَرْقُ بين الشَّيءِ المطلَقِ ومُطلَقِ الشَّيءِ: أنَّ الشَّيءَ المُطلَقَ يعني الكمالَ، ومُطلَقُ الشَّيءِ يعني: أصلَ الشَّيءِ، فالمُؤمِنُ الفاعِلُ للكبيرةِ عِندَه مُطلَقُ الإيمانِ؛ ...فأصلُ الإيمانِ موجودٌ عنده، لكِنْ كمالُه مفقودٌ، فكلامُ المؤلِّفِ رحمه الله دقيقٌ جِدًّا

آيةُ القِصاصِ هي قَولُه تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ

---

[1] يُنظر: ((شرح الطحاوية)) 2/ 433.

[2] يُنظر: ((العقيدة الواسطية)) ص: 113.

[3] يُنظر: ((شرح العقيدة الواسطية)) للهراس ص: 234.

تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[البقرة: 178] **والمراد بـ «أخيه» هو المقتولُ.**

ووجهُ الدَّلالةِ من هذه الآيةِ على أنَّ فاعِلَ الكبيرةِ لا يَكفُرُ: أنَّ اللهَ تعالى سَمَّى المقتولَ أخًا للقاتِلِ، مع أنَّ قَتلَ المُؤمِنِ كبيرةٌ من كبائِرِ الذُّنوبِ.

وقال: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[الحجرات: 9] ، ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾[الحجرات:10][1].

الثالث: مَن ثَبَت إسلامُه بيَقينٍ فلا يجوزُ تَكفيرُه إلَّا بيَقينٍ:

قال ابنُ عبدِ البَرِّ: كُلُّ مَن ثَبَت له عَقدُ الإسلامِ في وَقتٍ بإجماعٍ مِن المُسلِمينَ، ثمَّ أذنَبَ ذَنبًا أو تأوَّلَ تأويلًا، فاختَلَفوا بعدُ في خُروجِه من الإسلامِ؛ لم يكن لاختِلافِهم بعدَ إجماعِهم معنًى يُوجِبُ حُجَّةً، ولا يُخرَجُ مِن الإسلامِ المُتَّفَقِ عليه إلَّا باتِّفاقٍ آخَرَ، أو سُنَّةٍ ثابتةٍ لا مُعارِضَ لها[2].

وقال ابنُ تيميَّةَ: مَن ثَبَت إسلامُه بيَقينٍ لم يَزُلْ ذلك عنه بالشَّكِّ، بل لا يزولُ إلَّا بعد إقامةِ الحُجَّةِ، وإزالةِ الشُّبهةِ[3].

وقال ابنُ نجيم: وفي جامِعِ الفُصُولَينِ روى الطَّحاوي عن أصحابِنا: لا يُخرِجُ الرَّجلَ من الإيمانِ إلَّا جُحودُ ما أدخله فيه، ما تُيُقِّنَ أنَّه رِدَّةٌ، يُحكَمُ بها، وما يُشَكُّ أنَّه رِدَّةٌ لا يُحكَمُ بها؛ إذ الإسلامُ الثَّابتُ لا يزولُ بشَكٍّ، مع أنَّ الإسلامَ يعلو، وينبغي للعالِمِ إذا رُفِعَ إليه هذا ألَّا يبادِرَ بتكفيرِ أهلِ الإسلامِ... وفي الفتاوى الصُّغرى: الكُفرُ شَيءٌ عَظيمٌ، فلا أجعَلُ المؤمِنَ كافِرًا متى وُجِدَت روايةٌ أنَّه لا يَكْفُرُ اهـ... وفي التَّتارخانيَّة: لا يُكَفَّرُ بالمحتَمَلِ؛ لأنَّ الكُفرَ نهايةٌ في العقوبةِ، فيَستدعي نهايةً في الجِنايةِ، ومع الاحتمالِ لا نهايةَ اهـ.... والذي تحرَّر أنَّه لا يُفتى

---

[1] يُنظر: ((شرح العقيدة الواسطية)) 2/ 237-239.

[2] يُنظر: ((التمهيد)) 21/17.

[3] يُنظر: ((مجموع الفتاوى)) 466/12.

بتكفيرِ مُسلمٍ أمكَنَ حَملُ كلامِه على مَحمَلٍ حَسَنٍ، أو كان في كُفرِه اختلافٌ ولو روايةً ضعيفةً[1].

وقال مُحمَّدُ بنُ عبدِ الوهَّاب: مَن أظهَرَ الإسلامَ وظَنَنَّا أنَّه أتى بناقضٍ، لا نُكَفِّرُه بالظَّنِّ؛ لأنَّ اليَقينَ لا يَرفَعُه الظَّنُّ[2].

وقال ابنُ عُثَيمين: الأصلُ فيمن يَنتَسِبُ للإسلامِ بَقاءُ إسلامِه حتى يُتحَقَّقَ زوالُ ذلك عنه بمُقتضى الدَّليلِ الشَّرعيِّ، ولا يجوزُ التَّساهُلُ في تكفيرِه[3].

الرابع: الحُكمُ بالظَّاهِرِ:

قال النووي: القاعِدةُ المعروفةُ في الفِقهِ والأصولِ: أنَّ الأحكامَ يُعمَلُ فيها بالظَّاهِرِ، واللهُ يتولَّى السَّرائِرَ[4].

وقال ابنُ تيميَّةَ: إنَّ الإيمانَ الذي عُلِّقَت به أحكامُ الدُّنيا، هو الإيمانُ الظَّاهِرُ، وهو الإسلامُ، فالمسَمَّى واحِدٌ في الأحكامِ الظَّاهرةِ[5].

وقال أيضًا: الإيمانُ الظَّاهِرُ الذي تجري عليه الأحكامُ في الدُّنيا لا يستلزِمُ الإيمانَ في الباطِنِ الذي يكونُ صاحِبُه من أهلِ السَّعادةِ في الآخِرةِ[6].

وقال الشَّاطبي: إنَّ أصلَ الحُكمِ بالظَّاهِرِ مَقطوعٌ به في الأحكامِ خُصوصًا، وبالنِّسبةِ إلى الاعتقادِ في الغيرِ عُمومًا؛ فإنَّ سَيِّدَ البَشَرِ مع إعلامِه بالوَحْيِ يُجري الأمورَ على ظواهِرِها في المنافِقين وغيرِهم، وإن عَلِمَ بواطِنَ أحوالِهم، ولم يكُنْ ذلك بمُخْرِجِه عن جَرَيانِ الظَّواهِرِ على ما جَرَت عليه[7].

وقال ابنُ حَجَرٍ: كُلُّهم أجمعوا على أنَّ أحكامَ الدُّنيا على الظَّاهِرِ، واللهُ يتوَلَّى السَّرائِرَ، وأدِلَّةُ هذه القاعِدةِ كثيرةٌ؛ منها:

---

[1] يُنظر: ((البحر الرائق)) 134/5.
[2] يُنظر: ((الدرر السنية)) 112/10.
[3] يُنظر: ((مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين)) 133/2.
[4] يُنظر: ((شرح مسلم)) (107/2).
[5] يُنظر: ((الإيمان)) ص: 325.
[6] يُنظر: ((الإيمان)) ص: 166.
[7] يُنظر: ((الموافقات)) 467/2.

أولًا: قولُه تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[النساء: 94][1].

قال الشوكاني: أي: لا تقولوا لِمن ألقى إليكم التَّسليمَ، فقال: السَّلامُ عليكم: لست مُؤمِنًا، والمرادُ نهيُ المُسْلِمين عن أن يُهمِلوا ما جاء به الكافِرُ ممَّا يُستدَلُّ به على إسلامِه، ويقولوا: إنَّه إنَّما جاء بذلك تعوُّذًا وتَقِيَّةً[2].

ثانيًا: عَنْ أَنَسِ بنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: {مَن صَلَّى صَلَاتَنَا، وَاستَقبَلَ قِبْلَتَنَا، وَأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا؛ فَذَلِكَ المُسلِمُ الَّذِي لَهُ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ، فَلَا تُخفِرُوا اللَّهَ فِي ذِمَّتِهِ}[3].

قال القَسطَلانيُّ: فإن قلتَ: لم خَصَّ الثَّلاثةَ بالذِّكرِ من بين الأركانِ وواجباتِ الدِّينِ؟ أُجيبَ بأنَّها أظهَرُ وأعظَمُ وأسرَعُ عِلمًا؛ لأنَّ في اليومِ تُعرَفُ صلاةُ الشَّخصِ وطعامُه غالبًا؛ بخلافِ الصَّومِ والحَجِّ كما لا يخفى[4].

وقال محمَّدُ بنُ عبدِ الوَهَّابِ: إنَّ مَنْ أظهَرَ التَّوحيدَ والإسلامَ وَجَب الكَفُّ عنه إلى أن يتبيَّنَ منه ما يُناقِضُ ذلك[5].

ثالثًا: عنِ ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عنهما أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: {أُمِرتُ أن أقاتِلَ النَّاسَ حتى يَشهَدوا أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ، وأنَّ مُحمَّدًا رسولُ اللهِ، ويقيموا الصَّلاةَ، ويُؤتوا الزَّكاةَ، فإذا فَعَلوا ذلك عَصَموا مني دماءَهم وأموالَهم إلَّا بحَقِّ الإسلامِ، وحِسابُهم على اللهِ}[6].

قال البَغَويُّ: في الحديثِ دليلٌ على أنَّ أمورَ النَّاسِ في مُعامَلةِ بَعضِهم بعضًا إنَّما تجري على الظَّاهِرِ مِن أحوالِهم دوَن باطِنِها، وأنَّ من أظهَرَ شِعارَ الدِّينِ أُجري عليه حُكمُه، ولم يُكشَفْ

---

[1] يُنظر: ((فتح الباري)) 273/1412.

[2] يُنظر: ((تفسير الشوكاني)) 579/1

[3] أخرجه البخاري 391.

[4] يُنظر: ((إرشاد الساري)) 411/1.

[5] يُنظر: ((كشف الشبهات)) ص: 48.

[6] أخرجه البخاري (25) واللَّفظُ له، ومسلم (22).

عن باطِنِ أمْرِه، ولو وُجِد مختونٌ فيما بين قتلى غُلفٍ، عُزِلَ عنهم في المدفَنِ، ولو وُجِدَ لقيطٌ في بلد المُسْلِمين حُكِمَ بإسلامِه[1].

وقال ابنُ حَجَر: فيه دليلٌ على قَبولِ الأعمالِ الظَّاهِرةِ، والحُكمِ بما يقتضيه الظَّاهِرُ[2].

رابعًا: عن أُسامةَ بنِ زَيدٍ رَضِيَ اللهُ عنه قال: {بعَثَنا رَسولُ اللهِ ﷺ في سَرِيَّةٍ فصَبَّحْنا الحُرُقاتِ[3] مِن جُهَينةَ، فأدركتُ رجلًا فقال: لا إلهَ إلَّا اللهُ، فطعَنْتُه، فوقع في نفسي من ذلك، فذكَرْتُه للنبيِّ ﷺ، فقال رَسولُ اللهِ ﷺ: أقال: لا إله إلَّا اللهُ وقتَلْتَه؟ قال: قُلتُ: يا رَسولَ اللهِ إنَّما قالها خوفًا من السِّلاحِ! قال: أفلا شَقَقْتَ عن قَلْبِه حتى تعلَمَ أقالها أم لا؟ فما زال يُكَرِّرُها عليَّ حتى تمنَّيتُ أني أسلَمْتُ يومَئذٍ}[4].

قال النووي: قَولُه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: {أفلا شَقَقْتَ عن قَلْبِه حتى تعلَمَ أقالَها أم لا؟} الفاعِلُ في قوله: {أقالَها} هو القَلْبُ، ومعناه: أنَّك إنَّما كُلِّفْتَ بالعَمَلِ بالظَّاهِرِ، وما ينطِقُ به اللِّسانُ، وأمَّا القَلْبُ فليس لك طريقٌ إلى معرفةِ ما فيه. فأنكَرَ عليه امتناعَه من العَمَل بما ظَهَر باللِّسانِ، وقال: أفلا شقَقْتَ عن قَلْبِه لتنظُرَ: هل قالها القَلْبُ واعتقَدَها وكانت فيه أم لم تكُنْ فيه بل جَرَت على اللِّسانِ فحَسْبُ؟ يعني: وأنت لستَ بقادِرٍ على هذا، فاقتَصِرْ على اللِّسانِ فحَسْبُ[5].

الخامس: التَّثَبُّتُ مِن خَبَرِ وُقوعِ المُسلِمِ في الكُفرِ:

قال اللهُ تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾[الحجرات: 6].

قال الشوكاني: المرادُ من التَّبيُّنِ التَّعرُّفُ والتَّفحُّصُ، ومن التَّثبُّتِ: الأناةُ وعَدَمُ العَجَلةِ، والتَّبصُّرُ في الأمرِ الواقِعِ، والخبرِ الوارِدِ حتى يتَّضِحَ ويَظهَرَ[6].

---

[1] يُنظر: ((شرح السنة)) 70/1.

[2] يُنظر: ((فتح الباري)) (77/1)، ((شرح النووي)) (212/1)، ((جامع العلوم والحكم)) 225.

[3] الحُرُقات من جُهَينة: قومٌ من قبيلةِ جُهينةَ.

[4] أخرجه البخاري (6872)، ومسلم (96) واللَّفظُ له.

[5] يُنظر: ((شرح مسلم)) 104/2.

[6] يُنظر: ((تفسير الشوكاني)) 5/ 71.

وقال اللهُ سُبحانَه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[النساء: 94].

قال ابنُ جرير: يعني جَلَّ ثناؤه بقَولِه: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا يا أيُّها الذين صَدَّقوا اللهَ وصَدَّقوا رسولَه، فيما جاءَهم به من عندِ رَبِّهم إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يقولُ: إذا سِرْتُم مسَيرًا لله في جهادِ أعدائِكم فَتَبَيَّنُوا يقولُ: فتأنوَّا في قَتْلِ من أشكَلَ عليكم أمْرُه، فلم تَعلَموا حقيقةَ إسلامِه ولا كُفْرِه، ولا تَعجَلوا فتَقْتُلوا من التَبَسَ عليكم أمرُه، ولا تتقَدَّموا على قَتْلِ أحَدٍ إلَّا على قَتْلِ من عَلِمتُموه يقينًا حَربًا لكم ولله تعالى ولِرَسولِه ﷺ، وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ، يقولُ: ولا تقولوا لِمن استسلم لكم فلم يقاتِلْكم، مُظهِرًا لكم أنَّه من أهلِ مِلَّتِكم ودَعوتِكم لَسْتَ مُؤمِنًا فتَقْتُلوه ابتغاءَ عَرَضِ الحياة الدُّنْيا، يقولُ: طَلَبَ متاعِ الحياةِ الدُّنْيا[1].

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّه عنهمَا؛ أنَّه قال في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾[النساء: 94]، كانَ رَجُلٌ في غُنَيْمَةٍ له فَلَحِقَهُ المُسْلِمُونَ، فَقالَ: السَّلَامُ عليْكُم، فَقَتَلُوهُ وأَخَذُوا غُنَيْمَتَهُ، فأنْزَلَ اللَّه في ذلكَ إلى قَوْلِهِ: عَرَضَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا تِلكَ الغُنَيْمَةُ[2].

قال محمَّدُ بنُ عبدِ الوهَّابِ: لا نُكَفِّرُ مَنْ لا نَعرِفُ منه الكُفرَ؛ بسبَبِ ناقضٍ ذُكِرَ عنه، ونحنُ لم نتحَقَّقْه[3].

﴿انتهى الفصل الأول: الإيمان بالله تعالى﴾



[1] يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) 7/ 351.
[2] أخرجه البخاري (4591) واللفظ له، ومسلم 3025.
[3] يُنظر: ((الدرر السنية)) 112/10.


الفصل الثاني
الإيمان بالملائكة

﴿الفصل الثاني﴾

﴿الإيمان بالملائكة﴾

﴿المبحث الأول﴾

﴿تعريف الملائكة﴾

الملائكة لغة:

المَلائِكَةُ: واحِدُها مَلَك، وأصلُه (مَأْلَك)، ثُمَّ خُفِّفَ بحَذفِ الهَمزةِ، فقيل: مَلَكٌ، وأصلُه مِن المألُكَةِ والمَأْلَكَةِ والمَلأَكَةِ، وهي: الرِّسالةُ، والمَلأَكُ: المَلَكُ؛ سمِّيَ بذلك؛ لأنه يُبَلِّغُ عن اللهِ عزَّ وجلَّ ما أُرْسِلَ به إلى مَن شاءَ مِن خَلْقِه. وأصلُ (ألك): يَدُلُّ على تَحَمُّلِ الرِّسَالَةِ[1].

وألك: الهمزة واللام والكاف أصلٌ واحد، وهو تحمُّل الرسالة؛ قال الخليل: الألوك الرسالة، وهي المألُكة على مَفعُلة؛ قال النابغة:

أَلِكْني يا عُيَيْنُ إِلَيْكَ قَوْلاً * سَتَحْمِلُهُ الرُّوَاةُ إِلَيْكَ عَنِّي[2]

الملائكة اصطلاحا:

المَلائِكة في الاصطِلاحِ: خَلقٌ مِن خَلقِ اللهِ تعالى، خلقَهم اللهُ عَزَّ وجَلَّ من نورٍ، وهم عِبادٌ مُكرَمون، لا يَعْصُونَ اللهَ ما أمرهم، ويَفعَلون ما يُؤمَرون، ليسوا ذكور ولا إناثا ولكن يوصفون في الخطاب بالذكورة، ولا يأكُلون، ولا يَشْرَبون، ولا يتناكَحون، ولا يَمَلُّون، ولا يَتْعَبون، ولا يَعلَمُ عَدَدَهم إلَّا اللهُ سُبحانَه، وقد حجَبَهم اللهُ عَنَّا فلا نراهم، ورُبَّما كشَفَهم لبعضِ عِبادِه، وهم قادِرون على التشَكُّلِ والتمَثُّلِ، ولهم قوًى عظيمةٌ وقُدرةٌ كبيرةٌ على التنَقُّلِ وغَيرِه[3].

---

[1] يُنظر: ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (1/ 132)، ((التفسير البسيط)) للواحدي (2/ 316)، ((لسان العرب)) لابن منظور (10/ 481)، ((المطلع على ألفاظ المقنع)) للبعلي (ص345)، ((الكليات)) للكفوي (ص900).

[2] ديوان النابغة الذبياني، ص126.

[3] يُنظر: ((اللباب في علوم الكتاب)) لابن عادل (1/497)، ((عمدة القاري)) للعيني (15/123)، ((لوامع الأنوار البهية)) للسفاريني (1/447)، ((أعلام السنة المنشورة)) لحافظ الحكمي (ص: 41).

قال ابنُ حزمٍ: المَلائِكةُ بنَصِّ القُرآنِ والسُّنَنِ وإجماعِ جَميعِ مَن يُقِرُّ بالمَلائِكةِ مِن أهلِ الأديانِ المختَلِفةِ: عُقَلاءُ مُتعَبَّدون، مَنهيُّون مأمورون[1].

وقال ابنُ تَيمِيَّةَ: إنَّ اسمَ المَلائِكةِ والمَلَكِ يتضَمَّنُ أنَّهم رُسُلُ اللهِ، كما قال تعالى: ﴿جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا﴾ [فاطر: 1]، **وكما قال:** ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾ [المرسلات: 1]؛ **فالمَلائِكةُ رُسُلُ اللهِ تعالى في تنفيذِ أَمرِه الكونيِّ الذي يُدَبِّرُ به السَّمَواتِ والأرضَ... وأمرِه الدِّينيِّ الذي تَنزِلُ به المَلائِكةُ**[2].

والملائكة مخلوقات نورانية بنص الحديث، فعن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: {خُلِقَتِ الملائكةُ من نُّورٍ، وخلق الجانَّ من مارِجٍ من نارٍ، و خلق آدمَ مِما وُصِفَ لكم}[3].



---

[1] يُنظر: ((الفصل)) (17/5).

[2] يُنظر: ((مجموع الفتاوى)) (119/4).

[3] أخرجه مسلم 2996 – يُنظر: ((الجواب الصحيح)) (5/ 313).

﴿المبحث الثاني﴾

﴿حكم الإيمان بالملائكة﴾

الإيمانُ بالمَلائِكة ركنٌ من أركانِ الإيمانِ وأصلٌ من أصولِه، لا يصِحُّ إيمانُ العَبدِ إلَّا به.

قال اللهُ تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ [البقرة: 285].

قال ابنُ تَيمِيَّةَ: لَمَّا كان الرَّسولُ الملَكيُّ، والرَّسولُ البَشَريُّ، والذِّكْرُ المنَزَّلُ؛ أمورًا متلازمةً يلزَمُ من ثبوتِ واحدٍ ثُبوتُ الآخَرينِ، ومن الإيمانِ بواحِدٍ الإيمانُ بالآخَرينِ، فيَلزَمُ من كونِ القُرآنِ حَقًّا كونُ جِبريلَ ومحمَّدٍ حَقًّا، وكذلك يلزمُ من كونِ محمَّدٍ حَقًّا كونُ جِبريلَ والقرآنِ حَقًّا، ويلزَمُ من كونِ جِبريلَ حَقًّا كونُ القُرآنِ ومحمَّدٍ حَقًّا؛ ولهذا جمع اللهُ بين الإيمانِ بالمَلائِكةِ والكُتُبِ والرُّسُلِ في مِثْلِ قَولِه: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ [البقرة: 285].

وقال السَّعديُّ: يخبرُ تعالى عن إيمانِ الرَّسولِ والمؤمنين معه، وانقيادِهم وطاعَتِهم وسُؤالِهم مع ذلك المغفِرةَ، فأخبر أنَّهم آمنوا باللهِ ومَلائِكتِه وكُتُبِه ورُسُلِه، وهذا يتضَمَّنُ الإيمانَ بجَميعِ ما أخبر اللهُ به عن نَفْسِه، وأخبَرَت به عنه رُسُلُه من صفاتِ كَمالِه ونُعوتِ جَلالِه على وَجهِ الإجمالِ والتفصيلِ، وتنزيهِه عن التمثيلِ والتعطيلِ وعن جميعِ صِفاتِ النَّقصِ، ويتضَمَّنُ الإيمانَ بالمَلائِكةِ الذين نَصَّت عليهم الشَّرائعُ جملةً وتفصيلًا...[1].

وقال اللهُ سُبحانَه: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ [البقرة: 177].

وعن عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال لَمَّا سأله جِبريلُ عليه السَّلامُ عن الإيمانِ: {أن تؤمِنَ باللهِ، وملائِكَتِه، وكُتُبِه، ورُسُلِه، واليَومِ الآخِرِ، وتُؤمِنَ بالقَدَرِ خَيرِه وشَرِّه}[2].

---

[1] يُنظر: ((تفسير السعدي)) (ص: 120).

[2] أخرجه مسلم (8) مطولًا.

وقال ابنُ حزمٍ: إنَّ المَلائِكةَ حَقٌّ، وهم خَلقٌ مِن خَلقِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ، مُكرَمون، كُلُّهم رُسُلُ اللهِ؛ قال اللهُ تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ﴾ [الرعد: 23] ، وقال تعالى: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء: 26] ، وقال تعالى: ﴿جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ﴾ [فاطر: 1][1].

وقال أيضًا: اتَّفَقوا أنَّ المَلائِكةَ حَقٌّ، وأنَّ جِبريلَ ومِيكائيلَ مَلَكانِ رَسولانِ لله عَزَّ وجَلَّ مُقَرَّبانِ عَظيمانِ عندَ اللهِ تعالى، وأنَّ المَلائِكة كُلَّهم مُؤمِنون[2].

وقال أيضًا: صَحَّ بالنَّصِّ أنَّ كُلَّ من استهزأ باللهِ تعالى أو بمَلَكٍ من المَلائِكةِ أو بنبيٍّ من الأنبياءِ عليهم السَّلامُ أو بآيةٍ من القُرآنِ أو بفَريضةٍ مِن فرائِضِ الدِّينِ (أو مندوب من مندوبات أو مكروه من مكروهات الشرع) – فهي كُلُّها آياتُ اللهِ تعالى– بعد بلوغِ الحُجَّةِ إليه؛ فهو كافِرٌ[3].

وقال ابنُ العَطَّار: يجِبُ الإيمانُ بالمَلائِكةِ جميعِهم، وبالكرامِ الكاتِبين، وأنَّ اللهَ تعالى قد جعَلَهم علينا حافِظين، وبسؤالِ مُنكَرٍ ونَكيرٍ الميتَ في قَبرِه عن رَبِّه ودينِه ونَبيِّه، على ما جاءت به الأخبارُ عن رسولِ اللهِ ﷺ وعن أصحابِه رَضِيَ اللهُ عنهم أجمعين[4].

وقال ابنُ تَيمِيَّةَ: المُسلِمون سُنِّيُّهم وبِدعِيُّهم مُتَّفِقون على وجوبِ الإيمانِ باللهِ ومَلائِكتِه وكُتُبِه ورُسُلِه واليومِ الآخِرِ[5].



[1] يُنظر: ((المحلى)) (13/1).

[2] يُنظر: ((مراتب الإجماع)) (ص: 174).

[3] ينظر: ((الفصل)) (3/ 142).

[4] يُنظر: ((الاعتقاد الخالص)) (ص: 256).

[5] يُنظر: ((مجموع الفتاوى)) (7/ 357).

﴿المبحث الثالث﴾

﴿معنى الإيمان بالملائكة﴾

الإيمانُ بالمَلائِكةِ يتضَمَّنُ أربعةَ أُمورٍ:

1 – الإيمانُ بوُجودِهم إيمانًا جازمًا لا يتطَرَّقُ إليه شَكٌّ.

2 – الإيمانُ بما عَلِمنا من أسمائِهم (كجِبريلَ ﵇)، وأمَّا من لم نعلَمْ أسماءَهم فنُؤمِنُ بهم إجمالًا.

3 – الإيمانُ بما عَلِمْنا من صفاتِهم الخِلْقيَّةِ والخُلُقيَّةِ.

4 – الإيمانُ بما عَلِمْنا من أعمالِهم[1].

قال محمَّدُ بنُ نَصرٍ المَرْوَزيُّ في تفسيرِ حَديثِ جِبريلَ ﵇ في أركانِ الإيمانِ: قَولُه: «ومَلائِكَتِه» فأن تؤمِنَ بمن سمَّى اللهُ لك منهم في كتابِه، وتؤمِنَ بأنَّ لله مَلائِكةً سِواهم لا يَعرِفُ أسامِيَهم وعَدَدَهم إلَّا الذي خلَقَهم[2].

وقال الحليمي: الإيمانُ بالمَلائِكةِ يَنتَظِمُ معانيَ؛ أَحَدُها: التصديقُ بوجودِهم، والآخَرُ: إنزالُهم منازِلَهم وإثباتُ أنَّهم عِبَادُ اللهِ وخَلْقُه، كالإنسِ والجِنِّ، مأمورونَ مُكَلَّفون لا يَقدِرون إلَّا على ما يُقَدِّرُ لهم اللهُ تعالى... ولا يُوصَفون بشَيءٍ يؤدِّي وَصفُهم به إلى إشراكِهم باللهِ تعالى، ولا يُدْعَون آلِهةً كما قد دعَتْهم الأوائِلُ.

والثَّالِثُ: الاعترافُ بأنَّ منهم رُسُلًا لله تعالى يُرسِلُهم إلى من يشاءُ مِنَ البَشَرِ[3].

وقال أيضًا: الإيمانُ بالمَلائِكةِ ليس أن يُنزَّلوا فوقَ مَنازِلِهم، لكِنْ أن لا يُبخَسوا حَظًّا جَعَله اللهُ تعالى لهم مِن فَضْلِه[4].

---

[1] يُنظر: ((القول المفيد)) لابن عثيمين (410/2)، ((نبذة في العقيدة)) (ضمن مجموع فتاوى ابن عثيمين) (5/ 116)، ((الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد)) لصالح الفوزان (ص: 167)، ((الإيمان حقيقته خوارمه نواقضه عند أهل السنة)) لعبدالله الأثري (ص: 131).

[2] يُنظر: ((تعظيم قدر الصلاة)) (1/ 393).

[3] يُنظر: ((المنهاج في شعب الإيمان)) (1/ 302).

[4] يُنظر: ((المنهاج في شعب الإيمان)) (1/ 303).

وقال ابنُ حَجَر: الإيمانُ بالمَلائِكةِ هو التصديقُ بوُجودِهم، وأنهم كما وصفهم اللهُ تعالى عبادٌ مُكرَمون، وقَدَّم المَلائِكةَ على الكُتُب والرُّسُل نظرًا للترتيبِ الواقِعِ؛ لأنَّه سُبحانَه وتعالى أرسل المَلَكَ بالكِتابِ إلى الرَّسول[1].

وقال حافِظٌ الحَكَميُّ في ذِكرِ أركانِ الإيمانِ: الثَّاني: الإيمانُ بالمَلائِكةِ الذين هم عِبادُ اللهِ المُكْرَمون، والسَّفَرةُ بينه تعالى وبين رُسُلِه عليهم الصَّلاةُ والسَّلامُ، الكِرامِ خَلقًا وخُلُقًا، والكِرامِ على اللهِ تعالى، البَرَرةِ الطَّاهِرين ذاتًا وصِفةً وأفعالًا، المطيعينَ لله عَزَّ وجَلَّ، وهم عبادٌ مِن عِبادِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ، خَلَقهم اللهُ تعالى من النُّورِ لعبادته، ليسوا بناتٍ لله عَزَّ وجَلَّ ولا أولادًا ولا شُرَكاءَ معه ولا أندادًا، تعالى اللهُ عَمَّا يقولُ الظَّالِمون والجاحِدون والمُلحِدون عُلُوًّا كبيرًا[2].



[1] يُنظر: ((فتح الباري)) (1/117).

[2] يُنظر: ((معارج القبول)) (2/ 656).

﴿البحث الثالث﴾

﴿أسماء الملائكة، ومهامهم﴾

يجب أن نثبت من أسماء الملائكة ما أثبته الله تعالى لهم كجبريل وميكال، كما في قوله تعالى:

﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ﴾[البقرة: 98].

كذلك يمكن لنا أن نثبت ما أثبته أهل الكتاب من أسماء للملائكة، لأنَّ هذا من باب الأخبار والنبي ﷺ يقول: {بلِّغوا عنِّي ولو آيةً وحدِّثوا عن بني إسرائيلَ ولا حرجَ ومن كذبَ عليَّ متعمِّدًا فليتبوَّأ مقعدَهُ من النَّارِ}[1].

من ذلك اسم عزرائيل يطلقونه على ملك الموت، فلا حرج في تسميته بذلك، لدلالة الحديث على ذلك.



[1] أخرجه البخاري (3461) ، من حديث عبدالله بن عمرو .

﴿المطلب الأول﴾

﴿جبريل﴾

معنى اسم جبريل:

قال عكرمة: جبر، وميك، وسراف: عبد، وإيل: الله، وصله الطبري في طريق عاصم عنه قال: جبريل، عبد الله، وميكائيل عبد الله، إيل: الله.

من وجه آخر عن عكرمة: جبر عبد، وميك عبد، وإيل الله.

ومن طريق يزيد النحوي عن عكرمة عن ابن عباس نحو الأول وزاد: وكل اسم فيه إيل فهو الله.

ذكر اللهُ تعالى اسمَه في ثلاثِ آياتٍ مِن كِتابِه الكريمِ، وإيل بالعبرية بعني الله[1].

ومنه أنها تعني: «عبد الله»، وفي قول آخر جبريل أو جبرائيل معناها بالعبرية رجل الله، فكلمة جبرَ تعني رجل، وكلمة إيل تعني الله.

ومن ألقابه وصفاته:

ومن ألقاب جبريل ﷺ: أمين الوحي، والروح الأمين، وروح من أمر الله، والروح القُدس، وشديدي القوى، وذو مرة.

1 – قولُ الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: 97]

2 – قولُ اللهِ سُبحانَه: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾[البقرة: 98].

3 – قولُ اللهِ عَزَّ وجَلَّ: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحريم: 4].

5 – وقال تعالى: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى * ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى﴾[النجم: 5 – 6].

---

[1] ينظر: فتح الباري **348**.

6 – وقال تعالى: ﴿ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾[البقرة: 67].

8 – وقال: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ﴾[الشورى: 52].

9 – وقال: ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴾[الشعراء: 93].

عن عائشةَ رَضِيَ اللهُ عنها قَالَتْ: {كَانَ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ افْتَتَحَ صَلَاتَهُ: اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرَائِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ}[1].

قال ابنُ تَيمِيَّةَ: ليست المَلائِكةُ أيضًا القوى العالِمة التي في النُّفوسِ كما قد يقولونَه، بل جِبريلُ عليه السَّلامُ مَلِكٌ مُنفَصِلٌ عن الرَّسولِ يَسمَعُ كَلامَ اللهِ مِنَ اللهِ، ويَنزِلُ به على رَسولِ اللهِ ﷺ، كما دَلَّ على ذلك النُّصوصُ والإجماعُ من المُسلِمين[2].

فمِنْ كَرَمِه على رَبِّه: أنَّه أقرَبُ المَلائِكةِ إليه، قال بعضُ السَّلَفِ: مَنزِلَتُه من رَبِّه مَنزِلةُ الحاجِبِ مِن المَلِكِ.

ومن قُوَّتِه: أنَّه رفع مدائِنَ قَومِ لُوطٍ على جَناحِه، ثم قلَبَها عليهم، فهو قَويٌّ على تنفيذِ ما يُؤمَرُ به، غيرُ عاجزٍ عنه؛ إذ تطيعُه أملاكُ السَّمَواتِ فيما يأمُرُهم به عن اللهِ تعالى[3].

قال تعالى: ﴿ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ * ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ﴾[النجم: 5 – 6].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ * مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴾[التكوير: 19 – 21].

قال الطبري وغيره: ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾ وهو: جبريل عليه السلام.

قال السعدي وغيره: ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾ وهو: جبريل عليه السلام.



[1] أخرجه مسلم 770.

[2] يُنظر: ((منهاج السنة النبوية)) (2/ 537).

[3] يُنظر: ((إغاثة اللهفان)) (2/ 844).

﴿المطلب الثاني﴾

﴿مكانة جبريل﴾

جبريل أو جبرائيل هو سيد الملائكة، وهو أقرب الملائكة إلى الله تعالى، وأحبهم إليه.

﴿ وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾[سبأ: 23].

قال السعدي: الذي يدل عليه السياق، ويحتمل أن الضمير يعود إلى الملائكة، وذلك أن اللّه تعالى إذا تكلم بالوحي، سمعته الملائكة، فصعقوا، وخروا للّه سجدا، فيكون أول من يرفع رأسه جبريل، فيكلمه اللّه من وحيه بما أراد، وإذا زال الصعق عن قلوب الملائكة، وزال الفزع، فيسأل بعضهم بعضا عن ذلك الكلام الذي صعقوا منه: ماذا قال ربكم؟ فيقول بعضهم لبعض: قال الحق، إما إجمالا، لعلمهم أنه لا يقول إلا حقا، وإما أن يقولوا: قال كذا وكذا، للكلام الذي سمعوه منه، وذلك من الحق[1].

قال تعالى: ﴿مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ﴾[التكوير: 21]، **قال الطبري: يقول تعالى ذكره: (مُطَاعٍ ثَمَّ) يعني جبريل ﷺ، مطاع في السماء تطيعه الملائكة (أمِينٍ) يقول: أمين عند الله تعالى على وحيه ورسالته وغير ذلك مما ائتمنه عليه.**



[1] **تفسير السعدي.**

﴿المطلب الثالث﴾

﴿ميكائيل﴾

معنى اسم ميكائيل:

قال عكرمة: جبر وميك وسراف: عبد، إيل: الله وصله الطبري في طريق عاصم عنه قال: جبريل عبد الله، وميكائيل عبد الله، إيل: الله.

من وجه آخر عن عكرمة: جبر عبد، وميك عبد، وإيل الله.

ومن طريق يزيد النحوي عن عكرمة عن ابن عباس نحو الأول وزاد: وكل اسم فيه إيل فهو الله.

ذكر اللهُ تعالى اسمَه في ثلاثِ آياتٍ مِن كِتابِه الكريم[1].

قال اللهُ تعالى: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾[البقرة: 98].

قال ابنُ كثير: وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ وهذا من باب عَطفِ الخاصِّ على العامِّ؛ فإنَّهما دخَلَا في المَلائِكةِ، ثمَّ عُمومِ الرُّسُلِ، ثم خُصِّصا بالذِّكرِ؛ لأنَّ السِّياقَ في الانتصارِ لجبريلَ وهو السَّفيرُ بين اللهِ وأنبيائِه، وقُرِن معه ميكائيلُ في اللَّفظِ؛ لأنَّ اليهودَ زَعَموا أنَّ جِبريلَ عَدُوُّهم وميكائيلَ وَلِيُّهم، فأعلمهم أنَّه مَن عادى واحِدًا منهما فقد عادى الآخَرَ وعادى اللهَ تعالى أيضًا؛ لأنَّه أيضًا يَنزِلُ على الأنبياءِ بَعضَ الأحيانِ، كما قُرِن برَسولِ الله ﷺ في ابتداءِ الأمرِ، ولكِنَّ جبريلَ أكثَرُ، وهي وظيفتُه، وميكائيلُ مُوكَّلٌ بالقَطرِ والنَّباتِ، هذاك بالهُدى، وهذا بالرِّزقِ[2].



---

[1] ينظر: فتح الباري 348.

[2] يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (1/ 342).

﴾المطلب الرابع﴿

﴾إسرافيل﴿

معنى اسم إسرافيل:

عن عائشةَ رَضِيَ اللهُ عنها قَالَتْ: {كَانَ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ افْتَتَحَ صَلَاتَهُ: اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ}[1].

قال ابنُ القَيِّمِ عنهم: رؤساؤُهم الأملاكُ الثلاثُ: جِبريلُ، وميكائيلُ، وإسرافيلُ[2].

وقد اشتهَر لدى أهلِ العِلمِ أنَّه النَّافِخُ في الصُّورِ، ونقل بعضُهم الإجماعَ عليه، ولكِنْ لم يَثبُتْ ذلك بخَبَرٍ صَحيحٍ.

وقيل: هو أحَدُ حَمَلةِ العَرشِ، وذهب إليه بعضُ أهلِ العِلمِ، إلَّا أنَّ ذلك لم يَثبُتْ أيضًا بخبرٍ صَحيحٍ.

قال الحليمي: إذا انقضت الأشراطُ وجاء الوقتُ الذي يريدُ اللهُ تعالى إماتةَ الأحياءِ مِن سُكَّانِ السَّمَواتِ والبِحارِ والأرَضِينَ، أمر إسرافيلَ –وهو أحَدُ حَمَلةِ العَرشِ، وصاحِبُ اللَّوحِ المحفوظِ– يَنفُخُ في الصُّورِ[3].

وقال محمَّدُ بنُ عبدِ الوَهَّابِ: مِن ساداتِهم إسرافيلُ عليه السَّلامُ، وهو أحَدُ حَمَلةِ العَرشِ، وهو الذي ينفُخُ في الصُّورِ[4].

ومعنى اسمه هو: عبد الله.

قال عكرمة: جبر وميك وسراف: عبد، إيل: الله وصله الطبري في طريق عاصم عنه قال: جبريل عبد الله، وميكائيل عبد الله، إيل: الله.

من وجه آخر عن عكرمة: جبر عبد، وميك عبد، وإيل الله.

ومن طريق يزيد النحوي وزاد: وكل اسم فيه إيل فهو الله[5].

---

[1] أخرجه مسلم (770).

[2] يُنظر: ((إغاثة اللهفان)) (2/ 843).

[3] يُنظر: ((المنهاج في شعب الإيمان)) (1/ 431).

[4] يُنظر: ((أصول الإيمان)) (ص: 98).

[5] ينظر: فتح الباري 348.

﴿المطلب الخامس﴾

﴿ملك الموت﴾

ورد في بعضِ الآثارِ أنَّ اسمَ مَلَكِ المَوتِ عِزرائيلُ، ولكِنَّها لم تَثبُتْ.

ومعناه بالعبرية: الذي يساعده الله.

قال ابنُ كثير: أمَّا مَلَكُ الموتِ فليس بمصَرَّحٍ باسمِه في القرآنِ، ولا في الأحاديثِ الصِّحاحِ، وقد جاء تسميتُه في بعضِ الآثارِ بعِزْرائيلَ. واللهُ أعلَمُ[1].

وسُئِلَ ابنُ باز: هل ثبت في السُّنَّةِ أنَّ اسمَ مَلَكِ الموتِ عِزرائيلُ؟ فأجاب: لا أعلَمُ في هذا شيئًا ثابتًا، وإنما هو مشهورٌ بين أهلِ العِلمِ جاء في بعضِ الآثارِ أنَّ اسمَه عِزرائيلُ، لكِنْ لا أعلَمُ فيه حديثًا صحيحًا بأنَّ اسمَه عِزرائيلُ، وإنما جاء فيه آثارٌ ضَعيفةٌ لا تقومُ بها حُجَّةٌ[2].

وأقول أنَّ اسم عزرائيل الملقب به ملك الموت، هو من أخبار بني إسرائيل والنبي ﷺ يقول: {بَلِّغُوا عَنِّي ولو آيَةً، وَحَدِّثُوا عن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ}[3].

وتسمية ملك الموت بعزرائيل عند بني إسرائيل هو من باب الأخبار لا من باب الأحكام، فيجوز تسميته بعزرائيل ولا حرج.



---

[1] يُنظر: ((البداية والنهاية)) (1/ 106).

[2] يُنظر: ((مسائل متفرقة في العقيدة)) (الموقع الرسمي لابن باز).

[3] أخرجه البخاري (3461).

﴿المطلب السادس﴾

﴿مالك﴾

قال اللهُ تعالى: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ﴾ [الزخرف: 77]،

قال ابنُ جريرٍ: يقولُ تعالى ذِكْرُه: ونادى هؤلاءِ المجرِمون بعد ما أدخلَهم اللهُ جَهَنَّمَ، فنالهم فيها من البلاءِ ما نالهم، مالِكًا خازِنَ جهنَّمَ {يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ}[1].

وعن سَمُرةَ رَضِيَ اللهُ عنه قال: قال النَّبيُّ ﷺ {رأيتُ اللَّيلةَ رَجُلينِ أتياني قالا: الذي يُوقِدُ النَّارَ مالِكٌ خازِنُ النَّارِ، وأنا جِبريلُ، وهذا ميكائيلُ}[2].

قال ابنُ القَيِّمِ: سمَّى تعالى خازِنَ النَّارِ مالِكًا، وهو اسمٌ مُشتَقٌّ من المَلْكِ وهو القُوَّةُ والشِّدَّةُ حيث تصَرَّفَت حروفُه[3].



[1] يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (20/ 649).
[2] أخرجه البخاري (3236).
[3] يُنظر: ((حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح)) (ص: 109).

﴿المطلب السابع﴾

﴿منكر ونكير﴾

وهما المَلَكانِ الموكَّلانِ بفتنةِ القَبرِ وسُؤالِ العَبدِ عن رَبِّه ودينِه ونبيِّه؛ لحديثِ أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنه أنَّه قالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: {إِذَا قُبِرَ الْمَيِّتُ –أَوْ قَالَ: أَحَدُكُمْ– أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ، يُقَالُ لأَحَدِهِمَا الْمُنْكَرُ وَالآخَرُ النَّكِيرُ، فَيَقُولاَنِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ مَا كَانَ يَقُولُ: هُوَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولاَنِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ هَذَا... وَإِنْ كَانَ مُنَافِقًا قَالَ: سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ فَقُلْتُ مِثْلَهُ، لَا أَدْرِي، فَيَقُولاَنِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ ذَلِكَ}[1].

قال أحمَدُ بنُ حَنبَلٍ ذاكِرًا أُصولَ السُّنَّة التي يجب التمَسُّكُ بها: الإيمانُ بعَذابِ القَبرِ، وأنَّ هذه الأُمَّةَ تُفتَنُ في قُبورِها وتُسأَلُ عن الإيمانِ والإسلامِ، ومَن رَبُّه، ومن نَبِيُّه، ويأتيه مُنكَرٌ ونَكيرٌ كيف شاء وكيف أراد، والإيمانِ به والتصديق به[2].

وقال أحمدُ بنُ القاسِمِ لأحمدَ بنِ حَنبَلٍ: قلتُ: يا أبا عبدِ اللهِ، تُقِرُّ بمُنكَرٍ ونكيرٍ وما يُروى من عَذابِ القَبرِ؟ فقال: نَعَمْ، سُبحانَ اللهِ! نُقِرُّ بذلك ونقولُه، قلتُ: هذه اللَّفظةُ مُنكَرٌ ونَكيرٌ، تقولُ هذا، أو تقولُ مَلَكَينِ؟ قال: نقولُ: مُنكَرٌ ونكيرٌ، وهما مَلَكانِ[3].

وقال عبَّاسُ بنُ مشكويهِ في مناظرتِه للخليفةِ الواثِقِ في كَونِ القُرآنِ غَيرَ مَخلوقٍ: فقال لي يعني الواثِقَ: وما السُّنَّةُ والجماعةُ؟ قُلتُ: سألتُ عنها العُلَماءَ فكُلٌّ يخبرُ ويقولُ: إنَّ صِفةَ المُؤمِنِ مِن أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ أن يقولَ العَبدُ مخلِصًا: لا إلهَ إلَّا اللهُ وَحدَه لا شريكَ له، وإنَّ مُحمَّدًا عَبدُه ورَسولُه... والإيمانُ بالبَعثِ والنُّشورِ وعَذابِ القَبرِ، ومُنكَرٍ ونَكيرٍ، والصِّراطِ والميزانِ...[4]

---

[1] أخرجه مطولًا الترمذي (1071) واللَّفظُ له، والبزار (8462)، وابن حبان (3117). صححه ابن حبان، وابن قتيبة في ((تأويل مختلف الحديث)) (294)، وحسنه الألباني في ((صحيح سنن الترمذي)) (1071)، وشعيب الأرناؤوط في ((تخريج شرح السنة)) (416/5)، وقال الترمذي: حسن غريب.

[2] يُنظر: ((أصول السنة)) (ص: 30).

[3] يُنظر: ((طبقات الحنابلة)) لابن أبي يعلى (1/ 55).

[4] يُنظر: ((الإبانة الكبرى)) لابن بطة (6/ 286).

وقال ابنُ أبي عاصمٍ: الأخبارُ التي في المساءَلةِ في القَبرِ مُنكَر ونَكير أخبارٌ ثابتةٌ تُوجِبُ العِلمَ، فنرغَبُ إلى اللهِ أن يُثَبِّتَنا في قُبورِنا عند مسألةِ مُنكرٍ ونَكيرٍ بالقَولِ الثَّابِتِ في الحَياةِ الدُّنيا وفي الآخِرةِ[1].

وقال الطحاوي: ونؤمِنُ بمَلَكِ الموتِ الموَكَّلِ بقَبضِ أرواحِ العالَمينَ، وبعَذابِ القَبرِ لِمن كان له أهلًا، وسؤالِ مُنكَرٍ ونكيرٍ في قَبْرِه عن رَبِّه ودِينِه ونَبِيِّه، على ما جاءت به الأخبارُ عن رَسولِ اللهِ ﷺ، وعن الصَّحابةِ رضوانُ اللهِ عليهم. والقَبرُ رَوضةٌ مِن رياضِ الجَنَّةِ، أو حُفرةٌ مِن حُفَرِ النِّيرانِ[2].

وقال أبو الحسَنِ الأشعريُّ: نؤمِنُ بعَذابِ القَبرِ، ومُنكَرٍ ونَكيرٍ عليهما الصَّلاةُ والسَّلامُ، ومُساءَلَتِهما المدفونينَ في القبورِ[3].

وقال السفاريني: أمورُ ما بعدَ الموتِ؛ منها سُؤالُ مُنكَرٍ ونَكيرٍ... من الأمورِ المهولةِ العَجيبةِ والأشياءِ الصَّعبةِ الغريبةِ؛ فإنَّه حَقٌّ لا يُرَدُّ. (منها) سُؤالُ الملَكينِ مُنكَرٍ ونَكيرٍ؛ فالإيمانُ بذلك واجِبٌ شَرعًا[4].

وقال السعديُّ في تفسيرِ قَولِ اللهِ تعالى: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ﴾ [الفرقان: 22] : لا يَرَونَها مع استمرارِهم على جُرْمِهم وعنادِهم إلَّا لعُقوبتِهم وحُلولِ البَأْسِ بهم، فأوَّلُ ذلك عند الموتِ إذا تنَزَّلت عليهم المَلائِكةُ... ثمَّ في القَبرِ حيثُ يأتيهم مُنكَرٌ ونَكيرٌ، فيَسألُهم عن رَبِّهم ونَبِيِّهم ودِينِهم، فلا يجيبونَ جَوابًا يُنجِيهم، فيُحِلُّون بهم النِّقْمةَ، وتَزولُ عنهم بهم الرَّحمةُ...[5].

وقال حافِظٌ الحكَميُّ في أقسامِ المَلائِكة: منهم الموكَّلون بفتنةِ القَبرِ، وهم مُنكَرٌ ونَكيرٌ[6].



[1] يُنظر: ((السنة)) (2/ 419).

[2] يُنظر: ((متن الطحاوية)) (ص: 71).

[3] ينظر: ((الإبانة عن أصول الديانة)) (ص: 31)

[4] يُنظر: ((لوامع الأنوار البهية)) (2/ 5).

[5] يُنظر: ((تفسير السعدي)) (ص: 581).

[6] يُنظر: ((معارج القبول)) (2/ 665).

﴿المطلب الثامن﴾

﴿هاروت وماروت﴾

وهما على أحَدِ الأقوالِ مَلَكانِ أُنزِلا إلى الأرضِ فِتنةً وابتلاءً مِنَ اللهِ لِعبادِه.

قال ابنُ جريرٍ: بَيِّنٌ أنَّ معنى: ما التي في قَولِه: {وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ} بمعنى الذي، وأنَّ هاروتَ وماروتَ مُترجَمٌ بهما عن المَلَكينِ[1].

وقال ابنُ كثيرٍ: من المَلائِكةِ المنصوصِ على أسمائِهم في القُرآنِ: هاروتُ، وماروتُ، في قَولِ جماعةٍ كَثيرةٍ مِنَ السَّلَفِ، وقد ورَد في قِصَّتِهما وما كان من أمْرِهما آثارٌ كَثيرةٌ غالِبُها إسرائيليَّاتٌ[2].

وهو اختيارُ ابنِ حَجَرٍ[3].

وقال المعَلِّمي اليمانيُّ: هَارُوتَ وَمَارُوتَ مَلكان أذِنَ اللهُ تبارك وتعالى لهما في تعليمِ السِّحرِ بعد أن يقولا: إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ[4].

وقال ابنُ باز: الأظهَرُ: أنَّهما مَلَكانِ نَزَلا ابتلاءً وامتِحانًا، كما قال اللهُ عَزَّ وجَلَّ: ﴿وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾[البقرة: 102][5].

وقال ابنُ عُثَيمين: هَارُوتَ وَمَارُوتَ عَطفُ بَيانٍ على الْمَلَكَينِ لِبَيانِ اسمِهما[6].

وقال أيضًا: هذه الآيةُ امتحن اللهُ سُبحانَه وتعالى عبادَه، وهو سُبحانَه وتعالى يفعَلُ ما يشاءُ، أنزل مَلَكينِ من المَلائِكةِ بمكانٍ يقالُ له: بابِلُ، وهو معروفٌ في العِراقِ، والمَلَكانِ اسمُ أَحَدِهما: هاروتُ، والثَّاني: ماروتُ[7].

---

[1] يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (2/ 339)..

[2] يُنظر: ((البداية والنهاية)) (1/ 109).

[3] يُنظر: ((العجاب في بيان الأسباب)) (1/314-343)، ((فتح الباري)) (10/ 224).

[4] يُنظر: ((آثار الشيخ العلامة عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني)) (2/ 370).

[5] يُنظر: ((مجموع فتاوى ابن باز)) (8/ 115).

[6] يُنظر: ((تفسير العثيمين – الفاتحة والبقرة)) (1/ 329).

[7] يُنظر: ((لقاء الباب المفتوح)) (رقم اللقاء: 106)

﴿المطلب التاسع﴾

﴿رضوان﴾

اشتَهَر أنَّ اسمَ خازِنِ الجنَّةِ رِضوانُ، ولم يَرِدْ ذلك في الكِتابِ والسُّنَّةِ الصَّحيحةِ.

سُئِلَت اللجنةُ الدَّائِمةُ للإفتاءِ: هل رِضْوانُ خازِنُ الجنَّةِ، وأين ورد اسمُه؟

فأجابت: المشهورُ عند العُلَماءِ: أنَّ اسمَ خازِنِ الجَنَّةِ رِضْوانُ، وجاء ذِكْرُه في بعضِ الأحاديثِ التي في ثبوتِها نَظَرٌ. واللهُ أعلَمُ[1].

وقال ابنُ عثيمين: أمَّا رِضْوانُ فمُوَكَّلٌ بالجنَّةِ، واسمُه هذا ليس ثابتًا ثبوتًا واضِحًا كثُبوتِ مالِكٍ خازِنِ النَّارِ، لكِنَّه مشهورٌ عند أهلِ العِلمِ بهذا الاسمِ. واللهُ أعلَمُ[2].

وقد جاء في تخريج الأحاديث والآثار للزيلعي بسنده عن النبي ﷺ قال: {...وأيما مسلم قرأ سورة يس وهو في سكرات الموت لم يقبض ملك الموت روحه حتى يجيئه رضوان خازن الجنة بشربة من شراب الجنة يشربها وهو على فراشه}[3].

وعلى كل حال فإنَّ هذا الخبر ليس في باب الأحكام، بل في باب الأخبار، فلا بأس لو سمَّى الناس خازن الجنَّة رضوان، كما أنَّ هذا الاسم موافق لخادم الجنَّة، فأهل الجنَّة يسبحون في الرضا والرضوان.



---

[1] يُنظر: ((فتاوى اللجنة الدائمة – المجموعة الثانية)) (2/ 353). .

[2] يُنظر: ((مجموع فتاوى ورسائل العثيمين)) (3/ 161).

[3] الزيلعي في تخرج الأحاديث والآثار 168/3، والحديث روي من طرق عدة وغالب رواته مناكير، وإني أراه حسن بطرق، ولكن القوم ضعفوه حتى بكثة طرقه.

﴿المطلب العاشر﴾

﴿الكروبيون﴾

ذَكَر هذا الاسمَ أو اللَّقَبَ بَعضُ أهلِ العِلمِ، ووردت فيه بعضُ الأحاديثِ، ولكِنَّها لم تَثْبُتْ[1].

قال الخطَّابي: المَلائِكةُ الكَرُوبيُّون، وهم المقَرَّبون. وقال بعضُهم: إنما سُمُّوا كَرُوبيِّين لأنَّهم لأنَّهم يُدخِلون الكَرْبَ على الكُفَّارِ، وليس هذا بشَيءٍ[2].

وقال ابنُ تَيمِيَّةَ: معلومٌ أنَّ حَمَلةَ العَرشِ ومَن حَولَه مِن أعظَمِ المقَرَّبين مِن المَلائِكةِ، بل قد ذَكَر من ذَكَر مِن المفَسِّرين أنَّ المَلائِكةَ المقَرَّبين هم حمَلةُ العَرشِ، والكَرُوبيُّون من المَلائِكةِ: مُشتَقُّونَ مِن كَرَب: إذا قَرُب، فالمرادُ وَصْفُهم بالقُربِ لا بالكَرْبِ الذي هو الشِّدَّةُ[3].

وقال الألبانيُّ: لم يَثبُتْ فيما عَلِمتُ حَديثٌ فيه ذِكرُ هذا الاسمِ للمَلائِكةِ: المَلائِكةُ الكَرُوبيُّون[4].



[1] يُنظر: ((غريب الحديث)) (1/ 440).

[2] يُنظر: ((غريب الحديث)) (1/ 440).

[3] يُنظر: ((بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية)) (ص: 230). ويُنظر: ((الحبائك في أخبار الملائك)) للسيوطي (ص: 251).

4 يُنظر: ((فتاوى جدة للشيخ الألباني – الإصدار 4)) (رقم الشريط: 17/ رقم السؤال: 11).ك)).

﴿المطلب الحادي عشر﴾

﴿الكرام الكاتبون﴾

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾[الانفطار: 10 – 11].

فإن الكرام الكاتبين يلازمون الإنسان في كل لحظة وحين، لا يفارقونه بحال، سواء كان مسلماً أو كافراً، طاهراً أو نجساً.

وأما الذين يفارقون الإنسان إذا كان جنباً فهم ملائكة الرحمة، كما روى أبو داود عن عمار بن ياسر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: {ثلاثة لا تقربهم الملائكة: جيفة الكافر، والمتضمخ بالخلوق، والجنب إلى أن يتوضأ}[1] قال صاحب عون المعبود قوله: لا تقربهم الملائكة، أي: النازلون بالرحمة والبركة على بني آدم، لا الكتبة فإنهم لا يفارقون المكلفين.اهـ



[1]رواه أبو داود (4180). وصححه الألباني، والمُتضمِّخُ بالخَلوقِ"، والخَلوقُ: طيبٌ له صِبغٌ يُتَّخَذُ مِن الزَّعْفرانِ وغيرِه، وهو ممَّا يَخُصُّ النِّساءَ.

﴿المبحث الرابع﴾

﴿أوصاف الملائكة﴾

قال اللهُ تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[فاطر: 1].

قال ابنُ جريرٍ: أصحابُ أجنِحَةٍ: يعني مَلائِكةً؛ فمنهم من له اثنانِ مِن الأجنحةِ، ومنهم من له ثلاثةُ أجنِحَةٍ، ومنهم من له أربَعةٌ[1].

وقال النَّحَّاسُ: قَولُه تعالى: أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ أي: أصحابَ أجنِحَةٍ اثنينِ اثنينِ، وثلاثةٍ ثلاثةٍ، وأربعةٍ أربعةٍ في كلِّ جانبٍ[2].

وقال ابنُ كثيرٍ: قَولُه: جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أي: بينه وبين أنبيائِه، أُولِي أَجْنِحَةٍ أي: يطيرون بها ليُبَلِّغوا ما أُمِروا به سريعًا مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ أي: منهم من له جناحانِ، ومنهم من له ثلاثةٌ، ومنهم من له أربعةٌ، ومنهم من له أكثَرُ من ذلك[3].

وعن عبدِ اللهِ بنِ مَسعودٍ رَضِيَ اللهُ عنه أنَّ؛ {النَّبيَّ ﷺ رأى جِبريلَ له سِتُّمائةِ جَناحٍ}[4].

وعن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنه، عن النَّبيِّ ﷺ قال: {إذا قضى اللهُ الأمرَ في السَّماءِ ضَرَبت المَلائِكةُ بأجنِحَتِها خُضعانًا لقَولِه، كالسِّلسلةِ على صفوانٍ يَنفُذُهم ذلك، فإذا فُزِّع عن قُلوبِهم قالوا: ماذا قال رَبُّكم؟ قالوا للذي قال: الحَقَّ، وهو العَلِيُّ الكبيرُ}[5].

وعن جابرٍ رَضِيَ اللهُ عنه قال: {جيء بأبي إلى النَّبيِّ ﷺ وقد مُثِّلَ به، ووُضِع بين يديه، فذهبت أكشِفُ عن وَجْهِه، فنهاني قومي، فسَمِعَ صوتَ نائحةٍ، فقيل: ابنةُ عَمرٍو –أو أختُ عَمرٍو– فقال النَّبيُّ ﷺ: {لِمَ تبكي –أو لا تبكي– ما زالت المَلائِكةُ تُظِلُّه بأجنِحَتِها}[6].

---

[1] يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (19/ 326)..

[2] يُنظر: ((معاني القرآن)) (5/ 435).

[3] يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (6/ 532).

[4] أخرجه البخاري (4857)، ومسلم (174) واللَّفظُ له.

[5] أخرجه البخاري (4701) مطولًا.

[6] أخرجه البخاري (2816) واللَّفظُ له، ومسلم (2471).

﴿المطلب الأول﴾

﴿من صفات الملائكة الجمال﴾

تقرَّر عند النَّاسِ وَصفُ المَلائِكة بالجمالِ، كما قال الله تعالى في شأنِ النِّسوةِ حين رأينَ يُوسُفَ عليه السَّلامُ: ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف: 31].

قال الزمخشريُّ: نَفَينَ عنه البَشَريَّةَ؛ لغرابةِ جمالِه ومُباعَدةِ حُسنِه لِما عليه محاسِنُ الصُّوَرِ، وأثبَتْنَ له المَلَكيَّةَ وبتَتْنَ بها الحُكمَ؛ وذلك لأنَّ اللهَ عَزَّ وجَلَّ ركَز في الطِّباعِ أنْ لا أحسَنَ من الملَكِ، كما ركَز فيها أن لا أقبَحَ من الشَّيطانِ؛ ولذلك يُشبَّهُ كُلُّ مُتَناهٍ في الحُسنِ والقُبحِ بهما[1].

وقال القُرطبيُّ: أهلُ العُرفِ قد يقولون في القَبيحِ كأنَّه شيطانٌ، وفي الحَسَنِ كأنَّه مَلَكٌ، أي: لم يُرَ مِثْلُه؛ لأنَّ النَّاسَ لا يرون المَلائِكةَ، فهو بناءٌ على ظَنٍّ في أنَّ صُورةَ الملَكِ أحسَنُ، أو على الإخبارِ بطهارةِ أخلاقِه وبُعْدِه عن التُّهَمِ[2].

وقال اللهُ تعالى في شأنِ جِبريلَ عليه السَّلامُ: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى﴾ [النجم: 5 - 6].

قال ابنُ كثير: ذُو مِرَّةٍ أي: ذو قُوَّةٍ. قاله مجاهِدٌ، والحسَنُ، وابنُ زيدٍ.

وقال ابنُ عَبَّاسٍ: ذو مَنظَرٍ حَسَنٍ.

وقال قتادة: ذو خَلقٍ طويلٍ حَسَنٍ.

ولا مُنافاةَ بين القولينِ؛ فإنَّه عليه السَّلامُ ذو مَنظَرٍ حَسَنٍ، وقوَّةٍ شديدةٍ[3].

---

[1] يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (2/ 466).

[2] يُنظر: ((تفسير القرطبي)) (9/ 183).

[3] يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (7/444).

وقال ابنُ القيِّم: الأظهَرُ: أنَّ المِرَّةَ هي الصِّحَّةُ والسَّلامةُ مِنَ الآفاتِ والعاهاتِ الظَّاهِرةِ والباطِنةِ، وذلك يَستلزِمُ كَمالَ الخِلقةِ وحُسْنَها وجمالَها؛ فإنَّ العاهةَ والآفةَ إنَّما تكونُ مِن ضَعفِ الخِلْقةِ والتَّركيبِ، فهي قُوَّةٌ وصِحَّةٌ تتضَمَّنُ جمالًا وحُسنًا. واللهُ أعلَمُ[1].

ولكِنْ ثَبَت أيضًا أنَّ بَعْضَ الملائكةِ ذَوُو مَنظَرٍ كَريهٍ، ومنهم:

1 – مالِكٌ خازِنُ جهَنَّمَ:

عن سَمُرةَ بنِ جُنْدَبٍ رَضِيَ اللهُ عنه أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ قال في حَديثِ المِعْراجِ:{ ... فانطَلَقْنا فأَتَينا على رَجُلٍ كَريهِ المَرْآةِ، كأكرَهِ ما أنت راءٍ رَجُلًا مَرآةً، وإذا عِنْدَه نارٌ يَحُشُّها ويسعى حَولَها، قال: قُلْتُ لهما: ما هذا؟! قال: قالا لي: انطَلِقِ انطَلِقِ، فانطَلَقْنا... –وفيه–: قالا لي:... وأمَّا الرَّجُلُ الكَريهُ المَرْآةِ، الذي عند النَّارِ يَحُشُّها ويَسْعى حَوْلَها، فإنَّه مالِكٌ خازِنُ جَهَنَّمَ}[2].

قال ابنُ رَجَبٍ: مالِكٌ هو خازِنُ جَهَنَّمَ، وهو كَبِيرُ الخَزَنةِ ورَئِيسُهم، وقد رآه النَّبيُّ ﷺ ليلةَ الإسراءِ... وهو كَريهُ المَرآةِ، أي: كَريهُ المَنظَرِ، كأكرَهِ ما أنت راءٍ مِنَ الرِّجالِ[3].

وقال ابنُ حَجَرٍ: قَولُه: كأكرَهِ ما أنت راءٍ رَجُلًا مَرآةً –بفَتحِ الميمِ– أي: قَبيحُ المَنظَرِ... خازِنُ جَهنَّمَ إنَّما كان كَريهَ الرُّؤيةِ؛ لأنَّ في ذلك زيادةً في عَذابِ أهلِ النَّارِ[4].

2 – زَبانِيَةُ جَهَنَّمَ:

قال اللهُ تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[التحريم: 6].

قال ابنُ كَثيرٍ: شِدَادٌ، أي: تركيبُهم في غايةِ الشِّدَّةِ والكَثافةِ والمَنظَرِ المُزعِجِ... وهؤلاء هم الزَّبانِيَةِ –عِياذًا باللهِ من أن يُسلَّطوا علينا[5].

---

[1] يُنظر: ((إغاثة اللهفان)) (129/2).

[2] أخرجه البخاري (7047) مطولاً

[3] يُنظر: ((التخويف من النار)) (ص: 221).

[4] يُنظر: ((فتح الباري)) (12/ 442-445).

[5] يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (8/ 168). بتصرف.

وقال السَّعْديُّ: عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ أي: غليظةٌ أخلاقُهم، عظيمٌ انتِهارُهم، يُفْزِعون بأصواتِهم، ويُخيفونَ بمَرْآهم، ويُهِينونَ أصحابَ النَّارِ بقُوَّتِهم[1].

3 – مُنكَرٌ ونَكيرٌ:

عن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنه قال: قال رَسولُ اللهِ ﷺ: {إذا قُبِرَ الميِّتُ –أو قال: أحَدُكم– أتاه مَلَكانِ أسودانِ أزرَقانِ، يُقالُ لأحَدِهما: المُنكَرُ، والآخَر: النَّكيرُ}[2].

قال ابنُ العَرَبيِّ: كُلُّ مَن يراهما يُنكِرُهما لِما هما عليه من وَحْشةِ المَنظَرِ وقَبيحِ الصُّورةِ وغِلَظِ الكَلِمةِ، وما في المقامِعِ التي في أيديهما مِنَ الهَيبةِ والمَخافةِ[3].

وقال ابنُ المَلِكِ الرُّوميُّ الحَنَفيُّ: «أتاه مَلَكانِ أسوَدانِ»؛ أي: مَنْظَراهما.

أزرقانِ، أي: عيناهما، وإنَّما يَبْعَثُهما اللهُ تعالى على هذه الصِّفةِ؛ لِما في السَّوادِ وزُرْقةِ العَينِ مِنَ الهَولِ والوَحْشةِ، فيكونُ خَوْفُهما على الكُفَّارِ أشَدَّ ليتحَيَّروا في الجوابِ[4].

4 – الملائكةُ التي تُخرِجُ رُوحَ الكافِرِ:

عن البَراءِ بنِ عازبٍ رَضِيَ اللهُ عنه أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ قال في حديثِ خُروجِ الرُّوحِ، والقَبرِ: {... وإنَّ العَبدَ الكافِرَ إذا كان في انقِطاعٍ مِنَ الدُّنيا وإقبالٍ مِنَ الآخرةِ، نزل إليه من السَّماءِ مَلائِكةٌ سُودُ الوُجوهِ...}[5].

قال علي القاري: نزل إليه مِنَ السَّماءِ مَلائِكةٌ، أي: مِن ملائكةِ العَذابِ. سُودُ الوُجوهِ، إظهارًا للغَضَبِ بما يناسِبُ عمَلَه[6].

---

[1] يُنظر: ((تفسير السعدي)) (ص: 874).

[2] أخرجه مطولًا الترمذي (1071) واللَّفظُ له، والبزار (8462)، وابن حبان (3117). صححه ابن حبان، وابن قتيبة في ((تأويل مختلف الحديث)) (294)، وحسنه الألباني في ((صحيح سنن الترمذي)) (1071)، وشعيب الأرناؤوط في ((تخريج شرح السنة)) (416/5)، وقال الترمذي: حسن غريب.

[3] أخرجه مطولاً الترمذي (1071) واللفظ له، والبزار (8462)، وابن حبان (3117). صححه ابن حبان، وابن قتيبة في ((تأويل مختلف الحديث)) (294)، وحسنه الألباني في ((صحيح سنن الترمذي)) (1071)، وشعيب الأرناؤوط في ((تخريج شرح السنة)) (416/5)، وقال الترمذي: حسن غريب.

[4] يُنظر: ((شرح المصابيح)) (1/ 137)

[5] أخرجه أبو داود (4753) واللفظ له، والنسائي (2001)، وابن ماجه (1549) مختصراً، وأحمد (18557) باختلاف باختلاف يسير، والصحيح الجامع للألباني واللفظ له 1676.

[6] يُنظر: ((مرقاة المفاتيح)) (3/ 1179).

﴿المبحث الخامس﴾

﴿الملائكة لا يحملون وصف الذكورة لا الأنوثة ويخاطبون بالتذكير﴾

ضلَّ مُشركو العَرَبِ حين زعموا أنَّ المَلائِكةَ إناثٌ، وأنها بناتُ اللهِ.

قال اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف: 19].

قال السَّمعاني: معناه: أحَضَروا خَلْقَهم فعَرَفوا أنهم خُلِقوا إناثًا؟[1]

وقال ابنُ كثيرٍ: أخبر تعالى عنهم أنَّهم جعَلوا المَلائِكةَ الذين هم عبادُ الرَّحمنِ إناثًا، وجَعَلوها بناتِ اللهِ، وعَبَدوها معه، فأخطَؤُوا خطَأً كبيرًا[2].

قال سَعيدُ بنُ المسَيِّبِ: المَلائِكةُ عليهم السَّلامُ ليسوا بذُكورٍ ولا إناثٍ، ولا يتوالدون، ولا يأكُلون ولا يَشرَبونَ[3].

وقال ابنُ حجر: إنَّ المَلائِكةَ ليسوا ذُكورًا ولا إناثًا[4].

فوَصفُ المَلائِكةِ بالأنوثةِ كُفرٌ، وفيه تكذيبٌ بالقُرآنِ الكريمِ، أمَّا وَصْفُهم بالذُّكوريَّةِ فلم يَرِدْ صَراحةً في الكتابِ أو السُّنَّةِ، وقد قال به بعضُ العُلَماءِ.

وذهب جماعة إلى أنَّ الملائكة ذكور وهذا أقرب، وعلى الأقل هم يوصفون بالذكورة في الخطاب، من ذلك قال أبو مجلزٍ عن المَلائِكةِ: إنَّهم ذُكرانٌ ليسوا بإناثٍ[5].

وقال أيضًا: المَلائكةُ ذُكورٌ[6].

وقال الفَرَّاءُ: قَولُه: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾ [الرعد: 11]: المَلائِكةُ... والمعَقِّباتُ: ذُكرانٌ إلَّا أنَّه جميعُ جَمعِ مَلائِكةٍ مُعَقِّبةٍ، ثم جُمِعَت مُعَقِّبة، كما قال: أبْناواتُ سَعدٍ، ورجالاتٌ

---

1 يُنظر: ((تفسير السمعاني)) 5/ 96.

2 يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (4/ 577).

3 يُنظر: ((ربيع الأبرار ونصوص الأخيار)) للزمخشري (1/ 308)، ((فتح الباري)) لابن حجر (6/ 306).

4 يُنظر: ((فتح الباري)) (8/ 298).

5 يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (10/220/ .

6 ينظر: ((تفسير ابن جرير)) (221/10)

جمعُ رِجالٍ. ثمَّ قال عَزَّ وجَلَّ: ﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ فرجع إلى التذكيرِ الذي أخبَرْتُك، وهو المعنى[1].

وقال الرازي في تفسيرِ قَولِه تعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾[الرعد: 11] في الآيةِ سُؤالاتٌ:

السُّؤالُ الأوَّلُ: المَلائِكةُ ذُكورٌ، فلِمَ ذُكِرَ في جمعِها جمعُ الإناثِ وهو المعقِّباتُ؟

والجوابُ: فيه قَولانِ:

الأوَّلُ: قال الفَرَّاءُ: المعقِّباتُ ذُكرانٌ جمعُ مَلائِكةٍ مُعَقِّبة، ثم جُمِعَت مُعَقِّبة بمُعَقِّبات، كما قيل: أَبْناواتُ سَعدٍ ورِجالاتُ بَكرٍ، جمعُ رِجالٍ، والذي يدُلُّ على التذكيرِ قَولُه: يَحْفَظُونَهُ.

والثَّاني: وهو قَولُ الأخفَشِ: إنَّما أُنِّثَت لكثرةِ ذلك منها، نحو: نَسَّابة، وعَلَّامة، وهو ذَكَرٌ[2].

وقال أيضًا: وَصَف عذابَ هؤلاء الكُفَّارِ من وجهٍ آخَرَ، فقال: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾[النحل: 28]، قرأ حمزةُ: {يَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ} بالياءِ؛ لأنَّ المَلائِكةَ ذُكورٌ، والباقون بالتَّاءِ للَّفْظِ.

وقال ابنُ باز: المَلائِكةُ ذُكورٌ وليسوا إناثًا[3].

وقال أيضًا: أمَّا وَصْفُهم بالأنوثةِ فهذا مُنكَرٌ وكُفرٌ وضَلالٌ، وقد أنكره اللهُ تعالى على المُشركِين، وقال سُبحانَه رادًّا عليهم: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾[الزخرف: 19] .

وأمَّا وَصْفُهم بالذكورةِ فقد وصفهم اللهُ تعالى بذلك في جميعِ الآياتِ التي ساقها في كتابِه العظيمِ في شأنِ المَلائِكةِ؛ وصفهم بالذُّكورةِ لا بصِفاتِ الإناثِ؛ ولهذا أنكر على المُشركِين وَصْفَهم بصفاتِ الإناثِ، وجاء من جاء منهم في تشكُّلِه في صُوَرِ الرِّجالِ، كما جاء جبرائيلُ

---

[1] يُنظر: ((معاني القرآن)) (60/2).

[2] يُنظر: ((تفسير الرازي)) (17/19).

[3] يُنظر: ((مجموع فتاوى ابن باز)) (8/ 424)

حين يسألُ بصُورةِ رَجُلٍ أعرابيٍّ، عليه ثيابٌ بِيضٌ، لا يُرى عليه أثَرُ السَّفَرِ، ولا يعرِفُه من الصَّحابةِ أحدٌ. فيه بياضُ الثيابِ، فيه سوادُ الشَّعرِ[1].

وهكذا جاءت المَلائِكةُ... وهكذا جاء في صُورةِ دِحْيَةَ بنِ خَليفةَ الكَلبيِّ ...[2] المقصودُ أنهم يأتون ويتشَكَّلون بصُوَرِ الرِّجالِ لا بصُوَرِ النِّساءِ، وهم موصوفون بصفاتِ الرِّجالِ، بصِفاتِ الذُّكورةِ لا بصفاتِ الإناثِ، ولكِنْ لا يعلَمُ كيفيَّةَ خَلْقِهم وصِفةَ خَلْقِهم وحقيقةَ خَلْقِهم إلَّا هو سُبحانَه وتعالى؛ فتفصيلُ خَلْقِهم وما هم عليه، هو اللهُ الذي يعلَمُه[3].

ونخرج بهذا أنَّ الملائكة ليسوا ذكورا من ناحية الجنس، وبه فهم ليسوا إناثا من باب أولى، ويبقى أنهم يوصفون بالذكروة، كما وصفهم الله تعالى في كتابه، ووصفهم النبي ﷺ في سننه.

ونزيد على ذلك بدلالة أصولية: حيث قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنْثَىٰ﴾[النجم: 27].

وعليه وبمفهوم المخالفة؛ فإنَّ الذي يؤمنون بالآخرة يسمون الملائكة بتسمية الذكور.



[1] أخرجه مسلم (8) من حديثِ عُمَرَ بنِ الخطَّابِ رَضِيَ الله عنه ولفظُه: ((... إذ طَلَع علينا رجلٌ شديدُ بياضِ الثِّيابِ شَديدُ سَوادِ الشَّعرِ، لا يرى عليه أثَرُ السَّفَرِ ولا يعرِفُه منا أحدٌ...،

وهكذا لَمَّا جاء يومَ بَدرٍ، أخرجه البخاري (3995) من حديثِ عبدِ اللهِ بنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ الله عنهما ولفظُه: أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال يومَ بدرٍ: ((هذا جبريلُ آخذٌ برأسِ فَرَسِه، عليه أداةُ الحَربِ)).

[2] أخرجه البخاري (4980)، ومسلم (2541) من حديثِ أُسامةَ بنِ زيدٍ رَضِيَ الله عنهما.

[3] يُنظر: ((الموقع الرسمي لابن باز– التعليقات على ندوات الجامع الكبير – الإيمان بالملائكة).

﴿المبحث السادس﴾

﴿الملائكة لا يأكلون ولا يشربون ولا ينكحون﴾

قال اللهُ تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ * فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ * فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ * فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ [الذاريات: 24 – 28].

وقال اللهُ سُبحانَه: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ * فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ﴾ [هود: 69 – 70].

قال السَّمعاني: قَولُه تعالى: فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ أي: لَمَّا رآهم لا يأكُلون؛ فإنَّ المَلائِكةَ لا تأكُلُ[1].

وقال القرطبيُّ: قال عُلَماؤنا: ولم يأكُلوا؛ لأنَّ المَلائِكةَ لا تأكُلُ[2].

وقال ابنُ كثير: قَولُه: فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ تنكَّرَهم، وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً؛ وذلك أنَّ المَلائكةَ لا هِمَّةَ لهم إلى الطَّعامِ ولا يَشتَهونَه ولا يأكُلونَه[3].

.ونقل بعضُ العُلَماءِ الاتفاقَ على ذلك

قال الرازي: اتَّفَقوا على أنَّ المَلائكةَ لا يأكُلون ولا يَشرَبون ولا يَنكِحون، يُسَبِّحون اللَّيلَ والنَّهارَ لا يَفْتُرون[4].

---

[1] يُنظر: ((تفسير السمعاني)) (2/ 442).

[2] يُنظر: ((تفسير القرطبي)) (9/ 68).

[3] يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (4/ 333).

[4] يُنظر: ((تفسير الرازي)) (1/ 85).

وقال أيضًا: أمَّا المَلائِكةُ فلا يأكُلون ولا يَشرَبون ولا يتناكَحون، ولا فيهم شَهوةٌ لذلك؛ لِقَولِه تعالى: ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: 20] ، **فأخبر أنهم لا يَفْتُرون عن تسبيحِ اللهِ تعالى ساعةً، ومن كان هذه صِفَتَه لا يمكِنُه أن يأكُلَ ويَشرَبَ ويجامِعَ[1].**

وقال السفارينيُّ: قد حكى غيرُ واحدٍ مِن محَقِّقي العُلَماءِ الاتِّفاقَ على أنَّ المَلائِكةَ لا يأكُلونَ ولا يَشرَبون ولا يَنكِحون، يُسَبِّحون الليلَ والنَّهارَ لا يَفتُرون[2]. .

وبه فهم منزَّهون عن التبوُّل، والتغوُّط، والحاجة للنكاح، والمخاط، وغيره ذلك من الرذائل.



---

[1] يُنظر: ((المعتمد في أصول الدين)) (ص: **174**).

[2] يُنظر: ((لوامع الأنوار البهية)) (**1/ 446**).

﴿المبحث السابع﴾

﴿المَلائِكةُ لا يَملُّون ولا يَتعَبون﴾

المَلائِكةُ يقومون بعبادةِ اللهِ تعالى وطاعتِه بلا كَلَلٍ ولا مَلَلٍ، ولا يُدرِكُهم ما يُدرِكُ البشَرَ مِنَ التَّعَبِ.

قال اللهُ تعالى في شأنِهم: ﴿فَالَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ﴾ [فصلت: 38].

قال ابنُ جريرٍ: يقولُ تعالى ذِكْرُه: فإنِ استكبر – يا محمَّدُ – هؤلاء الذين أنت بين أظهُرِهم من مُشرِكي قُرَيشٍ، وتعَظَّموا عن أن يَسجُدوا لله الذي خلقهم وخلق الشَّمسَ والقَمَرَ، فإنَّ المَلائِكةَ الذين عند رَبِّك لا يَستكبِرون عن ذلك، ولا يتعَظَّمون عنه، بل يُسَبِّحون له، ويُصَلُّون ليلًا ونهارًا، وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ يقولُ: وهم لا يَفتُرون عن عبادتِهم، ولا يمَلُّون الصَّلاةَ له[1].

وقال الشوكاني: أي: إنِ استكبر هؤلاء عن الامتِثالِ، فالمَلائِكةُ يديمون التسبيحَ لله سُبحانَه باللَّيلِ والنهارِ، وهم لا يَمَلُّون ولا يَفتُرون[2].

وقال الله سُبحانَه: ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: 20].

قال السمعانيُّ: قَولُه تعالى: يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ يعني: يُسَبِّحون دائمًا، لا يَضعُفون ولا يَفنُون[3].

وقال السيوطي: سُئِلتُ قديمًا عن المَلائِكةِ هل ينامون؟ فأجبتُ: بأنِّي لم أرَ فيه نقلًا، وظاهِرُ قَولِه تعالى: ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: 20]، أنَّهم لا ينامون[4].

وقال السَّعدي في خصائِصِ المَلائِكةِ: قد وصفهم اللهُ بأكمَلِ الصِّفاتِ، وأنهم في غايةِ القُوَّةِ على عبادةِ اللهِ والرَّغبةِ العظيمةِ فيها، وأنهم يُسَبِّحون الليلَ والنَّهارَ لا يَفتُرون، وأنهم لا

---

[1] يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (20/ 437).

[2] يُنظر: ((تفسير الشوكاني)) (4/ 594).

[3] يُنظر: ((تفسير السمعاني)) (3/ 373).

[4] يُنظر: ((الحبائك في أخبار الملائك)) (ص: 264)

يَستكبِرون عن عبادتِه، بل يرونَها من أعظَمِ نِعَمِه عليهم، وأنهم لا يَعصُون الله ما أمَرَهم، ويفعَلون ما يُؤمَرون[1].



[1] يُنظر: ((تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن)) (ص: 45).

﴿المبحث الثامن﴾

﴿منازل الملائكة، ومساكنها في السماء﴾

مَنازِلُ المَلائِكةِ ومَساكِنُها هي السَّماءُ:

عن عائِشةَ رَضِيَ اللهُ عنها زوجِ النَّبيِّ ﷺ أنَّها سَمِعَتْ رَسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ: {إنَّ المَلَائِكَةَ تَنْزِلُ في العَنَانِ: وهو السَّحَابُ، فَتَذْكُرُ الأمْرَ قُضِيَ في السَّمَاءِ، فَتَسْتَرِقُ الشَّيَاطِينُ السَّمْعَ فَتَسْمَعُهُ، فَتُوحِيهِ إلى الكُهَّانِ، فَيَكْذِبُونَ معهَا مِئَةَ كَذْبَةٍ مِن عِندِ أنْفُسِهِمْ}[1].

وعن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنه أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ قال: {إذا قالَ أحَدُكُمْ: آمِينَ، وقالتِ المَلائِكَةُ في السَّماءِ: آمِينَ، فوافَقَتْ إحْداهُما الأُخْرَى غُفِرَ له ما تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِهِ}[2].

وعنه رَضِيَ اللهُ عنه يبلُغُ به النَّبيَّ ﷺ قال: {إذا قَضَى اللَّهُ الأمْرَ في السَّماءِ، ضَرَبَتِ المَلائِكَةُ بأجْنِحَتِها خُضْعانًا لِقَوْلِهِ كالسِّلْسِلَةِ علَى صَفْوانٍ...}[3].

وفي حديثِ المعراجِ: {... ثُمَّ عَرَجَ به إلى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَضَرَبَ بَابًا مِن أبْوَابِهَا فَنَادَاهُ أهْلُ السَّمَاءِ مَن هذا؟ فَقالَ: جِبْرِيلُ. قالوا: ومَن معكَ؟ قالَ: مَعِيَ مُحَمَّدٌ، قالَ: وقدْ بُعِثَ؟ قالَ: نَعَمْ، قالوا: فَمَرْحَبًا به وأَهْلًا، فَيَسْتَبْشِرُ به أهْلُ السَّمَاءِ، لا يَعْلَمُ أهْلُ السَّمَاءِ بما يُرِيدُ اللَّهُ به في الأرْضِ حتَّى يُعْلِمَهُمْ،...}[4].

قال ابنُ كثيرٍ: ما من موضعٍ في السَّمَواتِ السَّبعِ إلَّا وهو مشغولٌ بالمَلائِكةِ، وهم في صُنوفٍ من العبادةِ؛ منهم من هو قائم أبدًا، ومنهم من هو راكِعٌ أبدًا، ومنهم من هو ساجدٌ أبدًا، ومنهم من هو في صُنوفٍ أُخَرَ اللهُ أعلَمُ بها[5].

وقال ابنُ حَجَرٍ: المَلائِكةُ أجسامٌ لطيفةٌ أُعطِيَت قُدرةً على التشَكُّلِ بأشكالٍ مختلفةٍ، ومَسكَنُها السَّمَواتُ[6].

---

[1] أخرجه البخاري (3210) واللَّفظُ له، ومسلم (2228) بنحوه.

[2] أخرجه البخاري (781) واللَّفظُ له، ومسلم (410).

[3] أخرجه البخاري (4701) مطولًا.

[4] الحديث أخرجه البخاري (7517) من حديثِ أنسِ بنِ مالكٍ رَضِيَ اللهُ عنه.

[5] يُنظر: ((البداية والنهاية)) (1/ 96).

[6] يُنظر: ((فتح الباري)) (6/ 306).

﴿المبحث التاسع﴾

﴿عدد الملائكة﴾

المَلائِكة خَلقٌ كثيرٌ لا يعلَمُ عَدَدَهم إلَّا اللهُ تعالى.

قال الله عَزَّ وجَلَّ: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: 31].

قال ابنُ جريرٍ: وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ مِن كَثرتِهم إلَّا هُوَ يعني اللهَ[1].

وقال ابنُ كثيرٍ: أي: ما يعلَمُ عَدَدَهم وكَثْرَتَهم إلَّا هو تعالى؛ لئلَّا يتوهَّمَ متوَهِّمٌ أنَّهم تِسعةَ عَشَرَ فقط، كما قد قاله طائفةٌ من أهلِ الضَّلالةِ والجَهالةِ ومِن الفلاسِفةِ اليونانيِّين.

ومن تابعهم من المِلَّتين الذين سمعوا هذه الآيةَ، فأرادوا تنزيلَها على العُقولِ العَشَرة والنُّفوسِ التِّسعةِ التي اخترعوا دعواها وعَجَزوا عن إقامةِ الدَّلالةِ على مُقتضاها[2].

وقد سأل النَّبيُّ ﷺ جبريل ﷺ عن البيتِ المعمورِ، فقال: {هذا البيتُ المعمورُ يُصَلِّي فيه كلَّ يومٍ سَبعونَ ألفَ مَلَكٍ إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخِرَ ما عليهم}[3].

قال النوويُّ: وفي هذا أعظَمُ دليلٍ على كثرةِ المَلائِكةِ صَلَواتُ اللهِ وسلامُه عليهم. واللهُ أعلَمُ[4].

أعلَمُ[4].

قال ابنُ حَجَرٍ: استُدِلَّ به على أنَّ المَلائِكةَ أكثَرُ المخلوقاتِ؛ لأنَّه لا يُعرَفُ مِن جميعِ العوالِمِ من يتجَدَّدُ من جنسِه في كُلِّ يومٍ سبعون ألفًا غيرُ ما ثبت عن المَلائِكةِ في هذا الخَبرِ[5].

وممَّا يدُلُّ على كثرتِهم ما رواه عبدُ اللهِ بنُ مَسعودٍ رَضِيَ اللهُ عنه، عن نبيِّ اللهِ ﷺ، فقال: {يؤتى بجهَنَّمَ يومَئذٍ لها سبعون ألفَ زِمامٍ، مع كُلِّ زمامٍ سبعون ألفَ مَلَكٍ يجرُّونَها}[6].

قال ابنُ تَيميَّةَ: ومَلائِكةُ اللهِ لا يُحصي عَدَدَهم إلَّا اللهُ[1].

---

[1] يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (23/ 440).

[2] يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (8/ 270).

[3] رواه مطولًا البخاري (3207) واللفظُ له، ومسلم (162) من حديثِ مالكِ بنِ صَعصعةَ رَضِيَ اللهُ عنه.

[4] و يُنظر: ((شرح مسلم)) (2/ 225).

[5] يُنظر: ((فتح الباري)) (7/ 215).

[6] رواه مسلم (2842).

﴿المبحث العاشر﴾

﴿عبودية الملائكة﴾

المَلائِكةُ عِبادٌ لله مربوبون ليس لهم من خصائصِ الرُّبوبيَّةِ والألوهيَّةِ شَيءٌ.

قال اللهُ تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ * وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾[آل عمران: 79 – 80].

قال ابنُ تَيمِيَّةَ: فبَيَّن سُبحانَه: أنَّ اتخاذَ المَلائِكةِ والنَّبيّين أربابًا كُفرٌ، فمن جعل المَلائِكةَ والأنبياءَ وسائِطَ يدعوهم ويتوكَّلُ عليهم ويسألُهم جَلْبَ المنافِعِ ودَفْعَ المضارِّ، مِثلُ أن يسألَهم غُفرانَ الذَّنبِ وهدايةَ القُلوبِ وتفريجَ الكُروبِ وسَدَّ الفاقاتِ؛ فهو كافِرٌ بإجماعِ المُسلِمين[2].

وقال الله سُبحانَه: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ * يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ * وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾[الأنبياء: 26 – 29].

قال ابنُ كثيرٍ: المَلائِكةُ عِبادُ اللهِ مُكرَمون عِندَه، في منازِلَ عاليةٍ ومقاماتٍ ساميةٍ، وهم له في غايةِ الطاعةِ قَولًا وفِعلًا... لا يتقَدَّمون بين يديه بأمرٍ، ولا يخالِفونه فيما أمَرَ به بل يبادِرون إلى فِعْلِه[3].

وقال السَّعْديُّ: أخبر تعالى عن وَصفِ المَلائِكةِ بأنَّهم عبيدٌ مَربوبون مُدَبَّرون، ليس لهم من الأمرِ شيءٌ، وإنما هم مُكرَمون عند اللهِ، قد أكرمهم اللهُ، وصَيَّرَهم من عبيدِ كَرامتِه ورحمتِه، وذلك لِما خَصَّهم به من الفضائِلِ، والتطهيرِ عن الرذائِلِ، وأنهم في غايةِ الأدَبِ مع اللهِ، والامتثالِ لأوامِرِه.

---

[1] يُنظر: ((مجموع الفتاوى)) (4/ 119).

[2] يُنظر: ((مجموع الفتاوى)) (1/ 124).

[3] يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (5/ 338).

﴿ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ أي: لا يقولون قولًا ممَّا يتعَلَّقُ بتدبيرِ المملكةِ حتى يقولَ اللهُ؛ لكمالِ أدَبِهم، وعِلْمِهم بكمالِ حِكمتِه وعِلْمِه. وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ أي: مهما أمرهم امتَثَلوا لأمْرِه، ومهما دَبَّرَهم عليه فعلوه، فلا يَعصُونه طَرفةَ عَينٍ، ولا يكونُ لهم عَمَلٌ بأهواءِ أنفُسِهم من دونِ أمرِ اللهِ، ومع هذا فاللهُ قد أحاط بهم عِلْمُه... وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ أي: خائِفون وَجِلون، قد خَضَعوا لجلالِه، وعَنَتْ وجوهُهم لعِزِّه وجمالِه[1].

وعن ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عنهما قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ لجبريلَ ﷺ: ألا تزورُنا أكثَرَ مما تزورُنا؟ قال: فنزلت: ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا ﴾ [مريم: 64][2].

فالمَلائِكةُ مطبوعون على طاعةِ اللهِ، ليس لديهم القُدرةُ على عصيانِه.

قال اللهُ تعالى عنهم: ﴿ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم: 6].

فترْكُهم للمعصيةِ، وفِعْلُهم للطَّاعةِ جِبِلَّةٌ، لا يُكَلِّفُهم أدنى مجاهَدةٍ؛ لأنَّه لا شهوةَ لهم، ولعلَّ هذا هو سَبَبُ قَولِ بَعضِ العُلَماءِ: إنَّ المَلائِكةَ ليسوا بمكَلَّفين، وإنهم ليسوا بداخلينَ في الوَعدِ والوعيدِ.

ويمكِنُ أن يُقالَ: إنَّ المَلائِكةَ ليسوا بمكَلَّفين بالتكاليفِ نَفْسِها التي كُلِّف بها أبناءُ آدَمَ، أمَّا القولُ بعَدَمِ تكليفِهم مُطلَقًا فهو قَولٌ مَردودٌ، فهم مأمورونَ بالعبادةِ والطَّاعةِ، ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [النحل: 50] ، وفي الآيةِ أنهم يخافون رَبَّهم، والخوفُ نوعٌ من التكاليفِ الشَّرعيَّةِ، بل هو من أعلى أنواعِ العُبوديَّةِ؛ قال اللهُ تعالى في شأنِهم: ﴿ وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴾ [الأنبياء: 28][3].



[1] يُنظر: ((تفسير السعدي)) (ص: 522).

[2] رواه البخاري (3218).

[3] يُنظر: ((الحبائك في أخبار الملائك)) للسيوطي (ص: 255)، ((لوامع الأنوار البهية)) للسفاريني (2/ 409).

﴿المطلب الأول﴾

﴿نماذِجُ من عِبادةِ الملائكةِ﴾

1 – التسبيحُ:

قال اللهُ تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة: 30].

وقال اللهُ تعالى عن حَمَلةِ عَرْشِه: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾[غافر: 7].

كما يُسَبِّحُه عمومُ مَلائكتِه. قال اللهُ سُبحانَه: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾[الشورى: 5].

وتسبيحُهم لله دائِمٌ لا ينقَطِعُ، قال اللهُ عَزَّ وجَلَّ: ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾[الأنبياء: 20].

قال السَّعْديُّ: أي: مُستَغرِقين في العبادةِ والتسبيحِ في جميعِ أوقاتِهم؛ فليس في أوقاتِهم وقتٌ فارِغٌ ولا خالٍ منها، وهم على كثرتِهم بهذه الصِّفةِ، وفي هذا من بيانِ عَظَمتِه وجلالةِ سُلطانِه وكَمالِ عِلْمِه وحِكْمَتِه ما يوجِبُ أن لا يُعبَدَ إلَّا هو، ولا تُصرَفَ العِبادةُ لِغَيرِه[1].

وعن أبي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عنه قال: إنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ سُئِلَ: أيُّ الكلامِ أفضَلُ؟ قال: {ما اصطفى اللهُ لمَلائكتِه أو لعبادِه: سُبحانَ اللهِ وبحَمْدِه}[2].

2 – الاصطِفافُ للعِبادةِ:

قال اللهُ تعالى حاكيًا قَولَ المَلائِكةِ: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ﴾[الصافات: 165].

قال السمعاني: قَولُه تعالى: وَإِنَّا لَنَحنُ الصَّافُّونَ أي: المصطَفُّون في السَّماءِ للعبادةِ[3].

---

[1] يُنظر: ((تفسير السعدي)) (ص: 520).

[2] رواه مسلم (2731).

[3] يُنظر: ((تفسير السمعاني)) (4/ 420).

وقال الشنقيطي: معنى كَونِهم صافِّين: أن يكونوا صُفوفًا مُتراصِّين، بعضُهم جَنبَ بعضٍ في طاعةِ اللهِ تعالى من صلاةٍ وغَيرِها[1].

وعن جابِرِ بنِ سَمُرةَ رَضِيَ اللهُ عنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: {ألا تَصُفُّون كما تَصُفُّ المَلائِكةُ عند رَبِّها؟ فقُلْنا: يا رسولَ اللهِ، وكيف تَصُفُّ المَلائِكةُ عند رَبِّها؟ قال: يُتِمُّون الصُّفوفَ الأُوَلَ، ويتراصُّون في الصَّفِّ}[2].

قال أبو العبَّاسِ القُرطبي: أمَرَهم بالائتلافِ والاجتِماعِ والاصطِفافِ كصُفوفِ المَلائِكةِ، وهذا يدُلُّ على استحبابِ تَسويةِ الصُّفوفِ، وقد أمر النَّبيُّ ﷺ بذلك، وقال: {إنَّه من تمامِ الصَّلاةِ}[3].

عن حُذيفةَ بنِ اليَمانِ رَضِيَ اللهُ عنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: {فُضِّلْنا علَى النَّاسِ بثَلاثٍ: جُعِلَتْ صُفُوفُنا كَصُفُوفِ المَلائِكَةِ، وجُعِلَتْ لنا الأرْضُ كُلُّها مَسْجِدًا، وجُعِلَتْ تُرْبَتُها لنا طَهُورًا إذا لَمْ نَجِدِ الماءَ، وذَكَرَ خَصْلَةً أُخْرَى}[4].

3 – الطَّوافُ بالبيتِ المَعمورِ في السَّماءِ:

أقسَمَ اللهُ بالبيتِ المعمورِ، فقال: ﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾ [الطور: 4].

عن مالِكِ بنِ صَعصعةَ في قِصَّةِ الإسراءِ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: {رُفِع لي البيتُ المعمورُ، فقلتُ: يا جبريلُ ما هذا؟ قال: هذا البيتُ المعمورُ يدخُلُه كُلَّ يومٍ سَبعون ألْفَ مَلَكٍ، إذا خَرَجوا منه لم يعودوا فيه آخِرَ ما عليهم}[5].

وعن أنَسِ بنِ مالكٍ رَضِيَ اللهُ عنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال في قِصَّةِ الإسراءِ: قال: {ففُتِح لنا فإذا أنا بإبراهيمَ ﷺ مُسنِدًا ظَهْرَه إلى البيتِ المعمورِ، وإذا هو يدخُلُه كلَّ يومٍ سبعون ألْفَ مَلَكٍ لا

---

[1] يُنظر: ((أضواء البيان)) (6/ 301).

[2] رواه مسلم (430) مطولًا.

[3] أخرجه البخاري (723)، ومسلم (433) واللفظُ له من حديثِ أنَسِ بنِ مالكٍ رَضِيَ اللهُ عنه./ يُنظر: ((المفهم)) (2/ 62).

[4] أخرجه مسلم (522).

[5] رواه البخاري (3207)، ومسلم (164) واللفظُ له.

يعودون إليه}[1].

قال السمعاني: القَولُ المعروفُ أنَّه بيتٌ في السَّماءِ، قاله ابنُ عَبَّاسٍ وعامَّةُ المفسِّرين، وهو مرويٌّ عن عليِّ بنِ أبي طالبٍ رَضِيَ اللهُ عنه أيضًا[2].

قال أبو العَبَّاسِ القُرطبي: البيتُ المعمورُ سُمِّي بذلك؛ لكثرةِ عِمارتِه بدُخولِ المَلائِكةِ فيه وتعَبُّدِهم عنده[3].

وقال ابنُ القَيِّمِ: المشهورُ أنَّه الضُّراحُ الذي في السَّماءِ الذي رُفِعَ للنبيِّ ﷺ ليلةَ الإسراءِ، يدخُلُه كُلَّ يومٍ سبعون ألْفَ ملَكٍ ثم لا يعودون إليه آخِرَ ما عليهم، وهو بحيالِ البيتِ المعمورِ في الأرضِ، وقيل: هو البيتُ الحرامُ، ولا رَيبَ أنَّ كُلًّا منهما معمورٌ، فهذا معمورٌ بالمَلائِكةِ وعبادتِهم، وهذا معمورٌ بالطائفينَ والقائمينَ والركَّعِ والسُّجودِ، وعلى كلا القولينِ فكُلٌّ منهما سَيِّدُ البيوتِ[4].

وقال ابنُ كثيرٍ: ثبت في الصَّحيحينِ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال في حديثِ الإسراءِ، بعد مجاوزتِه السَّماءَ السَّابعةَ: {ثم رُفِعَ بي إلى البيتِ المعمورِ، وإذا هو يدخُلُه كُلَّ يومٍ سبعون ألفًا، لا يعودون إليه آخِرَ ما عليهم}[5]. يعني: يتعبَّدون فيه، ويطوفون كما يطوفُ أهلُ الأرضِ بكعبتِهم، كذلك ذاك البيتِ، هو كعبةُ أهلِ السَّماءِ السَّابعةِ؛ ولهذا وَجَد إبراهيمَ الخليلَ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ مُسنِدًا ظَهْرَه إلى البيتِ المعمورِ؛ لأنَّه باني الكعبةِ الأرضيَّةِ، والجزاءُ من جِنسِ العَمَلِ وهو بحيالِ الكعبةِ، وفي كُلِّ سماءٍ بيتٌ يتعَبَّدُ فيه أهلُها، ويُصَلُّون إليه، والذي في السَّماءِ الدُّنيا يقالُ له: بيتُ العِزَّةِ. واللهُ أعلَمُ[6].

4 – خَوفُهم من اللهِ وخَشيتُهم له:

المَلائِكةُ يخافون اللهَ ويَخشونَه، فهم يعرفون اللهَ ويُعَظِّمونَه.

---

[1] رواه مسلم (162) مطولًا.

[2] يُنظر: ((تفسير السمعاني)) (5/ 267). ويُنظر: ((البسيط)) للواحدي (20/ 477).

[3] يُنظر: ((المفهم)) (1/ 389).

[4] يُنظر: ((التبيان في أقسام القرآن)) (ص: 266). ويُنظر: ((تفسير ابن عثيمين – سورة الطور)) (ص: 174).

[5] رواه البخاري (3207)، ومسلم (164) باختلافٍ يسيرٍ من حديثِ صعصعةَ بن مالكٍ رَضِيَ الله عنه.

[6] يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (7/427).

قال اللهُ تعالى عنهم: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل: 50].

وقال عنهم أيضًا: ﴿وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: 28].

وقال اللهُ عَزَّ وجَلَّ: ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [سبأ: 23].

قال ابنُ كثيرٍ: هذا أيضًا مقامٌ رفيعٌ في العَظَمةِ، وهو أنَّه تعالى إذا تكَلَّم بالوحيِ سمع أهلُ السَّمواتِ كَلامَه، أُرعِدوا من الهيبةِ حتى يَلحَقَهم مِثلُ الغَشيِ، قاله ابنُ مسعودٍ ومَسروقٌ، وغَيرُهما[1].

وعن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنه، عن النَّبيِّ ﷺ قال: {إذا قضى اللهُ الأمرَ في السَّماءِ ضَرَبت المَلائِكةُ بأجنِحَتِها خُضعانًا لقَولِه كالسِّلسلةِ على صَفوانٍ يَنفُذُهم ذلك، فإذا فُزِّع عن قلوبِهم قالوا: ماذا قال رَبُّكم؟ قالوا للذي قال: الحَقَّ، وهو العليُّ الكبيرُ}[2].

قال العيني: «فإذا فُزِّع» أي: فإذا أزيلَ الخَوفُ عن قُلوبِهم[3].



[1] يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (6/ 514).

[2] رواه البخاري (4701) مطولًا.

[3] يُنظر: ((عمدة القاري)) (19/ 10).

﴿المبحث الحادي عشر﴾

﴿أعمال الملائكة﴾

﴿المطلب الأول﴾

﴿وضيفة جبريل﴾

جبريل ﷺ:

الموكَّلُ بإنزالِ القُرآنِ الكريمِ على محمَّدٍ ﷺ، هو الرُّوحُ الأمينُ، ورُوحُ القُدُسِ: جِبريلُ عليه السَّلامُ.

قال اللهُ تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة:97].

قال ابنُ كثيرٍ: أي: من عادى جبريلَ فلْيعلَمْ أنَّه الرُّوحُ الأمينُ الذي نَزَل بالذِّكرِ الحكيمِ على قَلْبِك من اللهِ بإذْنِه له في ذلك[1].

وقال اللهُ سُبحانَه: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء: 192 – 195].

قال ابنُ عَطِيَّةَ: الرُّوحُ الْأَمِينُ: جِبريلُ عليه السَّلامُ بإجماعٍ[2].

وقال ابنُ كثيرٍ: يقولُ تعالى مخبِرًا عن الكتابِ الذي أنزَلَه على عبدِه ورَسولِه محمَّدٍ صَلَواتُ اللهِ وسَلامُه عليه: وَإِنَّهُ أي: القرآنَ الذي تقَدَّمَ ذِكرُه في أوَّلِ السُّورةِ في قَولِه: ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحْدَثٍ﴾ [الشعراء: 5] **الآية، {لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ} أي: أنزله اللهُ عليك وأوحاه إليك.**

---

[1] يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (341/1).

[2] يُنظر: ((تفسير ابن عطية)) (242/4).

نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ: وهو جبريلُ، عليه السَّلامُ، قاله غيرُ واحدٍ مِنَ السَّلَفِ: ابنُ عَبَّاسٍ، ومحمَّدُ بنُ كَعبٍ، وقتادةُ، وعَطيَّةُ العوفيُّ، والسُّدِّيُّ، والضَّحَّاكُ، والزُّهْريُّ، وابنُ جُرَيجٍ. وهذا ما لا نزاعَ فيه[1].

وقال اللهُ عزَّ وجَلَّ: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: 102].

قال ابنُ عَطِيةَ: أمر نبيَّه أن يُخبرَ أنَّ القُرآنَ وناسِخَه ومنسوخَه إنما نَزَّلَه جبريلُ عليه السَّلامُ، وهو رُوحُ الْقُدُسِ، لا خِلافَ في ذلك[2].

وكان جِبريلُ عليه السَّلامُ أيضًا يتنَزَّلُ على النَّبيِّ ﷺ أحيانًا لغَيرِ إنزالِ القُرآنِ، ومن ذلك تَنَزُّلُه عليه بإجابةِ السَّائِلينَ، ومُدارسَتِه القرآنَ وغَيرِ ذلك.

فعن أنَسِ بنِ مالِكٍ رَضِيَ الله عنه قال: {سمِعَ عبدُ اللَّهِ بنُ سَلَامٍ بقُدُومِ رَسولِ اللَّهِ ﷺ، وهْوَ في أرْضٍ يَخْتَرِفُ، قال ابن حجر: (أي يَجْتَنِي من الثمار)[3] ، فأتَى النبي ﷺ، فَقالَ: إنِّي سَائِلُكَ عن ثَلَاثٍ لا يَعْلَمُهُنَّ إلَّا نَبِيٌّ: فَما أوَّلُ أشْرَاطِ السَّاعَةِ؟ وما أوَّلُ طَعَامِ أهْلِ الجَنَّةِ؟ وما يَنْزِعُ الوَلَدُ إلى أبِيهِ أوْ إلى أُمِّهِ؟ قالَ: أخْبَرَنِي بهِنَّ جِبْرِيلُ آنِفًا قَالَ ابنُ سَلَامٍ: ذَاكَ عَدُوُّ اليَهُودِ مِنَ المَلَائِكَةِ، قَالَ: أمَّا أوَّلُ أشْرَاطِ السَّاعَةِ فَنَارٌ تَحْشُرُهُمْ مِنَ المَشْرِقِ إلى المَغْرِبِ، وأَمَّا أوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أهْلُ الجَنَّةِ فَزِيَادَةُ كَبِدِ الحُوتِ، وأَمَّا الوَلَدُ فَإِذَا سَبَقَ مَاءُ الرَّجُلِ مَاءَ المَرْأَةِ نَزَعَ الوَلَدَ، وإذَا سَبَقَ مَاءُ المَرْأَةِ مَاءَ الرَّجُلِ نَزَعَتِ الوَلَدَ قَالَ: أشْهَدُ أنْ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، وأنَّكَ رَسولُ اللَّهِ...}[4]

وعن أبي ذَرٍّ الغِفاريِّ رَضِيَ اللهُ عنه أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ قال: {أَتاني جِبْرِيلُ فَبَشَّرَنِي أنَّه مَن ماتَ لا يُشْرِكُ باللَّهِ شيئًا دَخَلَ الجَنَّةَ، قُلتُ: وإنْ سَرَقَ وإنْ زَنَى؟ قالَ: وإنْ سَرَقَ وإنْ زَنَى}[5].

---

[1] يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (6/162).

[2] يُنظر: ((تفسير ابن عطية)) (3/421).

[3] ((فتح الباري)) (7/ 252).

[4] أخرجه البخاري (4480).

[5] أخرجه البخاري (7487) واللَّفظُ له، ومسلم (94).

وعن عبدِ اللهِ بنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عنهما قال: {كانَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ أجْوَدَ النَّاسِ، وكانَ أجْوَدَ ما يَكونُ في رَمَضانَ حِينَ يَلْقاهُ جِبْرِيلُ، وكانَ يَلْقاهُ في كُلِّ لَيْلَةٍ مِن رَمَضانَ فيُدارِسُهُ القُرْآنَ، فَلَرَسولُ اللَّهِ ﷺ أجْوَدُ بالخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ المُرْسَلَةِ[1].

والظاهر والله أعلم أنَّ جبريل عليه السلام هو رسول الوحي إلى كل الأنبياء لا للنبي ﷺ محمد فقط.



[1] أخرجه البخاري (6) واللَّفظُ له، ومسلم (2308).

﴿المطلب الثاني﴾

﴿وضيفة ميكائيل﴾

ميكائيل: الموكل بالغيث:

ذكَر كثيرٌ من العُلَماءِ أنَّ الموكَّلَ بالقَطْرِ وتصاريفِه إلى حيثُ أمَرَه اللهُ عَزَّ وجَلَّ هو ميكائيلُ عليه السَّلامُ؛ استنادًا إلى حديثِ عبدِ اللهِ بنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عنهما، قال: {أقبلَتْ يهودُ إلى رَسول اللهِ ﷺ، فقالوا: يا أبا القاسِمِ، إنَّا نسألُك عن خمسةِ أشياءَ، فإن أنبَأْتَنا بهِنَّ عرَفْنا أنَّك نبيٌّ واتَّبَعْناك، فأخَذ عليهم ما أخَذ إسرائيلُ على بَنِيه؛ إذ قالوا: اللهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ، قال: هاتوا، قالوا:... ليس من نبيٍّ إلَّا له مَلَكٌ يأتيه بالخبَرِ، فأخبِرْنا مَن صاحِبُك؟ قال: جبريلُ عليه السَّلامُ، قالوا: جِبريلُ! ذاك الذي يَنزِلُ بالحَرْبِ والقِتالِ والعَذابِ، عَدُوُّنا! لو قُلتَ: ميكائيلُ الذي يَنزِلُ بالرَّحمةِ والنَّباتِ والقَطرِ، لكان! فأنزل اللهُ عزَّ وجلَّ: مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ... إلى آخِرِ الآيةِ}[1].

قال ابنُ القَيِّمِ: جِبريلُ مُوَكَّلٌ بالوَحيِ الذي به حياةُ القُلوبِ والأرواحِ، ومِيكائيلُ مُوَكَّلٌ بالقَطْرِ الذي به حياةُ الأرضِ والنَّباتِ والحيوانِ[2].

وقال ابنُ كثيرٍ: وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ... السِّياقُ في الانتصارِ لجِبريلَ، وهو السَّفيرُ بين اللهِ تعالى وأنبيائِه، وقُرِن معه ميكائيلُ في اللَّفظِ؛ لأنَّ اليهودَ زَعَموا أنَّ جبريلَ عَدُوُّهم وميكائيلَ وَلِيُّهم، فأعلمهم أنَّه من عادى واحِدًا منهما فقد عادى الآخَرَ وعادى اللهَ أيضًا؛ لأنَّه أيضًا ينزِلُ على الأنبياءِ بَعضَ الأحيانِ، كما قُرِنَ برَسولِ اللهِ ﷺ في ابتداءِ الأمرِ، ولكِنَّ جبريلَ أكثَر، وهي وظيفتُه، وميكائيلُ مُوَكَّلٌ بالقَطرِ والنَّباتِ، هذاكَ بالهُدى وهذا بالرِّزقِ[3].

---

[1] أخرجه الترمذي (3117)، وأحمد (2483) قال الترمذي: حسن غريب، وقال أبو نعيم في ((حلية الأولياء)) (337/4): غريب من حديث سعيد تفرد به بكير، وقال الشوكاني في ((فتح القدير)) (68/1): في إسناده مقال، وذكر الوداعي في ((الصحيح المسند من أسباب النزول)) (22) أن فيه بكير بن شهاب قد خولف لكن له طرق. وصححه الألباني في ((صحيح سنن الترمذي)) (3117)، وصحح إسناده أحمد شاكر في تخريج ((مسند أحمد)) (161/4)، وذكر ابن حجر في ((فتح الباري)) (16/8) أن له طرق يقوي بعضها بعضا.

[2] يُنظر: ((إغاثة اللهفان)) (843/2). ويُنظر: ((زاد المعاد)) لابن القيم (44/1).

[3] يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (1/ 342).

وقال ابن حجر الهيتمي: ميكائيلُ... أمينُ القَطرِ والنَّباتِ ونحوِهما مما يتعَلَّقُ بالأرزاقِ المقَوِّمةِ للدِّينِ والدُّنيا[1].



[1] يُنظر: ((فتح الإله في شرح المشكاة)) (5/ 53).

﴿المطلب الثالث﴾

﴿وضيفة إسرافيل﴾

إسرافيل: الموكل بالصور:

قال اللهُ تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾[الزمر: 68].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ النَّبي ﷺ قال: {ما طرَفَ صاحبُ الصورِ مُذْ وُكِّلَ بِهِ مُسْتَعِدًّا ينظُرُ نحوَ العرشِ مخافَةَ أنْ يَؤْمَرَ قبْلَ أنْ يَرْتَدَّ إلَيْهِ طَرْفُهُ، كَأَنَّ عَيْنَيْهِ كَوْكَبَانِ دُرِّيَّانِ}[1].

ونقل بعضُ العُلَماءِ الإجماعَ على أنَّ الملَكَ الموكَّلَ بالنَّفخِ في الصُّورِ هو إسرافيلُ عليه السَّلامُ، مع عَدَمِ ثبوتِ ذلك في حديثٍ صحيحٍ.

قال ابنُ الحاجِّ القناويُّ: الأُمَّةُ وجميعُ الأُمَمِ مجمِعون على أنَّ الذي ينفُخُ في الصُّورِ هو إسرافيلُ عليه السَّلامُ[2].

وقال القرطبي: قال عُلَماؤنا: والأُمَمُ مُجمِعون على أنَّ الذي ينفُخُ في الصُّورِ إسرافيلُ عليه السَّلامُ[3].

وقال أيضًا: الأُمَمُ مُجمِعةٌ على أنَّ الذي ينفُخُ في الصُّورِ إسرافيلُ عليه السَّلامُ.

وقال ابنُ حجر: اشتَهَر أنَّ صاحِبَ الصُّورِ إسرافيلُ عليه السَّلامُ، ونَقَل فيه الحليميُّ الإجماعَ[4].



---

[1] أخرجه أبو الشيخ في ((العظمة)) (**391**)، والحاكم (**8676**)، وأبو نعيم في ((حلية الأولياء)) (**99/4**) واللفظ له.
صحح إسناده الحاكم، والألباني في ((سلسلة الأحاديث الصحيحة)) (**1078**) –وقال في ((مختصر العلو)) (**23**): على شرط مسلم– وحسنه ابن حجر في ((فتح الباري)) (**376/11**)، وجوده العراقي في ((تخريج الإحياء)) (**270/5**).

[2] يُنظر: ((حز الغلاصم في إفحام المخاصم عند جريان النظر في أحكام القدر)) (ص: 35)

[3] يُنظر: ((التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة)) (1/ 211).

[4] يُنظر: ((فتح الباري)) (11/ 368).

﴿المطلب الرابع﴾

﴿حملة العرش﴾

الملائكة حملة العرش:

قال اللهُ تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾[غافر: 7].

وقال اللهُ سُبحانَه: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾[الحاقة: 17].

قال ابنُ تَيمِيَّةَ: فأخبر أنَّ للعَرشِ حَمَلةً اليومَ ويَومَ القيامةِ، وأنَّ حَمَلَتَه ومن حولَه يُسَبِّحون ويستغفِرون للمُؤمنين[1].

وعن جابِرِ بنِ عبدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عنهما أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ قال: {أُذِنَ لي أن أُحَدِّث عن مَلَكٍ من مَلائِكةِ اللهِ تعالى من حَمَلةِ العَرشِ أنَّ ما بين شَحمةِ أُذُنِه إلى عاتِقِه مَسيرة سَبْعِمائةِ عام}[2].

قال المناوي: هذا محتَمِلٌ لأن يكونَ رآه وأن يكونَ أُوحِيَ إليه به «أن أحَدِّث» أصحابي أو أمَّتي «عن مَلَكٍ» بفَتحِ اللامِ: أي عن شأنِه أو عِظَمِ خَلْقِه «من مَلائِكةِ اللهِ تعالى» قيل: هو إسرافيلُ، أضيفُ إليه لمزيدِ التفخيمِ والتعظيمِ، «من حَمَلةِ العَرشِ» أي: من الذين يحمِلون عَرْشَ الرحمنِ، الذي هو أعظَمُ المخلوقاتِ المحيطُ بجَميعِ العوالِمِ، والعَرشُ: السَّريرُ، «ما بين شَحمةِ أُذُنِه إلى عاتِقِه مَسيرةُ سبعِمائةِ سَنةٍ»، وفي رواية: سبعين عامًا. أي: بالفَرَسِ الجوادِ، كما

---

[1] يُنظر: ((مجموع الفتاوى)) (6/ 550).

[2] أخرجه أبو داود (4727) واللَّفظُ له، والطبراني في ((المعجم الأوسط)) (4421) بلفظ: ((سبعين))، والبيهقي في ((الأسماء والصفات)) (846). صَحَّحه الألباني في ((صحيح سنن أبي داود)) (4727)، والوادعي في ((الصحيح المسند)) (265)، وصحح إسناده الذهبي في ((العلو)) (97)، وجوده ابن كثير في ((تفسير القرآن)) (8/239)، وشعيب الأرناؤوط في تخريج ((سنن أبي داود)) (4727)، وقال ابن حجر في ((فتح الباري)) (8/533): إسناده على شرط الصحيح.

في خَبَرٍ آخَرَ، فما ظنُّك بطُولِه وعِظَمِ جُثَّتِه؟!... وشَحمةُ الأُذُنِ ما لانَ من أسفَلِها، وهو مَعلَقُ القُرطِ، والعاتِقُ ما بين المنكِبِ والعُنُقِ، وهو موضِعُ الرِّداءِ[1].

وعن عبدِ اللهِ بنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عنهما أنَّ رَسولَ الله ﷺ قال: {... ولكِنَّ رَبَّنا تبارك وتعالى اسمُه، إذا قضى أمرًا سَبَّح حَمَلةُ العَرشِ، ثمَّ سَبَّح أهلُ السَّماءِ الذين يَلُونَهم، حتى يَبلُغَ التسبيحُ أهلَ هذه السَّماءِ الدُّنيا» ثم قال الذين يَلُون حَمَلةَ العَرشِ لحَمَلةِ العَرشِ: ماذا قال ربُّكم؟ فيُخبِرونهم ماذا قال، قال: فيستخبرُ بعضُ أهلِ السَّمَواتِ بَعضًا، حتى يبلُغَ الخَبَرُ هذه السَّماءَ الدُّنيا....}[2].

قال أبو العَبَّاسِ القُرطبي: فيه ما يدُلُّ على أنَّ حَمَلةَ العَرشِ أفضَلُ المَلائِكةِ وأعلاهم مَنزِلةً، وأنَّ فضائِلَ المَلائِكةِ على حَسَبِ مراتِبِهم في السَّمَواتِ، وأنَّ الكُلَّ منهم لا يَعلَمونَ شَيئًا من الأمورِ إلَّا بأن يُعلِمَهم اللهُ تعالى به، كما قال تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾ [الجن: 26، 27].

وفيه ما يدُلُّ على أنَّ عُلومَ المَلائِكةِ بالكائناتِ يستفيدُه بعضُهم من بعضٍ إلَّا حَمَلةَ العَرشِ؛ فإنَّهم يستفيدون عُلومَهم من الحَقِّ سُبحانَه وتعالى، فإنهم هم المبدوؤون بالإعلامِ أوَّلًا، ثم إنَّ مَلائِكةَ كُلِّ سماءٍ تستفيدُ من التي فوقَها[3].

وعن حَسَّانَ بنِ عَطِيَّةَ قال: حَملةُ العَرشِ ثمانيةٌ يَتجاوَبونَ بِصَوتٍ حسَنٍ رخيمٍ، فيقولُ أربعَةٌ منهُم: سُبحانَكَ وبحمدِكَ علَى حِلمِكَ بعدَ عِلمِكَ، ويقولُ أربعةٌ: سُبحانَكَ وبحمدِكَ علَى عفوِكَ بعدَ قُدرتِكَ[4].



---

[1] (يُنظر: ((فيض القدير)) (1/ 458).

[2] أخرجه مسلم (2229).

[3] يُنظر: ((المفهم)) (5/ 638).

[4] أخرجه أبو نعيم في ((حلية الأولياء)) (6/74). قوَّى إسنادَه الألباني في ((العلو)). وأخرجه من طريقٍ آخَرَ البيهقيُّ في ((شعب الإيمان)) (364) من قولِ هارونَ بن رئابٍ.

﴿المطلب الخامس﴾

﴿الملك الموكل بالجبال﴾

الملك الموكل بالجبال:

عن عائِشةَ رَضِيَ اللهُ عنها أنها سألت النَّبيَّ ﷺ فقالت: {يَا رَسولَ اللهِ، هلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كانَ أَشَدَّ مِن يومِ أُحُدٍ؟ فَقالَ: لقَدْ لَقِيتُ مِن قَوْمِكِ! وَكانَ أَشَدَّ ما لَقِيتُ منهمْ يومَ العَقَبَةِ، إذْ عَرَضْتُ نَفْسِي علَى ابْنِ عبدِ يَالِيلَ بنِ عبدِ كُلَالٍ فَلَمْ يُجِبْنِي إلى ما أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ علَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إلَّا بقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بسَحَابَةٍ قدْ أَظَلَّتْنِي فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي، فَقالَ: إنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَما رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إلَيْكَ مَلَكَ الجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بما شِئْتَ فيهم، قالَ: فَنَادَانِي مَلَكُ الجِبَالِ وَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قالَ: يا مُحَمَّدُ، إنَّ اللَّهَ قدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَأَنَا مَلَكُ الجِبَالِ وَقَدْ بَعَثَنِي رَبُّكَ إلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بأَمْرِكَ، فَما شِئْتَ، إنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عليهمُ الأخْشَبَيْنِ[1]، فَقالَ له رَسولُ اللهِ ﷺ: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِن أَصْلَابِهِمْ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لا يُشْرِكُ به شيئًا[2].

قال ابنُ حجر: قَولُه: ((مَلَكُ الجبالِ)) أي: الموكَّلُ بها[3].

قال ابنُ أبي العِزِّ: (قد دَلَّ الكتابُ والسُّنَّةُ على أصنافِ المَلائِكةِ، وأنها مُوكَّلةٌ بأصنافِ المخلوقاتِ، وأنَّه سُبحانَه وكَّل بالجِبالِ مَلائِكةً...)[4].



[1] قال أبو العباس القرطبي: (الأخشبان): جبلا مكَّةَ. و (أُطبِق) أي: أجعَلهما عليهم كالطَّبَقِ. ((المفهم)) (3/ 654).

[2] رواه البخاري (3231)، ومسلم (1795) واللفظُ له.

[3] يُنظر: ((فتح الباري)) (6/ 316).

[4] يُنظر: ((شرح الطحاوية)) (2/ 405).

﴿المطلب السادس﴾

﴿الملائكة الموكلون بالأرحام﴾

الملائكة الموكلون بالأرحام:

عن أنَسِ بنِ مالكٍ رَضِيَ اللهُ عنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: {إنَّ اللهَ عَزَّ وجَلَّ وَكَّل بالرَّحِمِ مَلَكًا، يقولُ: يا رَبِّ نُطفةٌ، يا رَبِّ عَلَقةٌ، يا رَبِّ مُضغةٌ، فإذا أراد أن يقضيَ خَلْقَه قال: أذكَرٌ أم أنثى، شقيٌّ أم سعيدٌ، فما الرِّزقُ والأجَلُ، فيُكتَبُ في بطنِ أمِّه}[1].

وعن ابنِ مسعودٍ رَضِيَ اللهُ عنه قال: حدَّثنا رسولُ الله ﷺ وهو الصَّادِقُ المصدوقُ: {إنَّ أحَدَكم يُجمَعُ خَلْقُه في بَطنِ أمِّه أربعين يومًا، ثمَّ يكونُ في ذلك عَلَقةً مِثلَ ذلك، ثمَّ يكونُ في ذلك مُضغةً مِثلَ ذلك، ثم يرسَلُ الملَكُ فيَنفُخُ فيه الرُّوحَ، ويؤمَرُ بأربعِ كَلِماتٍ: بكَتْبِ رِزقِه وأجَلِه وعَمَلِه، وشقيٌّ أو سعيدٌ}[2].

قال ابنُ القَيِّمِ: وكَّل بالرَّحِمِ مَلائِكةً تُدَبِّرُ أمرَ النُّطفةِ حتى يتِمَّ خَلْقُها[3].

وبمثلِ قَولِه قال ابنُ أبي العزِ[4].

وقال حافِظٌ الحَكَميُّ في أقسامِ المَلائِكةِ: منهم الموكَّلون بالنُّطفةِ في الرَّحِمِ[5].



[1] أخرجه البخاري (318) واللَّفظُ له، ومسلم (2646).

[2] رواه مطولًا البخاري (3208)، ومسلم (2643) واللفظُ له.

[3] يُنظر: ((إغاثة اللهفان)) (2/ 842)..

[4] يُنظر: ((شرح الطحاوية)) (2/ 406).

[5] يُنظر: ((معارج القبول)) (2/ 666).

﴿المطلب السابع﴾

﴿الملائكة الموكلون بحفظ العبد﴾

الملائكة الموكلون بحفظ العبد:

المَلائِكةُ المُوَكَّلون بحِفظِ العبدِ في حِلِّه وارتحالِه وفي نَومِه ويَقَظتِه وفي كُلِّ حالاتِه: هم المُعَقِّباتُ.

قال اللهُ تعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد: 11].

قال ابنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عنهما عن المُعَقِّباتِ: هم مَلائِكةٌ يحفَظونَه من بينِ يدَيه ومِن خَلْفِه، فإذا جاء قَدَرُ اللهِ تعالى خَلَّوا عنه[1].

وقال مجاهِدٌ: ما من عبدٍ إلَّا له مَلَكٌ موكَّلٌ يحفَظُه في نومِه ويقَظتِه من الجِنِّ والإنسِ والهوَامِّ[2].

وقال اللهُ سُبحانَه: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ [الأنعام: 61].

قال ابنُ الجوزيِّ: فيما يحفَظونَه قولانِ: أحَدُهما: أعمالُ بني آدَمَ... والثَّاني: أعمالُهم وأجسادُهم[3].

وقال الشَّوكانيِّ: قَولُه: وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً أي: مَلائِكةً جعلهم اللهُ حافِظين لكم، ومنه قَولُه: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾ [الإنفطار: 10]، **والمعنى: أنَّه يُرسِلُ عليكم من يحفَظُكم من الآفاتِ، ويحفَظُ أعمالَكم[4].**



[1] رواه ابن جرير في تفسيره (13/ 458).

[2] رواه ابن جرير في تفسيره (13/ 460).

[3] يُنظر: ((تفسير ابن الجوزي)) (2/ 38).

[4] يُنظر: ((تفسير الشوكاني)) (2/ 142).

﴿ المطلب الثامن ﴾

﴿ الملك الموكل الموت ﴾

الموكَّلُ بقَبضِ الأرواحِ هو ملَكُ الموتِ:

ولم يثبُتْ بدليلٍ صحيحٍ أنَّ اسمَه عِزرائيلُ، كما هو مشتهِرٌ بين النَّاسِ.

قال اللهُ تعالى: ﴿ قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ [السجدة:11].

وقد جاء أنَّ له أعوانًا من المَلائكةِ.

قال اللهُ سُبحانَه: ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لا يُفَرِّطُونَ * ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ أَلا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴾ [الأنعام: 61- 62].

قال ابنُ جريرٍ: فإن قال قائِلٌ: أوَلَيسَ الذي يَقبضُ الأرواحَ ملَكُ الموتِ، فكيف قيل: تَوَفَّتْهُ رُسُلُنا، والرُّسلُ جملةٌ، وهو واحِدٌ؟ أوَليس قد قال: ﴿ قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ﴾ [السجدة: 11] ؟ **قيل: جائِزٌ أنْ يكونَ اللهُ تعالى أعان ملَكَ الموتِ بأعوانٍ من عنده، فيتولَّوْن ذلك بأمْرِ ملَكِ الموتِ، فيكونُ (التوفِّي) مُضافًا –وإنْ كان ذلك من فِعلِ أعوانِ ملَكِ الموتِ– إلى ملَكِ الموتِ؛ إذ كان فِعلُهم ما فعلوا من ذلك بأمْرِه، كما يُضاف قتْلُ مَن قتَلَ أعوانُ السُّلطانِ، وجَلْدُ مَن جَلَدوه بأمْرِ السُّلطانِ، إلى السُّلطانِ، وإنْ لم يكُنِ السُّلطانُ باشرَ ذلك بنَفْسِه ولا وَلِيَه بيَدِه. وقد تأوَّل ذلك كذلك جماعةٌ من أهلِ التأويلِ[1].**

وقال ابنُ أبي زمنين: بابٌ في الإيمانِ بقَبضِ مَلَكِ الموتِ الأنفُسَ. وأهلُ السُّنَّةِ يُؤمنون بأنَّ مَلَكَ الموتِ يَقبِضُ الأنفُسَ. وقال عَزَّ وجَلَّ: ﴿ قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ﴾ [السجدة: 11] **فإذا قبض نفسًا مُؤمِنةً دفعها إلى مَلائِكةِ الرحمةِ، وإذا قبض نفسًا كافِرةً أو فاجِرةً دفعها إلى مَلائِكةِ العذابِ، وهو قَولُه:** ﴿ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾ [الأنعام: 61]، **بل يَقبِضونها من**

---

[1] يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (**290/9**).

مَلَكِ الموتِ ثم يصعَدون بها إلى اللهِ، وذلك قَولُه: ﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ﴾ [الأنعام: 62][1].

وقال اللهُ عَزَّ وجَلَّ: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: 28 – 32].

قال الشنقيطي: أسند هنا جَلَّ وعلا التوفِّيَ للمَلائِكةِ في قَولِه: ﴿تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ [بالنحل: 28]، وأسنده في السَّجدةِ لِمَلَكِ الموتِ في قَولِه: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ﴾ [السجدة: 11]،، وأسنده في الزُّمَرِ إلى نَفْسِه جَلَّ وعلا في قَولِه: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر: 42]، الآية، وقد بَيَّنَّا في كتابِنا «دفع إيهامِ الاضطرابِ عن آياتِ الكِتابِ» في سورةِ السَّجدةِ: أنَّه لا معارَضةَ بين الآياتِ المذكورةِ، فإسنادُه التوَفِّيَ لنَفْسِه؛ لأنَّه لا يموتُ أحدٌ إلَّا بمشيئتِه تعالى، كما قال: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا﴾ [آل عمران: 145] ، وأسنده لملَكِ الموتِ؛ لأنَّه هو المأمورُ بقَبضِ الأرواحِ، وأسنده إلى المَلائِكةِ؛ لأنَّ لِمَلَكِ الموتِ أعوانًا من المَلائِكةِ يَنزِعون الرُّوحَ من الجسَدِ إلى الحُلقومِ فيأخُذُها مَلَكُ الموتِ، كما قاله بعضُ العُلَماءِ، والعِلمُ عند اللهِ تعالى[2].

وعن البَراءِ بنِ عازِبٍ رَضِي اللهُ عنه قال: خرَجْنا مع النَّبيِّ ﷺ في جِنازةِ رَجُلٍ من الأنصارِ، فانتَهَينا إلى القبرِ ولَمَّا يُلحَدْ، فجلس رسولُ الله ﷺ، وجلَسْنا حولَه كأنَّ على رُؤوسِنا الطيرَ، وفي يَدِه عودٌ يَنكُتُ في الأرضِ، فرفع رأسَه، فقال: {استعيذوا باللهِ من عذابِ القَبرِ، مَرَّتينِ أو ثلاثًا، ثمَّ قال: إنَّ العبْدَ المؤمِنَ إذا كانَ في انْقِطاعٍ مِنَ الدُّنْيا، وإقْبالٍ مِنَ الآخِرَةِ، نزَلَ إليه مَلائكةٌ مِنَ السَّماءِ بِيضُ الوُجوهِ، كَأنَّ وُجوهَهُمُ الشَّمْسُ، معَهُم كَفَنٌ مِن أَكْفانِ الجَنَّةِ، وحَنُوطٌ[3] مِن حَنُوطِ الجَنَّةِ، حتَّى يَجْلِسوا مِنه مَدَّ البَصَرِ، ثمَّ يَجيءُ مَلَكُ المَوْتِ علَيه السَّلامُ،

---

[1] يُنظر: ((أصول السنة)) (ص: 147–150).

[2] يُنظر: ((أضواء البيان)) (2/ 373).

[3] الحَنوطُ: ما يُخلَطُ مِن الطِّيبِ لأكفانِ الموتى وأجسادِهم. يُنظر: ((مرقاة المفاتيح)) للقاري (3/1176).

حتَّى يَجْلِسَ عندَ رَأْسِه، فيَقُولُ: أيَّتُها النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ، اخْرُجي إلى مَغْفرةٍ مِنَ اللهِ ورِضْوانٍ. فتَخْرُجُ تَسِيلُ كَما تَسِيلُ القَطْرةُ مِن فِي السِّقَاءِ، فيَأْخُذُها، فإذا أخَذَها لم يَدَعُوها في يَدِه طَرْفةَ عينٍ حتَّى يَأخُذوها، فيَجْعَلوها في ذَلِك الكَفَنِ، وفي ذَلِك الحَنُوطِ، ويَخْرُجُ مِنها كَأَطْيبِ نَفْحةِ مِسْكٍ وُجِدَت على وَجْهِ الْأَرْضِ. فيَصْعَدونَ بِها... وإنَّ العبدَ الكافِرَ إذا كان في انْقِطاعٍ مِنَ الدُّنيا، وإقبالٍ مِنَ الآخِرَةِ، نَزَل إليه مِن السَّماءِ مَلائكةٌ سُودُ الوُجوهِ، مَعَهمُ المُسُوحُ[1]، فيَجْلِسونَ منه مَدَّ البَصَرِ، ثُمَّ يَجيءُ مَلَكُ المَوتِ حتَّى يَجْلِسَ عِندَ رَأسِه، فيَقولُ: أيَّتُها النَّفْسُ الخبيثةُ، اخْرُجي إلى سَخَطٍ مِن اللهِ وغَضَبٍ! فتَفَرَّقُ في جسَدِه، فيَنتزِعُها كَما يُنتزَعُ السَّفُّودُ[2] مِنَ الصُّوفِ المَبْلولِ، فيَأْخُذُها، فإذا أخَذَها لَم يَدَعُوها في يَدِه طَرْفةَ عينٍ حتَّى يَجْعَلوها في تِلك المُسوحِ، ويَخْرُجُ مِنها كأنْتَنِ رِيحِ جِيفةٍ وُجِدَت على وَجهِ الأرضِ، فيَصْعَدونَ بها...[3]

وعن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: {أُرْسِلَ مَلَكُ المَوْتِ إلى مُوسَى عليهما السَّلام،... الحديث}[4].

وقال ابنُ عباسٍ رَضِيَ اللهُ عنهما: إنَّ لِمَلَكِ الموتِ أعوانًا من المَلائكةِ[5].

وعن مجاهدٍ قال: جُعِلَت له أعوانٌ يَتوَفَّون الأنفُسَ، ثمَّ يَقبِضُها منهم[6].



---

[1] المُسوحُ: جمعُ مِسحٍ: وهو اللِّباسُ الخَشِن. يُنظر: ((مرقاة المفاتيح)) للقاري (3/1179).

[2] السَّفُّودُ: الحديدةُ التي يُشوى عليها اللَّحمُ. يُنظر: ((مرعاة المفاتيح)) للمباركفوري (5/328).

[3] أخرجه أبو داود (4753) بنحوه، والنسائي (2001)، وابن ماجه (1594) مختصرًا، وأحمد (18534) واللفظُ له. صحَّحَه القرطبي في ((التذكرة)) (119)، وابن القيم في ((الروح)) (1/269)، والألبانيُّ في ((صحيح سنن أبي داود)) (4753)، وحسَّنه المنذريُّ في ((الترغيب والترهيب)) (4/280)، وابن تيمية في ((مجموع الفتاوى)) (4/290)، والوادعي في ((الصحيح المسند)) (150).

[4] أخرجه البخاري (1339)، ومسلم (2372).

[5] ينظر: ((تفسير ابن جرير)) (9/ 290).

[6] يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (9/ 292).

﴿ المطلب الثامن ﴾

﴿ منكر ونكير ﴾

منكر ونكير الموكلان بفتنة القبر:

عن أنَسِ بنِ مالِكٍ رَضِيَ اللهُ عنه أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ قال: {إنَّ العَبْدَ إذَا وُضِعَ في قَبْرِهِ وتَوَلَّى عنْه أصْحَابُهُ، وإنَّه لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ، أتَاهُ مَلَكَانِ فيُقْعِدَانِهِ، فَيَقُولَانِ: ما كُنْتَ تَقُولُ في هذا الرَّجُلِ؛ لِمُحَمَّدٍ ﷺ فأمَّا المُؤْمِنُ، فيَقولُ: أشْهَدُ أنَّه عبدُ اللَّهِ ورَسولُهُ، فيُقَالُ له: انْظُرْ إلى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ قدْ أبْدَلَكَ اللَّهُ به مَقْعَدًا مِنَ الجَنَّةِ، فَيَرَاهُما جَمِيعًا –قالَ قَتَادَةُ: وذُكِرَ لَنَا: أنَّه يُفْسَحُ له في قَبْرِهِ، ثُمَّ رَجَعَ إلى حَديثِ أنَسٍ– قالَ: وَأَمَّا المُنَافِقُ والكَافِرُ فيُقَالُ له: ما كُنْتَ تَقُولُ في هذا الرَّجُلِ؟ فيَقولُ: لا أدْرِي، كُنْتُ أقُولُ ما يقولُ النَّاسُ، فيُقَالُ: لا دَرَيْتَ ولَا تَلَيْتَ، ويُضْرَبُ بمَطَارِقَ مِن حَدِيدٍ ضَرْبَةً، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَن يَلِيهِ غيرَ الثَّقَلَيْنِ[1].

وعن أبي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللهُ عنه أنَّه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِذَا قُبِرَ الْمَيِّتُ –أَوْ قَالَ: أَحَدُكُمْ– أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ يُقَالُ لأَحَدِهِمَا الْمُنْكَرُ، وَالآخَرُ النَّكِيرُ فَيَقُولَانِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ مَا كَانَ يَقُولُ: هُوَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولَانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ هَذَا... وَإِنْ كَانَ مُنَافِقًا قَالَ: سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ فَقُلْتُ مِثْلَهُ، لَا أَدْرِي. فَيَقُولَانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ ذَلِكَ[2].

قال أحمَدُ بنُ القاسِمِ لأحمدَ بنِ حَنبلٍ: قُلتُ: يا أبا عبدِ اللهِ تُقِرُّ بمُنكَرٍ ونَكيرٍ وما يُروى من عذابِ القَبرِ؟ فقال: نعم. سُبحانَ اللهِ! نُقِرُّ بذلك ونقولُه.

قلتُ: هذه اللَّفظةُ مُنكَرٌ ونكيرٌ، تقولُ هذا، أو تقولُ مَلَكينِ؟ قال: نقولُ: مُنكَرٌ ونكيرٌ، وهما ملكانِ[3].

---

[1] أخرجه البخاري (1374).

[2] أخرجه مطولًا الترمذي (1071) واللَّفظُ له، والبزار (8462)، وابن حبان (3117). صححه ابن حبان، وابن قتيبة في ((تأويل مختلف الحديث)) (294)، وحسنه الألباني في ((صحيح سنن الترمذي)) (1071)، وشعيب الأرناؤوط في ((تخريج شرح السنة)) (5/416)، وقال الترمذي: حسن غريب.

[3] يُنظر: ((طبقات الحنابلة)) لابن أبي يعلى (1/ 55).

وقال الطحاويُّ: نؤمِنُ... بعذابِ القَبرِ لِمن كان له أهلًا، وسؤالِ مُنكَرٍ ونَكيرٍ في قَبرِه عن رَبِّه ودينه ونبيِّه، على ما جاءت به الأخبارُ عن رَسولِ اللهِ ﷺ، وعن الصَّحابةِ رِضوانُ اللهِ عليهم[1].

وقال ابنُ أبي زمنين: أهلُ السُّنَّةِ يُؤمِنون بأنَّ هذه الأُمَّةَ تُفتَنُ في قبورِها، وتُسأَلُ عن النَّبيِّ ﷺ كيف شاء اللهُ، ويُصَدِّقون بذلك بلا كيفٍ؛ قال اللهُ عَزَّ وجَلَّ: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: 27][2].

وقال ابنُ عبدِ البَرِّ: أمَّا قَولُه: {إنَّكم تُفتَنون في قُبورِكم}[3] فإنَّه أراد فِتنةَ الملَكَينِ مُنكَرٍ ونَكيرٍ حين يَسألانِ العَبدَ مَن رَبُّك وما دينُك ومن نبيُّك، فالآثارُ بذلك متواتِرةٌ، وأهلُ السُّنَّةِ والجماعةِ وهم أهلُ الحَديثِ والرَّأيِ في أحكامِ شَرائعِ الإسلامِ كُلُّهم مجمِعون على الإيمانِ والتصديقِ بذلك، إلَّا أنَّهم لا يتكَلَّفون فيه شيئًا، ولا يُنكِرُه إلَّا أهلُ البِدَعِ[4].

وقد اختُلِف في سؤالِ مَلَكَي عذابِ القَبرِ: هل هو خاصٌّ بهذه الأمَّةِ أم لا؟ على ثلاثةِ أقوالٍ.

قال ابنُ القَيِّمِ: المسألةُ الثَّانيةَ عَشرةَ: وهي أنَّ سُؤالَ مُنكَرٍ ونكيرٍ هل هو مختَصٌّ بهذه الأمَّةِ أو يكونُ لها ولغيرِها.

هذا موضِعٌ تكلَّم فيه النَّاسُ، فقال أبو عبدِ اللهِ الترمذيُّ: إنما سؤالُ الميِّتِ في هذه الأمَّةِ خاصَّةً؛ لأنَّ الأُمَمَ قَبْلَنا كانت الرُّسُلُ تأتيهم بالرِّسالةِ، فإذا أبَوا كَفَّت الرُّسُلُ واعتزلوهم، وعُولِجوا بالعذابِ؛ فلمَّا بَعَث اللهُ محمَّدًا ﷺ بالرَّحمةِ إمامًا للخَلقِ، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: 107] أمسك عنهم العذابَ، وأُعطِيَ السَّيفَ حتى يَدخُلَ في دينِ الإسلامِ من دخل لمهابةِ السَّيفِ، ثم يَرسَخَ الإيمانُ في قَلبِه، فأُمهِلوا، فمِن هاهنا ظهر أمرُ النِّفاقِ، وكانوا يُسِرُّون الكُفْرَ ويُعلِنون الإيمانَ، فكانوا بين المُسلِمين في سَترٍ، فلمَّا ماتوا قَيَّض اللهُ لهم فتَّانَي القبرِ ليَستخرِجَا سِرَّهم بالسُّؤالِ وليَميزَ اللهُ الخبيثَ مِنَ الطَّيِّبِ فـ ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ

---

[1] يُنظر: ((متن الطحاوية)) (ص: 71).

[2] يُنظر: ((أصول السنة)) (ص: 147-150).

[3] أخرجه مطولًا البخاري (86) واللفظُ له، ومسلم (905) من حديثِ أسماءَ بنتِ أبي بكرٍ رَضِيَ الله عنهما.

[4] يُنظر: ((الاستذكار)) (2/ 423).

الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴾ [إبراهيم: 27].

وخالف في ذلك آخَرون؛ منهم عبدُ الحَقِّ الإشبيليُّ، والقرطبيُّ، وقالوا: السؤالُ لهذه الأمَّةِ ولغيرِها.

وتوقَّف في ذلك آخَرون؛ منهم أبو عُمَرَ ابنُ عبدِ البَرِّ، فقال: وفي حديثِ زيدِ بنِ ثابتٍ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: {إنَّ هذه الأُمَّةَ تُبتلى في قُبورِها}[1]، ومنهم من يرويه «تُسأَلُ»، وعلى هذا اللَّفظِ يحتَمِلُ أن تكونَ هذه الأُمَّةُ خُصَّت بذلك، فهذا أمرٌ لا يُقطَعُ عليه.

وقد احتَجَّ من خَصَّه بهذه الأمَّةِ بقَولِه ﷺ: {إنَّ هذه الأُمَّةَ تبتلى في قُبورِها}[2]، وبقَولِه: { ولَقَدْ أُوحِيَ إليَّ أنَّكم تُفتَنون في قُبورِكم}[3]، وهذا ظاهِرٌ في الاختصاصِ بهذه الأمَّةِ، قالوا: ويدُلُّ عليه قَولُ الملكَينِ له: {ما كنتَ تقولُ في هذا الرَّجُلِ الذي بُعِث فيكم؟ فيقولُ المُؤمِنُ: أشهَدُ أنَّه ...عبدُ اللهِ ورَسولُه}[4]،فهذا خاصٌّ بالنَّبيِّ ﷺ.

وقال آخَرون: لا يدُلُّ هذا على اختصاصِ السُّؤالِ بهذه الأمَّةِ دونَ سائِرِ الأُمَمِ؛ فإنَّ قَولَه: إنَّ هذه الأمَّةَ إمَّا أن يرادَ به أمَّةُ النَّاسِ، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ ﴾ [الأنعام: 38] ، **وكُلُّ جنسٍ مِن أجناسِ الحيوانِ يُسَمَّى أمَّةً، وفي الحديثِ: {لولا أنَّ الكلابَ أمَّةٌ من الأُمَمِ لأمَرْتُ بقَتْلِها}[5]، وفيه أيضًا حديثُ النَّبيِّ ﷺ الذي**

---

[1] أخرجه مسلم (2864).

[2] أخرجه مسلم (2867) مطولًا من حديثِ زيدِ بنِ ثابتٍ رَضِيَ اللهُ عنه.

[3] أخرجه مطولًا البخاري (26) واللفظُ له، ومسلم (905) من حديثِ أسماءَ بنتِ أبي بكرٍ رَضِيَ الله عنهما.

[4] أخرجه البخاري (1374)، ومسلم (2870) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه. ولفظ البخاري: {إن العبد إذا وضع في قبره.. أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان: ما كنت تقول في الرجل لمحمد ﷺ؟ فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله.

[5] أخرجه أبو داود (2845)، والترمذي (1486)، والنسائي (4280)، وابن ماجه (3205)، وأحمد (16788) مطولًا من حديث عبد الله بن مُغَفَّل رَضِيَ الله عنه. صَحَّحه الترمذي، وابن حبان في ((صحيحه)) (5657)، والألباني في ((صحيح سنن أبي داود)) (2845)، والوادعي على شرط الشيخين في ((الصحيح المسند)) (905)، وصحَّح إسنادَه شعيبٌ الأرناؤوط في سنن أبي داود)) (2845).

قرصَتْه نملةٌ فأمَرَ بقَريةِ النَّملِ فأُحرِقَت، فأوحى اللهُ إليه: من أجْلِ أنْ قرصَتْك نملةٌ واحدةٌ أحرَقْتَ أمَّةً من الأُمَمِ تُسَبِّحُ اللهَ[1].

وإن كان المرادُ به أمَّتَه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، الذين بُعِث فيهم، لم يكُنْ فيه ما يَنفي سُؤالَ غَيرِهم من الأُمَمِ، بل قد يكونُ ذِكْرُهم إخبارًا بأنهم مَسؤولون في قبورِهم، وأنَّ ذلك لا يختَصُّ بمن قَبْلَهم؛ لفَضلِ هذه الأُمَّةِ وشَرَفِها على سائرِ الأُمَمِ، وكذلك قَولُه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: {أُوحِيَ إليَّ أنَّكم تُفتَنون في قُبورِكم}[2] وكذلك إخبارُه عن قولِ الملكَينِ: ما هذا الرَّجُلُ الذي بُعِث فيكم؟ هو إخبارٌ لأمَّتِه بما تُمتحَنُ به في قُبورِها.

والظَّاهِرُ عندي والله أعلم، أنَّ السؤال خاص بأمة محمد ﷺ، وأما العذاب فلها ولغيرها، أما السؤال فهو خاص بأمة النبي ﷺ فدليله واضح، وهو عذاب الأمم السابقة في دنياها مما يغني عن السؤال، وأنه معذب في قبره كذلك لقوله تعالى: ﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾[غافر: 46]، فعذابهم في الدنيا يغني عن سؤالهم في قبورهم، ولكنَّ أمة محمد ﷺ يمكن أن يكون عذاب القبر كفارة لهم، فقد جاء في مجموع الفتواى: ما يحصل في القبر من الفتنة والضغطة والروعة، فإن هذا مما يكفّر به الخطايا[3].

وقال ابن تيمية أيضا أن مما يكفِّر السيئات: ما يُبتلى به المؤمن في قبره من الضغطة ، وفتنة الملَكين. والله تعالى أعلم[4].

والذي بدا لي أنَّ سؤال الملائكة في القبر خاص بهذه الأمة والله تعالى أعلم.



[1] أخرجه البخاري (3319)، ومسلم (2241) من حديثِ أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنه.

[2] أخرجه مطولًا البخاري (86) واللفظُ له، ومسلم (905) من حديثِ أسماءَ بنتِ أبي بكرٍ رَضِيَ اللهُ عنهما.

[3] مجموع الفتاوى لابن تيمية 7 / 500.

[4] منهاج السنَّة لابن تيمية (6 / 238)

﴿المطلب التاسع﴾

﴿خزنة الجنة﴾

خزنة الجنَّة:

قال الله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر: 73].

قال السَّعْديُّ: في الآياتِ دليلٌ على أنَّ النَّارَ والجنَّةَ لهما أبوابٌ تُفتَحُ وتُغلَقُ، وأنَّ لكُلٍّ منهما خَزَنةً[1].

وعن أنسٍ رَضِيَ اللهُ عنه أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ قال: {آتي بابَ الجَنَّةِ يَومَ القِيامَةِ فأسْتَفْتِحُ، فيَقولُ الخازِنُ: مَن أنْتَ؟ فأقُولُ: مُحَمَّدٌ، فيَقولُ: بكَ أُمِرْتُ لا أفْتَحُ لأحَدٍ قَبْلَكَ}[2].

قال ابنُ القَيِّمِ: الخَزَنةُ جمعُ خازنٍ، مِثلُ حَفَظةٍ وحافِظٍ، وهو المؤتمَنُ على الشَّيءِ الذي قد استحفظَه[3].

وقال المناوي: سُمِّيَ الموكَّلُ بحِفظِ الجنَّةِ خازِنًا؛ لأنَّها خِزانةُ اللهِ تعالى أعَدَّها لعبادِه... وظاهِرُه أنَّ الخازِنَ واحِدٌ، وهو غيرُ مرادٍ، بدليلِ خَبَرِ أبي هُرَيرةَ: {من أنفق زَوجينِ في سَبيلِ اللهِ دعاه خَزَنةُ الجنَّةِ كُلُّ خَزَنةِ بابٍ: هَلُمَّ}[4]، فهو صريحٌ في تعَدُّدِ الخزنة، إلَّا أنَّ رِضوانَ أعظَمُهم ومُقَدَّمُهم، وعظيمُ الرُّسُلِ إنما يتلقَّاه عظيمُ الحَفَظةِ[5].



---

[1] يُنظر: ((تفسير السعدي)) (ص: 731).

[2] أخرجه مسلم (197).

[3] يُنظر: ((حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح)) (ص: 109).

[4] أخرجه البخاري (2841)، ومسلم (1027) باختلاف يسير مطولًا.

[5] يُنظر: ((فيض القدير)) (1/ 36).

﴿المطلب العاشر﴾

﴿الكرام الكاتبين﴾

الكرام الكاتبين:

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ * كِرَامٗا كَٰتِبِينَ يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ﴾ [الإنفطار: 10 – 12].

قال السعدي: وأنتم لا بد أن تحاسبوا على ما عملتم، وقد أقام الله تعالى عليكم ملائكة كراما يكتبون أقوالكم وأفعالكم ويعلمون أفعالكم، ودخل في هذا أفعال القلوب، وأفعال الجوارح، فاللائق بكم أن تكرموهم وتجلوهم وتحترموهم[1].

وجاء عند الترمذي بسند ضعيف عن النبي ﷺ قال: إياكُم والتعرِّي ؛ فإنَّ معَكُم من لاّ يفارقُكُم إلَّا عندَ الغائطِ، وحين يُفضي الرجلُ إلى أهلهِ، فاستحْيوهم وأكرِموهم[2].



[1] ينظر: تفسير السعدي.

[2] أخرجه الترمذي (2800) وغيره

﴿المبحث الحادي عشر﴾

﴿وجوب توقير الملائكة وحبهم﴾

توقير الملائكة وحبهم:

لا شكَّ أنَّ الملائكة هم أحباب الله تعالى وصفوة خلقه، فمن أحب الله تعالى وجب عليه أن يحب الملائكة، ويوقِّرهم، فهم خلق طيبون، فطرهم الله تعالى على الطاعة وعلى الطهارة، واسمع لقول الله تعالى فيهم، ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ * رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[غافر:7-9]، **ما الذي سيجنيه الملك من غفران الله لك؟ لا شيء إلا طيبة في قلب الملك ومحبة الخير للمؤمنين، واسمع لقوله تعالى:** ﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ ۚ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ ۗ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[الشورى: 5]، **قال الطبري: يقول: ويسألون ربهم المغفرة لذنوب من في الأرض من أهل الإيمان به**[1].

نعم هم ؤلاء الملائكة الكرام، المؤمن نائم في فراشه والملائكة يستغفرون له، فاعرفوا قدرهم ووقروهم، وأحبوهم فبحبهم ينجى المسلم إن شاء الله تعالى.



[1] ينظر تفسير الطبري.

﴿المبحث الثاني عشر﴾

﴿عدم الغلو في الملائكة﴾

عدم الغلو في الملائكة:

إنَّ المسلم الشوي يجب أن يكون بين الغلو والجفاء، وكذلك أراد الله تعالى لهذه الأمة حيث قال: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾[المائدة: 143]، قال ابن كثير: والوسط هاهنا: الخيار والأجود.

وقال أيضا: الوسط: العدل، فتدعون، فتشهدون له بالبلاغ، ثم أشهد عليكم[1].

وقال الطبري: وأرى أن الله تعالى ذكره إنما وصفهم بأنهم وسط لتوسطهم في الدين فلا هم أهل غلو فيه غلو النصارى الذين غلوا بالترهب وقيلهم في عيسى ما قالوا فيه، ولا هم أهل تقصير فيه تقصير اليهود الذين بدلوا كتاب الله وقتلوا أنبياءهم وكذبوا على ربهم وكفروا به؛ ولكنهم أهل توسط واعتدال فيه[2].

ونحن وسط في الملائكة لا نغلوا فيهم حتى نجعلهم أربابا من دون الله تعالى كما فعل مشركو العرب، ولا نجحد حقَّهم فنقول هم أعداؤنا كما قالت اليهود في جبريل عليه السلام.

بل ننزلهم منازلهم التي أنزلهم الله تعالى، ونعلم يقينا أنهم ساداتنا، وأنَّ الله اجتباهم ليس ظلما لغيرهم بل بعلمه السابق وأنهم خير خلقه فاصطفاهم ليكونوا ملائكته، كما اصطفى من البشر رسلا.

ونحب كل الملائكة ونوقرهم، ولا ندعوهم ولا نرجوهم، ولا نصرف لهم شيئا من العبادة، فإنهم من هذه الحيثية عباد مثلنا لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا، فضلا لغيرهم، كما نؤمن أنَّ جبريل سيد الملائكة، وأن مقامه عند الله تعالى عال، وقد أكثر الله تعالى مدحه ومدح سائر الملائكة في كتابه كما أسلفنا وكتبنا ذلك في طيات هذا الكتاب، فمن استهزأ بواحد منهم فقد كفر، ومن عاد واحدا منهم فقد كفر، ومن لم يؤمن بواحد منهم فقد كفر، ومن وقَّرهم وأحبَّهم وأنزلهم منازلهم الحقن فقد نجا إن شاء الله تعالى.

---

[1] ينظر: تفسير ابن كثير.

[2] ينظر: تفسير الطبري.

﴿المبحث الثالث عشر﴾

﴿موت الملائكة﴾

موت الملائكة:

من عقيدةِ أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ؛ أنَّ اللهَ عَزَّ وجَلَّ قد كتب على جميعِ الأحياءِ الموتَ، وتفَرَّد وَحْدَه بالبقاءِ، وعلى هذا فهُم يؤمِنون بأنَّ المَلائِكةَ عليهم السَّلامُ يجوز عليهم الموتُ، واللهُ قادِرٌ على ذلك[1].

قال اللهُ عَزَّ وجَلَّ: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: 26 – 27].

قال ابنُ كثير: يخبِرُ تعالى أنَّ جميعَ أهلِ الأرضِ سيَذهَبون ويموتون أجمَعون، وكذلك أهلُ السَّمَواتِ، إلَّا من شاء اللهُ، ولا يبقى أحَدٌ سِوى وَجْهِه الكريمِ؛ فإنَّ الرَّبَّ تعالى وتقَدَّسَ لا يموتُ، بل هو الحيُّ الذي لا يموتُ أبدًا[2].

أخرج ابن المنذر عن ابن جريج رضي الله عنه قال: لما نزلت ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن: 26]، **قالت الملائكة: هلك أهل الأرض، فلما نزلت:** ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عمران: 18]، **قالت الملائكة: هلك كل نفس، فلما نزلت:** ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: 88]، **قالت الملائكة: هلك أهل السماء وأهل الأرض[3].**

قال الحليمي: الإيمانُ بالمَلائِكةِ ينتَظِمُ معانيَ –وذكر منها–: إنزالَهم منازِلَهم، وإثباتَ أنَّهم عِبادُ اللهِ وخَلْقُه، كالإنسِ والجِنِّ، مأمورون مُكَلَّفون، لا يَقدِرون إلَّا على ما يُقدِرُهم اللهُ تعالى عليه، والموتُ جائِزٌ عليهم[4].

---

[1] يُنظر: ((مجموع الفتاوى)) (4/259).

[2] يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (7/ 494).

[3] تفسير الدر المنثور في التفسير بالمأثور/ السيوطي 88/22.

[4] يُنظر: ((المنهاج في شعب الإيمان)) (1/ 302).

وقال عبدُ القاهِرِ البغداديُّ: أجمعوا أيضًا على جوازِ الفَناءِ على العالمِ كُلِّه من طريقِ القُدرةِ والإمكانِ، وإنما قالوا بتأبيدِ الجنَّةِ ونعيمِها، وتأبيدِ جَهنَّمَ وعَذابِها من طريقِ الشَّرعِ[1].

وقد سُئل ابنُ تَيمِيَّةَ: هل جميعُ الخَلقِ حتى المَلائِكةُ يموتون؟

فأجاب: الذي عليه أكثَرُ النَّاسِ أنَّ جميعَ الخَلقِ يموتون حتى المَلائِكةَ، والمُسلِمون واليهودُ والنَّصارى مُتَّفِقون على إمكانِ ذلك، وقُدرةِ اللهِ عليه[2].

وقال السيوطيُّ: (**سُئِلْتُ: هل تموتُ المَلائِكةُ بنَفْخةِ الصَّعقِ ويَحْيَون بنفخةِ البَعثِ؟ والجوابُ: نعم[3].**

وهذا الأمر لا يحتاج كبير استدلال ولا بحث ف ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: 26 – 27].

كما نعلم أنَّ موتة الملائكة هي موتة المحسنين من الأنبياء والمرسلين، فلا يتألمون عند موتهم إن شاء الله تعالى، لعدم لزوم ذلك، فمن البشر من يشتد عليه الموت كي يكفر عن سيئاته، وما من سيئات للملائكة كي يشدد عليهم في الموت، فهم عباد مكرمون والله أعلم.

﴿انتهى الفصل الثاني الإيمان بالملائكة﴾



---

[1] يُنظر: ((الفرق بين الفرق)) (ص: 319).

[2] يُنظر: ((مجموع الفتاوى)) (259/4).

[3] يُنظر: ((الحبائك في أخبار الملائك)) (ص: 272).


الفصل الثالث
الإيمان بالكتب

﴾الفصل الثالث﴿

﴾الإيمان بالكتب﴿

﴾المبحث الأول﴿

﴾التعريف بالكتب﴿

الكتب في اللغة: جمع كتاب بمعنى مكتوب، مثل فراش بمعنى مفروش، وإله بمعنى مألوه، وغراس بمعنى مغروس.

ومادة (كتب) تدور حول الجمع والضم، وسمي الكاتب كاتباً؛ لأنه يجمع الحروف ويضم بعضها إلى بعض[1].

ومنه الكتيبة من الجيش سميت كتيبةً؛ لاجتماعها، وانضمام بعضها إلى بعض، ومنه تسمية الخياط كاتباً؛ لأنه يجمع أطراف الثوب إلى بعض، كما في مقامات الحريري، حيث قال ملغزاً:

وكاتبين وما خطت أناملهم * حرفاً ولا قرأوا ما خط في الكتب

ويَقْصدُ بهم الخياطين[2].

والكتاب في الأصل اسم للصحيفة مع المكتوب فيها كما في قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ﴾ [النساء: 153] يعني صحيفة مكتوبا فيها.

والمراد بالكتب هنا: الكتب والصحف التي حوت كلام الله تعالى الذي أوحاه إلى رسله عليهم السلام، سواء ما ألقاه مكتوباً كالتوراة، أو أنزله عن طريق الملك مشافهة فكتب بعد ذلك كسائر الكتب[3].



---

[1] ينظر: الموسوعة العقدية لمجموعة من المؤلفين 327/3.

[2] رسائل في العقيدة لمحمد إبراهيم الحمد – ص: 280.

[3] أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة لنخبة من العلماء – ص: 127.

﴿المطلب الأول﴾

﴿كيف نؤمن بالكتب﴾

معنى الإيمان بالكتب، هو: التصديق الجازم بأن كلها منزلة من عند الله عز وجل على رسله إلى عباده بالحق المبين والهدى المستبين، وأنها كلام الله عز وجل لا كلام غيره، وأن الله تعالى: تكلم بها حقيقة كما شاء وعلى الوجه الذي أراد، فمنها المسموع منه من وراء حجاب بدون واسطة، ومنها ما يسمعه الرسول المَلَكي ويأمره بتبليغه منه إلى الرسول البشري، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾[الشورى: 51] **وقال تعالى:** ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً﴾[النساء: 164]، ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾[الأعراف: 143]، **وقال تعالى:** ﴿يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاتِي وَبِكَلامِي﴾[الأعراف: 144]، **وقال تعالى:** ﴿فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾[النجم: 10]، **ومنها ما خطه بيده عز وجل كما قال تعالى:** ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾[الأعراف: 145]

والإيمان بكل ما فيها من الشرائع وأنه كان واجباً على الأمم الذين نزلت إليهم الصحف الأولى الانقياد لها والحكم بما فيها كما قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلاً وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ * وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنفَ بِالْأَنفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الإِنْجِيلَ فِيهِ

هُدىً وَنُورٌ وَمُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدىً وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ * وَلْيَحْكُمْ أهل الإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ * وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾[المائدة: 45 – 49].

ونؤمن أن جميعها يصدق بعضها بعضاً لا يكذبه كما قال تعالى: في الإنجيل ﴿مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ﴾[المائدة: 46]، **وقال في القرآن** ﴿مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ﴾[المائدة: 48]، **وإن كل من كذب بشيء منها أو أبى عن الانقياد لها مع تعلق خطابه يكفر بذلك، كما قال تعالى:** ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾[الأعراف: 40].

ونؤمن أنَّ الكتب تنسخ بعضها، أي: أَنَّ نسخ الكتب الأولى بعضها ببعض حق كما نسخ بعض شرائع التوراة بالإنجيل قال الله تعالى: في عيسى عليه السلام ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرائيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ – إلى قوله – وَمُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾[آل عمران: 48 – 50]، **وكما نسخ كثير من شرائع التوراة والإنجيل القرآن كما قال تعالى:** ﴿عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ

وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً ﴾[الأعراف: 156 – 158]، **وأَنَّ نسخ القرآن بعض آياته ببعض حَقٌّ كما قال تعالى:** ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا ﴾[البقرة: 106]، **وقال تعالى:** ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴾[النحل: 101]، **وكما قال تعالى:** ﴿الآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾[الأنفال: 66]، **بعد قوله:** ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفاً مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾[الأنفال: 65]، **والناسخ والمنسوخ آيات مشهورات مذكورات في مواضعها من كتب التفسير وغيرها.**

ونؤمن أنه لن يأتي كتاب بعد القرآن ولا مغير ولا مبدِّل لشيء من شرائعه بعده، وأنه ليس لأحد الخروج عن شيء من أحكامه، وأنه مهيمن على الكتب التي قبله، وأَنَّ من كذب بشيء منه من الأمم الأولى فقد كذب بكتابه، كما أَنَّ مَنْ كذب بما أخبر عنه القرآن من الكتب فقد كذب به، وأَنَّ من اتَّبَعَ غير سبيله ولم يقتفِ أثره ضل السبيل، وليعلم أنَّ كتاب القرآن نسخ كل الكتب السماوية، قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾[المائدة: 48]، **عن ابن عباس: (ومهيمنا) أي: حاكما على ما قبله من الكتب[1].اهـ**

فما وافق القرآن فهو صحيح وإلا فهو منسوخ بالقرآن.

---

[1] ينظر: تفسير ابن كثير.

كما نؤمن أنَّ بيان القرآن هو السنَّة، لا بيان للقرآن غير السنة والله تعالى يقول: ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل: 44] .

ونؤمن أنَّ القرآن فيه آيات محكمات هنَّ أم الكتاب، وأخر متشابهات، فنرد المتشابه على المحكم حال التشابه فيزول.

ونؤمن أنه لا تعارض في كلام الله تعالى ولا كلام رسوله ﷺ، ولكن التعارض في عقل السامع.

ونؤمن بوجوب اتِّباع أحكام القرآن المبيَّنة بالسنَّة، كصفة الصلاة ومقدار الزكاة وصفة الوضوء والحج والغسل وغيره، فما السنة إلا بيان للقرآن.

كذلك يجب أن نؤمن بكتب الله عز وجل إجمالاً فيما أجمل وتفصيلاً فيما فصل، فقد سمى الله تعالى: من كتبه التوراة على موسى، والإنجيل على عيسى، والزبور على داود، في قوله تعالى: ﴿ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُوراً ﴾ [النساء: 163]، **والقرآن على محمد ﷺ، وذكر صحف إبراهيم وموسى، وقد أخبر تعالى: عن التنْزيل على رسله مجملاً في قوله:** ﴿ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ ﴾ [النساء: 136]، **وَقال تعالى:** ﴿ قُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ ﴾ [الشورى: 156]، **فنقول كما أمرنا ربنا عز وجل: آمنا بما أنزل الله من كتاب وما أرسل من رسول، قال تعالى: في القرآن والسنة** ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ [الحشر: 7][1]، **ولا يجوز التحاكم إلى الكتب السابقة، فالتحاكم لا يكون إلا في القرآن.**

كما نؤمن أنَّ كل الكتب السابقة لحقها التحريف، فلا يجوز العمل بها.

كما نؤمن أنَّ القرآن كافٍ وهو تبيان لكل شيء، قال تعالى: ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴾ [الأنعام: 38]، **وقال تعالى:** ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل: 89]، **فهذا الكتاب تام كامل شامل لا يحتاج المسلم غيره، وهو مصحح لما**

---

[1] معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول لحافظ بن أحمد الحكمي – ص **826**.

قبله من الكتب، وحتى إن صححت لا يجوز العمل بها لأنه نسخت بهذا الكتاب الذي تلاوته عبادة، وتدبره عبادة، والعمل به عبادة، ولا يكون هذا في كتاب غير هذا الكتاب والله أعلم. كذلك نؤمن أنَّ القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق، خلافا لما زعمه المعتزلة وغيرهم.



﴿ المطلب الثاني ﴾

﴿ القرآن ﴾

﴿ المسألة الأولى ﴾

﴿ تعريف القرآن ﴾

القرآن لغة:

بالرُّجوعِ إلى معاجِمِ اللغة والتَّفاسيرِ التي تهتمُّ بمعاني القرآنِ، تبيَّن أن هناك قولينِ في تعريف القرآن لغة:

الأوَّل: أن القرآنَ اسمٌ عَلَمٌ على كتابِ الله ليس مشتقًّا.

الثاني: أنه مشتقٌّ من فعلٍ مَهْموز؛ وهو: "قرأ، اقرأ"، ويَعْني: تفهَّم، تفقَّه، تدبَّر، تعلَّم، تتبَّع، وقيل: تنسَّك، تعبَّد، وقيل: "اقرأ": تحمَّل؛ فالعربُ تقول: ما قرأَتْ هذه النَّاقَة فيبطنها سلا قطُّ؛ أي: ما حملت جنينا قط[1].

والقرآن: مصدر؛ كغفر غفرانا، وكفر كفرانا، وقرأ قرآنا، وهو بمعنى الجمع، قال ابن الأثير: وسمي القرآن قرآنا؛ لأنَّه جمع القصص، والأمر والنهي، وال وعد والوعيد، والآيات والسور بعضها بعضا[2].

من أسماء القرن:

إنَّ أسماء القرآن كثيرة، وقد أوصلها بعضهم إلى خمسين اسما، وهذا ليس بغريب فالقرآن عظيم، وكثرة الأسماء دليل على عظمة المسمى، ألم ترى أنَّ العرب لمَّا وقَّروا الأسد سموه بأكثر من ثلاثة مائة اسم، منهم: الحيدر، والحارث، والغضنفر، والضمضم، والعابس، ورهيْص، وشدقم، وعثمثم، وغيره...

وكذلك لمَّا عظَّموا السيف سموه بأسماء كثيرة منها: الحسام، والصارم، والصمصام، والبراق، وغيره...

---

[1] ينظر: لسان العرب.

[2] النهاية في غريب الحديث لابن الأثير 30/4.

قال القرطبي: وكل ما عظم شأنه تعدَّدت صفاته وكثرت أسماؤه، وهذا جميع كلام العرب، إلَ ترى أنَّ السيف لما عظم عندهم موضعه وتأكد نفعه لديهم وموقعه، جمعوا له خمسمائة اسم وله نظائر[1].

فكذلك سمَّى الله تعالى القرآن العظيم بأسماء، ونعته بنعوت، كثيرة، هذا لعظيم شأن القرآن، فمن تلك الأسماء:

1 – الكتاب: من قوله تعالى: ﴿حم * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾[الدّخان: 1 – 2].

2 – الفرقان: من قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾[الفرقان: 1].

3 – الذكر: من قوله تعالى: {هَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُم لَهُ مُنْكِرونَ}[الأنبياء: 50].

4 – كلام الله: من قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللهِ﴾[التوبة: 6].

5 – القرآن: من قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ﴾[البقرة: 185].

6 – التنزيل: من قوله تعالى: ﴿وإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ العَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ﴾[الشعراء: 192 – 193].

7 – الحديث: لقوله تعالى: ﴿اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الحَدِيثِ﴾[الزمر: 23].

ومن ذلك أيضا: الحكم، والحكمة، والفصل، وغير ذلك من الأسماء...

وأمَّا ما ذكره الله تعالى من نعوت كلامه المنزل على النبي ﷺ فهو:

هدى، وشفاء، ورحمة، ومزعظة، وبشرى، ونذير، وبيان، وروح، ونور، ومبين، وغير ذلك من الصفات الدالة على عظمته ومنزلته ورفيع قدره[2].

---

[1] التذكرة بأحوال الموتى للقرطبي **544/1**.

[2] ينظر: الخلاصة في علم الأصول من حد الفقه الجزء الأول ص **421**.

القرآن اصطلاحا:

تعددت تعريفات القرآن في الاصطلاح، نذكر منها:

1 – كلام الله المنزل على نبيه محمد ﷺ، المعجز بلفظه ومعناه، المتعبد بتلاوته، المنقول إلينا بالتواتر، المكتوب في المصاحف من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة الناس.

2 – كلام الله تعالى المنزل على نبيه محمد ﷺ بلفظه العربي، المتعبد بتلاوته، المنقول إلينا بالتواتر المكتوب في المصاحف.

3 – هو الكتاب العربي المنزل على محمد ﷺ، المكتوب في المصاحف، المبتدأِ بالبسملة فسورة الفاتحة، والمختتم بسورة الناس.

ونحن نجمع هذه التعريفات وغيرها في تعريف واحد جامع مانع:

القرآن هو كلام الله تعالى المنزَّل بواسطة أمين الوحي جبريل ﷺ، على نبينا محمد ﷺ، بلفظه العربي، المعجز بلفظه ومعناه، المتعبد بتلاوته.

وأما قولهم المكتوب في المصاحف، فهي زيادة غير مطردة ولا منعكسة، فالقرآن قرآن ولو لم يكن مكتوبا في المصاحف.

كذا قولهم المنقول إلينا بالتواتر، والمراد بالمتواتر ليس الذي وضعه المتكلمة، بل هو ما اشتهر عند أهل العلم واتفقوا عليه، وقد تحدثنا عن محدثة اللفظ المتواتر في كتابي المنة في بيان مفهوم السنة، مما يخرج به القارئ ألا تواتر في الإسلام من بابه.

شرح التعريف:

فقولنا: كلام الله تعالى: ليخرج به غير كلام الله تعالى، من الإنس والجن، ويخرج به كلام الرسل سواء من الملائكة كجبريل ﷺ، أو الإنس ككلام نبينا محمد ﷺ.

كما أنَّ لفظه ومعناه من عند الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللهِ﴾ [التوبة: 6]، وهذا إثبات على أنَّ القرآن كلام الله تعالى، وينفي كلام المبطلين الذين ينفون صفة الكلام عن الله تعالى

قال الشيخ ابن تيميَّة رحمه الله تعالى: الصواب الذي عليه سلف الأمَّة كالإمام أحمد والبخاري ... وغيره، وسائر الأئمَّة قبلهم وبعدهم أتباع النصوص الثابتة، وإجماع سلف الأمَّة، وهو أنَّ القرآن جميعه كلام الله تعالى، حروفه ومعانيه، وليس شيء في ذلك كلاما لغيره[1].

وقولنا: المنزَّل: خرج به كلام الله تعالى الذي استأثر به سبحانه وتعالى، كما قال تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف: 109].

التنزيل على ثلاثة مراحل:

1 – ثبوته في اللوح المحفوظ، قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾ [البروج: 21 – 22].

2 – نزوله جملة واحدة في ليلة القدر، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: 1]، وقوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ [البقرة: 185].

3 – نزولُه مُنجَّما مُفرَّقا قِطعا قِطعا في ثلاثةٍ وعشرين عاما، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ [الفرقان: 32]، وقوله تعالى: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ [الإسراء: 106].

وقولنا: المنزَّل بواسطة أمين الوحي جبريل ﷺ على نبيِّنا محمد ﷺ: أي نزل به جبريل ﷺ على قلب إمام المرسلين محمد ﷺ، كما قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: 97][2].

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ [الشعراء: 192 – 193].

قال ابن حجر: المنقول عن السلف اتفاقهم على أنَّ القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق، تلقَّاه

[1] مجموع الفتاوى 343/12.
[2] شرح الكوكب المنير 8/2 بتصرف.

جبريل عن الله تعالى، وبلَّغه جبريل إلى محمد عليه الصلاة والسلام وبلغه أمته[1].

وخرج بهذا القيد ما أنزله الله تعالى على غير رسول الله ﷺ من الأنبياء فلا يسمى قرآنا؛ كتوراة موسى، وإنجيل عيسى، وزبور داود، وصحف إبراهيم[2].

وقولنا: بلفظه العربي: أي أنَّ القرآن نزل كلُّه بلفظ ولسان عربيٍّ.

قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ [إبراهيم: 4].

وقال تعالى: ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ [الشعراء: 195].

وقال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ﴾ [الرعد: 37].

وقال تعالى: ﴿ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [الزمر: 28].

قال الشافعي رحمه الله تعالى: فأقام حجته بأنَّ كتابه عربيٌّ في كل آية ذكرنها، ثمَّ أكَّد ذلك بأن نفى عنه جلَّ ثناؤه كلَّ لسان غير لسان العرب في آيتين من كتابه، فقال تبارك وتعالى:

﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴾ [النحل: 103].

وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ﴾ [فصلت: 44][3].

وخرج بهذا القيد أمران:

الأول: أنَّ ما تُرجم من القرآن لغير لغة العرب، لَا يسمى قرآنا، وإنَّما يُسمَّى معاني القرآن.

الثاني: أنَّ الكتب السماوية غير القرآن؛ فإنَّها نزلت بغير اللغة العربية[4].

وقولنا: المعجز بلفظه ومعناه: والمعجزة فعلٌ من أفعالِ الله تعالى الخارقةِ، يُجْريه الله تعالى على يدِ مُدَّعٍ للنبوة حالَ دعواه تصديقا لدعْوته؛ والقرآن الكريم هو المعجزة التي أيَّد الله تعالى بها نبيَّه ﷺ، وتحدَّى به أرباب الفصاحة والبيان، بل جميع بني الإنسان، بل حتَّى لو ظاهرهم عليه

---

[1] فتح الباري 164/13.

[2] ينظر: التحبير شرح التحرير للماو ردي 1240/3.

3 الرسالة للشافعي ص 34.

4 إرشاد الفحول للشوكاني 85/1.

الجان، أن يأتوا بمثله فقال تعالى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: 88].

وتحداهم بعشر سور فقال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [هود: 13].

وتحداهم بسورة واحدة فقال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [يونس: 38].

ولا يزال التحدي قائما إلى الآن، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۞ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا﴾ [البقرة: 23 – 24].

وما سبق كان إعجازا باللفظ فقط؛ حيث عجزوا على أن يأتوا بألفاظ من مثله، والحال أنه نزل بلغتهم، وهم أهل اللغة والفصاحة.

ثمَّ كان الإعجاز في معانيه: حيث حارت العقول في بلاغته، من بيانه وبديعه، فحارت العقول في استنباط شيء من مثل معانيه.

وعن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: خرجنا من قومنا غِفار، وكانوا يُحلُّون الشهر الحرام، فخرجتُ أنا وأخي أُنيْس وأمُّنا،... فقالَ أُنَيْسٌ: إنَّ لي حَاجَةً بمَكَّةَ فَاكْفِنِي، فَانْطَلَقَ أُنَيْسٌ حتَّى أَتَى مَكَّةَ، فَرَاثَ عَلَيَّ، ثُمَّ جَاءَ فَقُلْتُ: ما صَنَعْتَ؟ قالَ: لَقِيتُ رَجُلًا بمَكَّةَ على دِينِكَ، يَزْعُمُ أنَّ اللَّهَ أَرْسَلَهُ، قُلتُ: فَما يقولُ النَّاسُ؟ قالَ: يقولونَ: شَاعِرٌ، كَاهِنٌ، سَاحِرٌ، وَكانَ أُنَيْسٌ أَحَدَ الشُّعَرَاءِ. قالَ أُنَيْسٌ: لقَدْ سَمِعْتُ قَوْلَ الكَهَنَةِ، فَما هو بقَوْلِهِمْ، وَلقَدْ وَضَعْتُ قَوْلَهُ على أَقْرَاءِ الشِّعْرِ، فَما يَلْتَئِمُ على لِسَانِ أَحَدٍ بَعْدِي أنَّهُ شِعْرٌ، وَاللَّهِ إنَّه لَصَادِقٌ، وإنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ...ثمَّ ذكر قصَّة إسلامه[1].

[1] جزء من حديث طويل أخرجه مسلم **2473**.

﴿المسألة الثانية﴾

﴿أنواع الإعجاز القرآني﴾

أنواع الإعجاز في القرآن أربعة:

الأول: الإعجاز اللغوي:

وهذا النوع هو أبرز ما تحدَّى به القرآن العرب في حياة النبي ﷺ، وهو التحدي في أبرز خصائصهم، فمع أنَّه بلسانهم، وأتى بما لَا يخرج عن وجوه فصاحتهم وأساليب بيانهم، وهم يومئذ في الذِّروة في ذلك نثرا ونظما، لكنَّهم عجزوا عن معارضته ولو بسورة من مثله، فصاروا يتخبَّطون؛ فتارة يقولون: هو شعر، وتارة يقولون: قول كاهن، وتارة: أساطير الأوَّلين، لَا يثبتون على شيء؛ لأنهم يعلمون أنَّه ليس كما يقولون، وما كان لهم أن يغفلوا عن صفة الشعر ولَا صيغة النثر، وهم أهل ذلك وعباقرته، وقد قدَّمنا آيات التحدي في الباب[1].

الثاني: الإعجاز الإخباري:

وهذا هو الإعجاز فيما تضمَّنه القرآن من الأنباء، وهو أربعة أشياء:

أولها: الإخبار عن الغيب المطلق: كالخبر عن الله عزَّ وجلَّ وأسمائه وصفاته، وملائكته، وصفة الجنَّة والنَّار.

وقد أتى القرآن في هذا الأمر بما لَا يُدركه بشره من تلقاء نفسه، إذ طريقه لَا يكون من جهة العقول، إنما طريقه السمعُ.

وثانيها: الإخبار عن الأمور السابقة: كالخبر عن بدء الخلق، وعن الأمم السالفة، وقد قص عليهم القرآن من ذلك عجبا، وأتى من الأنباء بما لم يملك المنصفون من أهل الكتاب والعلم إلَّا تصديقه، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّه مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ﴾[الأنعام: 114].

[1] ينظر: المقدمات الأساسية في عوم القرآن للجديع 21.

وقال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [يوسف: 3].

فاحتارت عقول أهل الكتاب وأهل العلم في القصص إذ لَا يعلمها إلَّا الرهبان والأحبار، فأتى بها القرآن، بل زاد أكثر من ذلك بأن صحح أخبارهم التي حرَّفوا منها، فقصَّ الله تعالى قصَّة نوح ثم قال لنبيِّه ﷺ: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا﴾ [هود: 49].

وفصَّل قصَّة يوسف، ثم قال سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ [يوسف: 102].

وكذلك ذكر طَرَفا من نبأِ موسى، ومريم، وغيرهم، فما أعظمها من منَّة يمتن الله عزَّ وجلَّ بها على نبيِّه ﷺ وما أعظمها من معجزة خرقت جميع قوانين الخلق فقومه صلى الله عليه وسلم يعرفون أمِّيته، ولم يعرفوه بمجالسة معلم، ثمَّ يظهر للناس بما لَا طاقة لهم بمثله[1].

وثالثها: الإخبار عمَّا يكون في المستقبل: كما في قوله تعالى: ﴿الم * غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الروم: 1 – 5].

وقد صحَّت الرواية بتحقُّق ما أخبرت به هذه الآيات عن غير واحد من أصحاب النبي ﷺ[2].

ومن ذلك حديث نيار بنِ مُكْرِمٍ الأسلمي قال: لمَّا نزلت ﴿الم * غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾ [الروم: 1 – 4].

[1] ينظر: المقدمات الأساسية في عوم القرآن للجديع **25** بتصرف.

[2] ينظر: المقدمات الأساسية في عوم القرآن للجديع **26**، وينظر صحيح الترمذي حديث رقم **3194**.

فكانت فارس يوم نزلت هذه الآية قاهرين للرُّوم، وكان المسلمون يحبُّون ظهور الرُّوم عليهم؛ لأنَّهم وإيَّاهم أهل كتابٍ، وفي ذلك قول الله تعالى: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الروم: 4 – 5].

فكانت قريش تحبُّ ظهور فارس؛ لأنَّهم وإيَّاهم ليسوا بأهل كتاب ولَا إيمان ببعث، فلمَّا أنزل الله تعالى هذه الآية، خرج أبو بكر الصدِّيق يصيح في نواحي مكَّة: ﴿الم * غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾ [الروم: 1 – 4]، قال ناس من قريش لأبي بكر: فذلك بيننا وبينكم، زعم صاحبكم أنَّ الرُّوم ستغلب فارسا في بضع سنين، أفلا نُراهنكم في ذلك؟ قال: بلى، وذلك قبل تحريم الرِّهان، فارتهن أبو بكر والمشركون وتواضعوا الرهان، وقالوا لأبي بكر: كم تجعل البضع ثلاث سنين إلى تسع سنين، فسمِّ بيننا وبينك وسطا تنتهي إليه، قال: فسمُّوا بينهم ستَّ سنين، قال: فمضت الستُّ سنينَ قبل أن يظهروا، فأخذ المشركون رهن أبي بكر، فلمَّا دخلت السنة السابعة ظهرت الرُّوم على فارس، فعاب المسلمون على أبي بكر تسمية ست سنين؛ لأنَّ الله تعالى قال: {فِي بِضْعِ سِنِينَ}، قال: وأسلم عند ذلك ناس كثير[1].

وكذلك ما تضمَّنه القرآن من الإخبار عن أشراط الساعة، والبعث بعد الموت وغيرها، بما لَا سبيل للبشر إلى معرفته إلَّا بوحي الله تعالى، مع تيقنهم أنَّ النبيَّ ﷺ صادق بطبعه، فالصدق عنده سجيَّة.

ورابعها: الإخبار عمَّا تكنُّهُ النفوس وتُخفيه الضمائرُ: ممَّا لَا يمكن أن يعلمه إلَّا الله تعالى، ولَا يصل إلى علم النبي ﷺ إلَّا بوحي الله تعالى، من ذلك سورة التوبة في ذكر أسرار المنافقين، حتى خاف الناس أن ينزل القرآن بأسمائهم يُظهر حقائق ما في نفوسهم.

كما قال سعيد بن جبير: قلت لابن عباس: سورة التوبة، قال: التَّوبة؟ قال: بل هي الفاضحة، ما زالت تنزل: "وَمِنْهُمْ"، "وَمِنْهُمْ"، حتى ظنُّوا أن لَا يبقى منَّا أحد إلا وذكر فيها[2].

---

[1] صحيح لغيره أخرجه الترمذي **3194**، من طريق نيار بن مُكرم الأسلمي، ومن طريق ابن عباس **3193**.

[2] أخرجه البخاري **4600**، ومسلم **3031**.

الثالث: الإعجاز التشريعي:

ويكمن فيما أودع الله تعالى في كتابه من القوانين التي تشهد في استقامته وعدلها وصلاحها لكلِّ زمان ومكان أنَّها من عند الله تعالى، وأنَّ لَا طاق لمخلوق أن يوجدوا لها نظيرا، مهما بلغت عقولهم، كتشريع الاقتصاد الإسلامي، فيشهد الحاضر بعجز الخلق على تشريع كتشريع الله تعالى في هذا الباب وفي غيره، حيث رجعت دول من غير المسلمين إلى الَقتصاد الإسلامي لمَّا أصابها من العجز الاقتصادي ما أصاب، فلم تجد النجاة إلَّا في هذا الاقتصاد، وما توصَّلت عقولهم إلى هذا البرنامج قبلا ولم يخطر ببالهم أصلا، فلو كان من عندي غير الله تعالى لما صحَّ في العقول أن يكون هو الحق المطلق، أو يكون أحسن قانونا وتشريعا، مهما رجَحت عقولُ مُقَنِّنيه، فإنَّه ما من قوم إلَّا ولهم من الشرائع والقوانين ما يُسيِّرون به شؤون حياتهم، فلا يفتأون يغيِّرون ويصلحون فيها، ألم ترَ أنَّهم يُغيِّرون قوانيهم، على حسب الأماكن والأزمان والأشخاص، ولو وصفوا قانونهم بأنه الحق المطلق، لتعذَّر عليهم تبديله والاستدراك عليه، وإنَّما هذه أوصافٌ لَ تكون إلَّا لما هو خارجٌ عن قدرات المخلوقين.

وهذا غيض من فيض من إعجاز القرآن في التشريع.

ويكفي قول الله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾[المائدة: 50].

الرابع: الإعجاز العلمي:

وذلك فيما بيَّن الله تعالى في هذا الكتاب ودلَّ عليه من الآيات في السماوات والأرض والأنفس، ممَّا لم يكن ليحيط به علم بشر في عهد النبي ﷺ من تلقاء نفسه، وما زال الناس يكتشفون أسرراه في الكون، والقرآن قد سبق به منذ دهر بعيد تصريحا وتلويحا، وكان يتلوه نبي أمي ﷺ لم يدرس شيئا، لَا علم الفضاء، ولَا البيئة، ولَا البحار، وطبقات الأرض، ولَا الأجنَّة، ليُنبئ العالم أنَّه رسول ربِّ العالمين، وأنَّ هذا القرآن من علم الله تعالى الذي أحاط بكلِّ شيء علما[1].

---

[1] ينظر: المقدمات الأساسية في عوم القرآن للجديع 29 – 30 – 31.،

فتأمل مثاله في الأنفس في قول الله تعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا * وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾[نوح: 13 – 14].

ثمَّ تأمَّل تفسير تلك الأطوار في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾[المؤمنون: 12 – 13 – 14].

أَوَهَلْ يقبل منصف إنكار هذا، وقد أتى به رجل أميٌّ في قريش قبل خمسة عشر قرنا؟ وما زال العلم الحديث، يُظهر للناس عجائب خلق الله تعالى، فكلَّما اكتشفوا شيئا، ظهرَ أنَّ القرآن تحدَّث عنه قبل دهر من الزمان، فالحمد لله على نعمة الإسلام.

وما زلنا مع شرح تعريف القرآن، فقولنا: المتعبَّد بتلاوته: أي الذي تعبَّدنا الله تعالى بتلاوته، فتلاوته عبادة مطلوبة يثاب فاعلها[1]، فمن قرأ منه حرفا له عشر حسنات، والنبي ﷺ يقول: {من قرأ حرفًا من كتابِ اللهِ فله به حسنةٌ، والحسنةُ بعشرِ أمثالِها لا أقولُ (الم) حرفٌ ولكنْ (ألفٌ) حرفٌ و(لامٌ) حرفٌ و(ميمٌ) حرفٌ}[2].

كما لَ تصحُّ الصلاة إلَّا بتلاوة القرآن، قال رسول الله ﷺ: {لا صلاةَ لمن لم يقرأ بفاتحةِ الكتابِ}[3].

وخرج بهذا القيد الآياتُ منسوخة اللفظ، سواء بقي حكمها أو لَا؛ لأنَّها صارت بعد النسخ غير قرآن، لسقوط التعبد بتلاوتها، فلا تعطى حكم القرآن في التلاوة، مع وجوب العمل بها، كنسخ آيات الرجم لفظا مع بقائها حكما[4].

قال القاضي عياض: اعلم أنَّ مِن استخفَّ بالقرآن أوِ المصحفِ أو بشيء منه، أو سبَّهما، أو جحده، أو حرفا منه أو آية، أو كذَّب به، أو بشيء منه، أو بشيء ممَّا صرَّح به فيه من حكم

---

[1] ينظر: الأصل الجامع للسنَّاوي 45/1.

[2] أخرجه الترمذي (2910) واللفظ له، وأبو نعيم في ((حلية الأولياء)) (263/6)، والبيهقي في ((شعب الإيمان)) (1983) باختلاف يسير.

[3] رواه البخاري 756.

[4] ينظر: البحر المحيط في أصول الفقه للزركشي، 178/2، وشرح الكوكب المنير 8/2.

أو خبر، أو أثبت ما نفاه، أو نفى ما أثبته على علم منه بذلك، أو شكَّ في شيء من ذلك، فهو كافر عند أهل العلم بالإجماع[1].

وقال أيضا: قد أجمع المسلمون أنَّ القرآن المتلوَّ في جميع أقطار الأرض المكتوب في المصحف بأيدي المسلمين ممَّا جمعه الدفَّتان من أوَّل {الْحَمْدُ لِله رَبِّ الْعَالَمِينَ} إلى آخر {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ} أنَّه كلامُ اللهِ تعالى، ووحيه المنزَّل على نبيِّه محمَّد ﷺ، وأنَّ جميع ما فيه حق، وأمَّا من أنقص منه حرفا قاصدا لذلك، أو بدَّله بحرف آخر مكانه، أو زاد فيه حرفا ممَّا لم يشتمل عليه المصحف الذي وقع الإجماع عليه، وأجمع أنه ليس من القرآن عامدا لكل هذا أنه كافر[2].

وخرج بهذا القيد: المنسوخ تلاوته، سواء بقيت أحكامه أو لا[3].

مثل قوله تعالى: الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم[4].



---

[1] الشفاء بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض 304/2.

[2] السابق: 304 – 305 /2.

[3] فصول البدائع لشمس الدين الفناري 4/2.

[4] رواه الطبري في مسند عمر 873 / 2، ورواه ابن حبان في المقاصد الحسنة رقم 306 ، عن طريق العجماء الأنصارية خالة أبي أمامة بن سهل. ورواه ابن عبد البر في التهيد 92 / 23 ، ونصه قال عمر ... إِيَّاكُمْ أَنْ تَهْلِكوا عن آيةِ الرَّجْمِ، أنْ يَقولَ قائِلٌ: لَا نَجِدُ حَدَّيْنِ في كتابِ اللهِ، فقد رَجَمَ رسولُ اللهِ ﷺ، وقد رَجَمْنا، والَّذي نفْسِي بيدِه لولَ أنْ يَقولَ النَّاسُ: زادَ عُمرُ بنُ الخَطَّابِ في كِتابِ اللهِ، لَكَتَبْتُها: الشَّيْخُ والشَّيْخة فارْجُمُوهُمَا أَلْبَتَّةَ؛...

﴿المسألة الثالثة﴾

﴿الفرق بين القرآن، والحديث القدسي، والحديث النبوي﴾

من حيث الاعتقاد، أي: من حيث الأحكام التكليفية فلا فرق بين القرآن، والحديث القدسي، والحديث النبوي ليشمل السنة، فعقيدتنا فيها واحدة، وهي إن صحَّ الخبر وجب العمل.

ولكن بين الثلاثة بعض الفروق التي لا تؤثر في الأحكام إن صحَّ الخبر، وهي على ما يلي:



﴿ الفرع الأول ﴾

﴿ بعض الفروق التي بين القرآن والسنَّة ﴾

ومن أكثر الفروق اعتمادا التي بين القرآن العظيم والسنة المطهَّرة، أنَّ القرآن متعبَّد بتلاوته خلافا للسنة.

وهذا الأمر فيه نظر، فحتَّى السنَّة متعبد بتلاوتها لقوله تعالى: ﴿ وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ ﴾ [الأحزاب: 34].

وأجمع أهل الحديث أنَّ مجالس الرواية، أي رواية الحديث مأجورة بإذن الله تعالى.

كما قالوا أن القرآن معجزة بلفظه، والسنَّة معجزة بلفظها بالضرورة، لأنَّها بيان لما هو معجز بلفظه فيلزم من ذلك أن يكون المبيِّن معجزا بلفظه لا يشوبه الخطأ ولا الركاكة في الألفاظ، لقوله ﷺ: {أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الكَلِمِ}[1]، قال ابن حجر: أنه يراد بها القرآن، فإنه تقع فيه المعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة، وكذلك يقع في الأحاديث النبوية الكثير من ذلك[2].

وقال المناوي في فيض القدير: أعطيت جوامع الكلم أي ملكة أقتدر بها على إيجاز اللفظ مع سعة المعنى بنظم لطيف لا تعقيد فيه يعثر الفكر في طلبه ولا التواء يحار الذهن في فهمه[3].

وقالوا أنَّ القرآن ركن في الصلاة، إذ لا تصح الصلاة إلَّا بقراءة الفاتحة، وبه كذلك الأمر في السنَّة، فعدد الركعات، وجملة من أركان الصلاة هي من السنَّة، فلا تقبل صلاة إلَّا بها.

وقالوا أنَّ القرآن متواتر، والسنَّة فيها المتواتر وفيها غير ذلك، نعم، لكن السنَّة فيها المتواتر لفظا، والمتواتر معنى، ومن المتأخرين من قرَّر أنَّ ما اتَّفق عليه الشيخان هو متواتر حكما، ومنهم من قال: أنَّ ما رواه أحدهما أو كان على شرطهما فهو متواتر، وهو قرار جيِّد، وعلى هذا فجلُّ السنن متواترة إمَّا لفظا وإمَّا معنى وإمَّا حكما، كما أنَّ التواتر وعدمه لا يعدُّ فارقا، إذ لا يُحتاجُ له إلَّا في التَّرجيح، فمن المعلوم أنَّه إذا تعارض المتواتر والآحاد قدِّم المتواتر، ومع

---

[1] صحيح ابن حبان 6403.

[2] شرح القصيدة الميمية للآثاري للدكتور خضر موسى ص 92.

[3] فيض القدير للمناوي 615.

هذا فللَّه الحمد لا يوجد حديث صحيح آحاد خالف نصًّا قرآنيًّا، فمن هذا يتبيَّن لك ألَّا فرق بين الوحيين البتة.

وما ذكرنا هذا تقليلا من شأن القرآن العظيم، ولكن إعلاء للسنَّة المكرَّمة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام.

ويكفي أهل الحديث والسنة فضلا، دعاء رسول الله ﷺ لهم بالنضارة، حيث قال ﷺ: {نضَّرَ اللَّهُ امرأً سمِعَ مقالتي، فبلَّغَها، فرُبَّ حاملِ فِقهٍ، غيرُ فَقيهٍ، وربَّ حاملِ فِقهٍ إلى من هوَ أفقَهُ منهُ}[1].

ورحمه الله الإمام الطبري حيث قال:

عليكَ بأصحاب الحديث فإنــــهم * على نَهج للدِّين لا زال معـــلــمَا

وما الدين إلا في الحديث وأهلـــه * إذا ما دَجى الليل البهيمُ وأَظْلَـمَا

وأعلى البرايا مَن إلى السنــن اعتزَى * وأغوى البرايا مَن إلى البِدَع انْتَمَى

ومَن ترك الآثـار ضـلَّل سعــــيَه * وهل يَترُك الآثارَ من كان مُسلِـمَا[2]

وها هو العسقلاني يشكي شوقه ويقول:

هنيئا لأصحاب خير الـورى * وطوبى لأصحاب أخبــاره

أولائك فازوا بتذكيــــــره * ونحن سعدنا بتذكــــاره

وهم سبقونا لنصــــــره * وها نحن أتباع أنصـــاره

ولمَّا حرمنا لقا عينـــــه * عكفنا على حفظ آثــاره[3]



[1] صحيح رواه ابن ماجه 2498، عن جبير بن مطعم.

[2] تاريخ دمشق 52/210، لابن عساكر وعزاها بعضهم لهبة الله الشيرازي.

[3] الحطة في ذكر الصحاح الستة 35، وقواعد الحديث 310.

﴿ الفرع الثاني ﴾

﴿ الفرق بين الحديث والسنة ﴾

الحديث أعمُّ من السنَّة من حيث المفهوم، إذ أنه يزيد على السنة في تناوله لكل ما صدر عن النبي ﷺ حتى لو كان منسوخا ليس عليه العمل، ويتناول صفاته الخِلقيَّة من حيث لونه وجسمه وشعره وطوله، وصفاته الجبليَّة من حيث صحَّته ومرضه وما يميل إليه من طعام وما لا يرغب فيه، وليس المقصود من رواية هذه الأمور هو الاقتداء، فإنَّه يستحيل الاقتداء به في لونه ولا طوله ولا غير ذلك، وإنَّما المقصود من رواتها الوقوف على عصره ومعرفة النبي ﷺ حتى يصبح عصره وشخصه ومراحل سيرته على تمام الوضوح والجلاء[1].

وعلى هذا يكون تعريف الحديث هو:

ما أضيف للنبي ﷺ من قول، أو فعل، أو تقرير، أو صفة خِلقيَّة، أو خُلُقيَّة[2]، أو سيرةٍ بعد البعثة أو قبلها[3]، فكل هذا يدخل تحت حدِّ الحديث.

وأمَّا السنَّة:

فهي كلَّ ما صدر من رسول ﷺ من قول أو فعل أو تقرير، أو صفة خُلُقِيَّة.

هذا لأنَّ السنَّة محلُّها الاقتداء.

وقد وضَّح علماؤنا هذه الفروق بين السنة والحديث، فقد رُوِيَ عن ابن المهدي أنَّه قال: سفيان الثوري إمام في الحديث، وليس بإمام في السنة، والأوزاعي إمام في السنَّة، وليس بإمام في الحديث، ومالك ابن أنس إمام فيهما جميعا[4].

---

[1] الفكر المنهجي عند المحدِّثين ص 27 بتصرف.

[2] يُنظر كتب المصطلح: نزهة النظر، ومقدَّمة ابن الصلاح، وألفيَّة السيوطي، والعراقي، وتذكرة ابن الملقن، وغيرها.

[3] للمزيد يُنظر: السنة وكانتها في التشريع الإسلامي ص 66. والفكر المنهجي عند المحدِّثين للدكتور همام عبد الرَّحيم سعيد ص27– 28. وكتاب "أفي السنة شك" لأحمد بن يوسف السيد ص 12–13.

[4] تنوير الحوالك شرح موطأ مالك 1/3.

والمعنى أنَّ الثوري أكثر رواية للأخبار ومعرفة بالنقد وبالرجال، والأوزاعي أعلم بالطريقة العمليَّة من سنن الأقوال والأفعال والأخلاق، ومالك جمع بين الأمرين، بين الطريقة العملية، وبين الرواية والنقد[1].

وانسجاما مع هذا التفريق فإنَّ أخبار الجاهليَّة المرويَّة في كتب الحديث تدخل في الحديث ولا نُطلق عليها مسمَّى السنة، وكذلك الأحاديث المنسوخة، كحديث الوضوء ممَّا مسَّت النار، وهو ما صحَّ عن أبي هريرة أنه قال: قال رسول الله ﷺ: {الوضوء ممَّا مست النار ولو من ثور أقط، قال: قال له ابن عباس: يا أبا هريرة: أنتوضأ من الدهن؟ أنتوضأ من الحميم؟ فقال أبو هريرة: يا ابن أخي: إذا سمعت حديثا عن رسول الله ﷺ فلا تضرب له مثلا}[2].

فهذا الحديث في ظاهرة أنَّه سنة، وهو يفيد أنَّ من يأكل أو يشرب ممَّا طُبخ على النار؛ فإنَّه يتوضأ بعد ذلك، والسنَّة على خلاف هذا، بل هي على ما ذكره ابن عبَّاس رضي الله عنهما، قال: {أَكَلَ رسولُ اللَّهِ ﷺ كتفًا، ثمَّ مَسحَ يدَهُ بمسحٍ كانَ تحتَهُ، ثمَّ قامَ فصلَّى}[3].

وما وراه جابر رضي الله عنه قال:{كان آخِرَ الأمرَيْنِ مِن رسولِ اللهِ ﷺ تَرْكُ الوضوءِ ممَّا مسَّتِ النَّارُ}[4].

وقال أبو عيسى الترمذي: والعمل على هذا – أي ترك الوضوء ممَّا مسَّت النار – عند أكثر أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ والتَّابعين ومن بعدهم؛ مثل سفيان الثوري وابن المبارك والشافعي وأحمد وإسحاق، إذ رأوا ترك الوضوء ممَّا مسَّت النار، وهذا آخر الأمرين من رسول الله ﷺ وكأنَّ الحديث ناسخ للحديث الأوَّل: حديث الوضوء ممَّا مسَّت النار[5].

فلو تلاحظ أنَّ السنَّة المنسوخة ذُكرت في أبواب الحديث، ومع ذلك لا نُطلق عليها لفظ سنة، بل حديث.

ونخلص من هذا؛ أنَّ الحديث أعمُّ من السنَّة، فكلُّ سنَّة حديث، ولا عكس، والسنَّة هي غاية

---

[1] الفكر المنهجي عند المحدثين للدكتور همام عبد الرحيم سعيد ص 29 – 30.

[2] أخرجه الترمذي 1/144، وابن ماجه 1/92، والأقط: اللبن الجاف، والثور: القطعة منه.

[3] صحيح رواه بو داود 189.

[4] صحيح رواه النسائي 185، وأبو داود 192، وابن حبان 1134.

[5] جامع الترمذي 1/119-120.

الحديث وثمرته، ومن السنَّة ما يفيد الوجوب أو الحرمة، ومنها ما يفيد الندب أو الكراهة، ومنها ما يفيد الإباحة، وهذا مدلول السنَّة عند المحدِّثين، وعند أصوليي أهل السنَّة، وأمَّا بعض الفقهاء فإنَّ السنَّة عندهم نوع من الأحكام الشرعيَّة، وهي ما أفاد الاستحباب والندب[1]، وهذا خطأ طبعا، وهو تقليل من شأن السنَّة، فالسنَّة مستقلة بالتشريع استقلال القرآن، وهي حجَّة بذاتها، وبيان ذلك على ما يلي:

اعلم أنَّ نصوص السنَّة من حيث اتِّصالها بالأحكام الشرعية على ثلاثة أقسام:

1 – ما كان مؤيِّدا لأحكام القرآن موافقا له من حيث التفصيل والإجمال:

كأحاديث وجوب الصلاة والزكاة والحج وغيره، منه حديث: {بُنِيَ الإِسْلَامُ علَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أنْ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ وأنَّ مُحَمَّدًا رَسولُ اللَّهِ، وإقَامِ الصَّلَاةِ، وإيتَاءِ الزَّكَاةِ، والحَجِّ، وصَوْمِ رَمَضَانَ}[2]، وهذا لا خلاف فيه.

2 – ما كان مبيِّنًا لأحكام القرآن، من تفصيل المجمل، وتقييد المطلق، وتخصيص العام:

كالأحاديث التي فصَّلت أحكام الصلاة ومواقيتها وكيفيَّتها، والزَّكاة وقيمتها وغير ذلك...

3 – ما دلَّ على حكم سكت عليه القرآن، فاستقلَّت السنَّة به:

كالأحاديث التي حرمة لحوم الحمير الأهلية، والجمع بين المرأة وعمَّتها أو خالتها.

وظنَّ البعض أنَّ بعض العلماء اختلفوا في استقلال السنة بالتشريع، والصحيح أنَّه لا خلاف بين أهل العلم في ذلك، ولكن الخلاف بينهم لفظي، فمنهم من يرى أنَّ من السنَّة أحكام مستقلّةٌ بالتَّشريع لا تنطوي تحت أي نصٍّ قرآني، ومنهم من يرى أنَّها داخلة تحت نصوص القرآن بوجه من الوجوه، مع تسليمه بعدم ورود هذا الحكم في القرآن، والصَّحيح أنَّ من السنَّة ما هو مستقلٌّ استقلالا تامًّا، ولا ينطوي تحت نصوص القرآن، ويتوضَّح هذا بما تقدَّم من الدلالات على حجِّية السنَّة وأنَّها وحيٌ ثانٍ خلاف القرآن، فإن كان الأمر كذلك، فليس غريبا أن تستقلَّ السنَّة بالتشريع.

---

[1] ينظر: الفكر المنهجي عند المحدثين للدكتور همام عبد الرحيم سعيد ص 30 بتصرف.

[2] رواه البخاري 8 ومسلم 16.

قال الشوكاني: إنَّ ثبوت حجيَّة السنة المطهَّرة، واستقلالها بتشريع الأحكام ضرورة دينيَّة، ولا يُخالف في ذلك إلَّا من لا حظَّ له في الإسلام[1].



[1] إرشاد الفحول للشوكاني 1/97.

﴿الفرع الثالث﴾

﴿مرتبة السنَّة بين مصادر التَّشريع﴾

السنَّة من مصادر التشريع ولا خلاف في ذلك، ولكن ترتيب السنَّة بعد القرآن، هل هذا ترتيب للمصدر، أم ترتيب في الذكر والشرف؟

الصحيح أنَّه لا يؤخذ من قول العلماء: "القرآن ثم السنَّة" أنَّ السنَّة متأخرة في مصدريتها عن القرآن الكريم، بل هي مكمَّلة له، فالأولى أن يقولوا: قرآن وسنَّة، والواو تكون للمعيَّة لا للترتيب، ولقد عنون الخطيب البغدادي فصلا من كتابه "الكفاية" فقال: باب ما جاء في التسوية بين حكم كتاب الله تعالى، وحكم سنة رسول الله ﷺ من حيث وجوب العمل ولزوم التكليف[1].

ولا ريب أنَّ السنَّة في معظمها تأتي في المرتبة الثانية بعد القرآن الكريم من حيث الثبوت لا من حيث إفادتها للأحكام الشرعيَّة، فالقرآن يحلِّلُ والسنَّة تحلِّل، والقرآن يحرِّم والسنَّة تحرم، والقرآن الكريم يندب والسنة تندب، والقرآن الكريم يبيح والسنة تبيح، فالسنَّة مثل القرآن الكريم في التشريع وإفادة الأحكام[2].

فقد روى الخطيب بسنده إلى الحسن، أنَّ عمران بن حصين رضي الله عنهما كان جالسا ومعه أصحابه، فقال رجل من القوم: {لا تحدِّثونا إلَّا بالقرآن، قال: فقال له: ادنُ، فدنا، فقال: أرأيت لو وُكِّلتَ أنت وأصحابك إلى القرآن، أكنت تجدُ فيه صلاة الظهر أربعا، وصلاة العصر أربعا، والمغرب ثلاثا، تقرأ في اثنين؟ أرأيت لو وُكِّلتَ أنت وأصحابك إلى القرآن أكنت تجد الطواف بالبيت سبعا، والطواف بالصفا والمروة؟ ثم قال: خذوا عنَّا، فإنَّكم والله إلَّا تفعلوا لتضلُّنَّ}[3].

---

[1] يُنظر: الكفاية للخطيب البغدادي 39.

[2] الفكر المنهجي عند المحدثين للدكتور همام عبد الرحيم سعيد ص 31-32.

[3] الكفاية للخطيب 48.

وقال مكحول: القرآن أحوج إلى السنَّة من السنَّة إلى القرآن[1].

وقال عبد الرحمن بن المهدي: الرجل أحوج للحديث منه إلى الأكل والشرب[2].



[1] الكفاية ص 47، ومكحول أحد كبار التابعين وهو فقيه أهل الشام، توفي 113 هـ، يُنظر: تهذيب التهذيب 10/289.

[2] الكفاية للخطيب البغدادي ص 49.

﴿الفرع الرابع﴾

﴿الحديث القدسي﴾

الحديث القدسي: نسبة للقُدس، بسكون الدَّال، ويجوز ضمها، مأخوذ من التَّقديس، وهو التطهير والتنزيه، وهو الخبر الذي يرويه النبي ﷺ عن الله تبارك وتعالى.

قال ابن حجر الهيتمي: الكلام المضاف إلى الله تعالى أقسام ثلاثة:

أولها: وهو أشرفها: القرآن؛ لتميزه عن البقية بإعجازه من أوجهٍ قدمناها أولَ الكتاب، وكونهِ معجزةً باقيةً على ممر الدهر، محفوظةً من التغيير والتبديل، وبحرمة مسّه للمحدث، وتلاوته لنحو الجُنب، وروايته بالمعنى، وبتعيُّنه في الصلاة، وبتسميته قرآنًا، وبأن كل حرفٍ منه بعشر حسنات، وبامتناع بيعه في روايةٍ عند أحمد، وكراهته عندنا، وبتسمية الجملة منه آية وسورة.

وغيرُه من بقية الكتب والأحاديث القدسية لا يثبت لها شيءٌ من ذلك، فيجوز مسُّه، وتلاوته لمن ذكر، وروايته بالمعنى، ولا يجزئ في الصلاة، بل يبطلها، ولا يُسمى قرآنًا، ولا يُعطى قارئه بكل حرفٍ عشرًا، ولا يُمنع بيعه، ولا يُكره اتفاقًا، ولا يُسمى بعضه آية ولا سورة اتفاقًا أيضًا.

ثانيها: كتب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل تغييرها وتبديلها.

ثالثها: بقية الأحاديث القدسية، وهي ما نُقل إلينا آحادًا عنه ﷺ مع إسناده لها عن ربه تعالى، فهي من كلامه تعالى، فتضاف إليه، وهو الأغلب، ونسبتها إليه حينئذ نسبة إنشاء؛ لأنه المتكلم بها أولًا، وقد تضاف إلى النبي ﷺ؛ لأنه المخبر بها عن اللَّه تعالى، بخلاف القرآن؛ فإنه لا يضاف إلا إليه تعالى، فيقال فيه: قال اللَّه تعالى، وفيها: قال رسول اللَّه ﷺ فيما يروي عن ربه[1].

وأجمع أهل العلم على أن الحديث القدسي معناه من عند الله؛ لكن اختلفوا في لفظه فأكثر المتأخِّرين على أن لفظه من عند النبي ﷺ.

يعني: أن الله تعالى قاله، لكن النبي ﷺ عبر عنه بصيغة قربَّها للصحابة الكرام.

---

[1] الفتح المبين بشرح الأربعين للهيتمي ص: 432.

وهذا ليس مفروغا منه ففي الأمر نظر، فالرَّسول ﷺ كان ينقل الأخبار حرفيًّا، هذا ولو كان النقل عن الكفَّار، فكيف بكلام الله تعالى، فالظاهر والله أعلم أن الرسول ﷺ كان ينقل الأحاديث القدسيَّة بحرفها، ثم يشرحها لهم، وإن كان في بعض الأحاديث ما ينبئ أنَّ رسول الله ﷺ أخبر به بالمعنى، فالظاهر أنَّ هذا محمول على رواية الصحابة أو من بعدهم، هذا لجواز رواية الحديث بالمعنى عند البعض، والرِّواية بصفة عامة لفظا أولى من الرِّواية بالمعنى، ولو كان المعنى من عالم حافظ، لأنَّها أسلم من الوقوع في الخطأِ.

ولرواية الحديث القدسيِّ صيغتان:

الأولى: أن تقول: قال رسول الله ﷺ فيما يروي عن ربه.

والثانية: أن تقول: قال الله تعالى، أي أن تنسبه لله مباشرة.

مثاله: حديث أبي ذر عن النبي ﷺ فيما روى عن ربه تبارك وتعالى أنه قال: {يَا عبادِي إنِّي حرَّمتُ الظُّلمَ علَى نفسِي وجعلتُهُ بينكمْ محرَّمًا فلَا تظالمُوا}[1].

مثاله: حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: {قالَ اللهُ تعالَى: كلُّ عملِ ابنِ آدمَ لهُ إلَّا الصوم فإنَّهُ لِي وأنَا أجزِي بهِ}[2].

ومن هذان الحديثان القدسيَّان المباركان، يتبيَّن لك أنَّ الرَّسول ﷺ نقله بلفظه لا بمعناه، فالحديث القدسي يأتيه من جبريل ﷺ فيقول قال الله تعالى: {يا عبادي...} فيرويه الرسول ﷺ كما هو، فبروايته ﷺ وقوله: قال الله تعالى، كما في حديث أبي هريرة، وجب عليه نقل القول لا المعنى، لأنَّك إذا نقلت المعنى من قول أحدهم جاز له أن يقول لك لم أقل هذا، ولو كان معناه صحيحا، والرسول ﷺ أكثر خلق الله تعالى ورعا، فالظاهر والله أعلم أنَّه كان ينقل الأحاديث القدسيَّة باللفظ لا بالمعنى.

وعدد الأحاديث القدسية: 272 حديثا، لكن فيها الصحيح والحسن وبعض الضعيف[3].

وفي الختام يتبيَّن لنا؛ أنه لا فرق بين الكتاب والسنة، وأنَّ عقيدة أهل السنة الأخذ بالحديث إن صحَّ ولو كان عن فرد.

---

[1] أخرجه مسلم 577.

[2] أخرجه البخاري 1904 ومسلم 1101.

[3] جمعها المناوي في كتاب الإتحافات السنية، وللمزيد ينظر كتابنا: المنة في بيان مفهوم السنة.

﴿المسألة الرابعة﴾

﴿كيفية نزول الوحي﴾

تعريف الوحي:

سمى الله تعالى الطريق الذي يعلم الله به أنبياءه ورسله وحياً، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُوراً﴾[النساء: 163].

والوحي في اللغة:

الإعلام الخفّي السريع مهما اختلفت أسبابه، فقد يكون بالإلهام كوحي الله إلى الحواريين: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي﴾[المائدة: 111]، **وكوحي الله لأم موسى:** ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾[القصص: 7].

ويأتي بمعنى الإيماء والإشارة، فقد سمّى القرآن إشارة زكريا إلى قومه وحياً حيث قال: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيّاً﴾[مريم: 11].

وأكثر ما وردت كلمة (وحي) في القرآن الكريم بمعنى إخبار وإعلام الله من اصطفاه من عباده كل ما أراد إطلاعه عليه من ألوان الهداية والعلم، بطريقة سرّية خفيّة، غير معتادة للبشر[1].



[1] الرسل والرسالات لعمر الأشقر – ص **61**.

﴿ الفرع الأول ﴾

﴿ مقامات وحي الله تعالى إلى رسله صلوات الله عليهم ﴾

للوحي الذي يعلم الله تعالى به رسله وأنبياءه مقامات، قال الله تعالى مبيِّناً هذه المقامات:

﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلاّ وَحْياً أَوْ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَآءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾ [الشورى: 51].

والمقامات ثلاثة:

المقام الأول: الإلقاء في روع النبي الموحى إليه:

بحيث لا يمتري النبي في أنّ هذا الذي ألقي في قلبه من الله تعالى، كما جاء في صحيح ابن حبان عن رسول الله ﷺ أنّه قال: {إنّ روح القدس نفث في روعي أن نفساً لن تموت حتى تستكمل رزقها وأجلها، فاتقوا الله، وأجملوا في الطلب}[1].

وذهب ابن الجوزي إلى أن المراد بالوحي في قوله: {إِلاّ وَحْياً} الوحي في المنام[2].

رؤيا الأنبياء:

وهذا الذي فسّر به ابن الجوزي المقام الأول داخل في الوحي بلا شّك، فإنّ رؤيا الأنبياء حقٌ، ولذلك فإنَّ خليل الرحمن إبراهيم ﷺ بادر إلى ذبح ولده عندما رأى في المنام أنّه يذبحه، وعدّ هذه الرؤيا أمراً إلهياً، قال تعالى في إبراهيم وابنه إسماعيل: ﴿ فَلَمّا بَلَغَ مَعَهُ السّعْيَ قَالَ يَبُنَيّ إِنّي أَرَىَ فِي الْمَنَامِ أَنّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىَ قَالَ يَأَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَآءَ اللهُ مِنَ الصّابِرِينَ فَلَمّا أَسْلَمَا وَتَلّهُ لِلْجَبِينِ وَنَادَيْنَاهُ أَن يَإِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدّقْتَ الرّؤْيَآ إِنّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ [الصافات: 102 – 105].

---

[1] رواه الطبراني 8/ 166 – 7710 من حديث أبي أمامة رضي الله عنه. وصححه الألباني في ((صحيح الجامع)) 2085 وعزاه لابن حبان.

[2] زاد المسير لابن الجوزي 7/ 297.

وفي الحديث الذي يرويه البخاري ومسلم عن أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – قالت: {أوّل ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في المنام، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح}[1].

المقام الثاني: تكليم الله تعالى لرسله من وراء حجاب:

وذلك كما كلَّم الله تعالى موسى عليه السلام، وذكر الله ذلك في أكثر من موضع في كتابه:

﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ ﴾[الأعراف: 143]، **وقوله تعالى:** ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَمُوسَى إِنِّي أَنَاْ رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَآ إِلَهَ إِلَّآ أَنَاْ فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾[طه: 11 – 14]، **ومن كلّمه الله آدم عليه السلام قال تعالى:** ﴿ قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ ﴾[البقرة: 330]، **وكلّم الله عبده ورسوله محمداً ﷺ عندما عرج به إلى السماء.**

المقام الثالث: الوحي إلى الرسول بواسطة الملك:

وهذا هو الذي يفقه من قوله تعالى: ﴿ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ ﴾[الشورى: 51]، **وهذا الرسول هو جبريل ﷺ، وقد يكون غيره وذلك في أحوال قليلة[2].**



---

[1] رواه البخاري **3**، ومسلم **160**.

[2] انظر: ((عالم الملائكة)) لعمر الأشقر ص: **40** – و الرسل والرسالات لعمر الأشقر – ص **62**.

﴿ الفرع الثاني ﴾

﴿ صفة مجيء الملك إلى الرسول ﷺ ﴾

بالتأمل في النصوص في هذا الموضوع نجد أنّ للملك ثلاثة أحوال[1]:

الأول: أن يراه الرسول ﷺ على صورته التي خلقه الله عليها، ولم يحدث هذا لرسولنا ﷺ إلا مرتين.

الرؤية الأولى: كانت في الأرض في بداية الوحي، ونزلت عليه بعدها سورة المدثر.

فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: {سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يُحَدِّثُ عَنْ فَتْرَةِ – أي انقطاع – الْوَحْيِ فَقَالَ فِي حَدِيثِهِ: فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي إِذْ سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ جَالِسٌ عَلَى كُرْسِيٍّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَجَئِثْتُ مِنْهُ رُعْبًا فَرَجَعْتُ، فَقُلْتُ: زَمِّلُونِي، زَمِّلُونِي، فَدَثَّرُونِي، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ – إلى والرجز فَاهْجُرْ}[2].

وهذه الرؤية هي التي قال الله سبحانه وتعالى فيها : ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ﴾ [التكوير: 23].

والرؤية الثانية: كانت في السماء، ليلة الإسراء والمعراج عند سدرة المنتهى.

وقد نصت الآية في سورة النجم على الرؤية الثانية، وأشارت إلى الرؤية الأولى، وذلك في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ﴾ [النجم: 13–14].

قال ابن مسعود رضي الله عنه في تفسير هذه الآية: رأى جبريل له ستمائة جناح[3].

قال النووي رحمه الله:

وهكذا قاله أيضا أكثر العلماء، قال الواحدي: قال أكثر العلماء: المراد رأى جبريل في صورته التي خلقه الله تعالى عليها[4]. انتهى.

---

[1] انظر: ((عالم الملائكة)) لعمر الأشقر ص: 40. – الرسل والرسالات لعمر الأشقر – ص 64.

[2] رواه البخاري 4641 ومسلم 161.

[3] رواه البخاري 3232 ومسلم 174.

[4] شرح النووي على مسلم 7/3.

الثاني: أن يأتيه الوحي في مثل صلصلة الجرس، فيذهب عنه وقد وعى عنه الرسول ﷺ ما قال.

فعن عائشة رضي الله عنها: {أنَّ الحارثَ بنَ هشامٍ سألَ رسولَ اللَّهِ ﷺ، كيفَ يأتيكَ الوحيُ؟ فقالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: أحيانًا يأتيني فِي مثلِ صلصلةِ الجرَسِ، وَهوَ أشدُّهُ عليَّ، فيَفصِمُ عنِّي، وقد وَعَيتُ ما قالَ؛ وأحيانًا يتمثَّلُ ليَ الملَكُ رجلًا، فيُكَلِّمُني فأعي ما يقولُ}[1].

الثالث: أن يتمثل له الملك رجلاً فيكلّمه ويخاطبه ويعي عنه قوله، وهذه أخف الأحوال على الرسول ﷺ وقد حدث هذا من جبريل ﷺ في اللقاء الأول عندما فجأه في غار حراء.

وكان يأتيه في صورة دحية الكلبي، فعن أُسامَةَ بْنِ زَيْدٍ: {أَنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ، وَعِنْدَهُ أُمُّ سَلَمَةَ، فَجَعَلَ يُحَدِّثُ ثُمَّ قَامَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأُمِّ سَلَمَةَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَتْ: هَذَا دِحْيَةُ، قال فقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: ايْمُ اللَّهِ! مَا حَسِبْتُهُ إِلَّا إِيَّاهُ، حَتَّى سَمِعْتُ خُطْبَةَ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ يُخْبِرُ عن جِبْرِيلَ}[2].

فليس المقصود بهذا أن جبريل يتلبّس بجسم دحية رضي الله عنه ويدخل فيه، وإنما المقصود أنه يتراءى للناس على هيئة رجل يشبه صورة دحية، كما تبيّن ذلك أحاديث أخر؛ من ذلك:

حديث جَابِرٍ، {أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: عُرِضَ عَلَيَّ الْأَنْبِيَاءُ، فَإِذَا مُوسَى ضَرْبٌ مِنَ الرِّجَالِ، كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ، وَرَأَيْتُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَإِذَا أَقْرَبُ مَنْ رَأَيْتُ بِهِ شَبَهًا عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ، وَرَأَيْتُ إِبْرَاهِيمَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ، فَإِذَا أَقْرَبُ مَنْ رَأَيْتُ بِهِ شَبَهًا صَاحِبُكُمْ – يَعْنِي نَفْسَهُ –، وَرَأَيْتُ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَإِذَا أَقْرَبُ مَنْ رَأَيْتُ بِهِ شَبَهًا دَحْيَةُ[3].

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ، {عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: " وَكَانَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَأْتِي النَّبِيَّ ﷺ فِي صُورَةِ دِحْيَةَ}[4].



---

[1] أخرجه النسائي (934) واللفظ له، وأخرجه البخاري (2) باختلاف يسير، ومسلم (2333) باختلاف يسير دون قول عائشة.

[2] رواه البخاري 3634، ومسلم 2451.

[3] رواه مسلم 167.

[4] رواه الإمام أحمد في "المسند" (10 / 102)، وصححه محققو المسند.

﴿ الفرع الثالث ﴾

﴿ بشائر الوحي ﴾

كان الرسول ﷺ قبل معاينته للملك، يرى ضوءاً، ويسمع صوتاً، ولكنه لا يرى الملك الذي يحدث الضوء، ولا يرى مخاطبه والهاتف به، روى مسلم في صحيحه عن ابن عباس قال: {مكث رسول الله ﷺ بمكة خمس عشرة سنة، يسمع الصوت ويرى الضوء سبع سنين ولا يرى شيئاً، وثمان سنين يوحى إليه، وأقام بالمدينة عشراً}[1].

قال النووي: (يسمع الصوت ويرى الضوء) قال القاضي: أي: صوت الهاتف من الملائكة، ويرى الضوء، أي: نور الملائكة، ونور آيات الله، حتى رأى الملك بعينيه، وشافهه بوحي الله تعالى[2].

﴿ انتهى الفصل الثالث الإيمان بالكتب ﴾



---

[1] رواه مسلم 123.

[2] شرح صحيح مسلم للنووي 15/ 104. – و الرسل والرسالات لعمر الأشقر – ص 64 – والموسوعة العقدية ج4 ص9.


الفصل الرابع
الإيمان بالرسل

﴿الفصل الرابع﴾

﴿الإيمان بالرسل﴾

وفيه تسعة مباحث:

1 – تعريف الرسول والنبي عليهم الصلاة والسلام.

2 – كيفية الإيمان بالأنبياء والرسل الصلاة والسلام.

3 – صفات الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام.

4 – اتِّباع الأنبياء والرّسل عليهم الصلاة والسلام.

5 – توقير الأنبياء والرّسل عليهم الصلاة والسلام.

6 – معجزاتُ الرُّسلِ عليهم الصلاة والسلام .

7 – عدم التمييز بين الرسل إلا بما ميَّز الله تعالى بعضهم.

8 – عدم الغلو في الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام.

9 – الاعتقاد في الصَّحابة.



﴿ المبحث الأول ﴾

﴿ تعريف الرسول والنبي ﴾

﴿ المسألة الأولى ﴾

﴿ تعريف الرسول ﴾

الإرسال في اللغة: التوجيه، فإذا بعثت شخصاً في مهمة فهو رسولك، قال تعالى حاكياً قول ملكة سبأ: ﴿ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴾ [النمل: 35]، وقد يريدون بالرسول ذلك الشخص الذي يتابع أخبار الذي بعثه، أخذاً من قول العرب: جاءت الإبلُ رَسَلاً، أي: متتابعة.

وعلى ذلك فالرُّسل إنّما سمّوا بذلك لأنَّهم وُجّهوا من قِبلِ الله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ﴾ [المؤمنون: 44]، وهم مبعوثون برسالة معينة مُكلَّفون بحملها وتبليغها ومتابعتها[1].

وعليه: فهم رسلٌ؛ لأنهم موجَّهون من الله تعالى، وهم رسل؛ لأنهم متتابعون، واحد من بعد واحد أو أكثر من واحد.



[1] انظر: لسان العرب 2/ 1166 – 1167، المصباح المنير ص: 266. – الرسل والرسالات لعمر الأشقر – ص 13.

﴿المسألة الثانية﴾

﴿تعريف النبي﴾

النبي في لغة العرب مشتق من النبأ وهو الخبر، قال تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَاءلُونَ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ﴾[النبأ: 1 – 2].

وإنّما سمّي النبي نبيّاً لأنه مُخبِرٌ مُخبَر، فهو مُخْبَر، أي: أنَّ الله أخبره، وأوحى إليه، قال تعالى: ﴿قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾[التحريم: 3]، **فهو مُخْبِرٌ عن الله تعالى أمره ووحيه، قال تعالى:** ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[الحجر: 49]، **وقال تعالى:** ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ﴾[الحجر: 51]، **أي: أخبرهم.**

وقيل: النبوة مشتقة من النَّبْوَة، وهي ما ارتفع من الأرض، وتطلق العرب لفظ النبي على علم من أعلام الأرض التي يهتدى بها، والمناسبة بين لفظ النبي والمعنى اللغوي، أنَّ النبي ذو رفعة وقدر عظيم في الدنيا والآخرة، فالأنبياء هم أشرف الخلق، وهم الأعلام التي يهتدي بها الناس فتصلح دنياهم وأخراهم[1].



[1] انظر: لسان العرب 3/ 561 – 573 وبصائر ذوي التمييز 5/ 14، ولوامع الأنوار البهية)) 1/ 39، 2/ 265 – الرسل والرسالات لعمر الأشقر – ص 13.

﴿المسألة الثالثة﴾

﴿الفرق بين الرسول والنبي﴾

أوَّلا ليس في عدد الأنبياء والرسل حديث صحيح، بل كلها ضعاف، وبمجموع طرقها تجد اختلافا في أعداد الأنبياء والرسل، فتزداد مع الضعف نكارة، لمخالفة الضعاف بعضهم بعضا، ويبقى أنه يجب أن نفرّق بين النبي والرسول؛ فإنه لا يصحُّ قول من ذهب إلى أنه لا فرق بين الرسول والنبي، ويدلُّ على بطلان هذا القول ما ورد عن البراء بن عازب؛ أن النبي ﷺ قال: {إِذَا أَخَذْتَ مَضْجَعَكَ، فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الأيْمَنِ، ثُمَّ قُلْ: اللَّهُمَّ إنِّي أَسْلَمْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الذي أَنْزَلْتَ، وَبِنَبِيِّكَ الذي أَرْسَلْتَ، وَاجْعَلْهُنَّ مِن آخِرِ كَلَامِكَ، فإنْ مُتَّ مِن لَيْلَتِكَ، مُتَّ وَأَنْتَ علَى الفِطْرَةِ. قالَ: فَرَدَّدْتُهُنَّ لأَسْتَذْكِرَهُنَّ فَقُلتُ: آمَنْتُ بِرَسُولِكَ الذي أَرْسَلْتَ، قالَ: قُلْ: آمَنْتُ بِنَبِيِّكَ الذي أَرْسَلْتَ. وَزَادَ في حَدِيثِ حُصَيْنٍ وإنْ أَصْبَحَ أَصَابَ خَيْرًا}[1].

أمَّا وجه الدلالة هو تمييز النبي بين النبي والرسول ﷺ وذلك حين غير البراء بن عازب الرسول مكان النبي فقال له: قُلْ: آمَنْتُ بِنَبِيِّكَ الذي أَرْسَلْتَ.

وأما سبب ردِّ النبي ﷺ لكلام البراء، مع أنَّ نبينا هو نبي رسول، قال أهل العلم للجمع بين المنصبين هذا من باب، ومن باب آخر عدم الالتباس في الكلام، فإنَّ جبريل ﷺ أيضا رسول أرسله الله تعالى، وقيل قول ثالث، وهو تواضع من رسول الله ﷺ حيث أنَّ الرسول أعلى من النبي، ونبينا معلوم أنه رسول، فلذلك أراد التواضع وهو من عادته والله أعلم.

ويدلّ على الفرق أيضاً ما ورد في كتاب الله من عطف النبي على الرسول حيث قال تعالى:

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ﴾ [الحج: 52]،

ووصف سبحانه بعض رسله بالنبوة والرسالة مما يدُل على أن الرسالة أمر زائد على النبوة،

[1] أخرجه البخاري (247)، ومسلم (2710).

كقوله في حقِّ موسى عليه السلام: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىَ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصاً وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيّاً﴾[مريم: 51].

وقال تعالى في حق إسماعيل: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾[مريم: 54].

والشائع عند العلماء أنَّ النبي أعم من الرسول، فالرسول هو من أُوحي إليه بشرع وأُمر بتبليغه، والنبي من أوحي إليه ولم يؤمر بالبلاغ، وعلى ذلك فكلُّ رسول نبي، وليس كل نبي رسولاً[1].

وهذا الذي ذكره شراح الطحوية وغيرهم هنا بعيد لأمور:

الأول: أن الله نصَّ على أنه أرسل الأنبياء كما أرسل الرسل في قوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾[الحج: 52]، فإذا كان الفارق بينهما هو الأمر بالبلاغ فالإرسال يقتضي من النبي البلاغ.

الثاني: أنَّ ترك البلاغ كتمان لوحي الله تعالى، والله لا ينزل وحيه ليكتم ويدفن في صدر واحد من الناس، ثمَّ يموت هذا العلم بموته، بل كتمان العلم كبيرة في حق العلماء فما بالك بالأنبياء.

الثالث: قول الرسول ﷺ فيما يرويه عنه ابن عباس: {عرضت عليَّ الأمم، فجعل يمرُّ النبي معه الرجل، والنبي معه الرجلان، والنبي معه الرهط، والنبي ليس معه أحد...}[2].

فدلّ هذا على أنَّ الأنبياء مأمورون بالبلاغ، وأنَّهم يتفاوتون في مدى الاستجابة لهم.

والتعريف المختار: أنَّ؛ الرسولَ مَنْ أُوحي إليه بشرع جديد، والنبي هو المبعوث لتقرير شرع من قبله[3].

وقد قال النبي ﷺ: {كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبيٌّ خلفه نبيٌّ...}[4].

---

[1] شرح العقيدة الطحاوية ص: 167 – لوامع الأنوار البهية 1/ 39.

[2] رواه البخاري 5752، واللفظ له، ومسلم 220.

[3] تفسير الآلوسي 7/ 157.

[4] أخرجه البخاري (3455) واللفظ له، ومسلم (1842)

وأنبياء بني إسرائيل كلّهم مبعوثون بشريعة موسى، وكانوا مأمورين بإبلاغ قومهم وحي الله إليهم، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا﴾ [البقرة: 346]، **فالنبي كما يظهر من الآية يُوحَى إليه شيء يوجب على قومه أمراً، وهذا لا يكون إلا مع وجوب التبليغ.**

واعتبر في هذا بحال داود وسليمان وزكريا ويحي فهؤلاء جميعاً أنبياء، وقد كانوا يقومون بسياسة بني إسرائيل، والحكم بينهم وإبلاغهم الحق، ولعلَّ الله يرسل بين الأنبياء رسلا يزيدون على ما كان من شريعة من قبلهم، أو يصححونها، كحال نبي الله ورسوله عيسى ابن مريم، قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ * وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ * قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ * وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ * وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾[آل عمران: 45 – 48]، **فالظاهر أنَّ عيسى ﷺ لم يأتي بجديد، مع أنه رسول، بل جاء بالإنجيل، مصححا لما جاء قبله، محللا لبعض ما حرم على بني إسرائيل من جراء أفعالهم مع أنَّ الأصل فيه الحلُّ، قال تعالى:** ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾[آل عمران: 50].

قال البغوي: وكان أول أنبياء بني إسرائيل يوسف وآخرهم عيسى عليهما السلام[1].

ونخرج بهذا أنَّ الرسول من أتى بشرع جديد، وأنَّ النبي مبلغ لشرع من قبله، وأنَّ الرسول يمكن أن يرسل لتصحيح شرع من قبله وتبليغه كما أرسل النبي، والله أعلم بالصواب.



[1] ينظر تفسير البغوي آل عمران **42**. للمزيد ينظر: الرسل والرسالات لعمر الأشقر – ص: **14**.

﴿المبحث الثاني﴾

﴿كيفية الإيمان بالأنبياء والرسل الصلاة والسلام﴾

وأما الأنبياء والمرسلون: فعلينا الإيمان بمن سمى الله تعالى منهم في كتابه من رسله، والإيمان بأن الله تعالى أرسل رسلاً وأنبياء سواهم، لا يعلم أسماءهم وعددهم إلا الله تعالى الذي أرسلهم، فعلينا الإيمان بهم جملة لأنه لم يأت في عددهم نص، وقد قال تعالى: ﴿وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾[النساء: 164]، **وقال تعالى:** ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾[غافر: 78]، **وعلينا الإيمان بأنهم بلغوا جميع ما أرسلوا به على ما أمرهم الله به، وأنهم بينوه بياناً لا يسع أحداً ممن أرسلوا إليه جهله، ولا يحل خلافه، قال تعالى:** ﴿فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾[النحل: 35]؛ **وقال تعالى:** ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ﴾ **[النحل: 82].**

وأما أولو العزم من الرسل: فقد قيل فيهم أقوال أحسنها: ما نقله البغوي وغيره عن ابن عباس وقتادة أنهم: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد، صلوات الله وسلامه عليهم.

قال: وهم المذكورون في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾[الأحزاب: 7]، **وفي قوله تعالى:** ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾[الشورى: 13][1].

وأما الإيمان بمحمد ﷺ: هو تصديقه واتباع ما جاء به من الشرائع إجمالاً وتفصيلاً[2].

والإيمان الجازم بأنه خاتم الأنبياء والرسل فلا نبيَّ بعده، ونؤمن أنَّ عيسى ﷺ في نزوله سيحكم بشرع محمد ﷺ، ونؤمن أنَّ شرع محمد ﷺ ناسخ لكل الشرائع التي قبله، فلا يحل

---

[1] انظر: ((تفسير البغوي)) 7/ 272.

[2] ينظر: شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي – 2/ 423.

لأحد الخروج عن شريعة النبي محمد ﷺ كما خرج الخضر عن شريعة موسى ﷺ، وفي الحديث: { أنَّ عمرَ بنَ الخطابِ أتى النبيَّ ﷺ بكتابٍ أصابه من بعضِ أهلِ الكتابِ فقرأه على النبيِّ ﷺ قال: فغضب وقال أتَتَهوَّكون فيها يا ابنَ الخطابِ، والذي نفسي بيدِه لقد جئتُكم بها بيضاءَ نقيَّةً لا تسألوهم عن شيءٍ فيخبرونكم بحقٍّ فتكذبونَه أو بباطلٍ فتُصدِّقونه، والذي نفسي بيدِه لو أنَّ موسى كان حيًّا ما وسِعَه إلا أن يَتبَعني}[1].

وقال النبي ﷺ: {لاَ تقومُ السَّاعةُ حتَّى تَلحقَ قبائلُ من أمَّتي بالمشرِكينَ، وحتَّى يعبُدوا الأوثانَ؛ وإنَّهُ سيَكونُ في أمَّتي ثلاثونَ كذَّابونَ كلُّهم يزعمُ؛ أنَّهُ نبيٌّ، وأَنا خاتمُ النَّبيِّينَ لاَ نبيَّ بَعدي}[2].

ونؤمن أنَّ النبيَّ ﷺ مقدَّم عندنا على الأهل والمال والنفس والوالد والولد، قال تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب: 6]، وقال النبي ﷺ: {لا يُؤْمِنُ أحدُكم حتى أكونَ أحبَّ إليه من ولدِهِ ، ووالدِهِ ، والناسِ أجمعينَ}[3].



[1] أخرجه أحمد (3 / 387)، الدارمي (1 / 115)، وغيرهم وحسنه الألباني. والتهوك السقوط، تَهَوَّكَ: سقط في هُوَّة الرَّدَى.

[2] أخرجه الترمذي 2219 وصححه الألباني.

[3] أخرجه مسلم (44) واللفظ له، وأخرجه البخاري (15) باختلاف يسير.

﴿ المبحث الثالث ﴾

﴿ صفات الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ﴾ .

إنَّ الأنبياء والرسل أكمل البشر خُلقا وأخلاقا؛ فإنّ الرسل يُعدّون إعداداً خاصّاً لتحمُّل النبوة والرسالة، ويصنعون صنعاً فريداً كما قال تعالى: ﴿ وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴾[طه: 41]، واعتبر هذا بحال نبينا محمد ﷺ، كيف رعاه الله تعالى وحاطه بعنايته على الرغم من يتمه وفقره، كما قال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى * وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى * وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى ﴾[الضحى: 6 – 8]، وقد زكّاه وطهّره، وأذهب عنه رجس الشيطان، وأخرج منه حظّ الشيطان منذ كان صغيراً، فعن أنس بن مالك: {أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل ﷺ وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه، فصرعه، فشقّ عن قلبه، فاستخرج القلب، فاستخرج منه علقة، فقال: هذا حظُّ الشيطان منك، ثمّ غسله في طست من ذهب بماء زمزم، ثم لأمه، ثم أعاده في مكانه، وجاء الغلمان يسعون إلى أمّه، يعني ظئره[1]، فقالوا: إن محمداً قد قتل، فاستقبلوه وهو منتقع اللّون، قال أنس: وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره}[2].

وحدث قريب من هذا عندما جاءه جبريل ﷺ يهيئه للرحلة الكبرى للعروج به إلى السماوات العلى، ففي حديث الإسراء: {فرج سقف بيتي وأنا بمكة، فنزل جبريل ﷺ، ففرج صدري، ثمّ غسله من ماء زمزم، ثمّ جاء بطست من مذهب ممتلئ حكمة وإيماناً، فأفرغها في صدري، ثم أطبقه}[3].

الأنبياء والرسل أكمل الناس خِلقة:

قد بين لنا رسول الله ﷺ أن إيذاء بني إسرائيل لموسى كان باتهامهم إياه بعيب خلقي في جسده، ففي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: {إنّ موسى كان رجلاً حيياً ستّيراً لا يرى من جلده شيء استحياءً منه، فآذاه من آذاه من بني إسرائيل،

---

[1] يريد مربيته حليمة السعدية: والظِّئْر: كما في القاموس: الأنثى التي تعطف على ولد غيرها أو ترضعه ويطلق على الذَّكر.

[2] رواه مسلم 261.

[3] رواه البخاري 349 ومسلم 263 واللفظ له. للمزيد ينظر: الرسل والرسالات لعمر الأشقر – ص 69.

فقالوا: ما يستتر هذا التستر إلاّ من عيب بجلده: إما برص، وإمّا أُدْرة[1]، وإمّا آفة، وإنّ الله أراد أن يبرئه مما قالوا لموسى، فخلا يوماً وحده، فوضع ثيابه على الحجر، ثمّ اغتسل، فلمّا فرغ، أقبل إلى ثيابه ليأخذها، وإنّ الحجر عدا بثوبه، فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر، فجعل يقول: ثوبي حجر، ثوبي حجر، حتى انتهى إلى ملا من بني إسرائيل فرأوه عرياناً، أحسن ما خلق الله، وأبرأه مما يقولون، وقام الحجر، فأخذ بثوبه فلبسه، وطفق بالحجر ضرباً بعصاه، فوالله إنّ بالحجر لندباً من أثر ضربه، ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً، فذلك قوله: ﴿يا أيّها الّذين آمنوا لا تكونوا كالّذين آذوا موسى فبرّأه الله ممّا قالوا وكان عند الله وجيها﴾[الأحزاب: 69][2].

قال ابن حجر العسقلاني معقباً على الحديث: وفيه أن الأنبياء في خَلقهم وخُلُقهم، على غاية الكمال، وأن من نسب نبيّاً إلى نقص في خلقته فقد آذاه، ويخشى على فاعله الكفر[3].

الصور الظاهرة للأنبياء والرسل مختلفة:

ليس معنى كون الرسل أكمل الناس أجساماً أنهم على صفة واحدة صورة واحدة، فالكمال الذي يدهش ويعجب متنوع وذلك من بديع صنع الواحد الأحد وكمال قدرته، وقد وصف لنا الرسول ﷺ بعض الأنبياء والرسل، يقول ﷺ: {ليلة أسري بي رأيت موسى، وإذا هو رجل ضَرْبٌ من الرجال، كأنه من رجال شَنوءة}.

وقال في عيسى: {ورأيت عيسى، فإذا هو رجل ربعة أحمر، كأنما خرج من ديماس}[4].

وقال فيه أيضاً: {ليس بيني وبينه نبيٌّ، وإنه نازل، فإذا رأيتموه فاعرفوه، رجل مربوع، إلى الحمرة والبياض، ينزل بين ممصرتين[5]، كأن رأسه يقطر، وإن لم يصبه بلل}[6].

---

[1] الأدرة هي اضطراب يتجمّع فيه السَّائِل بين طبقات الأنسجة المُحيطة بالخصية. وهي مرض مثل دوالي الساقين، ودوالي الساقين، هي عرق مجتمعة منتفخة في الساقين شكلها قبيح.

[2] رواه البخاري 3404، ومسلم 339.

[3] فتح الباري للعسقلاني 6/ 438.

[4] رواه البخاري 3394 ومسلم بنحوه 168 من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

[5] قيل ثوبان مصبوغان، جاء في القاموس: مَصَّرَ الثوبَ: صَبَغه بالمِصْرِ أَو بحُمرة خفيفة، والمُمَصَّرَة : كُبَّةُ الغزل.

[6] أخرجه أبو داود (4324) واللفظ له، وأحمد (9270) وصححه الألباني.

وقد وصف الصحابة رسول الله ﷺ فمن ذلك قولهم: {كان ربعة من القوم، ليس بالطويل البائن، ولا بالقصير، أزهر اللون، ليس بالأبيض الأمهق، ولا بالآدم، ليس بجعد قَطِطٍ، ولا سَبْطٍ رَجِلٍ}[1].

وقالوا فيه: {كان أحسن الناس صفة وأجملها، وكان ربعة، إلى الطول، ما هو بعيد ما بين المنكبين، أسيل الخدين، شديد سواد الشعر، أكحل العينين، أهدب الأشفار، إذا وطئ بقدمه وطئ بكلها، ليس له أخمص، إذا وضع رداءه عن منكبيه فكأنه سبيكة فضة}[2].

وكان الرسول ﷺ أشبه الناس بنبي الله إبراهيم ﷺ[3].

الأنبياء والرسل أكمل النَّاس أخلاقا:

لقد بلغ الأنبياء فالقمَّة والمنتهى في الأخلاق الحميدة، وقد استحقوا أن يثني عليهم الله تعالى، فهو سبحانه الذي جبلهم على ذلك، فقد أثنى الله على خليله إبراهيم ﷺ فقال: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ﴾[هود: 75]، والأواه، هو كثير التضرع إلى الله تعالى في كل حال.

وقالت ابنة العبد الصالح تصف موسى: ﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾[القصص: 26].

وأثنى الله على إسماعيل ﷺ بصدق الوعد، فقتال: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيّاً﴾[مريم: 54].

وأثنى الله تعالى، على خلق نبيه محمد ﷺ ثناءً عطراً، فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[القلم: 4].

---

[1] رواه البخاري 3547 ومسلم 2347 من حديث أنس رضي الله عنه.

[2] رواه البيهقي في ((دلائل النبوة)) 1/ 275 والبزار كما في ((مجمع الزوائد)) للهيثمي 8/ 283 وقال: رجاله وثقوا، وحسنه الألباني في ((صحيح الجامع)) 4633. للمزيد من وصف النبي، ينظر: كتاب المختصر في وصف البشر للدكتور: عصام الدين إبراهيم النقيلي.

[3] رواه البخاري 3394 ومسلم 168 من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

فقد وصف الله تعالى، خلق نبينا محمد ﷺ بأنّه عظيم، وأكّد ذلك بثلاثة مؤكدات: أكّد ذلك بالإقسام عليه بنون والقلم وما يسطرون، وتصديره بإنّ، وإدخال اللام على الخبر، حيث قال تعالى: ﴿ نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ * مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ * وَإِنَّ لَكَ لَأَجۡرًا غَيۡرَ مَمۡنُونٖ * وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ﴾[القلم: 1 -5].

ومن خلقه الكريم ﷺ الذي نوّه الله تعالى به ما جبله عليه من الرحمة والرأفة، حيث قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾[التوبة: 128].

وقد كان لهذه الأخلاق أثر كبير في هداية الناس وتربيتهم، هذا صفوان بن أميّة يقول: {والله لقد أعطاني رسول الله ﷺ ما أعطاني وإنه لأبغض خلق الله إليّ، فما زال يعطيني حتى إنّه من أحبِّ الناس إليّ}[1].

وفي صحيح مسلم عن أنس: {أنّ رجلاً سأل النبي ﷺ غنماً بين جبلين فأعطاه إياه، فأتى قومه فقال: أي قوم، أسلموا، فوالله إن محمداً ليعطي عطاءً، ما يخاف الفقر}[2].

ولو لم يتصف الرسل بهذا الكمال الذي حباهم الله به لما انقاد الناس إليهم، ذلك أن الناس لا ينقادون عن رضاً وطواعية لمن كثرت نقائصه، وقلت فضائله، وقد قال تعالى في حق النبي خاصة وحق الأنبياء عامة: ﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَ ﴾[آل عمران: 159].

الأنبياء والرسل خير الناس نسبا:

الرسل ذوو أنساب كريمة، فجميع الرسل بعد نوح من ذريته، وجميع الرسل بعد إبراهيم من ذرية إبراهيم، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾[الحديد: 26].

---

[1] رواه مسلم **2313**.

[2] رواه مسلم **2312**.

ولذلك؛ فإنّ الله تعالى يصطفي لرسالته من كان خيار قومه في النسب، وفي الحديث الذي يرويه البخاري، يقول الرسول ﷺ: {بعثت من خير قرون بني آدم قرناً فقرناً، حتى كنت من القرن الذي كنت منه}[1].

وفي مسند أحمد وسنن الترمذي عن الرسول ﷺ قال: {أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، إنّ الله – تعالى – خلق الخلق فجعلني في خيرهم، ثم جعلهم فرقتين فجعلني في خيرهم فرقة، ثمّ جعلهم قبائل فجعلني في خيرهم قبيلة، ثمّ جعلهم بيوتاً فجعلني في خيرهم بيتاً، فأنا خيركم بيتاً، وخيركم نفساً}[2].

وفي صحيح مسلم عن واثلة بن الأسقع قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: {إنّ الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم}[3].

الأنبياء والرسل أحرار، بعيدون عن الرق:

والمعنى أنه لا يولدون عبيدا البتة، ولكن يطرق عليهم الرق من باب الابتلاء، أو يطرأ عليهم رق غير حقيقي، كما حدث ليوسف عليه السلام، فيوسف حر، وقد بيع وهو حر، فالبيع باطل، لأن يوسف حر في أصله، فهو مملوك في الظاهر حرٌّ في أصله، وطرأ عليه ذلك لحكمة من الله تعالى؛ لأنَّ من صفات الكمال أنّ الأنبياء لا يكونون أرقاء. يقول السفاريني في هذا: الرق وصف نقص لا يليق بمقام النبوة، والنبي يكون داعياً للناس آناء الليل وأطراف النهار، والرقيق لا يتيسر له ذلك، وأيضاً الرقّيَّة وصف نقص يأنف الناس ويستنكفون من اتباع من اتصف بها، وأن يكون إماماً لهم وقدوة، وهي أثر الكفر، والأنبياء منزهون عن ذلك[4].

وأخالف السفاريني في قوله أنَّ النبي يكون داعياً للناس آناء الليل وأطراف النهار، والرقيق لا يتيسر له ذلك، نقول: بل تيسر ليوسف الدعوة، وهو مملوك، وتيسرت له الدعوة وهو

---

[1] رواه البخاري 3557 من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

[2] رواه الترمذي 3608 وأحمد 1/ 210، 1788 من حديث المطلب بن أبي وداعة رضي الله عنه. قال الترمذي: حسن، وصححه الألباني في ((صحيح الجامع)) 1472.

[3] رواه مسلم 2276.

[4] لوامع الأنوار البهية 2/ 265.

مسجون، وعليه فالرق لا يليق بأنبياء الله تعالى إلا إن شاء وأطرأه عليهم، ولكنَّهم كلهم أحرار أصالة

الأنبياء والرسل متفردون بقدرات خاصة عن عامة البشر:

فالأنبياء أُعطوا العقول الراجحة، والذكاء الفذ، واللسان المبين، والبديهة الحاضرة، والقوَّة البدنية، وغير ذلك من المواهب والقدرات التي لا بدّ منها لتحمل الرسالة ثم إبلاغها ومتابعة الذين تقبلوها بالتوجيه والتربية.

لقد كان الرسول ﷺ يحفظ ما يُلقى إليه ولا ينسى منه كلمة، كما قال تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰ﴾ [الأعلى: 6].

وقد كانوا يعرضون دين الله تعالى للمعارضين ويفحمونهم في معرض الحجاج، وفي هذا المجال أسكت إبراهيم خصمه حيث قال: ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: 258].

وكذلك موسى كان يجيب فرعون على البديهة حتى انقطع، فانتقل إلى التهديد بالقوة ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ * قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ * قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ * قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ * قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ * قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ * قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ [الشعراء: 23 – 29].

الأنبياء والرسل ذكور ولا يكونون إناثا:

ومن الكمال الذي حباهم به أنه اختار جميع الرسل الذين أرسلهم من الرجال، ولم يبعث الله رسولاً من النساء يدلُّ على ذلك صيغة الحصر التي وردت في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ﴾ [الأنبياء: 7].

الحكمة من كون الرسل رجالاً:

كان الرسل من الرجال دون النساء لحكم يقتضيها المقام فمن ذلك:

1 – أنّ الرسالة تقتضي الاشتهار بالدعوة، ومخاطبة الرجال والنساء، ومقابلة الناس في السرّ والعلانية، والتنقل في فجاج الأرض، ومواجهة المكذبين ومحاجتهم ومخاصمتهم، وإعداد الجيوش وقيادتها، والاصطلاء بنارها، وكل هذا يناسب الرجال دون النساء.

2 – الرسالة تقتضي قوامة الرسول على من يتابعه، فهو في أتباعه الآمر الناهي، وهو فيهم الحاكم والقاضي، ولو كانت الموكلة بذلك امرأة لَمْ يتم ذلك لها على الوجه الأكمل، ولاستنكف أقوام من الاتباع والطاعة.

3 – الذكورة أكمل كما بينا آنفاً، ولذلك جعل الله تعالى القوامة للرجال على النساء حيث قال تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: 34]، وأخبر الرسول ﷺ أنّ النساء ناقصات عقل ودين، وذلك بقوله: {... وما رَأَيْتُ مِن ناقِصاتِ عَقْلٍ ودِينٍ أغْلَبَ لِذِي لُبٍّ مِنْكُنَّ...}[1].

4 – المرأة يطرأ عليها ما يعطلها عن كثير من الوظائف والمهمات، كالحيض والحمل والولادة والنفاس، وتصاحب ذلك اضطرابات نفسية وآلام وأوجاع، عدا ما يتطلبه الوليد من عناية، وكل ذلك مانع من القيام بأعباء الرسالة وتكاليفها[2].



[1] أخرجه مسلم 79.

[2] للمزيد ينظر: الرسل والرسالات لعمر الأشقر – ص 78.

﴿ مطلب ﴾

﴿ نبوّة النساء ﴾

ذهب بعض العلماء إلى أنّ الله أنعم على بعض النساء بالنبوة، فمن هؤلاء أبو الحسن الأشعري والقرطبي وابن حزم[1].

والذين يقولون بنبوة النساء متفقون على نبوة مريم، ومنهم من ينسب النبوة إلى غيرها، ويعدّون من النساء النبيات: حواء، وسارة، وأمّ موسى، وهاجر، وآسية، وهؤلاء عندما اعترض عليهم بالآية التي تحصر الرسالة في الرجال دون النساء، قالوا: نحن لا نخالف في ذلك، فالرسالة للرجال، أمّا النبوة فلا يشملها النصُّ القرآني، وليس في نبوة النساء تلك المحذورات التي عددتموها فيما لو كان من النساء رسول، لأنَّ النبوة قد تكون قاصرة على صاحبها، يعمل بها، ولا يحتاج إلى أن يبلغها إلى الآخرين، وحجّة هؤلاء أن القرآن أخبر بأن الله تعالى أوحى إلى بعض النساء، فمن ذلك أنه أوحى إلى أمّ موسى فقال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾[القصص: 7]، **وأرسل جبريل إلى مريم فخاطبها بقوله تعالى:** ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا * قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا * قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾[مريم: 17 – 18 ـ 19] **وخاطبها الملائكة فقالوا:** ﴿يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ * يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾[آل عمران: 42 – 43].

فأبو الحسن الأشعري يرى أنّ كلَّ من جاءه الملك عن الله تعالى بحكم من أمر أو نهي أو

[1] انظر: ((فتح الباري)) 2/ 447 – 448، 473، ((لوامع الأنوار البهية)) للسفاريني 2/ 266.

بإعلام فهو نبي[1]، وقد تحقق في أمّ موسى ومريم شيء من هذا، وفي غيرهما أيضاً، فقد تحقق في حواء وسارة وهاجر وآسية بنصّ القرآن.

واستدلوا أيضاً باصطفاء الله لمريم على العالمين بقوله تعالى: ﴿وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾[آل عمران: 42] وبقول النبي ﷺ: {كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا مريم ابنة عمران، وآسية امرأة فرعون}[2].

قالوا: الذي يبلغ مرتبة الكمال هم الأنبياء.

ونرد عليهم بقولنا:

أما أبو الحسن الأشعري رحمه الله تعالى، حيث يرى أنّ كلَّ من جاءه الملك عن الله تعالى بحكم من أمر أو نهي أو بإعلام فهو نبي، كيف غاب عنه قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾[النحل: 68]، فقد تحقق شرط الأشعري في النحل، فقد أوحى الله تعالى للنحل بحكم، فهل النحل أنبياء؟

فهذا الذي ذكروه لا ينهض لإثبات نبوة النساء، والرد عليهم من وجوه:

الأول: أنّا لا نسلم لهم أن النبي غير مأمور بالتبليغ والتوجيه ومخالطة الناس، والذي اخترناه أن لا فرق بين النبي والرسول في هذا، وأنَّ الفرق واقع في كون النبي مرسل بتشريع رسول سابق، وقد فصلنا هذا الأمر سابقا بأدلته.

فإذا كان الأمر كذلك؛ فالمحذورات التي قيلت في إرسال رسول من النساء قائمة في بعث نبي من النساء، وهي محذورات كثيرة تجعل المرأة لا تستطيع القيام بحقّ النبوة.

الثاني: لا نسلم لهم قولهم: إن كل من خاطبته الملائكة فهو نبي، ففي الحديث {زارَ رجُلٌ أخًا لَهُ في قريَةٍ فأرْصَدَ اللهُ لَهُ ملَكًا علَى مَدْرَجَتِه ، فقال : أينَ تُرِيدُ ؟ قال : أخًا لِي في هذِهِ القَرْيَةِ ، فقال : هل لَّهُ عليكَ مِنْ نعمةٍ ترُبُّها ؟ قال : لَا ؛ إلَّا أنِّي أُحِبُّه فِي اللهِ ، قال : فإنِّي رسولُ اللهِ إليكَ أنَّ اللهَ أحبَّكَ كمَا أَحْبَبْتَهُ}[3]، وقصة الأقرع والأبرص والأعمى معروفة، وفيها:

---

[1] فتح الباري 6/ 447.

[2] رواه البخاري 3769 ومسلم 2431 من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

[3] أخرجه البخاري في ((الأدب المفرد)) (350)، ومسلم (2567) باختلاف يسير.

{إنَّ ثلاثَةَ نَفَرٍ في بَنِي إِسْرَائِيلَ : أَبْرَصَ ، وأَقْرَعَ ، وأَعْمَى ، بدَا للهِ أنْ يَبْتَلِيَهُمْ فبعثَ إليهم مَلَكًا فَأَتَى الأَبْرَصَ ، فقال : أيُّ شيءٍ أحبُّ إليكَ ؟ قال : لَوْنٌ حَسَنٌ ، وجِلْدٌ حَسَنٌ ، قد قَذَّرَنِي الناسُ ، فَمسحَهُ ، فذهبَ ، وأُعْطِيَ لَوْنًا حَسَنًا ، وجِلْدًا حَسَنًا ، فقال : أيُّ المالِ أحبُّ إليكَ ؟ قال الإِبِلُ ، فَأُعْطِيَ ناقَةً عُشَرَاءَ ، فقال : يبارِكُ لكَ فيها ، وأَتَى الأَقْرَعَ ، فقال : أيُّ شيءٍ أحبُّ إليكَ ؟ قال : شَعْرٌ حَسَنٌ ، ويذهبُ هذا عَنِّي ، قد قَذَّرَنِي الناسُ ، فَمسحَهُ ، فذهبَ ، وأُعْطِيَ شَعْرًا حَسَنًا ، قال : فَأيُّ المالِ أحبُّ إليكَ ؟ قال : البَقَرُ ، فَأَعطَاهُ بَقَرَةً حامِلًا ، وقال : يبارِكُ لكَ فيها ، وأَتَى الأَعْمَى ، فقال : أيُّ شيءٍ أحبُّ إليكَ ؟ قال : يردُ اللهُ إلي بَصرِي ، فَأُبْصِرُ بِهِ الناسُ ، فَمسحَهُ ، فَرَدَّ اللهُ بَصَرَهُ ، قال : فَأيُّ المالِ أحبُّ إليكَ ؟ قال : الغنمُ ، فَأعطاهُ شَاةً والِدًا ، فَأنتجَ هذانِ ، ووَلَّدَ هذا ، فكانَ لِهذا وادٍ من إِبِلٍ ، ولِهذا وادٍ من بَقَرٍ ، ولِهذا وادٍ من غَنَمٍ،...الحديث}[1]، وقد جاء جبريل ﷺ يعلم الصحابة أمر دينهم بسؤال الرسول ﷺ والصحابة يشاهدونه ويسمعونه، وفيه: {... يا عُمَرُ أتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟ قُلتُ: اللَّهُ ورَسولُهُ أعْلَمُ، قالَ: فإنَّه جِبْرِيلُ أتاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ }[2].

الثالث: أنَّ النبوَّة قيادة، فالنبي هو ولي أمر قومه ولو لم يكن هو الحاكم، والقيادة ممنوعة على النساء، من ذلك قول النبي ﷺ: {لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلَّوْا أَمْرَهُمُ امْرَأَةً}[3].

الرابع: لا حجّة لهم في النصوص الدالة على اصطفاء الله لمريم، فالله قد صرح بأنّه اصطفى غير الأنبياء، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾[فاطر: 32].

الخامس: لا يلزم من لفظ الكمال الوارد في الحديث الذي احتجوا به النبوة؛ لأنّه يطلق لتمام الشيء، وتناهيه في بابه، فالمراد بلوغ النساء الكاملات النهاية في جميع الفضائل التي للنساء، وعلى ذلك فالكمال هنا غير كمال الأنبياء.

---

[1] أخرجه البخاري (3464)، ومسلم (2964) باختلاف يسير.

[2] أخرجه مسلم 8.

[3] رواه البخاري (4425)، ورواه النسائي في " السنن " (227/8).

السادس: ورد في بعض الأحاديث أن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة إلاّ ما كان من مريم ابنة عمران، وهو ما رواه أبو سعيد الخدري عن النبي قال: {الحسنُ والحسينُ سيِّدا شبابِ أَهلِ الجنَّةِ وفاطمةُ سيِّدةُ نسائِهِم إلَّا ما كانَ لمريمَ بنتِ عمرانَ}[1].

وهذا يبطل القول بنبوة من عدا مريم، كأم موسى وآسية، لأنّ فاطمة ليست بنبيّة جزماً، وقد نصَّ الحديث على أنها أفضل من غيرها، فلو كانت أم موسى وآسية نبيتان لكانتا أفضل من فاطمة.

السابع: وصف مريم بأنها صديقة في مقام الثناء عليها والإخبار بفضلها، قال تعالى: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ﴾[المائدة: 75]، فلو كان هناك وصفاً أعلى من ذلك لوصفها به، ولم يأت في نصّ قرآني ولا في حديث نبويّ صحيح إخبار بنبوة واحدة من النساء، وقد نقل القاضي عياض عن جمهور الفقهاء أنّ مريم ليست بنبيّة[2]، وذكر النووي في الأذكار عن إمام الحرمين أنّه نقل الإجماع على أنّ مريم ليست نبيّة[3]، ونسبه في شرح المهذب لجماعة، وجاء عن الحسن البصري: ليس في النساء نبيّة ولا في الجنّ[4].



[1] أخرجه أحمد (11636) واللفظ له، والنسائي في الكبرى (8461)،وأبو يعلى (1169)، وعن التمذي من طريق حذيفة بن اليمان وصححه الألباني 3781.

[2] إكمال المعلم 7/ 223.

[3] الأذكار ص: 119.

[4] فتح الباري 6/ 471، 473. للمزيد ينظر: الرسل والرسالات لعمر الأشقر – ص 86.

﴿المسألة الأولى﴾

﴿من لوازم بشرية الأنبياء﴾

من لوازم كون الرسل بشراً أن يتصفوا بالصفات التي لا تنفك البشرية عنها، وهي:

أولاً: يأكلون، ويشربون، وينامون، ويتزوجون، ويولد لهم:

فالرسل والأنبياء يحتاجون لما يحتاج إليه البشر من الطعام والشراب، ويحدِثونَ كما يحدث البشر، لأنّ ذلك من لوازم الطعام والشراب، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوٓاْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ * وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً لاَّ يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُواْ خَالِدِينَ﴾ [الأنبياء: 7 – 8].

ومن ذلك أنهم ولدوا كما يولد البشر، لهم آباء وأمهات، وأعمام وعمات، وأخوال وخالات، يتزوجون ويولد لهم، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجاً وَذُرِّيَّةً﴾ [الرعد: 38].

ويصيبهم ما يصيب البشر من أعراض، فهم ينامون ويقومون، ويصحون ويمرضون، ويأتي عليهم ما يأتي على البشر وهو الموت، فقد جاء في ذكر إبراهيم خليل الرحمن ﷺ لربه: ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ * وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ * وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ﴾ [الشعراء: 79 – 81].

وقال الله لعبده ورسوله محمد ﷺ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: 30]، **وقال مبيناً أنّ هذه سنته في الرسل كلهم حيث قال تعالى:** ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ [آل عمران: 144].

ثانياً: تعرض الأنبياء للبلاء:

ومن مقتضى بشرية الرسل أنّهم يتعرضون للابتلاء كما يتعرض البشر، فقد يسجنون كما سجن يوسف حيث قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ [يوسف: 33]، **وذكر الله**

أنه سجن فقال تعالى: ﴿فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾[يوسف: 42]، وقد يصيبهم قومهم بالأذى وقد يدمونهم، كما أصابوا الرسول ﷺ في معركة أحد فأدموه، وكسروا رباعيته، وقد يخرجونهم من ديارهم كما هاجر إبراهيم ﷺ من العراق إلى الشام، وكما هاجر نبينا محمد ﷺ من مكة إلى المدينة، وقد يقتلونهم كما قال تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾[البقرة: 87]، وقد يصابون بالأمراض، كما ابتلى الله نبيّه أيوب فصبر، وقد صحّ عن الرسول ﷺ: {أن نبيّ الله أيوب لبث به بلاؤه ثمان عشرة سنة، فرفضه القريب والبعيد إلا رجلين من إخوانه ...}[1].

وكان من ابتلائه أن ذهب أهله وماله، وكان ذا مال وولد كثير، قال تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ﴾[الأنبياء: 83 – 84].

والأنبياء لا يصابون بالبلاء فحسب، بل هم أشدُّ الناس بلاءً، فعن مصعب بن سعد عن أبيه قال: {قلت لرسول الله ﷺ: أيُّ الناس أشدُّ بلاءً؟ قال: الأنبياء، ثمّ الأمثل فالأمثل، يبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان دينه صلباً اشتدّ بلاؤه، وإن كان في دينه رقَّة ابتلي على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة}[2].

ثالثاً: اشتغال الأنبياء بأعمال البشر:

ومن مقتضى بشريتهم أنهم قد يقومون بالأعمال والأشغال التي يمارسها البشر، فمن ذلك اشتغال الرسول ﷺ بالتجارة، قبل البعثة، ومن ذلك رعي الأنبياء للغنم، فقد روى جابر بن عبد

---

[1] رواه أبو يعلى 6/ 299 – 3617، وابن حبان 7/ 157 – 2898، والحاكم 2/ 356، وأبو نعيم في ((حلية الأولياء)) 3/ 374، والضياء 7/ 184 – 2617، من حديث أنس رضي الله عنه. قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين، وقال الضياء: إسناده صحيح.

[2] رواه الترمذي 2398.

الله – رضي الله عنه – قال: {كنّا مع رسول الله ﷺ نجني الكَبَاث وإنّ رسول الله ﷺ قال: عليكم بالأسود منه، فإنّه أطيبه، قالوا: أكنت ترعى الغنم؟ قال: وهل من نبي إلا وقد رعاها}[1].

ومن الأنبياء الذين نصّ القرآن على أنهم رعوا الغنم نبيّ الله موسى عليه السلام، فقد عمل في ذلك عدةّ سنوات، فقد قال له العبد الصالح: ﴿إِنِّيَ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْراً فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ * قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾[القصص: 27 – 28]، قال ابن حجر: والذي قاله الأئمة أن الحكمة في رعاية الأنبياء للغنم ليأخذوا أنفسهم بالتواضع، وتعتاد قلوبهم بالخلوة، ويترقوا من سياستها إلى سياسة الأمم[2].

ومن الأنبياء الذي عملوا بأعمال البشر داود عليه السلام، فقد كان حدّاداً يصنع الدروع، قال تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّن بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ﴾[الأنبياء: 80]، كان حداداً، وفي نفس الوقت كان ملكاً، وكان يأكل مما تصنعه يداه.

ونبي الله زكريا كان يعمل نجاراً، فعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: {كان زكريا نجاراً}[3].

رابعاً: ليس فيهم شيء من خصائص الألوهية والملائكية:

ومقتضى كونهم بشراً أنهم ليسوا بآلهة، وليس فيهم من صفات الألوهية شيء، ولذلك فإنّ الرسل يتبرَّؤون من الحول والطول ويعتصمون بالله الواحد الأحد، ولا يَدَّعون شيئاً من صفات الله تعالى، قال تعالى مبيناً براءة عيسى مما نسب إليه: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ

---

[1] أخرجه البخاري (5453)، ومسلم (2050)، والكباث هو: ثمر الأراك، يشبه التين.

[2] فتح الباري 6/ 439.

[3] رواه مسلم 2379.

الْغُيُوبِ * مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾[116- 117].

هذه مقالة عيسى في الموقف الجامع في يوم الحشر الأكبر، وهي مقولة صدق تنفي تلك الأكاذيب والترهات التي وصف بها النصارى عبد الله ورسوله عيسى فطائفة قالت: الله هو المسيح ابن مريم حلّ في بطن مريم وقال الله فيهم: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾[المائدة: 72]، **وأخرى قالت: هو ثالث ثلاثة، وقال الله تعالى فيهم:** ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾[المائدة: 73]، **وطائفة ثالثة قالوا: هو ابن الله، تعالى الله عما يقولون علوّاً كبيراً قال تعالى فيهم:** ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَداً * لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا﴾[مريم: 88 – 89].

وأما الفرقة الأريسية وهم أتباع فرقة من فرق النصارى وقفوا في وجه مبدأ الثالوث، وكانوا يؤمنون بالتوحيد، مما جعلهم في صراع مع دعوة تأليه المسيح وتسويته بالإله الواحد الصمد، وهم أتباع آريوس، أحد رجال الكنيسة في القرن الرابع الميلادي، أصله ليبي، وقد عاش في مصر، وفيها حاول مقاومة فكرة ألوهية المسيح، وأن الابن مساوٍ للأب التي بدأ يتداولها بعض رجال الكنيسة، وقد أظهر آريوس مواقفه وآراءه في عهد بطريرك الإسكندرية ألكسندر الذي حاول مقاومة ما يطرحه آريوس، وأخيرا رموا بالهرطقة وقيل أن آريوس مات مسموما، وهم الفرقة التي قال النبي فيها في رسالته إلى هرقل عظيم الروم وفيها: { بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، من مُحمَّدٍ عبدِ اللهِ ورسولِه إلى هِرَقلَ عَظيمِ الرُّومِ، سلامٌ علَى من اتَّبعَ الهُدى، أمَّا بعدُ، فإنِّي أدعوكَ بدِعايةِ الإسلامِ، أَسلِمْ تَسلَمْ؛ يُؤْتِكَ اللهُ أجرَك مرَّتينِ؛ فإن تولَّيْتَ فإنَّ عليكَ إثمَ الأريسيِّينَ ويَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إلى قولِهِ اشْهَدُوْا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ}[1].

ولقد غلا النصارى في عيسى ﷺ غلواً عظيماً، وهم بمقالتهم الغالية هذه يسبُّون الله أعظم سبّ وأقبحه، فهم يزعمون: أنّ ربَّ العالمين نزل عن كرسي عظمته، فالتحم ببطن أنثى، وأقام

---

[1] أخرجه البخاري في ((الأدب المفرد)) (**1109**) واللفظ له، وأصله في صحيح البخاري (**4553**)، ومسلم (**1773**).

هناك مدةً من الزمان، بين دم الطمث في ظلمات الأحشاء، تحت ملتقى الأعكان، ثمّ خرج صبياً رضيعاً يشبُّ شيئاً فشيئاً، ويبكي، ويأكل، ويشرب، ويبول، ويتقلب مع الصبيان، ثمّ أودع المكتب بين صبيان اليهود، يتعلم ما ينبغي للإنسان، هذا وقد قطعت منه القلفة حين الختان، ثمّ جعل اليهود يطردونه من مكان إلى مكان، ثمّ قبضوا عليه وأحلوه أصناف الذلّ والهوان، فعقدوا على رأسه من الشوك تاجاً من أقبح التيجان، وأركبوه قصبة ليس لها لجام ولا عنان، ثمّ ساقوه إلى خشبة الصلب مصفوعاً مبصوقاً في وجهه، وهم خلفه وأمامه وعن شمائله والأيمان، ثمّ أركبوه ذلك المركب الذي تقشعرُّ منه القلوب مع الأبدان، ثمّ شدّت بالحبال يده مع الرجلين، ثمّ خالطهما تلك المسامير، التي تكسر العظام، وتمزق اللحمان، وهو يستغيث، ويقول: ارحموني، فلا يرحمه منهم إنسان، هذا وهو مدبر العالم العلوي والسفلي، الذي يسأله من في السماوات والأرض كل يوم هو في شأن، ثمّ مات ودفن في التراب تحت صم الجنادل والصوّان، ثمّ قام من القبر وصعد إلى عرشه وملكه بعد أن كان ما كان[1].

تصوَّر أنَّ هذه عقيدتهم، تصوَّر وهم اليوم يعتلون أعلى المناصب في الدنيا بفكرهم هذا، فإن كان هذا فكرهم فالله خالقهم، فلا ضير عندهم من تقتيل المسلمين، ونهب البلدان.

فأيّ سبّ أعظم من هذا السبّ الذي نسبوه إلى الباري جل وعلا! وأي ضلال أعظم من هذا الضلال![2].



[1] هداية الحيارى ص: 3 – 4.

[2] للمزيد ينظر:الرسل والرسالات لعمر الأشقر – ص 74.

﴿المسألة الثانية﴾

﴿من خصائص الأنبياء والرسل﴾

خصّ الله الأنبياء دون سائر البشر بخصائص نذكر منها:

أولا: الوحي: قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾[الكهف: 110].

وهذا الوحي يقتضي عدة أمور يفارقون بها الناس، فمن ذلك تكليم الله بعضهم، واتصالهم ببعض الملائكة، وتعريف الله لهم شيئاً من الغيوب الماضية أو الآتية، وإطلاع الله لهم على شيء من عالم الغيب.

وإن كان يحدث لبعض الناس من غير الرسل كما سبق وأشرنا ولكنَّه من خصائص الرسل.

فمن ذلك الإسراء بالرسول ﷺ إلى بيت المقدس، والعروج به إلى السماوات العُلى، ورؤيته للملائكة والأنبياء، وإطلاعه على الجنّة والنار، ومن ذلك سماعه للمعذبين في قبورهم، وفي الحديث عن أنس أن النبي ﷺ قال: {لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر}[1].

وعن أبي أيوب الأنصاري، قال: {خرج رسول الله ﷺ بعدما غربت الشمس فسمع صوتاً، فقال: يهود تعذب في قبورها}[2].

ثانيا تنام أعينهم وقلوبهم لا تنام:

ومما اختصهم الله تعالى به أنّ أعينهم تنام وقلوبهم لا تنام، عن عائِشةَ رَضِيَ اللهُ عنها أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: {إنَّ عَينيَّ تنامانِ، ولا ينامُ قلبي}[3].

وقال النَّبِيُّ ﷺ: {إنَّا -مَعْشَرَ الأنبياءِ- تنامُ أعيُننا ولا تنامُ قُلوبُنا}[4].

قال الخطابي: أمَّا نومُ النَّبِيِّ ﷺ مُضطَجِعًا حتى نَفَخ، وقيامُه إلى الصَّلاةِ من غيرِ إحداثِ وُضوءٍ، فإنَّ ذلك من خصائصِه التي ليس للأُمَّةِ أن يأْتَسُوا به فيها.

---

[1] رواه مسلم 2868.

[2] أخرجه البخاري (1375)، ومسلم (2869) واللفظ له. للمزيد ينظر: الرسل والرسالات لعمر الأشقر – ص 90.

[3] رواه البخاري 1147، ومسلم 738.

[4] أخرجه البخاري (3570) مُطَوَّلًا باختلافٍ يسيرٍ مِن حَديثِ أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عنه.

فعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: {نِمْتُ عِنْدَ مَيْمُونَةَ وَالنَّبِيُّ ﷺ عِنْدَهَا تِلْكَ اللَّيْلَةَ ، فَتَوَضَّأَ ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي، فَقُمْتُ عَلَى يَسَارِهِ، فَأَخَذَنِي فَجَعَلَنِي عَنْ يَمِينِهِ، فَصَلَّى ثَلَاث عَشْرَةَ رَكْعَةً، ثُمَّ نَامَ حَتَّى نَفَخَ، وَكَانَ إِذَا نَامَ نَفَخَ، ثُمَّ أَتَاهُ الْمُؤَذِّنُ فَخَرَجَ فَصَلَّى وَلَمْ يَتَوَضَّأْ}[1].

وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: {كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَنَامُ حَتَّى يَنْفُخَ، ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّي وَلا يَتَوَضَّأُ}[2].

والعلَّةُ في ذلك مذكورةٌ في الحديثِ، وهي قَوْلُه ﷺ: {تنام عيناي، ولا ينامُ قلبي} فأخبر أنَّ يقظةَ قَلْبِه تَعصِمُه من الحدَثِ، وإن أحدث انتبه لذلك.

وقال عَمرُو بنُ دينارٍ: سَمِعتُ عُبَيدَ بنَ عُمَيرٍ يقولُ: إنَّ رُؤْيَا الأنْبِيَاءِ وحْيٌ ثُمَّ قَرَأَ: ﴿إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾ [الصافات: 102][3].

يريدُ بهذا القَولِ أنَّه إنما مُنع النومَ قلبُه؛ ليَعيَ الوَحيَ إذا أوحِيَ إليه في منامِه[4].

ثالثا: الأنبياء والرسل مخيَّرون عند الموت:

مما تفرد به الأنبياء أنّهم يخيَّرون بين الدنيا والآخرة، عن عائِشةَ رَضِيَ اللهُ عنها قالت: سَمِعتُ رَسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: {ما من نَبيٍّ يمرَضُ إلَّا خُيِّرَ بين الدُّنيا والآخرةِ، وكان في شكواه الذي قُبِضَ فيه أخذَتْه بحَّةٌ شديدةٌ، فسَمِعْتُه يقولُ: مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ [النساء: 69]، فعَلِمتُ أنَّه خُيِّرَ}[5].

وعنها رَضِيَ اللهُ عنها قَالَتْ: {كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ وَهْوَ صَحِيحٌ: لَنْ يُقْبَضَ نَبِيٌّ قَطُّ حَتَّى يَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ ثُمَّ يُخَيَّرُ، فَلَمَّا نَزَلَ بِهِ وَرَأْسُهُ عَلَى فَخِذِي غُشِيَ عَلَيْهِ سَاعَةً ثُمَّ أَفَاقَ، فَأَشْخَصَ بَصَرَهُ إِلَى السَّقْفِ ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ الرَّفِيقَ الأَعْلَى. قُلْتُ: إِذًا لَا يَخْتَارُنَا وَعَلِمْتُ أَنَّهُ

---

[1] رواه البخاري 698 ومسلم 763.

[2] أخرجه ابن ماجه (474) وصححه الألباني.

[3] أخرجه البخاري 859، ومسلم 763.

[4] للمزيد يُنظر: أعلام الحديث 232/1.

[5] رواه البخاري (4586) واللَّفظُ له، ومسلم (2444).

الْحَدِيثُ الَّذِى كَانَ يُحَدِّثُنَا وَهْوَ صَحِيحٌ. قَالَتْ: فَكَانَتْ تِلْكَ آخِرَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا: اللَّهُمَّ الرَّفِيقَ الأَعْلَى}[1].

قال أبو العَبَّاسِ القُرطبيُّ: تخييرُ اللهِ للأنبياءِ عند الموتِ مبالغةٌ في إكرامِهم وفي ترفيعِ مَراتِبِهم عندَ اللهِ تعالى، ولِيَستخرِجَ منهم شِدَّةَ شَوقِهم، ومحبَّتَهم له تعالى ولِما عندَه[2].

وقال ابنُ حَجَرٍ: من خصائِصِ الأنبياءِ أنَّه لا يُقبَضُ نَبيٌّ حتى يخيَّرَ بين البقاءِ في الدُّنيا وبين الموتِ[3].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عنه أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: {أُرْسِلَ مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، فَلَمَّا جَاءَهُ صَكَّهُ فَرَجَعَ إِلَى رَبِّهِ فَقَالَ: أَرْسَلْتَنِي إِلَى عَبْدٍ لَا يُرِيدُ الْمَوْتَ! قَالَ: ارْجِعْ إليه فَقُلْ لَهُ يَضَعُ يَدَهُ عَلَى مَتْنِ ثَوْرٍ فَلَهُ بِمَا غَطَّتْ يَدُهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ سَنَةٌ. قَالَ: أَيْ رَبِّ، ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: ثُمَّ الْمَوْتُ. قَالَ: فَالآنَ}[4].

رابعا: يُدفنُ النبي حيث يموت:

ممّا خص به الأنبياء بعد موتهم أمور تتعلق بهم في القبر، منها: الأول: أنّه لا يقبر نبيٌّ إلاّ في الموضع الذي مات فيه، فعن عائشةَ رَضِيَ اللهُ عنها، قالت : {لما قُبِضَ رسولُ اللهِ ﷺ اختلفوا في دَفْنِهِ، فقال أبو بكرٍ رَضِيَ اللهُ عنه: سَمِعْتُ من رسولِ اللهِ ﷺ شيئًا، قال: ما قبض اللهُ نبيًّا إلا في الموضعِ الذي يحبُّ أن يُدْفَنَ فيه؛ ادفِنُوه في موضعِ فراشِهِ}[5].

خامسا: لا تأكل الأرض أجسادهم إذا دفنوا:

ومن إكرام الله لأنبيائه ورسله أنّ الأرض لا تأكل أجسادهم، فمهما طال الزمان وتقادم العهد تبقى أجسادهم محفوظة من البلى، ففي الحديث عن رسول الله ﷺ قال: {... إنَّ اللهَ حَرَّمَ على الأرضِ أن تأكُلَ أجسادَ الأنبياءِ}[6].

---

[1] رواه البخاري (6348) واللَّفظُ له، ومسلم (2444).

[2] يُنظر: ((المفهم)) لأبي العباس القرطبي (6/ 328).

[3] يُنظر: ((فتح الباري)) (10/ 131).

[4] أخرجه مطولاً البخاري (1339) واللفظ له، ومسلم (2372).

[5] أخرجه الترمذي 1018، وصححه الألباني في هداية الرواة 5909.

[6] أخرجه أبو داود (1047)، والنَّسائيُّ (1374)، وابن ماجهْ (1636) من حديث أوس بن أوس رَضِيَ اللهُ عَنهُ. وقدِ اختُلِف في تصحيحه وتضعيفه. فصحَّحه ابن خُزيمة في ((صحيحه)) (1733)، وابن حِبَّان في ((صحيحه)) (910)=

وهذا لا يُستغرب فقد جاء في البداية والنهاية لابن كثير: وقال يونس بن بكير، عن محمد بن إسحاق، عن أبي خلدة خالد بن دينار حدثنا أبو العالية قال: لما افتتحنا تستر وجدنا في مال بيت الهرمزان سريرا، عليه رجل ميت، عند رأسه مصحف، فأخذنا المصحف فحملناه إلى عمر بن الخطاب، فدعا له كعبا فنسخه بالعربية، فأنا أول رجل من العرب قرأه، قرأته مثل ما أقرأ القرآن هذا، فقلت لأبي العالية : ما كان فيه؟ قال: سيركم وأموركم ولحون كلامكم وما هو كائن بعد، قلت: فما صنعتم بالرجل؟ قال: حفرنا بالنهار ثلاثة عشر قبرا متفرقة، فلما كان بالليل دفناه وسوينا القبور كلها؛ لنعميه على الناس فلا ينبشونه، قلت: فما يرجون منه ؟ قال: كانت السماء إذا حبست عنهم برزوا بسريره فيمطرون، قلت: من كنتم تظنون الرجل؟ قال: رجل يقال له دانيال، قلت: منذ كم وجدتموه قد مات؟ قال: منذ ثلاثمائة سنة، قلت: ما تغير

=والحاكم على شرط الشَّيخَين في ((المستدرَك)) (**776/5**)، ومحمَّد بن عبد الهادي في ((الصَّارم المُنكي)) (**336**)، وابن باز في ((فتاوى نور على الدَّرب)) (**206/2**)، والألبانيُّ في ((صحيح سنن أبي داود)) (**1047**)، وصحَّحه لغيره شعيبٌ الأرناؤوط في تخريج ((سنن أبي داود)) (**1047**)، وحسَّنه ابن العربيِّ في -كما في ((التَّذكِرة)) للقُرطبيِّ (**164**)-، وصحَّح إسنادَه النَّوويُّ في ((المجموع)) (**548/4**)، وجوَّده الشَّوكانيُّ في ((نَيل الأوطار)) (**305/3**)، وذكر ثُبوتَه ابنُ تيميَّةَ في ((حقوق آل البيت)) (**60**)، وقال ابن القيِّم في ((تهذيب السُّنن)) (**389/4**): «غَلِط في هذا الحَديثِ فَريقانِ: فَريقٌ في لَفظِه، وفَريقٌ في تَضعيفِه»، وذكر في ((جِلاء الأفهامِ)) (**149**) أنه قوَّاه بعضُهم، وقال ابن حجر في ((التَّلخيص الحبير)) (**593/2**): «له شاهِدٌ». وقال المُنذريُّ في ((التَّرغيب والتَّرهيب)) (**336/1**): «له عِلَّةٌ دَقيقةٌ امتازَ إلَيها البُخاريُّ وغَيرُه»، وقال ابن العربيِّ في ((عارضة الأحوذي)) (**471/1**): «لم يَثبُتْ»، وذكر ابن القطَّان في ((الوهم والإيهام)) (**574/5**) أن هذه الزِّيادةَ فيها عبدُ الرحمن بن يزيدَ بنِ تميمٍ؛ مُنكر الحديثِ ضَعيفُه، وقال السَّخاويُّ في ((القول البديع)) (**231**): «لهذا الحَديثِ عِلَّةٌ خَفِيَّةٌ». والحديثُ رُوي عن أبي الدَّرداءِ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قال: قال رَسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسَلَّم: ((أكثِروا الصَّلاةَ عَلَيَّ يومَ الجُمُعةِ؛ فإنَّه مَشهودٌ تَشهَدُه المَلائكةُ، وإنَّ أحَدًا لن يُصَلِّيَ عَلَيَّ إلَّا عُرِضَت عَلَيَّ صَلاتُه حتَّى يَفرُغَ مِنها. قال: قُلتُ: وبَعدَ المَوتِ؟ قال: وبَعدَ المَوتِ؛ إنَّ اللهَ حَرَّمَ على الأرضِ أن تأكُلَ أجسادَ الأنبياءِ؛ فنَبيُّ اللهِ حَيٌّ يُرزَقُ)). أخرجه ابن ماجهْ (**1637**) واللَّفظ له، والطَّبريُّ في ((تهذيب الآثار - الجزء المفقود)) (**354**)، والثَّعلبي في ((التفسير)) (**165/10**) جوَّد إسنادَه المنذريُّ في ((التَّرغيب والتَّرهيب)) (**404/2**). وقال البخاريُّ -كما في ((تحفة المحتاج)) لابن المُلَقِّن (**527/1**)-: «زَيدٌ عن عُبادةَ مُرسَلٌ»، وقال محمَّد بن عبد الهادي في ((الصَّارم المُنكي)) (**349**): «فيه إرسالٌ». وذكر أن فيه مجهولَ الحالِ، وقال ابن كثير في ((التَّفسير)) (**464/6**): «غَريبٌ من هذا الوَجهِ، وفيه انقِطاعٌ»، وقال ابن المُلَقِّن في ((البدر المنير)) (**288/5**): «إسنادُه حسَنٌ، إلَّا أنَّه غَيرُ مُتَّصِلٍ»، وقال البُوصيريُّ في ((مِصباح الزُّجاجة)) (**294/1**): «إسنادٌ رِجالُه ثِقاتٌ، إلَّا أنَّه مُنقَطِعٌ»، وقال السَّخاويُّ في ((القول البديع)) (**233**): «رجاله ثقات، لَكِنَّه مُنقَطِعٌ»، وضعَّفه الألبانيُّ في ((ضعيف سنن ابن ماجهْ)) (**1637**)، وقال: «غالِبُه في الصَّحيحِ».

منه شيء؟ قال: لا إلا شعرات من قفاه؛ إن لحوم الأنبياء لا تبليها الأرض ولا تأكلها السباع.
قال ابن كثير: وهذا إسناد صحيح إلى أبي العالية ولكن إن كان تاريخ وفاته محفوظا من ثلاثمائة سنة، فليس بنبي بل هو رجل صالح: لأن عيسى ابن مريم ليس بينه وبين رسول الله ﷺ نبي، بنص الحديث الذي في البخاري والفترة التي كانت بينهما أربعمائة سنة، وقيل: ستمائة، وقيل: ستمائة وعشرون سنة، وقد يكون تاريخ وفاته من ثمانمائة سنة، وهو قريب من وقت دانيال إن كان كونه دانيال هو المطابق لما في نفس الأمر؛ فإنه قد يكون رجلا آخر؛ إما من الأنبياء أو الصالحين، ولكن قربت الظنون أنه دانيال لأن دانيال كان قد أخذه ملك الفرس، فأقام عنده مسجونا كما تقدم، وقد روي بإسناد صحيح إلى أبي العالية أن طول أنفه شبر، وعن أنس بن مالك بإسناد جيد، أن طول أنفه ذراع، فيحتمل على هذا أن يكون رجلا من الأنبياء الأقدمين قبل هذه المدد، والله أعلم[1]. اهـ

وعلى كل حال؛ فغن كان الرجل رجلا صالحا ولم يتغير منذ ثلاث مائة سنة، فالأنبياء من باب أولى، وإن كان هو نفسه دانيال النبي فهو كذلك.

سادسا: الأنبياء والرسل أحياء في قبورهم يصلون:

قد نصَّت بعضُ الأحاديثِ الصَّحيحةِ على ذِكْرِ حياةِ بَعضِ الأنبياءِ عليهم السَّلامُ في قُبورِهم.
فعن أنسِ بنِ مالكٍ رَضِيَ اللهُ عنه أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: {مَرَرْتُ علَى مُوسَى لَيْلَةَ أُسْرِيَ بي عِنْدَ الكَثِيبِ الأحْمَرِ، وَهو قَائِمٌ يُصَلِّي في قَبْرِهِ}[2].
وعن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنه أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: {لا تجعَلوا قبرِي عيدًا وصلُّوا عليَّ فإنَّ صلاتَكم تبلغُني حيثُما كنتُم}[3].

---

[1] البداية والنهاية لابن كثير 374/2.
[2] رواه مسلم (2375).
[3] أخرجه أبو داود (2042) واللَّفظُ له، وأحمد (8804) مِن حَديثِ أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنه. صَحَّحه الألباني في ((صحيح سنن أبي داود)) (2042)، وصَحَّحه لغيره شعيب الأرناؤوط في تخريج ((سنن أبي داود)) (2042)، وحَسَّنه ابن تيمية في ((الإخنائية)) (265)، ومحمد بن عبد الهادي في ((الصارم المنكي)) (207)، وابن حجر في ((الفتوحات الربانية)) (314/3).

وعن ابنِ مسعودٍ رَضِيَ اللهُ عنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: {إنَّ للهِ مَلائِكةً سيَّاحين في الأرضِ يُبَلِّغوني من أمَّتي السَّلامَ}[1].

وكل هذا يدل على أنَّ الأنبياء أحياء في قبوهم، وأنَّ سعادة الأنبياء بعبادتهم لربهم فالله تعالى اكرمهم بأن تركهم في قبورهم يصلون ويعبدون، بعد أن أمضوا حياتهم في الدعوة ممَّا لم يترك لهم الوقت الكافي للتمتع بالعبادة، فكانت أوَّل كرامة لهم أنهم في قبوهم يصلون والله أعلم.

وهذا من جملةِ اعتِقادِ أحمدَ بنِ حَنبَلٍ أنَّه كان يقولُ: إنَّ الأنبياءَ أحياءٌ في قُبورِهم يُصَلُّونَ[2].

وقال ابنُ تَيمِيَّةَ: الأنبياءُ أحياءٌ في قُبورِهم، وقد يُصَلُّون كما رأى مُحَمَّدٌ موسى – صَلَواتُ اللهِ وسلامُه عليهما وعلى سائِرِ الأنبياءِ– في قَبْرِه ليلةَ الإسراءِ[3].

سابعا: الأنبياء والرسل معصومون الوقوع في الكبائر:

اتَّفَق العُلَماءُ على أنَّ الأنبياء معصومون من الكبائِرِ، واختلفوا في وقوعِ الصَّغائِرِ منهم.

قال عياض: لا خلافَ في عصمةِ الأنبياءِ مِن الكبائِرِ[4].

وقال القُرطُبيُّ: اختلف العُلَماءُ في هذا البابِ: هل وقع من الأنبياءِ صَلواتُ اللهِ عليهم أجمعين صغائِرُ من الذُّنوبِ يؤاخَذون بها ويُعاتَبون عليها أم لا، بعد اتِّفاقِهم على أنَّهم معصومون من الكبائِرِ ومن كُلِّ رذيلةٍ فيها شَينٌ ونَقصٌ إجماعًا[5].

وقال ابنُ تَيمِيَّةَ: القَولُ بأنَّ الأنبياءَ معصومون من الكبائِرِ دون الصَّغائِرِ هو قَولُ أكثَرِ عُلَماءِ الإسلامِ، وجميعِ الطَّوائِفِ، حتى إنَّه قَولُ أكثَرِ أهلِ الكلامِ، كما ذكر أبو الحسَنِ الآمديُّ أنَّ هذا قَولُ أكثَرِ الأشعريَّة، وهو أيضًا قولُ أكثَرِ أهلِ التفسيرِ والحديثِ والفُقَهاءِ، بل لم يُنقَلْ عن السَّلَفِ والأئمَّةِ والصَّحابةِ والتابعين وتابعيهم إلَّا ما يوافِقُ هذا القَولَ[6].

---

[1] أخرجه النسائي (1282) واللَّفظُ له، وأحمد (3666). صَحَّحه ابن حبان في ((صحيحه)) (914)، وابن باز في ((مجموع الفتاوى)) (311/9)، والألباني في ((صحيح سنن النسائي)) (1282)، والوادعي على شرط مسلم في ((الصحيح المسند)) (885).

[2] يُنظر: ((العقيدة رواية أبي بكر الخلال)) (ص: 121).

[3] يُنظر: ((المستدرك على مجموع الفتاوى)) (1/ 101).

[4] يُنظر: ((الشفا)) 171/2.

[5] يُنظر: ((تفسير القرطبي)) (308/1).

[6] يُنظر: ((مجموع الفتاوى)) (319/4).

وقال أيضًا: هم متَّفِقون على أنَّهم لا يُقَرُّون على خطأٍ في الدِّينِ أصلًا ولا على فُسوقٍ ولا كَذِبٍ، ففي الجملةِ كُلُّ ما يقدَحُ في نبُوَّتِهم وتبليغِهم عن اللهِ فهم متَّفِقون على تنزيهِهم عنه. وعامَّةُ الجمهورِ الذين يجَوِّزون عليهم الصَّغائرَ يقولون: إنهم معصومون من الإقرارِ عليها، فلا يَصدرُ عنهم ما يَضُرُّهم[1].

وقال ابنُ حَجَرٍ: الأنبياءُ معصومون من الكبائرِ بالإجماعِ، واختُلِفَ في جوازِ وقوعِ الصَّغائرِ[2].

وقد استدلَّ جمهورُ العُلَماءِ على وُقوعِ الصَّغائرِ مِن الأنبياءِ عليهم السَّلام بعدَّة أدِلَّة؛ منها:

1 – وقوعُ آدَمَ عليه السَّلامُ في معصيةِ أكْلِه من الشَّجَرةِ التي نهاه اللهُ تعالى عن الأكلِ منها.

قال اللهُ تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى * فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى * إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى * وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى * فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى * فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾[طه: 116-121].

2 – دعاءُ نوحٍ ربَّه في ابنِه الكافِرِ.

قال اللهُ عَزَّ وجَلَّ: ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾[هود: 45].

فلامه ربُّه على مقالتِه تلك، وأعلمه أنَّه ليس من أهْلِه، ﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾[هود: 46]، **فاستغفر ربَّه من ذَنْبِه، وتاب وأناب** ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[هود: 47].

---

[1] يُنظر: ((منهاج السنة النبوية)) (**472/1**).

[2] يُنظر: ((فتح الباري)) (**69/8**).

3 – داود عليه السَّلامُ أذنب ذنبًا[1] فأسرع إلى التوبةِ، فغفر اللهُ له ذَنْبَه.

﴿فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ * فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ﴾ [ص: 24 – 25].

4 – معاتبةُ اللهِ تعالى لنبيِّه مُحَمَّدٍ ﷺ في أمورٍ؛ منها:

أ – تحريمُ النَّبيِّ ﷺ العَسَلَ أو مارِيَةَ القِبطيَّةَ على نَفْسِه[2].

قال اللهُ تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التحريم: 1].

ب – معاتبةُ اللهِ تعالى له لعُبوسِه في وَجهِ ابنِ أمِّ مكتومٍ رَضِيَ اللهُ عنه، وانشغالِه عنه بطواغيتِ الكُفْرِ يدعوهم إلى اللهِ.

قال اللهُ سُبحانَه: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى * أَن جَاءَهُ الْأَعْمَى * وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى * أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَى﴾ [عبس: 1–4].

وينبغي أن يُعلَمَ في هذا المقامِ عِدَّةُ أمورٍ:

1 – أنَّ اللهَ تعالى يُنَبِّهُ رُسُلَه وأنبياءَه عليهم السَّلامُ على ما وقع منهم من مخالفاتٍ ويُوَفِّقُهم إلى المبادرةِ بالتوبةِ منها، من غيرِ تأخيرٍ، وتعليم للناس.

2 – أنَّ خطأ الأنبياء يأتي من اجتهاد منهم، وقد سبق وتحدثنا عن اجتهاد النبي ﷺ، وقلنا هو على ثلاثة أنواع: الأول: أن يقره الله عليه، الثاني: أن يصححه الله له ثمَّ يقره عليه، الثالث: أن يمنعه من ذلك، وكنا قد قلنا أنَّ كل حركات وسكنات وهمسات الأنبياء وحي من الله تعالى، فلا يحسبنَّ أحدًا أن صغائر الأنبياء أخطاء في حد ذاتها، لا، هذا خطأ، بل تقدَّم وأوضحنا أنَّ أخطاء الأنبياء إما لتعليم الناس، أو للتدرج في الحكم، فهم في أصلهم معصومون عن كل خطأ كبير أو صغير، ولكن يأتي الخطأ منهم كعبوس النبي ﷺ في وجه الأعمى لتعليم الناس، ومما

---

[1] قال ابن كثير: (قد ذكر كثيرٌ من المفسِّرين من السَّلَفِ والخَلَفِ هاهنا قِصَصًا وأخبارًا أكثَرُها إسرائيليَّاتٌ، ومنها ما هو مكذوبٌ لا محالةَ، ترَكْنا إيرادَها في كتابِنا قصدًا؛ اكتفاءً واقتصارًا على مجرَّدِ تلاوةِ القِصَّةِ من القرآنِ العظيمِ، واللهُ يهدي من يشاءُ إلى صراطٍ مستقيمٍ) ((البداية والنهاية)) (**2/309**).

[2] يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (**23/89**)، ((تفسير ابن الجوزي)) (**4/304**).

علمنا من ذلك، أنَّ الفرد الواحد الأعمى عند الله تعالى خير من ملئ الأرض من صناديد الكفار، وعلمنا بذلك قاعدة ذهبية، وهي: أنَّ الأفضلية خير من العددية، وكل هذا علمناه من عبوس النبي ﷺ في وجه ابن أم مكتوم الأعمى، وكذلك التدرج في الحكم مما حدث في أسارى بدر، وعتاب الله تعالى لنبيه، ثمَّ بعد ذلك أقرَّ عليه الفداء، بل وخيره بين المن والفداء، وعليه: فلا خطأ للأنبياء على الحقيقة، بل هم معصومون كل العصمة، وأنَّ الأنبياء رجال الله الحق، وهو مستعملهم في تعليم عباده بطريقته سبحانه، وهو لا يسأل عمَّا يفعل، فنخرج بهذا أنَّ الأنبياء معصومون بالعصمة المطلقة على الحقيقة، وأنهم غير معصومون من الصغائر معنويا فقط، هذا والله أعلم.



﴿المبحث الرابع﴾

﴿اتّباع الأنبياء والرّسل عليهم الصلاة والسلام﴾

إنَّ الله تعالى أرسل أنبيائه ليطاعوا وليتَّبعوا، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾[النساء: 64].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾[آل عمران: 31].

وقال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾[النساء: 80].

ويفهم من كل ما سبق أنَّ طاعة الأنبياء واجبة، وأنَّ اتباعهم في أوامرهم واجب، وأنه لا يجوز لأحد الاختلاف على الأنبياء بحيث لا يطيعهم في بعض الأمر، أو لا يتبعهم، أو يأتي بحكم من عنده لم يأذن به النبي، فكل ذلك لا يجوز، وحكم عدم اتباع الأنبياء إن كان كرها لهم، أو عدم الرضا بهم أو بحكمهم فهو كفر، وأمَّا عدم اتباعهم في بعض الأمر من جهة الشهوة وغيرها فهو معصية دون الكفر.



﴿ المبحث الخامس ﴾

﴿ توقير الأنبياء والرّسل عليهم الصلاة والسلام ﴾

إنَّ توقير الأنبياء من أوجب الواجبات، فقد قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ * إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الحجرات: 2 – 3].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفتح: 8 – 9].

وقال تعالى: قال تعالى: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾**[الأعراف: 157].**

وعن المِسْوَرِ بن مَخْرَمةَ، ومَرْوانَ بنِ الحَكَمِ في حديثِ صُلحِ الحُدَيبيَةِ: {ثمَّ إنَّ عُروةَ جعَل يرمُقُ أصحابَ النَّبيِّ ﷺ بعينيه، قال: فواللَّهِ ما تنخَّم رسولُ اللَّهِ ﷺ نُخامةً إلَّا وقعَت في كَفِّ رَجُلٍ منهم، فدَلَك بها وَجْهَه وجِلْدَه! وإذا أمَرَهم ابتَدَروا أمرَه، وإذا توضَّأ كادوا يقتَتِلون على وَضوئِه، وإذا تكلَّم خفَضوا أصواتَهم عندَه، وما يُحِدُّون إليه النَّظَرَ تعظيمًا له، فرَجَع عُروةُ إلى أصحابِه، فقال: أيْ قَومِ، واللَّهِ لقد وفَدتُ على الملوكِ، ووفَدتُ على قَيصَرَ وكِسرى والنَّجاشيِّ، واللَّهِ إنْ رأيتُ مَلِكًا قَطُّ يُعَظِّمُه أصحابُه ما يُعَظِّمُ أصحابُ محمَّدٍ ﷺ محمَّدًا، واللَّهِ إنْ تنخَّمَ نُخامةً إلَّا وقعَت في كَفِّ رجُلٍ منهم، فدَلَك بها وَجْهَه وجِلدَه، وإذا أمَرهم ابتدَروا أمرَه، وإذا توضَّأ كادوا يقتَتِلون على وَضوئِه، وإذا تكلَّم خَفَضوا أصواتَهم عندَه، وما يُحِدُّون إليه النَّظَرَ تعظيمًا له}[1].

[1] أخرجه البخاري **2731، 2732.**

وفي القِصَّةِ نفسِها {أنَّ عُروةَ بنَ مَسعودٍ جَعَل يُكَلِّمُ ﷺ، فكلَّما تكَلَّم أخَذ بلِحيتِه، والمُغيرةُ بنُ شُعبةَ قائِمٌ على رأسِ النَّبيِّ ﷺ، ومعه السَّيفُ وعليه المِغفَرُ، فكُلَّما أهوى عُروةُ بيَدِه إلى لحيةِ النَّبيِّ ﷺ ضَرَب يَدَه بنَعلِ السَّيفِ، وقال له: أخِّرْ يَدَك عن لحيةِ رَسولِ اللَّهِ ﷺ}[1].

عن عَمرِو بنِ العاصِ رَضِيَ اللَّهُ عنه: {وما كانَ أحَدٌ أحَبَّ إلَيَّ من رَسولِ اللهِ ﷺ، ولا أجَلَّ في عَينِي منه، وما كُنتُ أُطيقُ أن أملأَ عَينَيَّ منه إجلالًا له، ولو سُئِلتُ أن أصِفَه ما أطَقتُ؛ لأنِّي لم أكُنْ أملأُ عَينَيَّ منه}[2].

وعن أبي أيُّوبَ رَضِيَ اللَّهُ عنه: {أنَّ النَّبيَّ ﷺ نَزَل عليه، فنَزَل النَّبيُّ ﷺ في السُّفْلِ، وأبو أيُّوبَ في العُلْوِ، فانتبه أبو أيُّوبَ ذاتَ ليلةٍ، فقال: نمشي فوقَ رأسِ رَسولِ اللهِ ﷺ! فتنَحَّوا، فباتوا في ناحيةٍ، ثمَّ قال للنَّبيِّ ﷺ، فقال النَّبيُّ ﷺ: السُّفْلُ أرفَقُ، فقال: لا أعلو سَقيفةً أنت تحتَها، فتحوَّل النَّبيُّ ﷺ في العُلْوِ، وأبو أيُّوبَ في السُّفْلِ، وكان يصنَعُ للنَّبيِّ ﷺ طعامًا، فإذا رُدَّ إليه سأَلَ عن موضِعِ أصابعِ رَسولِ اللهِ ﷺ، فيتَتَبَّعُ موضِعَ أصابعِ النَّبيِّ ﷺ، فصَنَع له طعامًا فيه ثُومٌ، فلمَّا رُدَّ إليه سأل عن موضِعِ أصابعِ رسولِ اللهِ ﷺ، فقيل له: إنَّه لم يأكُلْ منه، فصَعِدَ إليه فقال: أهو حرامٌ؟ قال: لا، ولكنِّي أكرَهُه، قال: فإنِّي أكرَهُ ما تكرَهُ، أو ما كَرِهْتَ}[3].

وعن البراءِ بنِ عازبٍ رَضِيَ اللَّهُ عنهما قال: {إنْ كان ليأتي عَلَيَّ السَّنةُ أريدُ أن أسأَلَ رسولَ اللَّهِ ﷺ عن شَيءٍ فأتهَيَّبُ منه}[4].

فيفهم من كل هذا أنَّ توقير الأنبياء عقيدة السلف، وأنَّ من بعدهم أحق بتوقير النبي ﷺ وهكذا كل جيل بعدهم، وأنَّ من لم يوقر أنبياء الله تعالى؛ فإنه لم يوقر الله تعالى، يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: 80]، وعليه فمن لم يطع الرسول فإنه لم يطع الله تعالى، وقس عليه توقير الرسول ﷺ؛ فإنه من لم يوقر الرسول ﷺ لم يوقر الله تعالى.

وتوقير الرُّسل يكون بلا غلو في ذلك، لما سيأتي بيانه في بابه.

---

[1] أخرجه البخاري (2731، 2732).

[2] أخرجه مسلم (121).

[3] أخرجه مسلم (2053).

[4] أخرجه أبو يعلى كما في ((إتحاف الخيرة المهرة)) للبوصيري (239/1) واللفظ له، والروياني في ((المسند)) (308). صحَّح إسناده أحمد شاكر في ((عمدة التفسير)) (156/1).

﴿المبحث السادس﴾

﴿معجزات وآيات الرُّسِل عليهم الصلاة والسلام﴾

تعريف: الآية:

الآية في اللغة: العلامة الدالة على الشيء.

والآية اصطلاحا: ما يجريه الله على أيدي رسله وأنبيائه من أمور خارقة للسنن الكونية المعتادة التي لا قدرة للبشر على الإتيان بمثلها، كتحويل العصا إلى أفعى تتحرك وتسعى، فتكون هذه الآية الخارقة للسنة الكونية المعتادة دليلاً غير قابل للنقض والإبطال، يدلُّ على صدقهم فيما جاؤوا به.

وعليه: فالآية : هي العلامة الدالة على نبوءة النبي أو رسالة الرسول، وتكون خارقة للعادة ومن باب التحدي.

ولكنَّ من القوم من يشترط التحدي في المعجزة لا في الآية.

المعجزة في اللغة: اسم فاعل مأخوذ من العجز الذي هو زوال القدرة عن الإتيان بالشيء من عمل أو رأي أو تدبير[1].

وفي الاصطلاح: يعرّفها الفخر الرازي: بأنّها أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدي، سالم عن المعارضة [2].

ويعرفها ابن حمدان الحنبلي؛ بأنَّها ما خرق العادة من قول أو فعل إذا وافق دعوى الرسالة وقارنها وطابقها على جهة التحدي ابتداءً بحيث لا يقدر أحدٌ على مثلها، ولا على ما يقاربها[3].

وأقول: أنَّ المعجزة ما يأتي به العبد الصالح مما لا يقدر عليه غيره من خوارق العادات.

وإنَّ الرازي، وابن حمدان، جمع في المعنى بين الآية والمعجزة، لذلك عرفوا الآية تعريف المعجزة.

وعلى ذلك فإنّ الأمور التالية لا تعدّ آيات، بل معجزات:

---

[1] بصائر ذوي التمييز للفيروز آبادي 65/1.

[2] لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية 689/2 – 690، لمحمد بن أحمد السفاريني.

[3] السابق.

1 – الخوارق التي تعطى للأنبياء وليس مقصوداً بها التحدي، كنبع الماء من بين أصابع الرسول ﷺ، وتكثيره الطعام القليل، وتسبيح الحصا في كفّه، وإتيان الشجر إليه، وحنين الجذع إليه، وما أشبه ذلك.

2 – الخوارق التي أعطاها الله لغير الأنبياء ويسميها المتأخرون كرامات، والذين فرقوا هذا التفريق هم العلماء المتأخرون، أمّا المعجزة في اللغة وفي عرف العلماء المتقدمين كالإمام أحمد فإنّها تشمل ذلك كله[1].

فهنا دخنا في شكل ثالث ما هو بمعجزة ولا آية، بل هو كرامة.



[1] السابق نفسه، ومجموع فتاوى ابن تيمية 311/11، للمزيد ينظر: الرسل والرسالات لعمر الأشقر – ص 121.

﴿المسألة الأولى﴾

﴿أنواع الآيات أو المعجزات﴾

إذا استقرأنا الآيات والمعجزات التي أعطاها الله لرسله وأنبيائه نجدها تندرج تحت ثلاثة أمور: العلم، والقدرة، والغنى[1].

فمن باب العلم: كالإخبار بالمغيبات الماضية والآتية، كإخبار عيسى قومه بما يأكلونه وما يدخرونه في بيوتهم، وإخبار رسولنا ﷺ بأخبار الأمم السابقة، وإخباره بالفتن وأشراط الساعة التي ستأتي في المستقبل – كل ذلك من باب العلم.

ومن باب القدرة: كتحويل العصا أفعى، وإبراء الأكمه والأبرص، وإحياء الموتى، وشقّ القمر وما أشبه هذا.

ومن باب الغنى: عصمة الله لرسوله ﷺ من الناس، وحمايته له ممن أراد به سوءاً، ومواصلته للصيام مع عدم تأثير ذلك على حيويته ونشاطه كل هذا من باب الغنى الخاص بالنبي محمد ﷺ، وأمَّا غنى الأنبياء والرسل عموما، فهو غناهم عمَّا دون الله بالمعنى الحرفي، كالأنبياء الملوك، فهم أغنياء عن الناس، وإكثار الطعام أو إنزال بركة الله فيه، أو نبع الماء لموسى وللنبي محمد ﷺ وغيره فكل هذا من غنى الأنبياء.

وهذه الأمور الثلاثة: العلم، والقدرة، والغنى، التي ترجع إليها المعجزات لا ينبغي أن تكون على وجه الكمال إلاّ لله تعالى، ولذلك أمر الله رسوله ﷺ بالبراءة من دعوى هذه الأمور حيث قال: ﴿قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ اللهِ وَلاَ أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلاَ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾ [الأنعام: 50].

وكذلك بينَّ الله تعالى أنَّ هذه الآيات المعجزات بأمره وبإذنه وليس للأنبياء لهم فيها شيء، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ [الرعد: 38].

[1] مجموع فتاوى ابن تيمية **11/312 – 313.**

قال الطبري: وما يقدِر رسولٌ أرسله الله إلى خلقه أنْ يأتي أمَّتَه بآية وعلامة، من تسيير الجبال، ونقل بَلْدةٍ من مكان إلى مكان آخر، وإحياء الموتى ونحوها من الآيات (إلا بإذن الله)، يقول: إلا بأمر الله[1].

وقال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي ۖ وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾[المائدة: 110]، **فانظر: كيف نسبها الله تعالى كلها لأمره وحده سبحانه وتعالى.**

فيفهم من هذا أنَّ الأنبياء ليست الآيات والمعجزات بأيديهم يفعلونها متى يشاؤون، بل بأمر الله تعالى وفي الوقت الذي يحدده هو سبحانه، يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ ۚ ﴾[الأنعام: 35]، **جاء في الوسيط: وإن كان– يا محمد– قد شق عليك إعراض قومك عن الإيمان وظننت أن إتيانهم بما اقترحوه من آيات يكون سببا في إيمانهم، فإن استطعت أن تطلب مسلكا عميقا في جوف الأرض، أو مرقاة ترتقى بها إلى السماء لتأتيهم بما اقترحوا من مطالب**[2].

والمعنى أنك لا تستطيع أن تفعل ذلك، إلا بأمر الله تعالى.

وكما يفهم من هذا؛ أنَّ أصحاب الكرامات ممن هم دون الأنبياء التي يأتون بها متى يشاؤون ليست كرامة ولا معجزة، بل تلاعب من الشيطان بأصحابها.



---

[1] ينظر: تفسير الطبري.

[2] ينظر: الوسيط للطنطاوي.

﴿المسألة الثانية﴾

﴿الكرامة﴾

الكرامةُ لُغةً: اسمٌ مِنَ الإكرامِ، وهو التعظيمُ والتنزيهُ، يقال: كَرُم الشَّيءُ كَرَمًا: إذا نَفُسَ وعَزَّ فهو كريمٌ، وله عليَّ كرامةٌ أي: عَزازةٌ. وكُلُّ شَيءٍ شَرُف في بابِه فإنه يُوصَفُ بالكَرَمِ، والإكرامُ والتكريمُ: أن يُوصَلَ إلى الإنسانِ إكرامٌ –أي: نَفعٌ– لا يَلحَقُه فيه غضاضةٌ، أو أن يُجعَلَ ما يُوصَلُ إليه شيئًا كريمًا، أي: شريفًا. وأصلُ (كرم) يدُلُّ على شَرَفٍ[1].

الكرامة اصطلاحا: الكرامةُ: أمرٌ خارِقٌ للعادةِ غيرُ مَقرونٍ بدَعوى النُّبوَّةِ ولا هو مُقدِّمةٌ لها، تَظهَرُ على يَدِ عَبدٍ ظاهِرِ الصَّلاحِ، مَصحوبٍ بصَحيحِ الاعتِقادِ والعَمَلِ الصَّالِحِ.

فشَرْطُ أمرٍ خارِقٍ للعادةِ: أخرَجَ ما كانَ على وَفقِ العادةِ من أعمالٍ.

وشَرْطُ أنَّه غيرُ مَقرونٍ بدَعوى النُّبوَّةِ: أخرَجَ مُعجِزاتِ الأنبياءِ.

واشتِراطُ أنَّه ليسَ مُقدِّمةً للنُّبوَّةِ: أخرَجَ الإرهاصَ، وهو كُلُّ خارِقٍ تَقدَّمَ النُّبوَّةَ.

والقَولُ بأنَّه يَظهَرُ على يَدِ عَبدٍ ظاهِرِ الصَّلاحِ: أخرَجَ ما يَجري على أيدي السَّحَرةِ والكُهَّانِ، فهو سِحرٌ وشَعْبَذةٌ[2].

قال الجُرجانيُّ: الكرامةُ: هي ظُهورُ أمرٍ خارِقٍ للعادةِ من قِبَلِ شَخصٍ، غيرِ مُقارِنٍ لدَعوى النُّبوَّةِ، فما لا يَكونُ مَقرونًا بالإيمانِ والعَمَلِ الصَّالِحِ يَكونُ استِدراجًا، وما يَكونُ مَقرونًا بدَعوى النُّبوَّةِ يَكونُ مُعجزةً[3].



---

[1] ينظر: ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (5/ 171)، ((المفردات)) للراغب (ص707)، ((المصباح المنير)) للفيومي (2/ 532)، ((لسان العرب)) لابن منظور (12/ 512)، ((تاج العروس)) للزبيدي (33/ 337).

[2] يُنظر: ((لوامع الأنوار البهية)) للسفاريني (2/392)، ((فتاوى نور على الدرب)) لابن باز (2/191)، ((شرح العقيدة السفارينية)) لابن عثيمين (ص:640)، ((أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة)) لمجموعة من العلماء (ص: 202).

[3] يُنظر: ((التعريفات)) (ص: 184).

﴿المسألة الثالثة﴾

﴿الفرق بين الآية والمعجزة والكرامة﴾

الكرامة: يظهر لنا مما سبق من التعريفات؛ أنَّ الكرامة اسم شامل يجمع كل خارق للعادة، سواء كان معجزة أم آية، وهو أيضا عام يشمل الأنبياء والرسل وغيرهم من الصالحين، فمعجزات الأنبياء وآياتهم، كرامات.

الآية: وبما أنَّ الآية كانت علامة للنبوَّة مصحوبة بتحدٍ، فتكون الآية خاصَّة بالأنبياء والرسل فقط.

مع العلم أنَّ من القوم من يرى أنَّ المعجزة هي المصحوبة بتحدٍّ، وعليه تكون المعجزة خاصة بالأنبياء، ولكنَّا اخترنا في الباب أنَّ الآية هي المصحبة بتحدٍّ.

المعجزة: وبما أنَّ المعجزة من الإعجاز، ولم نشترط فيها التحدي، فهي تكون للأنبياء ولغيرهم، ولكنَّ المتأخرين قرروا أن يسموا معجزات ما عدا الأنبياء بالكرامة.

وخلاصة: فخاصِّيَّة الأنبياء والرسل فيما نرى، هي الآيات، فلا يقدر عليها أحد غيرهم.

وكما أنَّ الآية أو المعجزة أو الكرامة، ليست بيد صاحبها يأتي بها متى يشاء، بل بأمر الله تعالى.

قال أبو مَنصورٍ البَغداديُّ: اعلَمْ أنَّ المُعجِزاتِ والكراماتِ مُتَساويةٌ في كونِها ناقِضةً للعاداتِ، غيرَ أنَّ الفرقَ بينَهما من وجهينِ:

أحَدُهما: تَسميةُ ما يَدُلُّ على صِدقِ الأنبياءِ مُعجِزةً، وتَسميةُ ما يَظهَرُ على الأولياءِ كرامةً؛ للتَّمييزِ بينَهما...

وفرقٌ ثالِثٌ: وهو أنَّ صاحِبَ المُعجِزةِ مَأمونُ التَّبديلِ، مَعصومٌ عَنِ الكُفرِ والمَعصيَةِ بَعدَ ظُهورِ المُعجِزةِ عليه، وصاحِبُ الكرامةِ لا يُؤمَنُ تَبَدُّلُ حالِه[1].

وقال أبو الوَليدِ ابنُ رُشدٍ القُرطَبيُّ: الفرقُ بينَ المُعجِزةِ والكرامةِ: أنَّ النَّبيَّ عليه السَّلامُ يَعلمُ إذا خَرَقَ اللهُ له العادةَ أنَّه خَرَقَها له لتَكونَ مُعجِزةً له، ومُصدِّقةً لرِسالَتِه، بإعلامِه إيَّاه بذلك، فهو يَتَحدى النَّاسَ بها، ويَعلمُ أيضًا أنَّه إذا أرسَلَه رَسولًا أنَّه سيَفعَلُ ذلك له قَبلَ أن يَفعَلَ له ليُصَدِّقَ

---

[1] يُنظر: ((أصول الإيمان)) (ص: 141). حذفنا الفرق الثاني لأنَّا لم نره مناسبا.

رِسالَتَه، ومَن أكرَمَه اللهُ من أوليائِه بخَرقِ عادةٍ لا يَعلمُ بها قَبلَ أن تَكونَ، ولا يَعلمُ إن كانَتِ الكرامةُ له أو لغيرِه؛ لأنَّ ذلك عِلمُ غَيبٍ، لا يَعلمُه إلَّا من أطلَعَه اللهُ عليه من رَسولٍ، قال اللهُ عزَّ وجَلَّ: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾ [الجن: 26-27] ، فهو إذا ظَهَرَت له يَرجو أن تَكونَ له، ويُخفيها ويَستُرُها، واللهُ تعالى يُظهِرُها إذا شاءَ، لا إلَهَ إلَّا هو، وهو حَسْبُنا ونِعْمَ الوَكيلُ، وبِه التَّوفيقُ لا شَريكَ له[1].

وأقول: ليست الكرامة هي الدلالة على ولاية المؤمن، أو صلاحه، ومن قال هذا قياسا على الآية والمعجزة تكون دلالة رسالة الرسول فهو مخطئ خطأ فاحشا، ممثلا سائر الناس بالرسل.

أوَّلا: أنه كل المؤمنين أولياء الله تعالى، قال تعالى: ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يونس: 62 – 63]، فقد بين سبحانه شرط الولاية وهما شرطان:

الأوَّل: أن يكون مؤمنا.

الثاني: أن يكون تقيًّا.

والإيمان سبق تعريفه، ويبقى التقوى وهي: أن يجعل المؤمن بينه وبين عذاب الله تعالى وقاية تقيه عذاب الله وغضبه.

فمن اجتمع فيه هذان الشرطان فهو ولي الله الحق.

ثانيا: ثمَّ إنَّ هؤلاء الأولياء بما عرفناهم لهم درجات على حسب إيمانهم وتقواهم، وأعلى الأولياء درجة هم العلماء، قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: 11]، وقال النبي ﷺ: {من سلك طريقًا يطلبُ فيه علمًا، سلك اللهُ به طريقًا من طرقِ الجنةِ، وإنَّ الملائكةَ لتضعُ أجنحتَها رضًا لطالبِ العِلمِ، وإنَّ العالِمَ ليستغفرُ له من في السماواتِ ومن في الأرضِ، والحيتانُ في جوفِ الماءِ، وإنَّ فضلَ العالمِ على العابدِ كفضلِ

[1] يُنظر: ((مسائل أبي الوليد ابن رشد)) (513/1).

القمرِ ليلةَ البدرِ على سائرِ الكواكبِ، وإنَّ العلماءَ ورثةُ الأنبياءِ، وإنَّ الأنبياءَ لم يُورِّثُوا دينارًا ولا درهمًا، ورَّثُوا العِلمَ فمن أخذَه أخذ بحظٍّ وافرٍ}[1].

انظر إلى هذا الحديث الذي يفصل مسألة الأولياء وكراماتهم ودعني أشرح لك، واقرأ وافهم وتمعن.

يقول النبي ﷺ: {من سلك طريقًا يطلبُ فيه علمًا}، هذا مازال لم يطلب العلم بل سلك طريقا يبحث فيه عن العلم وأهله كي يتعلَّمه فكان جزاؤه {سلك اللهُ به طريقًا من طرقِ الجنةِ}، ثم ارتقى هذا الطالب درجة حيث قال النبي ﷺ: {وإنَّ الملائكةَ لتضعُ أجنحتَها رضًا لطالبِ العِلمِ}، فهذا الآن بعدما سلك طريقا يلتمس فيه العلم وجده وجلس بين يدي رجال الله يطلب العلم فكان جزاؤه {وإنَّ الملائكةَ لتضعُ أجنحتَها رضًا لطالبِ العِلمِ}، ثمَّ ارتقى هذا الطالب درجة وتعلم من العلم ما يكفيه فصار اسمه عالما فكان جزاؤه، {وإنَّ العالِمَ ليستغفرُ له من في السماواتِ ومن في الأرضِ، والحيتانُ في جوفِ الماءِ}، ثمَّ ارتقى هذا العالم درجة فكان جزاؤه، {وإنَّ فضلَ العالِمِ على العابدِ كفضلِ القمرِ ليلةَ البدرِ على سائرِ الكواكبِ}، ثمَّ مازال هذا العالم يطلب العلم ويرتقي حتى يكون وريثا للنبي، حيث قال النبي ﷺ: { وإنَّ العلماءَ ورثةُ الأنبياءِ}، ولا يكون وريث النبي إلا وليًّا، ثمَّ يؤكد النبيَّ ﷺ ذلك بقوله: {وإنَّ الأنبياءَ لم يُورِّثُوا دينارًا ولا درهمًا، ورَّثُوا العِلمَ فمن أخذَه أخذ بحظٍّ وافرٍ}.

فهؤلاء همُ الأولياء، والأصفياء، والنجباء، والأقطاب، ثمَّ إن شاء الله أجرى على يدي أحدهم كرامة أجرى، وإن لم يشأ لم يجري.

كما يجب أن يعلم أنَّ كرامة الأولياء ليست دلالة على درجته عند ربه، فانظر إلى معجزات سليمان ﷺ، وما له من ملك، حكم الجنَّ الشياطين، والوحش والطير، حتى أنه فُهِّمَ منطق الطير والنمل وغيره، ولم يكن هذا لغيره، ولم يصل إلى مقام إبراهيم ﷺ فضلا على مقام محمد ﷺ.



[1] أخرجه أبو داود (3641) واللفظ له، والترمذي (2682)، وابن ماجه (223)، وأحمد (21715). وصححه الألباني.

﴿المسألة الرابعة﴾

﴿بعض آيات ومعجزات النبي محمد ﷺ﴾

﴿المطلب الأول﴾

﴿القرآن﴾

القرآن الذي تحدى الله به أفصح الأمم وأبلغها وأقدرها على المنطق وأكثرها فيه اتساعاً وأطولها فيه باعاً وأكملها على أضربه وأنواعه اطلاعاً، مع عظم محادَّتهم له ومشاقتهم فيه وشدة حرصهم على رده، وهو ينادي عليهم بأبلغ عبارة وأوجزها، وأمتنها وأجزلها قال تعالى:

﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ * فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ﴾[الطور:33 – 34]، **وقال تعالى:** ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ﴾[هود: 13].

وقال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللهِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ * فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾[البقرة:23 – 24].

ثم نادى عليهم بالعجز عن ذلك فلا يقدر أحد منهم على شيء منه لا مجتمعين ولا متفرقين، لا في زمن واحد ولا في أزمان، فقال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[الإسراء: 88]، **وغير ذلك من الآيات.**

ولهذا لما أراد مسيلمة الكذاب معارضته مكابرة ومباهاته مع علمه أنَّه لا يقدر على شيء ألبتة، فلمَّا فعل ذلك جعل الله تعالى: كلامه أسمج ما يسمع وأركّ ما ينطق به، وصار أضحوكة للصبيان في كل زمان ومكان، حتى إنَّه لا يشبه كلام العقلاء ولا المجانين ولا النِّساء ولا المخنثين، وصار كذبهُ معلوماً عند كل أحد، ووسمه الله عز وجل على لسان نبيِّه ﷺ باسم الكذّاب فلا يسمى إلا به، ولا يعرف إلاّ به، حتى صار أشهر من عليه العلم، بل لا علم له غيره أبداً، ويروى أنَّ أصحاب الفيلسوف الكندي قالوا له: أيُّها الحكيم اعمل لنا مثل هذا

القرآن، فقال: نعم أعمل مثل بعضه، فاحتجب أياماً كثيرة ثم خرج فقال: والله ما أقدر ولا يطيق هذا أحد، إِنِّي فتحتُ المصحف فخرجت سورة المائدة، فنظرتُ فإذا هو قد نطق بالوفاء ونهى عن النكث وحلل تحليلاً عاماً، ثم استثنى بعد استثناء، ثم أخبر عن قدرته وحكمته في سطرين، ولا يقدر أحدٌ أَنْ يأتي بهذا، قلت: وهذا الذي قاله الفيلسوف مقدار فهمه ومبلغ علمه، وإلاّ فبلاغةُ القرآن فوق ما يصف الواصفون، وكيف يقدر البشر أَنْ يصفوا صفات مَنْ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير[1].



[1] معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول لحافظ بن أحمد الحكمي – ص 1282.

﴿المطلب الثاني﴾

﴿انشقاق القمر﴾

قال الله تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [القمر: 1]، **وعن أنس رضي الله عنه قال: { أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ سَأَلُوا رَسولَ اللَّهِ ﷺ أنْ يُرِيَهُمْ آيَةً، فأرَاهُمُ القَمَرَ شِقَّتَيْنِ، حتَّى رَأَوْا حِرَاءً بيْنَهُمَا}**[1]**.**

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: {انشقَّ القمرُ على عهد رسولِ اللهِ ﷺ فرقتين فرقةٌ فوق الجبل وفرقةٌ دونه، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: اشهدوا}[2]**.**



[1] رواه البخاري **3638**، ومسلم **2802**.

[2] رواه البخاري **4864**.

﴿المطلب الثالث﴾

﴿حنين الجذع إلى النبي صلى الله عليه وسلم﴾

عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما {إنَّ النَّبيّ ﷺ كان يقوم الجمعة إلى شجرة أو نخلة، فقالتْ امرأةٌ مِنَ الأنصار أو رجل: يا رسولَ اللهِ ألا نجعل لك منبراً؟ قال: إنْ شِئْتُمْ، فجعلوا له منبراً، فلمَّا كان يوم الجمعة دفع إلى المنبر فصاحت النخلةُ صياح الصبيِّ، ثم نزل النَّبيّ ﷺ فضمَّه إليه تئن أنين الصبيِّ الذي يسكن، قال: كانت تبكي على ما كانت تسمع من الذكر عندها}[1].

وفي رواية: {قال فلما صُنِعَ له المنبر وكان عليه فسمعنا من ذلك الجذع صوتاً كصوت العشار، حتى جاء النَّبيّ ﷺ فوضع يده عليها فسكنت}[2].



---

[1] رواه البخاري 3584.

[2] رواه البخاري 3585. والعشار: الناقة الحامل في شهرها العاشر.

﴿المطلب الرابع﴾

﴿ تسبيح الطعام وتكثير القليل، ونبع الماء من أصابع النبي ﷺ ﴾

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: {كُنَّا نعدُّ الآيات بركة، وأَنْتُم تعدُّونها تخويفاً، كنَّا مع رسول الله ﷺ في سفر فقلَّ الماء، فقال: اطلبوا فضلة من ماءٍ، فجاءوا بإناءٍ فيه ماء قليل، فأَدخل يده في الإناء ثم قال: حيّ على الطهور المبارك والبركة من اللهِ عز وجل، فلقد رأيتُ الماءَ ينبع مِنْ بين أصابع رسولِ اللهِ ﷺ، ولقد كُنَّا نسمعُ تسبيح الطعام وهو يؤكل}[1].

وعن أنس رضي الله عنه قال: {أُتي النَّبيّ ﷺ بإناءٍ وهو بالزوراء فوضع يده في الإناء فجعل الماءُ ينبعُ مِنْ أصابعه فتوضَّأَ القوم، قال وكانوا ثلاثمائة أو زهاء ثلاثمائة}[2].

وعن سالم بن أبي الجعد عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: {عطش الناس يوم الحديبية والنَّبيّ ﷺ بين يده ركوة فتوضَّأَ، فجهش الناس نحوه فقال: مالكم؟ قالوا: ليس عندنا ما نتوضأ ولا نشرب إلا ما بين يديك، فوضع يده في الرَّكوة فجعل الماء يفورُ بين أصابعه كأمثال العيون فشربنا وتوضَّأنَا، قلت: كم كنتم؟ قال: لو كنا مائة ألف لكفانا، كُنَّا خمس عشرة مائة}[3].

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: {كُنَّا يوم الحديبية أربع عشرة مائة والحديبية بئر فنَزحناها حتى لم نترك فيها قطرة، فجلس النَّبيّ ﷺ على شفير البئر فدعا بماء فمضمض ومجَّ في البئر فمكثنا غير بعيدٍ، ثم استقينا حتى روينا وروت أو صدرت ركائبنا}[4].

وعن أنس بن مالك قال: {قال أبو طلحة لأم سليم: لقد سمعت صوت رسولِ الله ﷺ ضعيفاً أعرف فيه الجوع، فهل عندك من شيءٍ؟ قالت: نعم فأخرجتْ أقراصاً من شعيرٍ ثم أخرَجَتْ خماراً لها فلفَّت الخبز ببعضه ثم دسَّته تحت يدي ولاثتني ببعضه، ثم أرسلتني إلى رسولِ اللهِ ﷺ، قال فذهبتُ به فوجدتُ رسولَ اللهِ ﷺ في المسجد ومعه الناس فقمتُ عليهم فقال لي

---

[1] رواه البخاري 3579.

[2] رواه البخاري 3572.

[3] رواه البخاري 3576.

[4] رواه البخاري 3577. وليس هناك اختلاف في الأحاديث، فقد لبث النبي في الحديبية اثنان وعشرون يوما، فيمكن أن يكون يوما جرى الماء من بين أصابعه، ويما تمضمض في البئر.

رسول الله ﷺ: أرسلك أبو طلحة؟ فقلتُ: نعم، قال: بطعامٍ؟ قلت: نعم، فقال رسولُ اللهِ ﷺ لمن معه: قوموا، فانطلق وانطلقتُ بين أيديهم حتى جئت أبا طلحة فأخبرته، فقال أبو طلحة: يا أُمَّ سليم، قد جاء رسولُ اللهِ ﷺ بالناس وليس عندنا ما نطعمهم، فقالت: الله ورسوله أعلم، فانطلق أبو طلحة حتى لقي رسولَ اللهِ ﷺ، فأقبل رسولُ اللهِ ﷺ وأبو طلحة معه، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: هلمَّ يا أُمَّ سليم ما عندك، فأتت بذلك الخبز، فأمر به رسولُ اللهِ ﷺ ففت وعصرت أم سليم عكة فأدمته، ثم قال رسولُ اللهِ ﷺ فيه ما شاءَ اللهُ أَنْ يقول ثم قال: ائذن لعشرة، فأَذن لهم فأكلوا حتى شبعوا، ثم خرجوا ثم قال: ائذن لعشرة، فأَكل القوم كلُّهم حتى شبعوا، والقومُ سبعون أو ثمانون رجلاً}[1].

وعن جابر رضي الله عنه أَنَّ أباه توفي وعليه دين، قال: {فأتيتُ النَّبيّ ﷺ فقلت: إنَّ أبي ترك ديْناً وليس عندي إلا ما يخرج نخلهُ ولا يبلغ ما يُخْرج سنين ما عليه، فانطلق معي لكيلا يفحش علي الغرماء، فمشى حول بيدر من بيادر التمر، فدعا ثم آخر ثم جلس عليه فقال: انزعوه فأوفاهم الذي لهم وبقي مثل ما أعطاهم}[2].

وفي حديث أبي قتادة الطويل في تلك الغزوة: {ثم دعا بميضأة كانت معي فيها شيءٌ من ماء فتوضّأً منها وضوءاً دون وضوء، قال وبقي منها شيء من ماءٍ، ثم قال لأبي قتادة: احفظ علينا ميضأتك فسيكون لها نبأ... الحديث}، إلى أَن قال: {فانتهينا إلى الناس حين امتدَّ النهار وحمي كل شيء وهم يقولون: يا رسولَ اللهِ هلكنا عطشاً فقال: لا هلك عليكم – ثم قال – اطلقوا لي غمري قال ودعا بالميضأة فجعل رسولُ اللهِ ﷺ يصبُّ وأبو قتادة يسقيهم، فلم يعد أَنْ رأى الناس ماءً في الميضأة تكابوا عليها، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: أحسنوا الملء كلكم سيروى، قال: ففعلوا، فجعل رسول الله ﷺ يصبُّ وأسقيهم حتى ما بقي غيري وغير رسول الله ﷺ قال ثم صب رسول الله ﷺ فقال لي: اشربْ فقلت: لا أشرب حتى تشرب يا رسولَ اللهِ، قال: إِنَّ ساقي القوم آخرهم شرباً قال فشربْتُ وشرب رسولُ اللهِ ﷺ قال فأتى الناس الماء جامين رواء}[3].

---

[1] رواه البخاري **3578** ومسلم **2040**.

[2] رواه البخاري **3580**.

[3] رواه مسلم **681**.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّه كان يقول: {والله الذي لا إله إلا هو إِنْ كُنْتُ لأعتمد بكبدي على الأرض من الجوع، وإِنْ كنت لأَشُدَّ الحجر على بطني من الجوع، ولقد قعدتُ يوماً على طريقهم الذي يخرجون منه فمرَّ أبو بكر فسألته عن آية مِنْ كتاب الله ما سألته إلاّ ليشبعني فمرَّ ولم يفعل، ثم مرّ بي عمر فسألته عن آية من كتاب الله ما سألته إلا ليشبعني فمرَّ ولم يفعل، ثم مرّ أبو القاسم ﷺ فتبسَّم حين رآني وعرف ما في نفسي وما في وجهي ثم قال: أبا هر، قلتُ: لبيك يا رسولَ اللهِ، قال: اِلْحَقْ، ومضى فتبعته فدخل فاستأذن فأَذن لي فدخل فوجد لبناً في قدح فقال: مِنْ أين هذا اللبن؟ قالوا: أهداه لك فلان أو فلانة، قال: أبا هر، قلت: لبيك يا رسولَ اللهِ، قال: الْحَقْ إلى أهل الصفة فادعهم لي، قال: وأَهل الصُّفَّةِ أضياف الإسلام لا يأوون إلى أهل ولا مالٍ ولا على أحد، إذا أتته صدقة بعث بها إليهم ولم يتناول منها شيئاً وإذا أتته هدية أرسل إليهم وأصاب منها وأَشركهم فيها، فساءني ذلك فقلتُ: وما هذا اللبن في أهل الصفة، كنت أَحقُّ أَنْ أُصيب من هذا اللبن شربة أتقوى بها، فإذا جاء أمرني فكنتُ أَنا أعطيهم، وما عسى أَنْ يبلغني من هذا اللبن، ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله بد، فأتيتُهم فدعوتُهم، فأَقبلوا فاستأذنوا فأذن لهم وأخذوا مجالسهم من البيت، قال: أبا هر، قلتُ: لبَّيك يا رسولَ اللهِ، قال: خذ فأعطهم، قال: فأخذتُ القدح فجعلتُ أُعطيه الرجل فيشرب حتى يروى ثم يرد عليّ القدح، فأُعطي الرجل فيشرب حتى يروى ثم يرُدُّ عليّ القدح، حتى انتهيتُ إلى النَّبيّ ﷺ وقد روى القوم كلُّهم، فأخذ القدح فوضعه على يده فنظر إِليّ فتبسَّم فقال: يا أبا هر، قلت: لبيك يا رسولَ اللهِ قال: بقيتُ أَنا وأَنت، قلت: صدقْتَ يا رسولَ اللهِ، قال: اقعد فاشرب، فقعدتُ فشربْتُ، فما زال يقول اشرب حتى قلت: لا والذي بعثك بالحقِّ مَا أَجِدُ لَهُ مسلكاً، قال: فأرني، فأعطيته القدح فحمد الله وسمى وشرب الفضلة[1].



[1] رواه البخاري 6452.

﴿المطلب الخامس﴾

﴿الإسراء والمعراج باختصار﴾

المعراج: على وزن مفعال، وهو من العروج، أي الآلة التي يعرج فيها، أي يصعد، وهو بمنزلة السلم، لكن لا يعلم كيف هو، وحكمه كحكم غيره من المغيبات، نؤمن به ولا نشتغل بكيفيته.

وقد أسري بالنبي ﷺ وعرج بشخصه في اليقظة فالذي عليه أئمة النقل: أن الإسراء كان مرة واحدة بمكة، بعد البعثة، قبل الهجرة بسنة، وقيل: بسنة وشهرين، ذكره ابن عبد البر.

ثم عرج من بيت المقدس تلك الليلة إلى السماء الدنيا، فاستفتح له جبرائيل، ففتح لهما، فرأى هناك آدم أبا البشر، فسلم عليه، فرحب به ورد عليه السلام، وأقر بنبوته، ثم عرج (به) إلى السماء الثانية،

فاستفتح له، فرأى فيها يحيى بن زكريا وعيسى ابن مريم، فلقيهما، فسلم عليهما، فردا عليه السلام، ورحبا به، وأقرا بنبوته ثم عرج (به) إلى السماء الثالثة، فرأى فيها يوسف، فسلم عليه ورحب به وأقر بنبوته، ثم عرج (به) إلى السماء الرابعة، فرأى فيها إدريس، فسلم عليه ورحب به وأقر بنبوته، ثم عرج (به) إلى السماء الخامسة، فرأى فيها هارون بن عمران، فسلم عليه ورحب به وأقر بنبوته، ثم عرج إلى السماء السادسة، فلقي فيها موسى فسلم عليه ورحب به وأقر بنبوته، فلما جاوزه بكى موسى، فقيل له: ما يبكيك؟ قال: أبكي لأن غلاماً بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر مما يدخلها من أمتي، ثم عرج إلى السماء السابعة، فلقي فيها إبراهيم، فسلم عليه ورحب به وأقر بنبوته، ثم رفع إلى سدرة المنتهى، ثم رفع له البيت المعمور، ثم عرج به إلى الجبار، جل جلاله وتقدست أسماؤه، فدنا منه حتى كان قاب قوسين أو أدنى، فأوحى إلى عبده ما أوحى، وفرض عليه خمسين صلاة، فرجع حتى مر على موسى، فقال: بم أمرت؟ قال؟ بخمسين صلاة، فقال: (إن) أمتك لا تطيق ذلك، ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك، فالتفت إلى جبرائيل كأنه يستشيره في ذلك، فأشار: أن نعم، إن شئت، فعلا به جبرائيل حتى أتى به (إلى) الجبار تبارك وتعالى وهو في مكانه – هذا لفظ البخاري في (صحيحه) وفي بعض الطرق – فوضع عنه عشراً، ثم نزل حتى مر بموسى، فأخبره، فقال:

ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فلم يزل يتردد بين موسى وبين الله تبارك وتعالى، حتى جعلها خمساً، فأمره موسى بالرجوع وسؤال التخفيف، فقال: قد استحييت من ربي، ولكن أرضى وأسلم، فلما نفذ، نادى مناد: قد أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي [1].

وعقيدة أهل السنَّة أنَّ الرسول ﷺ لم يرى الله تعالى في حياته أبدا، لا ليلة أسري به ولا غيرها، إلا مناما رآه في أبهى صورة كما في الحديث: {احتُبِسَ عنَّا رسولُ اللَّهِ ﷺ ذاتَ غداةٍ من صلاةِ الصُّبحِ حتَّى كدنا نتَراءى عينَ الشَّمسِ، فخرجَ سريعًا فثوِّبَ بالصَّلاةِ، فصلَّى رسولُ اللَّهِ ﷺ وتجوَّزَ في صلاتِهِ، فلمَّا سلَّمَ دعا بصوتِهِ فقالَ لَنا: علَى مصافِّكم كما أنتُمْ ثمَّ انفتلَ إلينا فقالَ: أما إنِّي سأحدِّثُكُم ما حبسَني عنكمُ الغداةَ: أنِّي قمتُ منَ اللَّيلِ فتوضَّأتُ فصلَّيتُ ما قُدِّرَ لي فنعَستُ في صلاتي فاستثقلتُ، فإذا أَنا بربِّي تبارَكَ وتعالى في أحسَنِ صورةٍ، فقالَ: يا مُحمَّدُ قلتُ: ربِّ لبَّيكَ، قالَ: فيمَ يختصِمُ الملأُ الأعلى؟ قلتُ: لا أدري ربِّ، قالَها ثلاثًا قالَ: فرأيتُهُ وضعَ كفَّهُ بينَ كتفيَّ حتَّى وجدتُ بردَ أَناملِهِ بينَ ثدييَّ، فتجلَّى لي كلُّ شيءٍ وعرَفتُ، فقالَ: يا محمَّدُ، قلتُ: لبَّيكَ ربِّ، قالَ: فيمَ يختصمُ الملأُ الأعلى؟ قلتُ: في الكفَّاراتِ، قالَ: ما هنَّ؟ قلتُ: مَشيُ الأقدامِ إلى الجماعاتِ، والجلوسُ في المساجدِ بعدَ الصَّلاةِ، وإسباغُ الوضوءِ في المَكْروهاتِ، قالَ: ثمَّ فيمَ؟ قلتُ: إطعامُ الطَّعامِ، ولينُ الكلامِ، والصَّلاةُ باللَّيلِ والنَّاسُ نيامٌ. قالَ: سَل، قُل: اللَّهمَّ إنِّي أسألُكَ فعلَ الخيراتِ، وتركَ المنكراتِ، وحُبَّ المساكينِ، وأن تغفِرَ لي وترحمَني، وإذا أردتَ فتنةً في قومٍ فتوفَّني غيرَ مفتونٍ، وأسألُكَ حبَّكَ وحبَّ من يحبُّكَ، وحبَّ عملٍ يقرِّبُ إلى حُبِّكَ، قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: إنَّها حقٌّ فادرُسوها ثمَّ تعلَّموها} [2].

فلقد رأى الله في صورة ما، وهي أبهى صورة، ولكنَّها ليست صورة ربنا الحقيقة غالبا، لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [الشورة: 51]، فهذه الصورة التي آتا بها إلى النبي ﷺ هي الحجاب، كذلك قول النبي ﷺ لما سئل هل رأى ربه فقال في الحديث، عَنْ عبدِ اللهِ بنِ شَقِيقٍ، قالَ:

---

[1] رواه البخاري 3886 ومسلم 162 مختصرا.

[2] أخرجه الترمذي (3235) واللفظ له، وأحمد (22162)، وصححه الألباني.

{قُلتُ لأَبِي ذرٍّ: لو رَأَيْتُ رَسولَ اللهِ ﷺ لَسَأَلْتُهُ، فقالَ: عن أيِّ شيْءٍ كُنْتَ تَسْأَلُهُ؟ قالَ: كُنْتُ أسْأَلُهُ هلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ قالَ أبو ذَرٍّ: قدْ سَأَلْتُ، فقالَ: رَأَيْتُ نُورًا}[1].

وهذا النور المذكور في الحديث هو حجاب الله تعالى، كما جاء في الحديث عن أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ قال: {إنَّ اللَّهَ لا ينامُ ولا ينبغي لَه أن ينامَ يخفضُ القسطَ ويرفعُه حجابُه النُّورُ لَو كشفَها لأحرقت سبحاتُ وجهِه كلَّ شيءٍ أدركَه بصرُه ثمَّ قرأ أبو عبيدةَ أن بورِك من في النَّارِ ومن حولَها وسبحانَ اللَّهِ ربِّ العالمين}[2].



---

[1] أخرجه مسلم (178).

[2] أخرجه ابن ماجة 163 واللفظ له، ومسلم 179.

﴿المطلب السادس﴾

﴿كف الأعداء عنه﴾

من ذلك استجابة الله دعاء نبيه ﷺ عندما كان مهاجراً، وأدركه سراقة ابن مالك، فارتطمت بسراقة فرسه إلى بطنها في أرض صلبة، فقال سراقة: {إني أراكما قد دعوتما عليَّ، فادعوا لي، فالله لكما أن أردّ عنكما الطلب، فدعا له النبي ﷺ فنجا، فجعل لا يلقى أحداً إلاّ قال: كفيتم، ما هاهنا، فلا يلقى أحداً إلاّ ردّه}[1].

وفي معركة حنين {انهزم المسلمون وثبت الرسول الله ﷺ وقلّة من المؤمنين أولئك الذين بايعوا تحت الشجرة، فلّما حمى الوطيس، أخذ صلوات الله وسلامه عليه حصيات، فرمى بهنَّ وجوه الكفار، ثم قال: انهزموا وربِّ محمد، يقول العباس راوي الحديث: فوالله ما هو إلاّ أن رماهم بحصياته، فما زلت أرى حدّهم كليلاً، وأمرهم مدبراً}[2].

وفي رواية سلمة بن الأكوع، قال: {غزونا مع رسول الله ﷺ حنيناً، فولّى صحابة رسول الله ﷺ، فلما غشوا رسول الله ﷺ نزل عن البغلة، ثمَّ قبض قبضة من تراب الأرض، ثمَّ استقبل به وجوههم، فقال: شاهت الوجوه، فما خلق الله منهم إنساناً إلاّ ملأ الله عينيه تراباً بتلك القبضة، فولوا مدبرين، فهزمهم الله، وقسم رسول الله ﷺ غنائمهم بين المسلمين}[3].

ومن ذلك أيضا ما رواه أبو هريرة: {أن أبا جهل حلف باللات والعزى أنه لو رأى الرسول ﷺ يصلي في المسجد حيث مجامع قريش أن يطأ على رقبته، أو ليعفرن وجهه في التراب، فلما رأى الرسول ﷺ ساجداً، أراد أن يفعل ما أقسم عليه، فلما اقترب منه ما فجأهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه، ويتقي يديه، فقيل له: مالك؟ فقال: إنَّ بيني وبينه لخندقاً من نار وهولاً وأجنحة، فقال رسول الله: لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً}[4].



---

[1] رواه البخاري 3615 ومسلم 2009 من حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

[2] رواه مسلم 1775 من حديث العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه.

[3] رواه مسلم 1777 مختصراً.

[4] رواه مسلم 2797.

﴿المطلب السابع﴾

﴿إجابة دعوته﴾

اهتداء أم أبي هريرة بدعوة رسول الله ﷺ:

عن أبي هريرة قال: {كنت أدعو أميَّ إلى الإسلام وهي مشركة، فدعوتها يوماً، فأسمعتني في رسول الله ﷺ ما أكره، فأتيت رسول الله ﷺ وأنا أبكي، قلت: يا رسول الله إني كنت أدعو أمي إلى الإسلام، فتأبى عليَّ، فدعوتها اليوم، فأسمعتني فيك ما أكره، فادع الله أن يهدي أم أبي هريرة، فقال: اللهمَّ اهد أم أبي هريرة، فخرجت مستبشراً بدعوة نبي الله ﷺ فلما جئت، فصرت إلى الباب فإذا هو مجاف مردود فسمعَتْ أمي خشف قدمي، فقالت: مكانك يا أبا هريرة، وسمعتُ خضخضة تحريك الماء، قال: فاغتسلَتْ، ولبسَتْ درعها، وعجلت عن خمارها، ففتحت الباب، ثم قالت: يا أبا هريرة: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأتيته، وأنا أبكي من الفرح، قال: قلت: يا رسول الله، أبشر، قد استجاب الله دعوتك، وهدى أم أبي هريرة، فحمد الله، وأثنى عليه، وقال خيراً}[1].

جرير أصبح بدعوة النبي ﷺ فارساً:

عن جرير بن عبد الله، قال: {قال لي رسول الله ﷺ: ألا تُريحني من ذي الخلَصةِ؟ فقلت: بلى، فانطلقتُ في خمسين ومائة فارسٍ من أحمسَ، وكانوا أصحابَ خيل وكنتُ لا أثبُتُ على الخيل، فذكرت ذلك للنبي ﷺ فضرب يده على صدري حتى رأيت أثر يده في صدري، وقال: اللهم ثبته، واجعلهُ هادياً مهدياً، قال: فما وقعتُ عن فرس بعدُ، قال: وكان ذو الخلَصة بيتاً باليمن لخَثْعَم وبجيلة فيه نُصُبٌ تُعبَد، يقال له: الكعبة، قال: فأتاها فحرَّقها بالنار وكسرها}[2].

إغاثة الله تعالى الناس بدعاء النبي ﷺ:

وعن أنس بن مالك قال: {أصابت الناس سنةٌ على عهد النبي ﷺ، فبينما النبي ﷺ يخطبُ في يوم الجمعة، قام أعرابيٌ فقالَ: يا رسول الله هَلَكَ المالُ، وجاعَ العيالُ، فادعُ الله لنا، فرفعَ

---

[1] رواه مسلم 4491.

[2] رواه البخاري 4356، ومسلم 2476.

يديه، وما نرى في السماء قَزَعةً، فوالذي نفسي بيده ما وضعها حتى ثارَ السحابُ أمثالَ الجبالِ، ثم لم ينزلْ عن منبره حتى رأيتُ المطرَ يتحادرُ على لحيته، فمُطِرنا يومنا ذلك، ومن الغدِ، والذي يليه حتى الجمعةِ الأخرى، وقام ذلك الأعرابي – أو قال غيره – فقال: يا رسول الله تهدَّمَ البناء وغرقَ المالُ، فادعُ الله لنا، فرفعَ يديه فقال: اللهم حوالينا ولا علينا، فما يُشيرُ بيده إلى ناحيةٍ من السحاب إلا انفرجت، وصارت المدينةُ مثلَ الجوبة، وسال الوادي قناةُ شهراً، ولم يجئ أحدٌ من ناحيةٍ إلا حدّث بالجود[1].

أصابت دعوة النبي ﷺ يد مستكبر فشُلَّت:

عن سلمة بن الأكوع أنَّ {رجلاً أكل عندَ رسول الله ﷺ بشماله فقال: كُل بيمينك قال: لا أستطيع، قال: لا استطعت، ما مَنَعَه إلا الكبرُ، قال: فما رفعها إلى فيه}[2].

بركة دعوة رسول الله ﷺ تصيب بعير جابر:

عن جابر قال: {غزوتُ مع رسول الله ﷺ فتلاحق بي النبي ﷺ وأنا على ناضحٍ لنا قد أعيا، فلا يكادُ يسيرُ فقال لي: ما لبعيرك؟ قال: قلت: عيي، قال: فتخلف رسولُ الله ﷺ فزجره ودعا له، فما زال بين يدي الإبلِ قدّامها يسيرُ، فقال لي: كيف ترى بعيرك؟ قلت: بخير، قد أصابته بركتُك، قال: أَفتبيعُنيه؟ قال: فاستحييت، ولم يكن لنا ناضحٌ غيره، قال: فقلت: نعم، قال: فبعنيه فبعته إياه على أن لي فقار ظهره إلى المدينة، قال: فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة، غدوت عليه بالبعير، فأعطاني ثمنه وردَّه عليَّ}[3].



[1] رواه البخاري 933 واللفظ له، ومسلم 897.
[2] رواه مسلم 2021.
[3] رواه البخاري 2967. للمزيد ينظر: الرسل والرسالات لعمر الأشقر ص 142.

﴿المطلب الثامن﴾

﴿إبراء المرضى﴾

إبراء النبي ﷺ من كسر رجل عبد الله بن عتيك رضي الله عنه:

عن البراء بن عازب قال: {بعثَ النبي ﷺ رهطاً إلى أبي رافعٍ، فدخل عليه عبد الله بن عتيك ليلاً وهو نائم فقتله[1]، فقال عبد الله بن عتيكٍ: فوضعتُ السيف في بطنه حتى أخذ في ظهره فعرفت أني قتلته، فجعلت أفتحُ الأبواب باباً فباباً، حتى انتهيتُ إلى درجة له فوضعت رجلي، وأنا أرى أني انتهيت إلى الأرض، فوقعت في ليلة مقمرة، فانكسرت ساقي، فعصبتها بعمامةٍ فانطلقت إلى أصحابي، فانتهيت إلى النبي ﷺ فحدثته فقال: ابسط رجلك فبسطت رجلي، فمسحها فكأنها لم أشتكِها قطُّ}[2].

إبراء النبي ﷺ عين الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

عن سهل بن سعدٍ؛ {أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: لأعطين هذه الراية غداً رجلاً يفتحُ الله على يديه، يحبُّ الله ورسوله ﷺ، ويحبه الله ورسوله ﷺ فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها، فلما أصبح الناسُ غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يُعطاها فقال: أين عليُّ بنُ أبي طالب؟ فقالوا: هو يا رسول الله يشتكي عينيه، قال: فأرسلوا إليه، فأُتي به، فبصق رسول الله في عينيه، ودعا له، فبرأ حتى كأن لم يكن به وجعٌ، فأعطاه الراية، فقال عليٌّ: يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ قال: انفُذْ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعُهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجبُ عليهم من حقِّ الله فيه، فوالله لأن يهدي اللهُ بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من أن يكون لكَ حمرُ النعم}[3].

---

[1] رواه البخاري 4038.

[2] رواه البخاري مختصراً 3039.

[3] رواه البخاري 4210، ومسلم 2406.

إبراء النبي ﷺ ساق سلمة بن الأكوع رضي الله عنه:

عن يزيد بن أبي عبيد قال: {رأيت أثر ضربةٍ في ساق سلمة فقلت: يا أبا مسلم ما هذه الضربة؟ قال: هذه ضربةٌ أصابتني يوم خيبر، فقال الناسُ: أصيب سلمة، فأتيت النبي ﷺ فنفث فيه ثلاث نفثات، فما اشتكيتها حتى الساعة}[1].

إبراء النبي ﷺ الصبيّ من صرع الجن:

عن يعلى بن مرة الثقفي قال: { عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ أَتَتْهُ امْرَأَةٌ بِابْنٍ لَهَا قَدْ أَصَابَهُ لَمَمٌ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: اخْرُجْ عَدُوَّ اللَّهِ أَنَا رَسُولُ اللَّهِ، قَالَ: فَبَرَأَ، فَأَهْدَتْ لَهُ كَبْشَيْنِ وَشَيْئًا مِنْ أَقِطٍ وَسَمْنٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَا يَعْلَى خُذْ الْأَقِطَ وَالسَّمْنَ وَخُذْ أَحَدَ الْكَبْشَيْنِ وَرُدَّ عَلَيْهَا الْآخَرَ}[2].



---

[1] رواه البخاري **4206**.

[2] أخرجه الإمام أحمد **17098**. للمزيد ينظر: الرسل والرسالات لعمر الأشقر – ص **145**.

﴿المطلب التاسع﴾

﴿الإخبار بالأمور الغيبية﴾

من ذلك إخبار النبي ﷺ عن الله تعالى وأسمائه وصفاته وأفعاله، وإخباره عن الملائكة وصفاتهم، وإخباره عن عالم الجن، وعن الجنة والنار، ومن ذلك إخباره عن الحوادث التي وقعت، كما أخبر عن آدم ونوح وهود وصالح وإبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم من الأنبياء والرسل، وما جرى بينهم وبين أقوامهم، وهو حديث فيه تفصيل وبيان، ومثل هذا لا يتأتى من رجل أمي لم يكن كاتباً ولا قارئاً، ولم يخالط الذين درسوا تاريخ الأمم وعرفوا أخبارها، ثم هو يأتي بأخبار لم يبلغها علم الأمم، وأخبار يكتمها علماء أهل الكتاب، ويصحح لهم كثيراً مما عندهم، وكل ذلك دليل على أنه إنما جاء بهذه العلوم من العليم الخبير، قال تعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلاَ قَوْمُكَ﴾[هود: 39].

وقد أشار القرآن إلى هذا الدليل في عدة مواضع، فمن ذلك قوله في سياق قصة مريم: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُون أَقْلاَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾[آل عمران: 44].

وفي سياق قصة موسى، قال تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[القصص: 46].

وقد كان يخبر الأخبار المغيبة التي وقعت في حينها، فقد أخبر باستشهاد قادة المسلمين الثلاثة في معركة مؤتة، وباستلام خالد بن الوليد الراية من بعدهم في اليوم الذي وقع فيه الحدث، فعن أنس بن مالك: {أنَّ النبيَّ ﷺ، نَعَى زَيْدًا، وجَعْفَرًا، وابْنَ رَوَاحَةَ لِلنَّاسِ، قَبْلَ أنْ يَأْتِيَهُمْ خَبَرُهُمْ، فَقالَ أخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ، فَأُصِيبَ، ثُمَّ أخَذَ جَعْفَرٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أخَذَ ابنُ رَوَاحَةَ فَأُصِيبَ، وعَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ حتَّى أخَذَ سَيْفٌ مِن سُيُوفِ اللَّهِ حتَّى فَتَحَ اللَّهُ عليهم}[1].

[1] الحديث رواه البخاري **3757** من حديث أنس رضي الله عنه.

وكذا عندما توفي النجاشي أخبر بوفاته في اليوم نفسه الذي توفي فيه، فعن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ قال: {قَدْ تُوُفِّيَ اليومَ رَجُلٌ صَالِحٌ مِنَ الحَبَشِ، فَهَلُمَّ، فَصَلُّوا عليه، قَالَ: فَصَفَفْنَا، فَصَلَّى النبيُّ ﷺ عليه ونَحْنُ معهُ صُفُوفٌ قَالَ أبو الزُّبَيْرِ: عن جَابِرٍ كُنْتُ في الصَّفِّ الثَّانِي}[1].



[1] أخرجه البخاري 1320.

﴿المطلب العاشر﴾

﴿انقياد الشجر للنبي ﷺ وتسليمه وكلامه﴾

عن جابر قال {سرنا مع رسول الله ﷺ حتى نزلنا وادياً أفيح واسعاً، فذهب رسولُ الله ﷺ يقضي حاجته فلم ير شيئاً يستَتِرُ به، فإذا شجرتان بشاطئ الوادي، فانطلق رسولُ الله ﷺ إلى إحداهما فأخذ بغصن من أغصانها، فقال: انقادي عليَّ بإذن الله فانقادت معه كالبعير المخشوش، الذي يصانع قائدَه، حتى أتى الشجرة الأخرى، فأخذ بغصنٍ من أغصانها، فقال: انقادي عليَّ بإذن الله فانقادت معه كذلك، حتى إذا كان بالمنصف (الوسط) مما بينهما قال: التئما علي بإذن الله فالتأمتا، فجلست أحدث نفسي فحانت مني لفتةٌ، فإذا برسول الله ﷺ مقبلاً، وإذا بالشجرتين قد افترقتا فقامت كل واحدةٍ منهما على ساقٍ}[1].

وعن يعلى بن مُرة الثقفي قال: {سِرنا مع رسول الله ﷺ حتى نزلنا منزلاً، فنام النبي ﷺ فجاءت شجرةٌ تشقُّ الأرض حتى غشيته، ثم رجعت إلى مكانها، فلما استيقظ رسول الله ﷺ ذكرتُ له فقال: هي شجرة استأذنت ربها في أن تسلِّم على رسول الله ﷺ فأُذن لها}[2].

وعن أنس قال: {جاء جبريل إلى النبي ﷺ وهو جالس حزينٌ، قد تخضب بالدم من فعل أهل مكة، فقال: يا رسول الله، هل تحبُّ أن نريك آية؟ قال: نعم. فنظر إلى شجرةٍ من ورائه فقال: ادعُ بها، فدعا بها فجاءت فقامت بين يديه، فقال: مرها فلترجع فأمرها فرجعت. فقال رسول الله ﷺ: حسبي حسبي}[3].

---

[1] رواه مسلم 3012.

[2] رواه أحمد 4/ 173 – 17601 والبيهقي في ((دلائل النبوة)) 6/ 24 قال ابن كثير في ((البداية والنهاية)) 6/ 145 طريقه جيد، وحسنه ابن حجر في ((تخريج مشكاة المصابيح)) 5/ 346 كما قال ذلك في المقدمة.

[3] رواه أحمد 3/ 113 – 21133 والدارمي 1/ 56 – 23، قال ابن كثير في ((البداية والنهاية)) 6/ 127: إسناده على شرط مسلم، وحسنه ابن حجر في ((تخريج مشكاة المصابيح)) 5/ 347، كما قال ذلك في المقدمة، وصحح إسناده الألباني في ((تخريج مشكاة المصابيح)) 5867.

وعن ابن عباس قال: {جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال: بمَ أعرفُ أنك نبيٌّ؟ قال: إن دعوت هذا العذقَ من هذه النخلة يشهدُ أني رسول الله فدعاه رسولُ الله ﷺ فجعل ينزلُ من النخلة حتى سقط إلى النبي ﷺ ثم قال: ارجع فعاد، فأسلم الأعرابي}[1].

وعن عبدُ الرَّحمَنِ بنُ عبدِ اللهِ بنِ مَسْعودٍ، قال: {سَأَلْتُ مَسْرُوقًا: مَن آذَنَ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ بالجِنِّ لَيْلَةَ اسْتَمَعُوا القُرْآنَ؟ فقالَ: حدَّثَني أبُوكَ، يَعْنِي ابْنَ مَسْعُودٍ أنَّه آذَنَتْهُ بهِمْ شَجَرَةٌ}[2].

وعن ابن عمر قال: {كنا مع النبي ﷺ في سفر، فأقبل أعرابي، فلما دنا قال له رسولُ الله ﷺ: تشهدُ أن لا إله إلا الله وحدهُ لا شريك له وأنَ محمداً عبدهُ ورسوله؟ قال: ومَن يشهدُ على ما تقولُ؟ قال: هذه السَّلَمة، فدعاها رسولُ الله ﷺ وهو بشاطئ الوادي، فأقبلت تخدُّ الأرض حتى قامت بين يديه، فاستشهدها ثلاثاً فشهدت ثلاثاً أنه كما قال، ثم رجعت إلى منبتها}[3].



---

[1] رواه الترمذي 3628 وقال: حسن غريب صحيح، وصححه الألباني في ((صحيح سنن الترمذي)) دون قوله: ((فأسلم الأعرابي)). والعذق: عرجون النخل.

[2] أخرجه مسلم 450 واللفظ له، والبخاري (3859) باختلاف يسير.

[3] رواه الدارمي 1/ 17 – 8، وابن حبان 14/ 434 – 6505، والطبراني 431/12، 13616، قال ابن كثير في ((البداية والنهاية)) 6/ 130: إسناده جيد، وقال الهيثمي في ((مجمع الزوائد)) 8/ 295: رجاله رجال الصحيح، وصحح إسناده السيوطي في ((الخصائص الكبرى)) 2/ 36، وقال الأرنؤوط في تخريج صحيح ابن حبان 6505: رجاله ثقات رجال الشيخين غير عبد الله بن عمر الجعفي، فمن رجال مسلم، وهو حسن الحديث. للمزيد ينظر: الرسل والرسالات لعمر الأشقر 150.

﴿ المطلب الحادي عشر ﴾

﴿ تسليم الحجر على النبي ﷺ ﴾

عن جابر بن سَمُرة قال: قال رسول الله ﷺ: {إني لأعرفُ حجراً بمكةَ كان يسلمُ عليَّ قبل أن أبعثَ إني لأعرفُهُ الآن}[1].

﴿ المطلب الثاني عشر ﴾

﴿ شكوى البعير إلى النبي ﷺ ﴾

عن عبد الله بن جعفر ابن عبد الله قال: {أردفَني رَسولُ اللَّهِ ﷺ، ذاتَ يومٍ خَلفَهُ ، فأسرَّ إليَّ حديثًا لا أُخبِرُ بِهِ أحدًا أبدًا وَكانَ رسولُ اللَّهِ ﷺ أحبُّ ما استترَ بِهِ في حاجتِهِ هدَفٌ، أو حائشُ نَخلٍ، فدخَلَ يومَ حائِطًا مِن حيطانِ الأَنصارِ، فإذا جَملٌ قدِ أتاهُ فجَرجرَ، وذَرِفَت عيناهُ – قالَ بَهْزٌ، وعفَّانُ: فلمَّا رَأى النَّبيَّ ﷺ حَنَّ وذرِفَت عيناهُ – فمَسحَ رسولُ اللَّهِ ﷺ سراتَهُ وذِفراهُ، فسَكَنَ، فقالَ: مَن صاحبُ الجمَلِ؟ فجاءَ فتًى منَ الأَنصارِ، فقالَ: هوَ لي يا رسولَ اللَّهِ، فقالَ أما تتَّقي اللَّهَ في هذِهِ البَهيمةِ الَّتي ملَّككَها اللَّهُ؛ إنَّهُ شَكا إليَّ أنَّكَ تجيعُهُ وتدئبُهُ}[2].



[1] رواه مسلم 2277.

[2] أخرجه أبو داود (2549)، وأحمد (1745) واللفظ له، وصححه أحمد شاكر والألباني. "فَمسحَ ذِفْرَاهُ"، وهو المَوضِع الَّذي يَعْرَقُ من قَفا البَعِير عند أُذُنِه، وهُما ذِفْرَيانِ، وسراته لعلَّها أعلى رأسه ما بين أذنيه. للمزيد ينظر: الرسل والرسالات لعمر الأشقر – ص 152.

﴿المسألة السادسة﴾

﴿كرامات بعض الصالحين﴾

إنَّ وقوع الكرامات لصلحاء هذه الأمة أمر ثابت لا شك فيه، وهو من تثبيت الله لعبده المؤمن، ومن عاجل مثوبته له، ولعلَّها فتنة له.

قال الطحاوي رحمه الله: ونؤمن بما جاء من كراماتهم، وصح عن الثقات من رواياتهم[1].

لكن لا بد أن يُتناول هذا الأمر بحذر وفهم صحيح؛ فإنه قد يقع لبعض أهل الضلال من خوارق العادات ما يظنه الجاهل أنه من الكرامات، وإنما هو من تلبيس الشياطين، وقد ذكرنا ذلك سابقا.

قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: كرامات الأولياء حق باتفاق أئمة أهل الإسلام والسنة والجماعة، وقد دل عليها القرآن في غير موضع، والأحاديث الصحيحة والآثار المتواترة عن الصحابة والتابعين وغيرهم، وإنما أنكرها أهل البدع من المعتزلة والجهمية ومن تابعهم، لكن كثيرا ممن يدعيها أو تدعى له يكون كذابا أو ملبوسا عليه[2].

وليعلم أن الكرامة الحقيقية عند عباد الله تعالى وخاصة أوليائه؛ إنما هي لزومهم طريق الاستقامة إلى ربهم وثباتهم على ذلك.

قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: إنما غاية الكرامة لزوم الاستقامة، فلم يكرم الله عبدا بمثل أن يعينه على ما يحبه ويرضاه ويزيده مما يقربه إليه ويرفع به درجته[3].

وقد وقع لابن تيمية رحمه الله تعالى من هذه الخصائص، ما حكاه عنه بعض تلامذته والعارفين به.

قال ابن القيم رحمه الله: وَلَقَدْ شَاهَدْتُ مِنْ فِرَاسَةِ شَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ أُمُورًا عَجِيبَةً ، وَمَا لَمْ أُشَاهِدْهُ مِنْهَا أَعْظَمُ وَأَعْظَمُ، وَوَقَائِعُ فِرَاسَتِهِ تَسْتَدْعِي سِفْرًا ضَخْمًا.

---

[1] العقيدة الطحاوية ص 84.

[2] مختصر الفتاوى المصرية (2 /63).

[3] مجموع الفتاوى (11 /298).

أَخْبَرَ أَصْحَابَهُ بِدُخُولِ التَّتَارِ الشَّامَ سَنَةَ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ وَسِتِّمِائَةٍ، وَأَنَّ جُيُوشَ الْمُسْلِمِينَ تُكْسَرُ، وَأَنَّ دِمَشْقَ لَا يَكُونُ بِهَا قَتْلٌ عَامٌّ وَلَا سَبْيٌ عَامٌّ، وَأَنَّ كَلَبَ الْجَيْشِ وَحِدَّتَهُ فِي الْأَمْوَالِ، وَهَذَا قَبْلَ أَنْ يَهُمَّ التَّتَارُ بِالْحَرَكَةِ.

ثُمَّ أَخْبَرَ النَّاسَ وَالْأُمَرَاءَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِمِائَةٍ لَمَّا تَحَرَّكَ التَّتَارُ وَقَصَدُوا الشَّامَ: أَنَّ الدَّائِرَةَ وَالْهَزِيمَةَ عَلَيْهِمْ، وَأَنَّ الظَّفَرَ وَالنَّصْرَ لِلْمُسْلِمِينَ، وَأَقْسَمَ عَلَى ذَلِكَ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ يَمِينًا، فَيُقَالُ لَهُ: قُلْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، فَيَقُولُ: إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَحْقِيقًا لَا تَعْلِيقًا، وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ ذَلِكَ وَكَانَتْ فِرَاسَتُهُ الْجُزْئِيَّةُ فِي خِلَالِ هَاتَيْنِ الْوَاقِعَتَيْنِ مِثْلَ الْمَطَرِ.

وَلَمَّا طُلِبَ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، وَأُرِيدَ قَتْلُهُ بَعْدَمَا أُنْضِجَتْ لَهُ الْقُدُورُ، وَقُلِّبَتْ لَهُ الْأُمُورُ، اجْتَمَعَ أَصْحَابُهُ لِوَدَاعِهِ، وَقَالُوا: قَدْ تَوَاتَرَتِ الْكُتُبُ بِأَنَّ الْقَوْمَ عَامِلُونَ عَلَى قَتْلِكَ، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَا يَصِلُونَ إِلَى ذَلِكَ أَبَدًا، قَالُوا: أَفَتُحْبَسُ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَيَطُولُ حَبْسِي، ثُمَّ أَخْرُجُ وَأَتَكَلَّمُ بِالسُّنَّةِ عَلَى رُءُوسِ النَّاسِ، سَمِعْتُهُ يَقُولُ ذَلِكَ.

وَلَمَّا تَوَلَّى عَدُوُّهُ الْمُلَقَّبُ بِالْجَاشِنْكِيرِ الْمُلْكَ أَخْبَرُوهُ بِذَلِكَ، وَقَالُوا: الْآنَ بَلَغَ مُرَادَهُ مِنْكَ، فَسَجَدَ لِلَّهِ شُكْرًا وَأَطَالَ، فَقِيلَ لَهُ: مَا سَبَبُ هَذِهِ السَّجْدَةِ؟ فَقَالَ: هَذَا بِدَايَةُ ذُلِّهِ وَمُفَارَقَةُ عِزِّهِ مِنَ الْآنِ، وَقرب زَوَالِ أَمْرِهِ، فَقِيلَ: مَتَى هَذَا؟ فَقَالَ: لَا تُرْبَطُ خُيُولُ الْجُنْدِ عَلَى الْقُرْطِ حَتَّى تُغْلَبَ دَوْلَتُهُ، فَوَقَعَ الْأَمْرُ مِثْلَ مَا أَخْبَرَ بِهِ ، سَمِعْتُ ذَلِكَ مِنْهُ[1].

وأحسن من هذا ما حكاه عنه ابن القيم رحمه الله تعالى قال: وعلم الله ما رأيت أحدا أطيب عيشا منه قط، مع ما كان فيه من ضيق العيش وخلاف الرفاهية والنعيم بل ضدها، ومع ما كان فيه من الحبس والتهديد والإرهاق، وهو مع ذلك من أطيب الناس عيشا، وأشرحهم صدرا، وأقواهم قلبا، وأسرهم نفسا، تلوح نضرة النعيم على وجهه، وكنا إذا اشتد بنا الخوف، وساءت منا الظنون، وضاقت بنا الأرض: أتيناه، فما هو إلا أن نراه ونسمع كلامه فيذهب ذلك كله، وينقلب انشراحا وقوة ويقينا وطمأنينة، فسبحان من أشهد عباده جنته قبل لقائه، وفتح لهم أبوابها في دار العمل، فآتاهم من روحها ونسيمها وطيبها ما استفرغ قواهم لطلبها والمسابقة إليها[2].

---

[1] للمزيد ينظر: "مدارج السالكين" (2/ 458-459).

[2] الوابل الصيب لابن القيم 63.

فخير كرامة ينالها الرجل الصالح، أنَّ الناس إذا رأوه ذكروا الله تعالى، وصبروا به عند البلايا، وتقووا به على الطاعة، يقول النبي ﷺ: {ألَا أُنبِّئُكم بخِيارِكم؟ قالوا: بلى يا رسولَ الله! قال: خياركم الذين إذا رءوا ذكر الله عز وجل}[1].

فحصول الكرامات لصلحاء هذه الأمة من علمائها وعبادتها وزهادها فشيء كثير جدا، ونحن نذكر طرفا يسيرا مما وقع من ذلك مما ذكره أهل العلم في كتبهم:

فعَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ، قَالَ: شَهِدْتُ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِالْحِيرَةِ أُتِيَ بِسُمٍّ، فَقَالَ: مَا هَذَا؟ قَالُوا: سُمُّ سَاعَةٍ قَالَ: بِسْمِ اللَّهِ، ثُمَّ ازْدَرَدَهُ يعني ابتلعه ولم يصبه سوء[2].

وعَنْ ثَابِتٍ الْبُنانيّ قَالَ : كُنْتُ مَعَ أَنَسٍ فَجَاءَ قَهْرَمَانُهُ فَقَالَ: يَا أَبَا حَمْزَةَ قَدْ عَطِشَتْ أَرْضُنَا، قَالَ: فَقَامَ أَنَسٌ فَتَوَضَّأَ وَخَرَجَ إِلَى الْبَرِيَّةِ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ دَعَا، فَرَأَيْتُ السَّحَابَ يَلْتَئِمُ، قَالَ: ثُمَّ مَطَرَتْ حَتَّى مَلَأَتْ كُلَّ شَيْءٍ، فَلَمَّا سَكَنَ الْمَطَرُ بَعَثَ أَنَسٌ بَعْضَ أَهْلِهِ فَقَالَ: انْظُرْ أَيْنَ بَلَغَتِ السَّمَاءُ؟ فَنَظَرَ فَلَمْ تَعْدُ أَرْضُهُ إِلَّا يَسِيرًا[3].

وعَنْ جَعْفَرِ بْنِ زَيْدٍ الْعَبْدِيِّ قَالَ: خَرَجْنَا غُزَاةً إِلَى كَابُلَ وَفِي الْجَيْشِ صِلَةُ بْنُ أَشْيَمَ، فَلَمَّا دَنَوْنَا مِنْ أَرْضِ الْعَدُوِّ قَالَ الْأَمِيرُ: لَا يَشُذَّنَّ مِنَ الْعَسْكَرِ أَحَدٌ، فَذَهَبَتْ بَغْلَةُ صِلَةَ بِثِقْلِهَا فَأَخَذَ يُصَلِّي فَقِيلَ: إِنَّ النَّاسَ قَدْ ذَهَبُوا فَقَالَ: إِنَّمَا هِيَ خَفِيفَتَانِ، قَالَ: فَدَعَا ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أُقْسِمُ عَلَيْكَ أَنْ تُرَدَّ عَلَيَّ بَغْلَتِي وَثِقلَهَا، قَالَ: فَجَاءَتْ حَتَّى قَامَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ[4].

وما ذكر في الخبر ليس غريبا فالنبي ﷺ يقول: {إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبَرَّهُ}[5].

وكذلك عَنْ نَافِعِ بْنِ أَبِي نُعَيْمٍ قَالَ: لَمَّا غُسِّلَ أَبُو جَعْفَرٍ يَزِيدُ بْنُ الْقَعْقَاعِ الْقَارِئُ بَعْدَ وَفَاتِهِ نَظَرُوا مَا بَيْنَ نَحْرِهِ إِلَى فُؤَادِهِ مِثْلَ وَرَقَةِ الْمُصْحَفِ قَالَ: فَمَا شَكَّ مَنْ حَضَرَهُ أَنَّهُ نُورُ الْقُرْآنِ[6].

---

[1] أخرجه ابن ماجة 394/3.

[2] شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (498/6)، و"البداية والنهاية" (6 /382).

[3] شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (7 /11)، والبداية والنهاية (9 /107).

[4] شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة" (7 /142).

[5] أخرجه البخاري (2703) – واللفظ له – ، ومسلم (1675) عن أنس.

[6] تهذيب الكمال (33 /201).

وعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ زِيَادٍ الْأَلْهَانِيِّ، عَنْ أَبِي مُسْلِمٍ الْخَوْلَانِيِّ: أَنَّ امْرَأَةً خَبَّبَتْ عَلَيْهِ امْرَأَتَهُ فَدَعَا عَلَيْهَا فَذَهَبَ بَصَرُهَا، قَالَ: فَأَتَتْهُ، فَقَالَتْ: يَا أَبَا مُسْلِمٍ إِنِّي قَدْ كُنْتُ فَعَلْتُ، وَفَعَلْتُ وَلَا أَعُودُ لِمِثْلِهَا، فَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ صَادِقَةً فَارْدُدْ عَلَيْهَا بَصَرَهَا، قَالَ: فَأَبْصَرَت[1].

وعَنْ بِلَالِ بْنِ كَعْبٍ الْعَكِّيِّ قَالَ: رُبَّمَا قَالَ الصِّبْيَانُ لِأَبِي مُسْلِمٍ الْخَوْلَانِيِّ إِذَا مَرَّ الظَّبْيُ: ادْعُ اللَّهَ يَحْبِسُ عَلَيْنَا هَذَا الظَّبْيَ، فَيَدْعُو اللَّهَ فَيَحْبِسُهُ حتّى يأخذُوه بأيدِيهم[2].

وعَنْ شَقِيقٍ قَالَ: كُنْتُ فِي زَرْعٍ لِي إِذْ أَقْبَلَتْ سَحَابَةٌ تُزْهِي قَالَ: فَسَمِعْتُ فِيهَا صَوْتًا أَمْطِرِي زَرْعَ فُلَانٍ، قَالَ: فَأَتَيْتُ الرَّجُلَ فَسَأَلْتُهُ مَا تَصْنَعُ بِزَرْعِكَ؟ قَالَ: أَبْذُرُ ثُلُثَهُ، وَآكُلُ ثُلُثَهُ، وَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثِهِ[3].

وعَنْ أَبِي الْعَلَاءِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشِّخِّيرِ: أَنَّ عَامِر بن عَبد قَيْس كَانَ يَأْخُذُ عَطَاءَهُ فَيَجْعَلُهُ فِي طَرَفِ رِدَائِهِ، فَلَا يَلْقَى أَحَدًا مِنَ الْمَسَاكِينِ يَسْأَلُهُ إِلَّا أَعْطَاهُ، فَإِذَا دَخَلَ عَلَى أَهْلِهِ رَمَى بِهِ إِلَيْهِمْ فَيَعُدُّونَهَا فَيَجِدُونَهَا سَوَاءً كَمَا أُعْطِيَهَا[4].

وعَنْ يُونُسَ قَالَ: كَانَ مُطَرِّفُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ إِذَا دَخَلَ بَيْتَهُ سَبَّحَتْ آنِيَةُ بَيْتِهِ[5].

وعَنِ الْجُرَيْرِيِّ، قَالَ : كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ شَقِيقٍ مُجَابَ الدَّعْوَةِ فَكَانَتْ تَمُرُّ بِهِ السَّحَابَةُ فَيَقُولُ: اللَّهُمَّ لَا تَجُوزُ كَذَا وَكَذَا حَتَّى تُمْطِرَ ، فَمَا تَجُوزُ ذَلِكَ الْمَوْضِعَ حَتَّى تُمْطِرَ[6].

وغير ذلك كثير...



[1] حلية الأولياء (5 /121).

[2] تاريخ دمشق (27 /215).

[3] شرح أصول اعتقاد أهل السنة (94/7).

[4] تاريخ دمشق (26 /29)، الإصابة (77/5).

[5] تاريخ دمشق (58 /323)، وحلية الأولياء (2 /206).

[6] تاريخ دمشق (29 /161).

﴿المبحث السابع﴾

﴿عدم التمييز بين الأنبياء الرسل عليهم الصلاة والسلام﴾

قال تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾[البقرة: 285].

قال البغوي: {لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ}، فنؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعلت اليهود والنصارى[1].

ويحمل المعنى أيضا على التفاضل الذي لم يخبر به الله تعالى، بقولهم مثلا، لو كان في يعقوب خير لكان سيد الأنبياء، حاشاه من كل سوء، أو التخيير بقولك مثلا: محمد خير من موسى، فكل هذا ممنوع مخالف لآداب المسلم مع أسياده الأنبياء.

فقد قال النبي ﷺ: {لا تُخَيِّروا بينَ الأنبياءِ}[2].

أي: لا تقولو النبي فلان خير من النبي فلان، لأنهم كلهم فيهم خير، بل هم الخير الذي أرسله الله تعالى لعباده.

كذلك عن أبي هريرة: {اسْتَبَّ رَجُلَانِ: رَجُلٌ مِنَ المُسْلِمِينَ، ورَجُلٌ مِنَ اليَهُودِ، قالَ المُسْلِمُ: والذي اصْطَفَى مُحَمَّدًا علَى العَالَمِينَ، فَقالَ اليَهُودِيُّ: والذي اصْطَفَى مُوسَى علَى العَالَمِينَ، فَرَفَعَ المُسْلِمُ يَدَهُ عِنْدَ ذلكَ، فَلَطَمَ وجْهَ اليَهُودِيِّ، فَذَهَبَ اليَهُودِيُّ إلى النَّبيِّ ﷺ، فأخْبَرَهُ بما كانَ مِن أمْرِهِ وأَمْرِ المُسْلِمِ، فَدَعَا النَّبيُّ ﷺ، فَسَأَلَهُ عن ذلكَ، فأخْبَرَهُ، فَقالَ النَّبيُّ ﷺ: لا تُخَيِّرُونِي علَى مُوسَى؛ فإنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ يَومَ القِيَامَةِ، فأَصْعَقُ معهُمْ، فأكُونُ أوَّلَ مَن يُفِيقُ، فَإِذَا مُوسَى بَاطِشٌ جَانِبَ العَرْشِ، فلا أدْرِي أكانَ فِيمَن صَعِقَ فأفَاقَ قَبْلِي، أوْ كانَ مِمَّنِ اسْتَثْنَى اللَّهُ}[3].

فتَفضيلُ بَعضِ الأنبياءِ على بَعضٍ أمرٌ خاصٌّ باللهِ سُبحانه فقطْ، وهو وَحْدَه مَن يَملِكُ هذا الأمرَ، وليس لِبشَرٍ أنْ يُفاضِلَ بيْن هؤلاء الأنبياءِ الأسياد، ولتَكُنِ المُفاضَلةُ بما نصَّ عليه اللهُ عزَّ

---

[1] ينظر: تفسير البغوي.

[2] أخرجه البخاري (6916)، ومسلم (2374).

[3] أخرجه البخاري (2411)، ومسلم (2373).

وجلَّ وبيَّنَته أقوالُ النَّبيِّ ﷺ، كما في قولِه تعالَى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ [البقرة: 253].

وقال اللَّه تَعالَى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ [الإسراء: 55].

قال ابن كثير رحمه الله تعالى:

وَلَا خِلَافَ أَنَّ الرُّسُلَ أَفْضَلُ مِنْ بَقِيَّةِ الْأَنْبِيَاءِ، وَأَنَّ أُولِي الْعَزْمِ مِنْهُمْ أَفْضَلُهُمْ، وَهُمُ الْخَمْسَةُ الْمَذْكُورُونَ نَصًّا في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ [الأحزاب: 7].

وَلَا خِلَافَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ أَفْضَلُهُم، ثُمَّ بَعْدَهُ إِبْرَاهِيمُ، ثُمَّ مُوسَى عَلَى الْمَشْهُورِ[1].

هذا قول ابن كثير، وهو صحيح فالنبي ﷺ أفضل الأنبياء والبشر، لقوله ﷺ: {أنا سيدُ ولدِ آدمَ ولا فخر...}[2]، وكذلك أولي العزم منهم، ولكن النهي مبني على القول، أي: أن تقول: محمد خير من يعقوب أو غيره، فهذا وإن كان صحيحا فهو ممنوع وهذا للحديث السابق: {لا تُخَيِّروا بينَ الأنبياءِ}[3]، فهذا نهي، والنحي للتحريم، وعليه: فالتفاضل بين الأنبياء معلوم، لكن الكلام فيه ممنوع، إلا عموما كأن تقول الأنبياء بعضهم أفضل من بعض، لكن التسميات لا تجوز.

---

[1] تفسير ابن كثير (5/ 87-88) .

[2] أخرجه مسلمك 2278، وابن ماجه 3496 واللفظ له.

[3] أخرجه البخاري (6916)، ومسلم (2374).

﴿المبحث الثامن﴾

﴿عدم الغلو في الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام﴾

إنَّ من النَّاس من يحب الدين ويحب الأنبياء خاصَّة، فيحمله حبه لهم الذي هو في أصله عقيدة، إلى الممنوع وهو الغلوّ في حبهم مما يحمله إلى التقوّل عليهم، فهو من الكذب عليهم والكذب على الأنبياء كبيرة لقول النبي ﷺ: {... إنَّ كَذِبًا عَلَيَّ ليسَ كَكَذِبٍ علَى أحَدٍ، مَن كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ...}[1]. وهذا ليس خاصا بالنبي محمد ﷺ وحده، فكذلك من كذب على إبراهيم أو موسى أو غيرهم من الأنبياء.

أو رفعتهم في أكثر من درجاتهم، فقد، { جاءَ أناسٌ إليهِ فقالوا: يا رسولَ اللَّهِ يا خَيرَنا وابنَ خَيرِنا وسيِّدَنا وابنَ سيِّدِنا فقالَ: يا أيُّها النَّاسُ قولوا بقَولِكُم ولا يستَهْوينَّكمُ الشَّيطانُ أنا محمَّدٌ عبدُ اللَّهِ ورسولُهُ ما أُحبُّ أن ترفَعوني فَوقَ مَنزِلَتي الَّتي أنزلَني اللَّهُ عزَّ وجلَّ}[2].

فالغلو في الدين ممنوع لقول الله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾[النساء: 171] . **وهذا الخطاب ليس خاصا بأهل الكتاب وإن كنا منهم بل هو عام، فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.**

كذلك عن ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عنهما أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: {إيَّاكم والغُلُوَّ في الدِّينِ؛ فإنَّما أهلَكَ من كان قَبْلَكم الغُلُوُّ في الدِّينِ}[3].

والغلو في الشرع: هو مجاوزة حدود ما شرع الله عز وجل، سواء كان ذلك التجاوز في جانب الاعتقاد أو القول أو العمل، فمن مظاهر الغلو اتخاذ قبور الأنبياء مزارا وعيدا، وقد قال النبي ﷺ: {... ولا تجعلوا قَبري عيدًا...}[4].

---

[1] أخرجه البخاري **1292**.

[2] أخرجه النسائي في ((السنن الكبرى)) (**10077**)، وأحمد (**12551**) باختلاف يسير.

[3] أخرجه النسائي (**3057**) واللَّفظُ له، وابن ماجه (**3029**)، وأحمد (**1851**). صَحَّحه ابنُ حِبَّان في ((صحيحه)) (**3871**)، وابن عبد البر في ((التمهيد)) (**428/24**)، وابن تيمية في ((اقتضاء الصراط المستقيم)) (**327/1**)

[4] أخرجه أبو داود (**2042**) واللفظ له، وأحمد (**8790**).

وإن كان هذا الكلام في حق سيد المرسلين، ومعه الأنبياء، فمن دونهم أولى بالنهي عن الغلو فيهم منهم، فقد قال الذَّهبيُّ مُستنكِرًا عَمَلَ بَعضِ الجَهَلةِ عندَ قَبرِ نفيسةِ بنتِ الحَسَنِ: ولجهَلةِ المِصريِّين فيها اعتقادٌ يتجاوَزُ الوَصفَ، ولا يجوزُ، ممَّا فيه من الشِّركِ، ويَسجُدون لها، ويلتَمِسون منها المغفرةَ، وكان ذلك من دسائِسِ دُعاةِ العُبَيديَّةِ[1].

وقال ابنُ كثيرٍ عنها: بالَغَ العامَّةُ في أمْرِها كثيرًا جِدًّا، ويُطلِقون فيها عباراتٍ بَشِعةً فيها مجازفةٌ تؤدِّي إلى الكُفرِ والشِّركِ، وألفاظًا كثيرةً ينبغي أن يَعرِفوا بأنَّها لا يجوزُ إطلاقُها في مِثلِ أمْرِها... والذي ينبغي أن يُعتَقَدَ فيها من الصَّلاحِ ما يليقُ بأمثالها من النِّساءِ الصَّالحاتِ، وأصلُ عبادةِ الأصنامِ مِن المغالاةِ في القُبورِ وأصحابِها، وقد أمَرَ النَّبيُّ ﷺ بتسويةِ القُبورِ وطَمْسِها[2].

بل حمل الغلو النَّاس على تأليه من يظنونهم صالحين، فيزورون قبورهم ويسألونهم من دون الله تعالى، بل قالوا إنَّ لبعض المقبورين من الصالحين التصرف بعد الموت، يعني إنَّ الله تعالى أعطاه التصرف في أمور الخلق، يعني هو مفوَّض من الله تعالى بأرزاق الناس وفك كرباتهم، يعني أعمال الربوبية.

لا شكَّ أنَّ هذا كفر بواح، فعلى العاقل أن ينزل الناس منازلهم التي أنزلهم الله تعالى، فما محمد رسول الله ﷺ، إلا عبد الله ورسوله، وإنَّه لم يقدر على شيء في حياته إلا بإذن الله تعالى، وإنَّه بعد موته قد أتمَّ مهمَّته التي في الدنيا، فإن كان الغلو في حقه ممنوعا حال حياته بما تقدم من الأحاديث فبعد موته من باب أولى...

وقد حرص النبي ﷺ على النهي عن الغلو فيه أو في غيره، حتى أنه {أتى النَّبيَّ ﷺ رجلٌ، فَكَلَّمَهُ، فجَعلَ ترعدُ فرائصُهُ، فقالَ لَهُ: هوِّن عليكَ؛ فإنِّي لستُ بملِكٍ؛ إنَّما أَنا ابنُ امرأةٍ تأكُلُ القَديدَ}[3].

---

[1] يُنظر: ((سير أعلام النبلاء)) (106/10).

[2] يُنظر: ((البداية والنهاية)) (14/ 171).

[3] أخرجه ابن ماجه (3312)، وصححه الألباني.

وكذلك قال أبو بكرٍ: {قوموا نستغيثُ برسولِ اللهِ ﷺ مِن هذا المنافقِ فقال رسولُ اللهِ ﷺ إنَّه لا يُسْتغاثُ بي إنَّما يُسْتَغاثُ باللهِ عزَّ وجلَّ}[1].

ويفهم من كل ما سبق؛ أنَّ الغلوَّ في الأنبياء حرام، ولا يجوز رفعتهم أعلى من الدرجة اتي أنزلهم الله فيها، ومع ذلك وجب علينا حبهم وتوقيرهم، فالمؤمن وسط في كل شيء، فلا يجحد حقوق الأنبياء علينا من توقير وحب وتعزير، ولا يغلو فيهم حتى يألِّههم أو يكذب عليهم.



[1] مجمع الزوائد للهيثمي 162/10، وقال: رجاله رجال الصحيح غير ابن لهيعة وهو حسن الحديث. {لا ريب أن ابن لهيعة كان عالم الديار المصرية هو والليث معا ، كما كان الإمام مالك في ذلك العصر عالم المدينة ، والأوزاعي عالم الشام ، ومعمر عالم اليمن ، وشعبة والثوري عالما العراق ، وإبراهيم بن طهمان عالم خراسان ، ولكن ابن لهيعة تهاون بالإتقان ، وروى مناكير ، فانحط عن رتبة الاحتجاج به عندهم}، ينظر: سير أعلام النبلاء 8/12.

﴿المبحث التاسع﴾

﴿الاعتقاد في الصَّحابة﴾

مِن عَقيدةِ أهلِ السُّنَّةِ والجَماعةِ وُجوبُ مَحَبَّةِ أصحابِ رَسولِ اللهِ ﷺ.

وقَد دَلَّتْ عَلى ذلك نُصوصٌ كثيرةٌ؛ مِنها:

قَولُ اللهِ تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾[الحشر: 10].

قال القُرطُبيُّ: هَذِه الآيةُ دَليلٌ عَلى وُجوبِ مَحَبَّةِ الصَّحابةِ؛ لأنَّه جَعَل لِمَن بَعدَهم حَظًّا في الفَيءِ ما أقاموا عَلى مَحَبَّتِهم ومُوالاتِهم والاستِغفارِ لهم، وأنَّ من سَبَّهم أو واحِدًا مِنهم أو اعتَقَدَ فيه شرًّا أنَّه لا حَقَّ لهُ في الفَيءِ، رُوِيَ ذلك عن مالِكٍ وغيرِه، قال مالِكٌ: من كانَ يُبغِضُ أحَدًا من أصحابِ مُحَمَّدٍ ﷺ أو كانَ في قَلبِه عليهِم غِلٌّ، فلَيسَ لهُ حَقٌّ في فَيءِ المُسْلِمينَ، ثُمَّ قَرَأَ وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِنْ بَعْدِهِمْ الآيةَ[1]. اهـ

ودونكم بعض الأحاديث الدالة على فضلهم وعلى وجوب محبتهم:

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: خيرُكم قرني ثم الذينَ يلونَهم ثمَّ الَّذينَ يلونهمْ، ثمَّ يخلفُ قومٌ تسبقُ شهاداتُهم أيمانَهم وأيمانُهم شهاداتَهم[2].

وفي رواية: خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ مِن بَعْدِهِمْ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهادَتُهُمْ أيْمانَهُمْ، وأَيْمانُهُمْ شَهادَتَهُمْ[3].

وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: يَأْتي علَى النَّاسِ زَمانٌ، فَيَغْزُو فِئامٌ مِنَ النَّاسِ، فيَقولونَ: فِيكُمْ مَن صاحَبَ رَسولَ اللَّهِ ﷺ؟ فيَقولونَ: نَعَمْ، فيُفْتَحُ لهمْ، ثُمَّ يَأْتي علَى النَّاسِ زَمانٌ، فَيَغْزُو فِئامٌ مِنَ النَّاسِ، فيُقالُ: هلْ فِيكُمْ مَن صاحَبَ أصْحابَ رَسولِ اللَّهِ ﷺ؟ فيَقولونَ:

---

[1] يُنظر: ((تفسير القرطبي)) (32/18)

[2] صحيح: أخرجه البخاري (2652)، ومسلم (2533)، والترمذي (3859)، وابن ماجه (2362)، وأحمد (4173) واللفظ له، والنسائي في ((السنن الكبرى)) (6031).

[3] أخرجه البخاري ومسلم، الأوَّل: 6429، والثاني: 2533.

نَعَمْ، فيُفْتَحُ لهمْ، ثُمَّ يَأْتي علَى النَّاسِ زَمانٌ، فَيَغْزُو فِئامٌ مِنَ النَّاسِ، فيُقالُ: هلْ فِيكُمْ مَن صاحَبَ مَن صاحَبَ أصْحابَ رَسولِ اللَّهِ ﷺ؟ فيَقولونَ: نَعَمْ، فيُفْتَحُ لهمْ[1].

وعن واثلة بن الأسقع الليثي أبو فسيلة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: لا تَزالونَ بخَيرٍ ما دامَ فيكُم مَن رآني وصاحَبَني، واللَّهِ لا تزالونَ بخَيرٍ ما دامَ فيكُم مَن رأى مَن رآني وصاحبَ مَن صاحَبَني، واللَّهِ لا تزالونَ بخَيرٍ ما دامَ فيكُم مَن رأى مَن رأى مَن رآني وصاحَبَ مَن صاحَبَ مَن صاحَبَني[2].

عن عبدالله بن مغفل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: اللهَ اللهَ في أصحابي لا تتَّخِذوا أصحابي غَرَضًا بعدي، فمَن أحَبَّهم فبِحُبِّي أحَبَّهم، ومَن أبغَضهم فبِبُغْضي أبغَضهم، ومَن آذاهم فقد آذاني ومَن آذاني فقد آذى اللهَ، ومَن آذى اللهَ يوشِكُ أنْ يأخُذَه[3].

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: أوصيكُم بأصحابي، ثمَّ الَّذينَ يلونَهم، ثمَّ الَّذينَ يلونَهم، ثمَّ يفشو الكذبُ حتَّى يحلِفَ الرَّجلُ ولا يُستَحلَفُ ويشهدَ الشَّاهدُ ولا يُستَشهَدُ، ألا لا يخلوَنَّ رجلٌ بامرأةٍ إلَّا كانَ ثالثَهما الشَّيطانُ، علَيكُم بالجماعةِ وإيَّاكم

---

[1] صحيح: أخرجه البخاري 3649.

[2] صحيح: أخرجه ابن ابي عاصم في السنة 1481، والوادعي في الصحيح المسند 1213، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة وقال: إسناده جيد رجاله رجال الصحيح، وحسنه ابن حجر في فتح الباري وقال: 7/7، وقال: إسناده حسن، وقال صلاح الدين العلائي في تحقيق منيف الرتبة 70: إسناده صحيح.

[3] حسن لغيره: تشهد له بالمعنى كل الأحاديث السابقة، أخرجه الترمذي (3862)، وأحمد (20568) وفي ((فضائل الصحابة)) (1) واللفظ له، وابن حبان في صحيحه 7256، والسيوطي في الجامع الصغير وصححه 1436، والبيهقي في شعب الإيمان 657/2 وقال: له شواهد، وأبو نعيم في حلية الأولياء 287/8، وبمثله رواه ابن أبي عاصم في السنة 992، وفي سنده عبد الرحمن بن زياد، لم يوثقه غير ابن حبان وهو مجهول، والصحيح أنه مبهم وليس بمجهول فإن كان عبد الرحمن بن زياد الهاشمي فهو مقبول الحديث، وإن كان عبد الرحمن بن زياد الأفريقي فهو ضعيف الحديث وليس بمتهم، وقيل هو عبد الله بن عبد الرحمن، وهذا موثَّق وثقه أحمد بن صالح الجيلي، ووثقه يحيى بن معين، وقيل: عبد الرحمن بن زياد، وقلنا هذا مبهم غير مجهول، فأحدهما مقبول والآخر ضعيف من جهة الضبط، وقيل: عبد الرحمن بن عبد الله، لم يوثقه غير ابن حبان، وقال ابن معين: لا أعرفه. قال الذهبي: لا يعرف. وكل من سبق هم من الأجيال الذهبية، فأما عبد الله بن عبد الرحمن فهذا موثَّق، وأمَّا عبد الرحمن بن زياد فهو مبهم أحدهما الهاشمي فهو مقبول، والآخر الأفريقي ضعيف من جهة الضبط، فإن سلمنا بأنه الأفريقي فللحديث شواهد بالمعنى تشهد له فيرتقي، وإن كان عبد الرحمن بن عبد الله فقد وثقه ابن حبان والجيلي. فالحديث على الثاني حسن لغيره، وعلى الأول صحيح لذاته.

والفُرقةَ؛ فإنَّ الشَّيطانَ معَ الواحدِ وَهوَ منَ الاثنَينِ أبعدُ، مَن أرادَ بَحبوحةَ الجنَّةِ فلْيلزَمُ الجماعةَ، مَن سرَّتهُ حسنتُهُ وساءتْهُ سَيِّئتُهُ فذلِكم المؤمنُ[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: كَيْفَ بِكُمْ إِذَا شَبِعْتُمْ مِنَ الْخُبْزِ وَالزَّيْتِ؟ فَضَجُّوا وَكَبَّرُوا سَاعَةً، ثُمَّ قَالُوا: مَتَى يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: إِذَا فُتِحَتِ الْأَمْصَارُ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: كَيْفَ بِكُمْ إِذَا اخْتَلَفَتْ عَلَيْكُمْ أَلْوَانٌ وَغَدَوْتُمْ بِثِيَابٍ، وَجِئْتُمْ بِأُخْرَى؟ قَالُوا: مَتَى ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: إِذَا فُتِحَتِ الْأَمْصَارُ، وَفُتِحَتْ فَارِسُ وَالرُّومُ، قَالُوا: فَهُمْ خَيْرٌ مِنَّا يَا رَسُولَ اللَّهِ يُدْرِكُونَ الْفُتُوحَ، قَالَ: بَلْ أَنْتُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ، وَأَبْنَاؤُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أَبْنَائِهِمْ، وَأَبْنَاءُ أَبْنَائِكُمْ خَيْرٌ مِنْ أَبْنَاءِ أَبْنَائِهِمْ، لَمْ يَأْخُذُوا بِشُكْرٍ، لَمْ يَأْخُذُوا بِشُكْرٍ، لَمْ يَأْخُذُوا بِشُكْرٍ[2].

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: صَلَّيْنَا المَغْرِبَ مع رَسُولِ اللهِ ﷺ، ثُمَّ قُلْنَا: لو جَلَسْنَا حتَّى نُصَلِّيَ معهُ العِشَاءَ، قالَ: فَجَلَسْنَا، فَخَرَجَ عَلَيْنَا، فَقالَ: ما زِلْتُمْ هَاهُنَا؟ قُلْنَا: يا رَسُولَ اللهِ، صَلَّيْنَا معكَ المَغْرِبَ، ثُمَّ قُلْنَا: نَجْلِسُ حتَّى نُصَلِّيَ معكَ العِشَاءَ، قالَ أَحْسَنْتُمْ، أَوْ أَصَبْتُمْ، قالَ: فَرَفَعَ رَأْسَهُ إلى السَّمَاءِ، وَكانَ كَثِيرًا ممَّا يَرْفَعُ رَأْسَهُ إلى السَّمَاءِ، فَقالَ: النجومُ أمنَةٌ للسماءِ، فإذا ذَهَبَتِ النجومُ أتَى السماءَ ما توعَدُ، وأنا أمنَةٌ لأصحابي، فإذا ذهبْتُ أتى أصحابِي ما يوعدونَ، وأصحابي أمنَةٌ لأمَّتِي، فإذا ذهبَتْ أصحابي أتى أمتي ما يوعدونَ[3].

---

[1] صحيح: أخرجه الترمذي 2165، وأخرجه أحمد (177)، والنسائي في ((السنن الكبرى)) (9219) باختلاف يسير، وصححه الألباني.

[2] حسن لغيره: أخرجه الحارث بن أبي أسامة في مسنده 1034، في سنده رشدين بن سعد ثقة عدل لكنَّه قليل الضبط، وفي سنده خالد بن القاسم، اتَّهموه، ولكنَّ متن الحديث تشهد له كل الأحاديث السابقة بالمعنى في فضل العصور الثلاثة، وأخرجه ابن حجر في المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية 4169، وأخرجه الهيتمي في بغية الباحث بزوائد مسند الحارث 1038.

3 أخرجه مسلم في صحيحه 2531، وابن حبان في صحيحه 7249، وصححه الأرناؤوط في صحيح ابن حبان، وصححه الألباني في الصحيح الجامع 6800.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: لا تَسُبُّوا أصْحابِي، لا تَسُبُّوا أصْحابِي، فَوالذي نَفْسِي بيَدِهِ لو أنَّ أحَدَكُمْ أنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، ما أدْرَكَ مُدَّ أحَدِهِمْ، ولا نَصِيفَهُ[1].

وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: احفَظوني في أصحابي فمن حفِظَني في أصحابي رافَقني وورد عليَّ الحَوضَ ومن لم يحفَظني فيهم لم يرِدِ حَوضي ولم يرَني إلَّا من بعيدٍ[2].

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: من سبَّ أصحابي فعليه لعنةُ اللهِ والملائكةِ والناسِ أجمعينَ[3].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: آيَةُ الإيمانِ حُبُّ الأنْصارِ، وآيَةُ النِّفاقِ بُغْضُ الأنْصارِ[4].

ومن أقوالِ أهلِ العِلْمِ في مَحَبَّةِ أصحابِ النَّبيِّ ﷺ:

قال عَبدُ الصَّمَدِ بنُ يَزيدَ: سَمِعْتُ الفُضَيلَ بنَ عِياضٍ يَقولُ: حُبُّ أصحابِ مُحَمَّدٍ ﷺ ذُخْرٌ أدَّخِرُه، ثُمَّ قال: رَحِمَ اللهُ من تَرَحَّم عَلى أصحابِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وإنَّما يَحسُنُ هَذا كُلُّهُ بحُبِّ أصحابِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

وسَمِعتُ فُضَيلًا يَقولُ: قال ابنُ المُبارَكِ: خَصْلَتانِ مَن كانَتا فيه: الصِّدقُ وحُبُّ أصحابِ مُحَمَّدٍ ﷺ، أرجو أن يَنجوَ ويَسلَمَ[5].

قال الطَّحاويُّ: ونُحِبُّ أصحابَ رَسولِ اللهِ ﷺ، ولا نُفْرِطُ في حُبِّ أحَدٍ مِنهم، ولا نَتَبَرَّأُ من أحَدٍ مِنهم، ونُبغِضُ مَن يُبغِضُهم، وبِغَيرِ الخَيرِ يَذكُرُهم، ولا نَذكُرُهم إلَّا بخَيرٍ، وحُبُّهم دينٌ وإيمانٌ وإحسانٌ، وبُغْضُهم كُفرٌ ونِفاقٌ وطُغيانٌ[6].

---

[1] أخرجه مسلم **2540**، و**2541**

[2] حسن: أخرجه ابن عساكر في ((تاريخ دمشق)) (**463/23**)، وقال الشوكاني في درة السحابة **35**: إسناده حسن.

[3] حسن: أخرجه الطبراني (**142/12**) (**12709**)، والنوافح العطرة لمحمد جار الله الصعدي**383**

صحيح لغيره يشهد له حديث عطاء بن أبي رباحَ "من سَبَّ أصحابى فعليه لعنةُ اللهِ" السنة لابن أبي عاصم **1001** وحسنه الألباني وقال: حسن وإسناده مرسل صحيح، وحسنه بكثرة طرقه.

[4] أخرجه البخاري في صحيحه **3784**.

[5] يُنظر: ((الشريعة)) للآجري (**4/ 1688**).

[6] يُنظر: ((متن الطحاوية)) (ص: **81**).

قال ابنُ بَطَّةَ: ويُحِبُّ جَميعَ أصحابِ رَسولِ اللهِ ﷺ عَلى مَراتِبِهم ومَنازِلِهم أوَّلًا فأوَّلًا: من أهلِ بَدرٍ والحُدَيبيَةِ وبيعةِ الرِّضوانِ وأُحُدٍ، فهَؤُلاءِ أهلُ الفَضائِلِ الشَّريفةِ، والمَنازِلِ المُنيفةِ، الَّذينَ سَبَقَت لهمُ السَّوابِقُ، رَحمَهم اللهُ أجمَعينَ[1].

قال البَيهَقيُّ: ويَدخُلُ في جُملةِ حُبِّ النَّبيِّ ﷺ حُبُّ أصحابِه؛ لأنَّ اللهَ عَزَّ وجَلَّ أثنى عليهِم ومَدحَهم فقال: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: 29]،

وقال: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: 18].

وقال: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [التوبة: 100].

وقال: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: 74].

فإذا نَزَلوا هَذه المَنزِلةَ استَحَقُّوا عَلى جَماعةِ المُسْلِمينَ أن يُحِبُّوهم، ويَتَقَرَّبوا إلى اللهِ عَزَّ وجَلَّ بمَحَبَّتِهِم؛ لأنَّ اللهَ تعالى إذا رَضِيَ عن أحَدٍ أحَبَّه، وواجِبٌ عَلى العَبدِ أن يُحِبَّ مَن يُحِبُّهُ مَولاه[2].



[1] يُنظر: ((الإبانة الصغرى)) (ص: **297**).

[2] يُنظر: ((شعب الإيمان)) (**3**/ **88**).

﴿المسألة الأولى﴾

﴿ مِن عَقيدةِ أهلِ السُّنَّةِ في الصَّحابةِ الإمساكُ عَمَّا شَجَرَ بينَهم ﴾

أجمَعَ أهلُ السُّنَّةِ والجَماعةِ عَلى وُجوبِ السُّكوتِ والإعراضِ عنِ الخَوضِ في الفِتَنِ الَّتي جَرَت بينَ الصَّحابةِ رَضِيَ اللهُ عنهم بَعدَ قَتلِ عُثمانَ رَضِيَ اللهُ عنه، والِاسترجاعِ عَلى تِلكَ المَصائِبِ الَّتي أصيبَت بها هَذِه الأمَّةُ، والِاستِغفارِ لِلقَتْلى مِنَ الطَّرَفينِ، والتَّرحُّمِ عليهِم أجمَعينَ، وحِفظِ فضائِلِ الصَّحابةِ والِاعتِرافِ لهم بسَوابِقِهم، ونَشْرِ مَناقِبِهم؛ عَمَلًا بقَولِ اللهِ عزَّ وجَلَّ: ﴿وَالَّذِينَ جَاؤُوا من بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ﴾[الحشر:10][1].

قال القُرطُبيُّ: هَذِه الآيةُ دَليلٌ عَلى وُجوبِ مَحَبَّةِ الصَّحابةِ؛ لِأنَّه جَعل لِمَن بَعدَهم حَظًّا في الفَيءِ ما أقاموا عَلى مَحَبَّتِهم ومُوالاتِهم والِاستِغفارِ لهم[2].

ويَجِبُ اعتِقادُ أنَّ الكُلَّ مِنهم مُجتَهِدٌ، إن أصابَ فلَهُ أجرانِ؛ أجرٌ عَلى اجتِهادِه، وأجرٌ عَلى إصابَتِه، وإن أخطَأَ فلَهُ أجرُ الِاجتِهادِ، والخَطَأُ مَغفورٌ، ولا نَقولُ: إنَّهم مَعصومونَ، بَل مُجتَهِدونَ؛ إمَّا مُصيبونَ، وإمَّا مُخطِئونَ لم يَتعَمَّدوا الخَطَأَ في ذلك، وما رُوِيَ مِنَ الأخبارِ في مَساويهِم فالكَثيرُ مِنها مَكذوبٌ، ومِنها ما قَد زِيدَ فيه أو نُقِصَ مِنهُ وغُيِّرَ عن وَجْهِه، والصَّحيحُ مِنها هم فيه مَعذورونَ[3].

قال ابنُ حَزْمٍ: وأمَّا أهْلُ الجَمَلِ فما قَصَدوا قَطُّ قِتالَ عليٍّ رِضوانُ اللهِ عليه، ولا قَصَدَ عليٌّ رِضوانُ اللهِ عليه قِتالَهم، وإنَّما اجتَمَعوا بالبَصْرةِ لِلنَّظَرِ في قَتَلةِ عُثمانَ رِضوانُ اللهِ عليه، وإقامةِ حَقِّ اللهِ تعالى فيهِم، فتَسَرَّعَ الخائِفونَ عَلى أنفُسِهم أخذَ حَدِّ اللهِ تعالى مِنهم، وكانوا أعدادًا عَظيمةً يَقرُبونَ مِنَ الأُلوفِ، فأثاروا القِتالَ خُفْيةً حَتَّى اضطُرَّ كُلُّ واحِدٍ مِنَ الفَريقينِ إلى الدِّفاعِ عن أنفُسِهم إذ رَأَوا السَّيفَ قَد خالَطَهم[4].

---

[1] يُنظر: ((معارج القبول)) لحافظ الحكمي (3/ 1208).
[2] يُنظر: ((تفسير القرطبي)) (32/18).
[3] يُنظر: ((معارج القبول)) لحافظ الحكمي (1208/3).
[4] يُنظر: ((الإحكام في أصول الأحكام)) (85/2).

وقال عندَ قَولِ اللهِ تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: 9]: سَمَّاهُمُ اللهُ عَزَّ وجَلَّ مُؤمِنينَ باغينَ، بَعضُهم إخوةُ بَعضٍ، في حينِ تَقاتُلِهم وأهْلَ العَدْلِ المَبْغِيَّ عليهِم والمَأمورينَ بالإصلاحِ بينَهم وبينَهم، ولَم يَصِفْهُم عَزَّ وجَلَّ بفِسقٍ مِن أجلِ ذلك التَّقاتُلِ، ولا بنَقصِ إيمانٍ، وإنَّما هم مُخْطِئونَ باغونَ، ولا يُريدُ واحِدٌ مِنهم قَتلَ آخَرَ... ولَيسَ هَذا كقَتَلةِ عُثمانَ رَضِيَ اللهُ عنه؛ لِأنَّه لا مَجالَ لِلاجتِهادِ في قَتْلِه؛ لِأنَّه لم يَقتُلْ أحَدًا، ولا حارَبَ ولا قاتَلَ ولا دافَعَ، ولا زَنى بَعدَ إحصانٍ ولا ارتَدَّ؛ فيَسُوغَ لِمُحارِبِه تَأويلٌ، بَل هم فُسَّاقٌ مَحارِبونَ، سافِكونُ دَمًا حَرامًا عَمْدًا بلا تَأويلٍ، عَلى سَبيلِ الظُّلمِ والعُدوانِ، فهم فُسَّاقٌ مَلعونونَ[1].

ففي هَذِه الآيةِ أمَرَ اللهُ تعالى بالإصلاحِ بينَ المُؤمِنين إذا جَرى بينَهم قِتالٌ؛ لِأنَّهم إخوةٌ، وهَذا الاقتِتالُ لا يُخرِجُهم عن وصفِ الإيمانِ؛ حَيثُ سَمَّاهُمُ اللهُ عَزَّ وجَلَّ مُؤمِنينَ، وأمرَ بالإصلاحِ بينَهم، وإذا حَصَلَ اقتِتالٌ بينَ عُمومِ المُؤمِنينَ ولَم يُخرِجْهم ذلك مِنَ الإيمانِ فأصحابُ رَسولِ اللهِ ﷺ الَّذينَ اقتَتَلوا في مَوقِعةِ الجَمَلِ وصِفِّينَ أَولَى بالدُّخولِ في اسمِ الإيمانِ الَّذي ذُكِرَ في هَذِه الآيةِ، فهم لا يَزالونَ عِندَ رَبِّهم مُؤمِنينَ، ولَم يُؤَثِّرْ ما حَصَلَ بينَهم مِن شِجارٍ في إيمانِهم بحالٍ؛ لِأنَّه كانَ عنِ اجتِهادٍ[2].

قال ابنُ العَرَبيِّ: قَد تحكَّمَ النَّاسُ في التَّحكيمِ، فقالوا فيه ما لا يُرضي اللهَ، وإذا لاحَظتُموهُ بعَينِ المُروءةِ –دونَ الدِّيانةِ– رَأيتُم أنَّها سَخافةٌ حَمَلَ عَلى سَطرِها في الكُتُبِ في الأكثَرِ عَدَمُ الدِّينِ، وفي الأقَلِّ جَهْلٌ بَيِّنٌ[3].

وقال ابنُ تَيميَّةَ: لم يَكُنْ يَومَ الجَمَلِ لِهَؤُلاءِ قَصْدٌ في القِتالِ، ولَكِن وقَعَ الِاقتِتالُ بغَيرِ اختيارِهِم؛ فإنَّهُ لَمَّا تَراسَلُ عليٌّ وطَلحةُ والزُّبيرُ وقَصَدوا الِاتِّفاقَ عَلى المُصالَحةِ، وأنَّهم إذا تَمَكَّنوا طَلَبوا قَتَلةَ عُثمانَ أهلَ الفِتنةِ، وكانَ عليٌّ غَيرَ راضٍ بقَتلِ عُثمانَ، ولا مُعينًا عليه كما

---

[1] يُنظر: ((الفصل)) (4/ 125).

[2] يُنظر: ((العواصم من القواصم)) لابن العربي (ص: 172)

[3] يُنظر: ((العواصم من القواصم)) (ص: 175 – 182).

كانَ يَحْلِفُ فيَقولُ: واللهِ ما قَتَلْتُ عُثمانَ، ولا مالَأتُ عَلى قَتلِه[1]، وهوَ الصَّادِقُ البارُّ في يَمينِه، فخَشَيِ القَتَلةُ أن يَتَّفِقَ عليٌّ مَعَهم عَلى إمساكِ القَتَلةِ، فحَمَلوا عَلى عَسكَرِ طَلحةَ والزُّبَيرِ، فظَنَّ طَلحةُ والزُّبيرُ أنَّ عَلِيًّا حَملَ عليهِم، فحَملوا دَفعًا عن أنفُسِهِم، فظَنَّ عليٌّ أنَّهم حَملوا عليه فحَمَلَ دَفعًا عن نَفسِه؛ فوَقَعَتِ الفِتنةُ بغَيرِ اختيارِهِم[2].



[1] أخرجه أحمد في ((فضائل الصحابة)) (739)، وابن شبة في ((تاريخ المدينة)) (1265/4). وأخرجه ابن عساكر في ((تاريخ دمشق)) (451/39) عن عبدِ اللهِ بنِ عباسٍ عن عليِّ بنِ أبي طالب قال: إن شاء اللهُ قمتُ لهم خلف مقامِ إبراهيمَ فحلَفْتُ لهم باللهِ ما قتَلْتُ عُثمانَ ولا أمَرْتُ بقتلِه، ولقد نهيتُهم فعَصَوني. قال ابن كثير في ((البداية والنهاية)) (202/7): ثبت ذلك من طرقٍ تفيد القطع. وأخرجه ابن عساكر في ((تاريخ دمشق)) (449/39) عن الحسن قال: قُتِل عثمانُ وعليٌّ غائب في أرضٍ له، فلما بلغه قال: اللهمَّ إني لم أرْضَ ولم أمالِئْ. قال ابن كثير في ((البداية والنهاية)) (202/7): ثبت ذلك من طرقٍ تفيد القطع.

[2] يُنظر: ((منهاج السنة)) (316/4).

﴿المسألة الثانية﴾

﴿وجوب سلامة الألسنة والقلوب تجاه الصحابة﴾

مِن أُصولِ أهلِ السُّنَّةِ والجَماعةِ سَلامةُ قُلوبِهِم وألسِنتِهِم لأصحابِ رَسولِ اللهِ ﷺ؛ سَلامةُ القَلبِ مِنَ البُغْضِ والغِلِّ والحِقدِ والكَراهةِ، وسَلامةُ ألسِنَتِهِم من كُلِّ قَولٍ لا يَليقُ بهِم، فقُلوبُهم مَملوءةٌ بالحُبِّ والتَّقديرِ والتَّعظيمِ لأصحابِ رَسولِ اللهِ ﷺ عَلى ما يَليقُ بهِم؛ لأنَّ مَحَبَّتَهم من مَحَبَّةِ رَسولِ اللهِ ﷺ، ومَحَبَّةَ رَسولِ اللهِ ﷺ من مَحَبَّةِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ[1].

قال اللهُ تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾[التوبة: 100].

قال ابنُ كثيرٍ: أخبَرَ اللهُ العَظيمُ أنَّه قَد رَضيَ عنِ السَّابِقين الأوَّلين مِنَ المُهاجِرينَ والأنصارِ والَّذينَ اتَّبَعوهم بإحسانٍ: فيا وَيْلَ من أبغَضَهم أو سَبَّهم أو أبغَضَ أو سَبَّ بَعضَهم[2].

قال اللهُ سُبحانَه: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾[آل عمران: 159].

وعن عائِشةَ رَضِيَ اللهُ عنها: أُمِروا أن يَستَغفِروا لأصحابِ النَّبيِّ ﷺ[3].

قال اللهُ عزَّ وجَلَّ: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾[الأحزاب: 58].

قال ابنُ كثيرٍ: مِن أكثَرِ مَن يَدخُلُ في هَذا الوَعيدِ الكَفَرةُ باللهِ ورَسولِه، ثُمَّ الرَّافِضةُ الَّذينَ يَتَنَقَّصونَ الصَّحابةَ ويَعيبونَهم بما قَد بَرَّأهمُ اللهُ مِنهُ، ويَصِفونَهم بنَقيضِ ما أخبَرَ اللهُ عنهم؛ فإنَّ اللهَ عَزَّ وجَلَّ قَد أخبَرَ أنَّه قَد رَضِيَ عنِ المُهاجِرينَ والأنصارِ ومَدَحَهم، وهَؤُلاءِ الجَهَلةُ الأغبياءُ يَسُبُّونَهم ويَتَنَقَّصونَهم، ويَذكُرونَ عنهم ما لم يَكُنْ ولا فَعَلوهُ أبَدًا، فهم في الحَقيقةِ مَنكوسو القُلوبِ؛ يَذمُّونَ المَمدوحينَ، ويَمدَحونَ المَذمومينَ[4].

---

[1] يُنظر: ((شرح العقيدة الواسطية)) لابن عثيمين (**247/2**).

[2] يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (**4/ 203**).

[3] رواه مسلم (**3022**).

[4] يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (**6/ 480**).

وقال السَّعدي عِندَ تَفسيرِ هَذِه الآيةِ: لِهَذا كانَ سَبُّ آحادِ المُؤمِنينَ موجِبًا للتَّعزيرِ بحَسَبِ حالَتِه وعُلُوِّ مَرتَبَتِه؛ فتَعزيرُ من سَبَّ الصَّحابةَ أبلَغُ، وتَعزيرُ من سَبَّ العُلَماءَ وأهلَ الدِّينِ أعظَمُ من غَيرِهم[1].

قال اللهُ تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾[الفتح: 29].

قال القُرطُبيُّ: رَوى أبو عُروةَ الزُّبَيْريُّ من ولَدِ الزُّبَيْرِ: كُنَّا عِندَ مالِكِ بنِ أنسٍ، فذَكَروا رَجُلًا يَنتَقِّصُ أصحابَ رَسولِ اللهِ ﷺ فقَرَأ مالِكٌ هَذِه الآيَةَ: {مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ والَّذِينَ مَعَهُ} حَتَّى بَلَغَ {يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الكُفَّارَ}، فقال مالِكٌ: من أصبَحَ مِنَ النَّاسِ في قَلبِه غَيظٌ عَلى أحَدٍ من أصحابِ رَسولِ اللهِ ﷺ فقَد أصابَتهُ هَذِه الآيةُ، ذَكَرَه الخَطيبُ أبو بَكرٍ. قُلتُ: لقَد أحسَنَ مالِكٌ في مَقالَتِه، وأصابَ في تَأويلِه، فمَن نَقصَ واحِدًا مِنهم أو طَعَنَ عليه في رِوايَتِه؛ فقَد رَدَّ عَلى اللهِ رَبِّ العالَمينَ، وأبطَلَ شَرائِعَ المُسْلِمينَ، ثُمَّ ذَكَرَ طائِفَةً مِنَ الآياتِ القُرآنيَّةِ الَّتي تَضَمَّنَتِ الثَّناءَ عليهِم والشَّهادةَ لهم بالصِّدقِ والفَلاحِ، ثُمَّ قال عَقِبَها: وهَذا كُلُّهُ مَعَ عِلمِه تبارك وتعالى بحالِهِم، ومَآلِ أمرِهِم[2].

﴿انتهى الفصل الرابع الإيمان بالرسل﴾



[1] يُنظر: ((تفسير السعدي)) (ص: 671)

[2] يُنظر: ((تفسير القرطبي)) (296/16). موقع الدرر السنية.


الفصل الخامس
الإيمان باليوم الآخر

﴿الفصل الخامس﴾

﴿الإيمان باليوم الآخر﴾

وفيه أربعة مباحث:

1 – معنى الإيمان باليوم الآخر.

2 – علامات الساعة الكبر.

3 – الإيمان بفتنة القبر.

4 – الإيمان بالبعث، والحشر، والحوض، والميزان، والشفاعة، والصراط، والجنَّة والنَّار.



﴿ المبحث الأوَّل ﴾

﴿ معنى الإيمان باليوم الآخر ﴾

قال حافِظُ الحَكَميُّ في مَعنَى الإيمانِ باليَومِ الآخِرِ: مَعناه التَّصديقُ الجازِمُ بإتيانِه لا مَحالةَ، والعَمَلُ بموجِبِ ذلك، ويَدخُلُ في ذلك الإيمانُ بأشراطِ السَّاعةِ وأماراتِها الَّتي تَكونُ قَبلَها لا مَحالةَ، وبالمَوتِ وما بَعدَه من فتنةِ القَبرِ وعَذابِه ونَعيمِه، وبالنَّفخِ في الصُّورِ وخُروجِ الخَلائِقِ مِنَ القُبورِ وما في مَوقِفِ القيامةِ مِنَ الأهوالِ والأفزاعِ وتَفاصيلِ المَحْشَرِ: نَشْرُ الصُّحُفِ، ووَضْعُ المَوازينِ، وبالصِّراطِ والحَوضِ، والشَّفَاعةِ وغَيرِها، وبالجَنَّةِ ونَعيمِها الَّذي أعلاه النَّظَرُ إلَى وَجهِ اللَّهِ عزَّ وجَلَّ، وبالنَّارِ وعَذابِها الَّذي أشَدُّه حَجْبُهم عَن رَبِّهم عزَّ وجَلَّ[1].

وقال أبو العَبَّاسِ القُرطُبيُّ: الإيمانُ باليَومِ الآخِرِ: هو التَّصديقُ بيَومِ القيامةِ، وما اشتَمَلَ عليه مِنَ الإعادةِ بَعدَ المَوتِ، والنَّشْرِ، والحَشْرِ، والحِسابِ والميزانِ والصِّراطِ، والجَنَّةِ والنَّارِ، وأنَّهما دارَا ثَوابِه وجَزائِه لِلمُحْسِنينَ والمُسيئينَ، إلَى غَيرِ ذلك مِمَّا صَحَّ نَصُّه، وثَبَتَ نَقلُه[2].

وقال السَّعديُّ: كُلُّ ما جاءَ في الكِتاب والسُّنَّةِ مِمَّا يَكونُ بَعدَ المَوتِ فإنَّه داخِلٌ في الإيمانِ باليَومِ الآخِرِ؛ كأحوالِ القَبرِ والبَرزَخِ ونَعيمِه وعَذابِه، وأحوالِ يَومِ القيامةِ وما فيها مِنَ الحِساب والثَّوابِ والعِقابِ والصُّحُفِ والميزانِ والشَّفَاعةِ، وأحوالِ الجَنَّةِ والنَّارِ وصَفاتِهما وصَفاتِ أهلِهما، وما أعَدَّ اللَّهُ لِأهلِها إجمالًا وتَفصيلًا، كُلُّ ذلك مِنَ الإيمانِ باليَومِ الآخِرِ[3].

والإيمان باليوم الركن الخامس من أركان الإيمان ولا يتحقق إيمان العبد إلا به، قال تعالى:

﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾[النساء: 136].



---

[1] يُنظر: ((أعلام السنة المنشورة)) (ص: 55).

[2] يُنظر: ((المفهم)) (145/1).

[3] يُنظر: ((سؤال وجواب في أهم المهمات)) (ص: 15).

﴿المسألة﴾

﴿أسماء اليوم الآخر ومعانيها﴾

إنَّ الشيء إذا عند العرب وفي اللغة كثرت أسماؤه، وعلى قدر عظمته تكون أسماء، فالله سبحانه وتعالى لا يمكن حد أسمائه؛ لأنه لا حدَّ لعظمته، وفالأسد بلغت أسماؤه عند العرب أكثر من ثلاث مائة اسم، كذلك السيف وغيره، هذا لانهم كانوا يعظمون الأسد والسيف وغيرها، قال القُرطُبيُّ: كُلُّ ما عَظُمَ شَأنُه تَعَدَّدَت صِفاتُه، وكَثُرَت أسماؤُه، وهذا في جَميعِ كلامِ العَرَبِ، ألا تَرى أنَّ السَّيفَ لَمَّا عَظُمَ عِندَهم مَوضِعُه، وتأكَّد نَفعُه لَدَيهم ومَوقِعُه، جَمَعوا له خَمسَمِائةِ اسمٍ، وله نَظائِرُ؟ فالقيامةُ لَما عَظُمَ أمرُها، وكَثُرَت أهوالُها، سَمَّاها اللهُ تعالى في كِتابِه بأسماءٍ عَديدةٍ، ووَصفَها بأوصافٍ كثيرةٍ[1]. اهـ

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾[الحج: 1]، ولذلك كانت له أسماء كثيرة مذكورة في الكتاب، ومن تلك الأسماءِ:

1 – يومُ القيامةِ:

قال اللهُ تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾[آل عمران: 185].

قال ابنُ عُثَيمين: سُمِّيَ يَومَ القيامةِ لقيامِ أمورٍ ثَلاثةٍ فيه:

الأوَّلُ: قيامُ النَّاسِ من قُبورِهم لرَبِّ العالَمينَ، كما قال تعالى: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ * لِيَوْمٍ عَظِيمٍ * يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[المطففين: 5 – 6]

الثَّاني: قيامُ الأشهادِ الذينَ يَشهَدونَ للرُّسلِ وعلى الأمَمِ؛ لقَولِه تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾[غافر: 51].

قال زيد بن أسلم: الأشهاد أربعة: الملائكة، والنبيون، والمؤمنون، والأجساد[2].

---

[1] يُنظر: ((التذكرة)) (1/ 247).

[2] ينظر: تفسير القرطبي.

الثَّالِثُ: قيامُ العَدْلِ؛ لقَولِه تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [الأنبياء: 47] [1].

2 – اليومُ الآخِرُ:

قال اللهُ تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [البقرة: 177].

قال القاضي عياضٌ: الإيمانُ باليَومِ الآخِرِ:... وسُمِّي آخِرًا لأنَّه آخِرُ أيَّامِ الدُّنيا، ولِأنَّه آخِرُ الأزمِنةِ المُحْدَثةِ [2].

3 – يومُ الآزِفةِ:

قال اللهُ تعالى: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: 18].

قال ابنُ كثيرٍ: يَومُ الآزِفةِ هو: اسمٌ من أسماءِ يَومِ القيامةِ، سُمِّيَت بذلك لاقترابِها، كما قال تعالى: ﴿أَزِفَتِ الْآزِفَةُ * لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾ [النجم: 57 – 58] [3].

4 – يومُ البَعثِ:

قال اللهُ تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الروم: 56].

قال ابنُ جَريرٍ: {فهذا يَومُ البَعثِ} يَقولُ: فهذا يَومُ يُبعَثُ النَّاسُ من قُبورِهم {ولَكِنَّكم كُنتُم لا تَعلَمونَ} يَقولُ: ولَكِنَّكم كُنتُم لا تعلَمونَ في الدُّنيا أنَّه يَكونُ، وأنَّكم مَبعوثونَ من بَعدِ المَوتِ؛ فلِذلك كُنتُم تُكذِّبونَ [4].

5 – يومُ التَّغابُنِ:

---

[1] يُنظر: ((القول المفيد)) لابن عثيمين (2/ 118)، بتصرف.

[2] يُنظر: ((إكمال المعلم للقاضي عياض)) (1/175).

[3] يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (7/ 137).

[4] يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (18/ 528).

قال اللهُ تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾[التغابن: 9].

قال ابنُ الجَوزيِّ: قَولُه: ذَلِكَ يَومُ التَّغابُنِ تَفاعُلٌ من الغَبنِ، وهو فوتُ الحَظِّ. والمُرادُ في تَسميَتِه يَومَ القيامةِ بيَومِ التَّغابُنِ فيه أربَعةُ أقوالٍ:

أحَدُها: أنَّه ليس من كافِرٍ إلَّا وله مَنزِلٌ وأهلٌ في الجَنةِ، فيَرِثُ ذلك المُؤمِنُ، فيُغبَنُ حينَئِذٍ الكافِرُ...

والثَّاني: غَبنُ أهلِ الجَنَّةِ أهلَ النَّارِ...

والثَّالِثُ: أنَّه يَومُ غَبنِ المَظلومِ الظَّالِمَ؛ لأنَّ المَظلومَ كان في الدُّنيا مَغبونًا، فصارَ في الآخِرةِ غابِنًا...

والرَّابِعُ: أنَّه يَومٌ يَظهَرُ فيه غَبنُ الكافِرِ بتَركِه للإيمانِ، وغَبنُ المُؤمِنِ بتَقصيرِه في الإحسانِ[1].

6 – يومُ التَّلاقِي:

قال اللهُ عَزَّ وجلَّ: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ يَوْمَ هُم بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾[غافر: 15 – 16].

قال ابنُ عَبَّاسٍ وقتادةُ: يَومُ يَلتَقي أهلُ السَّماءِ وأهلُ الأرضِ[2].

وقال قتادةُ أيضًا، وأبو العاليةِ، ومُقاتِلٌ: يَلتَقي فيه الخَلقُ والخالِقُ[3].

وقيل: الظَّالم والمظلوم[4].

وقيل: يلقى كُلُّ إنسانٍ جزاءَ عَمَلِه[5].

وقيل: يلتقي الأوَّلون والآخِرون على صعيدٍ واحدٍ[6]، قال القرطبي: وكُلُّه صحيحٌ[7].

---

[1] يُنظر: ((تفسير ابن الجوزي)) (4/ 293).

[2] يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (17/ 438) (20/ 296)، ((تفسير القرطبي)) (15/300).

[3] يُنظر: ((تفسير البغوي)) (4/ 108)، ((تفسير القرطبي)) (15/300).

[4] يُنظر: ((تفسير البغوي)) (4/ 108)، ((تفسير القرطبي)) (15/300).

[5] يُنظر: ((تفسير القرطبي)) (15/300).

[6] يُنظر: ((تفسير القرطبي)) (15/300).

[7] يُنظر: ((تفسير القرطبي)) (15/300).

7 – يومُ الجَمعِ:

قال اللهُ سُبحانَه: ﴿لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾[الشورى: 7].

قال القُرطُبيُّ: يَومُ الجَمعِ: يَومُ يَجمَعُ اللهُ الأوَّلينَ والآخِرينَ، والإنسَ والجِنَّ، وأهلَ السَّماءِ وأهلَ الأرضِ.

وقيلَ: هو يَومُ يَجمَعُ اللهُ بينَ كُلِّ عَبدٍ وعَمَلِه. وقيلَ: لأنَّه يُجمَعُ فيه بينَ الظَّالِمِ والمَظلومِ.

وقيلَ: لأنَّه يُجمَعُ فيه بينَ كُلِّ نَبيٍّ وأمَّتِه.

وقيلَ: لأنَّه يُجمَعُ فيه بينَ ثَوابِ أهلِ الطَّاعاتِ وعِقابِ أهلِ المَعاصي[1].

8 – يومُ التَّنادي:

قال اللهُ تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ﴾[غافر: 32].

قال القُرطُبيُّ: سُمِّي بذلك لِمُناداةِ النَّاسِ بَعضِهم بَعضًا، فيُنادي أصحابُ الأعرافِ رِجالًا يَعرِفونَهم بسِيماهم، ويُنادي أصحابُ الجَنةِ أصحابَ النَّارِ: {أن قد وجَدنا ما وعَدَنا رَبُّنا حَقًّا}، ويُنادي أصحابُ النَّارِ أصحابَ الجَنةِ: {أن أفيضُوا علينا من الماءِ} وتُنادي المَلائِكةُ أصحابَ الجَنةِ: {أنْ تِلْكُمُ الجَنَّةُ أورِثْتُموها بما كُنتُم تَعمَلونَ}، ويُنادى حينَ يُذبَحُ المَوتُ: ((يا أهلَ الجَنَّةِ، خُلودٌ لا مَوتَ، ويا أهلَ النَّارِ، خُلودٌ لا مَوتَ))[2]، ويُنادى كُلُّ قَومٍ بإمامِهم، إلى غَيرِ ذلك من النِّداءِ[3].

وأقول: المعنى: يوم يُنادى كل واحد باسمه واسم أبيه إلى العرض أمام الجبَّار، وهو أشد ما في الأمر.

9 – يومُ الحِسابِ:

قال اللهُ عَزَّ وجلَّ: ﴿وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾[غافر: 27].

---

[1] يُنظر: ((تفسير القرطبي)) (136/18).
[2] أخرجه البخاري (6545) باختلافٍ يسيرٍ من حديثِ أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنه.
[3] يُنظر: ((تفسير القرطبي)) (310/15).

قال القُرطُبيُّ: مَعناه: أنَّ الباريَ سُبحانَه يُعَدِّدُ على الخَلقِ أعمالَهم من إحسانٍ وإساءةٍ، يُعَدِّدُ عليهم نِعَمَه، ثُمَّ يُقابِلُ البَعضَ بالبَعضِ[1].

10 – الحاقَّةُ:

قال اللهُ تعالى: ﴿الْحَاقَّةُ مَا الْحَاقَّةُ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾[الحاقة: 1 – 3].

قال ابنُ جَريرٍ: الحاقةُ التي تَحِقُّ فيها الأمورُ، ويَجِبُ فيها الجَزاءُ على الأعمالِ... قد حَقَّ عليه الشَّيءُ: إذا وَجَبَ، فهو يَحِقُّ حُقوقًا[2].

وقال القُرطُبيُّ: سُمِّيَت بذلك لأنَّ الأمورَ تَحِقُّ فيها. قاله الطَّبَريُّ، كأنَّه جَعَلَها من بابِ: لَيلي نائِمٌ... وقيلَ: سُمِّيَت حاقةً لأنَّها كانت من غَيرِ شَكٍّ، وقيلَ: سُمِّيَت بذلك لأنَّها أحَقَّت لأقوامٍ الجَنةَ، وأحَقَّت لأقوامٍ النَّارَ[3].

11 – يومُ الحَسرةِ:

قال اللهُ عَزَّ وجلَّ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾[مريم: 39].

قال السَّمعانيُّ: قَولُه تعالى: وَأَنْذِرْهُمْ يومَ الحَسْرَةِ مَعناه: يَومُ النَّدامةِ، ويُقالُ: كُلُّ النَّاسِ يَندَمونَ يَومَ القيامةِ؛ أمَّا المُسيءُ فيَندَمُ هَلَّا أحسَنَ، وأمَّا المُحْسِنُ فيَندَمُ هَلَّا ازدادَ حُسْنًا، وأمَّا قَولُ أكثَرِ المُفَسِّرينَ في الآيةِ: هذه الحَسْرةُ حَيثُ يُذبَحُ المَوتُ على الصِّراطِ[4].

قال ابنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عنهما في قَولِ اللهِ تعالى: {وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الحَسْرَةِ}: يُصَوِّرُ اللهُ المَوتَ في صورةِ كَبشٍ أملَحَ، فيُذبَحُ، قال: فيَيأسُ أهلُ النَّارِ من المَوتِ، فلا يَرجونَه، فتَأخُذُهم الحَسْرةُ من أجلِ الخُلودِ في النَّارِ[5].

---

[1] يُنظر: ((التذكرة)) للقرطبي (1/ 259).

[2] يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (23/ 205).

[3] يُنظر: ((التذكرة)) (1/ 262).

[4] يُنظر: ((تفسير السمعاني)) (3/ 293).

[5] يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (15/ 546).

12 – يومُ الخُلودِ:

قال اللهُ تعالى: ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ﴾ [ق: 34].

قال الشَّوكانيُّ: سَمَّاه يَومَ الخُلودِ لأنَّه لا انتِهاءَ له، بَل هو دائِمٌ أبَدًا[1].

13 – يومُ الخروجِ:

قال اللهُ سُبحانَه: ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾ [ق: 42].

قال ابنُ جَريرٍ: يَقولُ تعالى ذِكرُه: يَومَ خُروجِ أهلِ القُبورِ من قُبورِهم[2].

14 – يومُ الدِّينِ:

قال اللهُ تعالى: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: 4].

عن ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عنهما قال: يَومُ الدِّينِ: يَومُ حِسابِ الخَلائِقِ هو يَومُ القيامةِ، يَدِينُهم بأعمالِهم؛ إنْ خَيرًا فخيرٌ وإن شَرًّا فشَرٌّ، إلَّا من عَفَا عنه، فالأمرُ أَمْرُه[3].

قال ابنُ كثيرٍ: وكَذلك قال غَيرُه من الصَّحابةِ والتَّابِعينَ والسَّلَفِ، وهو ظاهِرٌ[4].

15 – الصَّاخَّةُ:

قال اللهُ تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ * يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: 33- 37].

قال النَّسَفيُّ في مَعنى الصَّاخَّةِ: صيحةُ القيامةِ؛ لأنَّها تَصخُّ الآذانَ، أي: تُصِمُّها[5].

16 – الطَّامَّةُ:

قال اللهُ تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى﴾ [النازعات: 34- 35].

---

[1] يُنظر: ((تفسير الشوكاني)) (5/93).

[2] يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (21/ 476).

[3] أخرجه ابن جرير في تفسيره (1/ 158).

[4] يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (1/ 134).

[5] يُنظر: ((تفسير النسفي)) (3/ 603).

قال القُرطُبيُّ: مَعناها الغالِبةُ، من قَولِك: طَمَّ الشَّيءِ: إذا عَلَا وغَلبَ، ولَما كانت تَغلِبُ كُلَّ شَيءٍ كان لها هذا الِاسمُ حَقيقةً دونَ كُلِّ شَيءٍ[1].

والطمُّ من الكثرة، فلعلَّه يراد به طمُّ الناس أي: كثرتهم وتزاحمهم، والله أعلم.

17 – الغاشِيةُ:

قال اللهُ تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾[الغاشية: 1].

قال النَّسَفيُّ: حدِيثُ الْغاشِيَةِ يَعني: القيامةَ، سُمِّيَت غاشيةً؛ لأنَّها تَغشى كُلَّ شَيءٍ بأهوالِها[2].

18 – يومُ الفَصلِ:

قال اللهُ سُبحانَه: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا﴾[النبأ: 17].

قال ابنُ جَريرٍ: يَفصِلُ الله فيه بينَ خَلقِه، فيَأخُذُ فيه من بَعضِهم لبَعضٍ... عن قتادةَ: ...هو يَومٌ عَظَّمَه اللهُ، يَفصِلُ اللهُ فيه بينَ الأوَّلينَ والآخِرينَ بأعمالِهم[3].

19 – يومُ الفتحِ:

قال اللهُ عَزَّ وجلَّ: ﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾[السجدة: 29].

قال الألوسيُّ: تَفسيرُ يَومِ الفَتحِ بيَومِ القيامةِ ظاهِرٌ على القَولِ بأنَّ المُرادَ بالفَتحِ الفَصْلُ للخُصومةِ، فقد قال سُبحانَه: إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ[4].

20 – القارِعةُ:

قال اللهُ تعالى: ﴿الْقَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾[القارعة: 1-3].

قال السَّعديُّ: القَارِعَةُ من أسماءِ يَومِ القيامةِ، سُمِّيَت بذلك لأنَّها تَقرَعُ النَّاسَ وتُزعِجُهم بأهوالِها؛ ولِهذا عَظَّمَ أمْرَها وفَخَّمَه بقَولِه: الْقَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ[5].

21 – الواقِعةُ:

---

[1] يُنظر: ((التذكرة)) للقرطبي (1/ 262).

[2] يُنظر: ((تفسير الخازن)) (4/ 420).

[3] يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (24/ 18).

[4] يُنظر: ((تفسير الألوسي)) (11/138).

[5] يُنظر: ((تفسير السعدي)) (ص: 933).

قال اللهُ سُبحانَه: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾[الواقعة: 1 – 2].

قال الألوسيُّ: الواقِعةُ عَلَمٌ بالغَلَبةِ أو مَنقولٌ للقيامةِ، وصَرَّحَ ابنُ عَبَّاسٍ بأنَّها من أسمائِها، وسُمِّيَت بذلك للإيذانِ بتَحقيقِ وُقوعِها لا مَحالةَ، كأنَّها واقِعةٌ في نَفسِها[1].

22 – يومُ الوعيدِ:

قال اللهُ عَزَّ وجلَّ: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ﴾[ق: 20].

قال الشَّوكانيُّ: ذَلِكَ يَوْمُ الوَعِيدِ أي: ذلك الوَقتُ الذي يَكونُ فيه النَّفخُ في الصُّورِ يَومُ الوَعيدِ الذي أوعَدَ اللهُ به الكُفَّارَ. قال مُقاتِلٌ: يَعني بالوَعيدِ: العَذابَ في الآخِرةِ، وخَصَّصَ الوَعيدَ مَعَ كونِ اليَومِ هو يَومُ الوَعدِ والوَعيدِ جَميعًا؛ لتَهويلِه[2].

23 – الساعة:

قال تعالى: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾[طه: 15]، قال الطبري:

يقول تعالى: إن الساعة التي يبعث الله فيها الخلائق من قبورهم لموقف القيامة جائية[3].

وقد قال القرطبي: سميت القيامة بالساعة لسرعة الحساب فيها[4].

وقال القاسمي: سميت القيامة (ساعة) لأنها تفجأ الناس بغتة في ساعة لا يعلمها أحد إلا هو تعالى[5].

وقال البَيضاويُّ في تَفسيرِ قَولِه تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾[الروم: 55]: السَّاعةُ: القيامةُ؛ سُمِّيَت بها لأنَّها تَقومُ في آخِرِ ساعةٍ من ساعاتِ الدُّنيا، أو لأنَّها تَقَعُ بَغتةً وصارَت عَلَمًا لها بالغَلَبةِ[6].

---

[1] يُنظر: ((تفسير الألوسي)) (129/14).

[2] يُنظر: ((تفسير الشوكاني)) (5/ 90).

[3] ينظر: تفسير الطبري.

[4] ينظر: تفسير القرطبي

[5] القاسمي في تفسيره 6/ 2285، والأقوال متقاربة. قال الزجاج في "معانيه" 2/ 246، 3/ 214: (الساعة اسم لإماتة الخلق واحيائهم). وانظر الرازي 12/ 197، والخازن 2/ 128.

[6] يُنظر: ((تفسير البيضاوي)) (4/ 210).

قال ابنُ حَجَرٍ عن أسماءِ القيامةِ: جَمَعَها الغَزاليُّ ثُمَّ القُرطُبيُّ، فبَلَغت نَحوَ الثَّمانينَ اسمًا؛ فمنها: يَومُ الجَمعِ، ويَومُ الفَزَعِ الأكبَرِ، ويَومُ التَّنادِ، ويَومُ الوَعيدِ، ويَومُ الحَسْرةِ، ويَومُ التَّلاقِ، ويَومُ المَآبِ، ويَومُ الفَصلِ، ويَومُ العَرضِ على اللهِ، ويَومُ الخُروجِ، ويَومُ الخُلودِ، ومنها يَومٌ عَظيمٌ، ويَومٌ عَسيرٌ، ويَومٌ مَشهودٌ، ويَومٌ عَبُوسٌ قَمطَريرٌ، ومنها يَومُ تُبلى السَّرائِرُ، ومنها يَومُ لا تَملِكُ نَفسٌ لنَفسٍ شَيئًا، ويَومُ يُدْعَونَ إلى نارِ جَهَنَّمَ، ويَومٌ تَشْخَصُ فيه الأبصارُ، ويَومُ لا يَنفَعُ الظَّالِمينَ مَعذِرَتُهم، ويَومُ لا يَنطِقونَ، ويَومُ لا يَنفَعُ مالٌ ولا بنونَ، ويَومُ لا يَكتُمونَ اللهَ حَديثًا، ويَومٌ لا مَرَدَّ له من اللهِ، ويَومٌ لا بَيعٌ فيه ولا خِلالٌ، ويَومٌ لا ريبَ فيه، فإذا ضُمَّتْ هذه إلى ما ذُكِرَ في الأصلِ كانت أكثَرَ من ثَلاثينَ اسمًا مُعظَمُها ورَدَ في القُرآنِ بلَفظِه، وسائِرُ الأسماءِ المُشارِ إليها أُخِذَت بطَريقِ الِاشتِقاقِ بما ورَدَ مَنصوصًا؛ كيَومِ الصَّدرِ من قَولِه: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا﴾[الزلزلة: 6]، ويَومُ الجِدالِ مِن قَولِه: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا﴾[النحل: 11]، ولَو تُتُبِّعَ مِثلُ هذا من القُرآنِ زادَ على ما ذُكِرَ. واللهُ أعلَمُ[1].



[1] يُنظر: ((فتح الباري)) (11/ 396).

﴿المبحث الثاني﴾

﴿علامات الساعة﴾

﴿المسألة الأولى﴾

﴿معنى علامات الساعة﴾

﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا ۚ فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ﴾[محمد: 18].

علامات الساعة وتسمى أشراط الساعة كما سمَّاها الله تعالى.

والأشراط في اللغة: العَلاماتُ، وواحِدُ الأشراطِ: شَرَطٌ -بالتحريكِ-، ولهذا سُمِّيَت الشُّرَطُ؛ لأنَّهم جعلوا لأنفُسِهم علامةً يُعرَفونَ بها، ويقولون: أشْرَطَ فُلانٌ نَفْسَه للهَلَكةِ: إذا جعلها عَلَمًا للهَلاكِ. وأصلُ (شرط): يَدُلُّ على عَلَمٍ وعَلامةٍ[1].

الأشراطُ في الاصطِلاحِ: هيَ العَلاماتُ الَّتي تَسبِقُ يَومَ القيامةِ، وتَدُلُّ على قُدومِها.

قال الحَلِيميُّ: أمَّا انتِهاءُ الحَياةِ الأولَى فإنَّ لَها مُقَدِّماتٍ تُسَمَّى أشراطَ السَّاعةِ، وهيَ أعلامُها[2].

وقال البيهَقيُّ في تَحديدِ المُرادِ مِنَ الأشراطِ: أي: ما يَتَقَدَّمُها مِنَ العَلاماتِ الدَّالَّةِ على قُربِ حينِها[3].

ولعلَّها سميت أشراطا؛ لأنَّها تأتي متعاقبة وراء بعضها مثل الشريط، والشريط في اللغة: الحبل المفتول.

فهو متواصل غير مقطوع، وكذا أشراط الساعة، إن جاءت تواصلت بعضها وراء بعض.



[1] ينظر: ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (3/ 260)، ((التفسير البسيط)) للواحدي (20/ 242)، ((المفردات)) للراغب (ص450)، ((تاج العروس)) للزبيدي (19/ 405).

[2] يُنظر: ((المنهاج في شعب الإيمان)) (1/ 422).

[3] يُنظر: ((البعث والنشور)) (ص: 75).

﴿المسألة الثانية﴾

﴿الإيمان بأشراط الساعة﴾

أوَّلًا: الدَّليلُ مِنَ القُرآنِ:

قال اللهُ تعالى: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ﴾[محمد: 18].

قال البَغويُّ: قَولُه عزَّ وجَلَّ: فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا، أي: أماراتُها وعَلاماتُها واحِدُها شَرَطٌ...[1].

وقال النَّسَفيُّ: فهَل يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أي: يَنتَظِرونَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ أي: إتيانَها؛ فهو بَدَلُ اشتِمالٍ مِنَ السَّاعةِ بَغْتَةً فَجْأةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا عَلاماتُها، وهو مَبعَثُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وانشِقاقُ القَمَرِ، والدُّخانُ، وقيلُ: قَطْعُ الأرحامِ، وقِلَّةُ الكِرامِ، وكَثرةُ اللِّئامِ[2].

وقال ابنُ كَثيرٍ: قَولُه: فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً أي: وهم غافِلونَ عَنها، فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا أي: أماراتُ اقتِرابِها... كَقَولِه تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾[القمر: 1]...

ثانيًا: الدَّليلُ مِنَ السُّنَّةِ:

عَن أبي هُرَيرةَ رَضيَ اللهُ عَنه أنَّ جِبريلَ عليه السَّلامُ قال: يا رَسولَ اللهِ، مَتَى السَّاعةُ؟ فقال النَّبيُّ ﷺ: {ما المَسئولُ عَنها بأعلَمَ مِنَ السَّائِلِ، ولَكِن سأحَدِّثُكَ عَن أشراطِها؛ إذا وَلَدَتِ المَرأةُ رَبَّتَها، فذاكَ مِن أشراطِها، وإذا كانَ الحُفَاةُ العُراةُ رُءوسَ النَّاسِ، فذاكَ مِن أشراطِها}[3].

قال أبو العَبَّاسِ القُرطُبيُّ: قَولُه: سأحَدِّثُكَ عَن أشراطِها، وفي حَديثِ عُمَرَ قال: فأخْبِرْني عَن أمارَاتِها... اقتَصَرَ في هَذا الحَديثِ على ذِكرِ بَعضِ الأشراطِ الَّتي يَكونُ وُقوعُها قَريبًا مِن زَمانِه، وإلَّا فالشُّروطُ كَثيرةٌ، وهيَ أكثَرُ مِمَّا ذُكِرَ هنا، كَما دَلَّ عليه الكِتابُ والسُّنَّةُ.

ثُمَّ إنَّها مُنقَسِمةٌ إلَى ما يَكونُ مِن نَوعِ المُعتادِ، كَهَذِه الأشراطِ المَذكورةِ في هَذا الحَديثِ، وكَرَفعِ العِلمِ وظُهورِ الجَهلِ وكَثرةِ الزِّنَا وشُربِ الخَمرِ، إلَى غَيرِ ذلك، وأمَّا الَّتي لَيسَت مِنَ النَّوعِ

---

[1] يُنظر: ((تفسير البغوي)) (4/ 214).

[2] يُنظر: ((تفسير النسفي)) (3/ 326).

[3] أخرجه مُطَوَّلًا البخاري (4777) واللَّفظُ له، ومسلم (9).

المُعتادِ، فكُخُروجِ الدَّجَّالِ، ونُزولِ عيسَى بنِ مَريَمَ، وخُروجِ يأجُوجَ ومأجوجَ، ودابَّةِ الأرضِ، وطُلوعِ الشَّمسِ مِن مَغرِبِها، والدُّخَانِ، والنَّارِ الَّتي تَسوقُ النَّاسَ وتَحشُرُهم[1].

ومِن أقوالِ أهلِ العِلمِ في شأنِ أشراطِ السَّاعةِ:

قال الحليميُّ: أمَّا انتِهاءُ الحَياةِ الأولَى فإنَّ لَه مُقَدِّماتٍ تُسَمَّى أشراطَ السَّاعةِ، وهيَ أعلامُها: مِنها خُروجُ الدَّجَّالِ، ونُزولُ عيسَى صَلَواتُ اللهِ عليه، وقَتلُه الدَّجَّالَ، ومِنها خُروجُ يأجوجَ ومأجوجَ، ومِنها خُروجُ دابَّةِ الأرضِ، ومِنها طُلوعُ الشَّمسِ مِن مَغرِبِها، فهَذِه هيَ الآياتُ العِظامُ. وأمَّا ما تَقَدَّمَ هَذِه مِن قَبضِ العِلمِ وغَلَبةِ الجَهلِ واستِعلاءِ أهلِه وتَتَبُّعِ الحُكمِ، وظُهورِ المَعازِفِ، واستِفاضةِ شُربِ الخُمورِ، واكتِفاءِ النِّساءِ بالنِّساءِ والرِّجالِ بالرِّجالِ، وإطالةِ البُنيانِ، وزَخرَفةِ المَساجِدِ، وإمارةِ الصِّبيانِ، ولَعْنِ آخرِ الأمَّةِ أوَّلَها، وكَثرةِ الهَرْجِ؛ فإنَّها أسبابٌ حادِثةٌ... إلَّا أنَّها في الجُملةِ أعلامٌ لِلسَّاعةِ[2].

قال ابنُ قُدامةَ: يَجِبُ الإيمانُ بكُلِّ ما أخبَرَ به النَّبيُّ ﷺ وصَحَّ به النَّقلُ عَنه فيما شاهَدناه، أو غابَ عَنَّا، نَعلَمُ أنَّه حَقٌّ وصِدْقٌ، وسَواءٌ في ذلك ما عَقَلْناه وجَهِلْناه، ولَم نَطَّلِعْ على حَقيقةِ مَعناه... ومِن ذلك أشراطُ السَّاعةِ، مِثلُ: خُروجِ الدَّجَّالِ، ونُزولِ عيسَى بنِ مَريَمَ عليه السَّلامُ فيَقتُلُه، وخُروجِ يأجُوجَ ومأجوجَ، وخُروجِ الدَّابَّةِ، وطُلوعِ الشَّمسِ مِن مَغرِبِها، وأشباهِ ذلك مِمَّا صَحَّ به النَّقلُ[3].

قال ابنُ حَجَرٍ العَسقَلانيُّ: (وهَذِه المَذكوراتُ وأمثالُها مِمَّا أخبَرَ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم بأنَّه سَيَقَعُ بَعدُ قَبلَ أن تَقومَ السَّاعةُ، لَكِنَّه على أقسامٍ:

أحَدُها: ما وقَعَ على وَفقِ ما قال.

والثَّاني: ما وقَعَت مَباديه ولَم يَستَحكِمْ.

والثَّالِثُ: ما لَم يَقَع مِنه شَيءٌ، ولَكِنَّه سَيَقَعُ[4].

وقال أيضًا: الحِكْمةُ في تَقَدُّمِ الأشراطِ إيقاظُ الغافِلينَ وحَثُّهم على التَّوبةِ والاستِعدادِ[5].

---

[1] يُنظر: ((المفهم)) (1/ 155).

[2] يُنظر: ((المنهاج في شعب الإيمان)) (1/ 422).

[3] يُنظر: ((لمعة الاعتقاد)) (ص: 28-31).

[4] يُنظر: ((فتح الباري)) (13/ 83).

[5] يُنظر: ((فتح الباري)) (11/ 350).

﴿المسألة الثالثة﴾

﴿أقسام علامات الساعة﴾

تنقسم علامات لساعة إلى قسمين:

الأول: علامات صغرى.

الثاني: علامات كبر.



﴿المطلب الأول﴾

﴿علامات الساعة الصغرى﴾

علامات الساعة الصغرى كما سبق وتبيَّن لنا أنَّها تأتي قبل الكبرى، ونذكر منها:

1 – بعثة النبي ﷺ:

فعَن سَهلِ بنِ سعدٍ الساعديِّ رضي اللهُ عنْهُما قال: {قال رَسولُ اللهِ ﷺ: بُعِثْتُ أنا والسَّاعةُ هَكَذا، ويُشيرُ بإصبَعَيه، فيَمُدُّ بهما}[1].

وعَن أنسٍ رَضِيَ اللهُ عَنه قال: قال رَسولُ اللهِ ﷺ: {بُعِثْتُ أنا والسَّاعةُ كَهاتينِ، قال: وضَمَّ السَّبَّابةَ والوُسطَى}[2].

قال الضَّحاكُ: أوَّلُ أشراطِها بَعثةُ مُحَمَّدٍ ﷺ [3].

2 – انشقاق القمر:

قال اللهُ تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ * وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾[القمر: 1 – 2].

قال ابنُ جَريرٍ: يَعني تعالى ذِكرُه بقَولِه: اقتَرَبَتِ السَّاعَةُ: دَنتِ السَّاعةُ الَّتي تَقومُ فيها القيامةُ، وقَولُه: اقْتَرَبَتْ: افتَعَلَت مِنَ القُربِ، وهَذا مِنَ الله تعالى ذِكرُه إنذارٌ لِعِبادِه بدُنُوِّ القيامةِ، وقُربِ فَناءِ الدُّنيا، وأمرٌ لَهم بالاستِعدادِ لِأهوالِ القيامةِ قَبلَ هُجومِها عليهم وهم عَنها في غَفلةٍ ساهونَ.

وقَولُه: {وَانْشَقَّ القَمَرُ} يَقولُ جَلَّ ثَناؤُه: وانفلَقَ القَمَرُ، وكانَ ذلك فيما ذُكِرَ على عَهدِ رَسولِ الله ﷺ وهو بمَكةَ قَبلَ هجرَتِه إلَى المَدينةِ، وذلك أنَّ كُفَّارَ أهلِ مَكةَ سألوه آيةً، فأراهم ﷺ انشِقاقَ القَمَرِ آيةً؛ حُجَّةً على صِدقِ قَولِه، وحَقيقةِ نُبوَّتِه[4].

---

[1] أخرجه البخاري (6503) واللَّفظُ له، ومسلم (2950).

[2] أخرجه البخاري (6504)، ومسلم (2951) واللَّفظُ له.

[3] يُنظر: ((فتح الباري)) لابن حجر (11/ 350).

[4] يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (22/ 103).

وعَن أنسٍ رَضِيَ اللهُ عَنه قال: {سألَ أهْلُ مَكَّةَ أن يُريَهم آيةً، فأراهمُ انشِقاقَ القَمَرِ}[1].

3 – موت النبي ﷺ:

عَن عَوفِ بن مالِكٍ رَضيَ اللهُ عَنه قال: قال رَسولُ اللهِ ﷺ: {اعْدُدْ سِتًّا بينَ يَدَيِ السَّاعةِ: موتي}[2].

وقال علي القاري: ((اعدُدْ)) أي: احسُب وعُدَّ ((سِتًّا)) أي: مِنَ العَلاماتِ الواقِعةِ ((بينَ يَدَيِ السَّاعةِ)) أي: قُدَّامَها؛ ((موتي)) أي: فَوْتي بانتِقالي مِن دارِ الدُّنيا إلَى الأُخرَى؛ لِأنَّه أوَّلُ زَوالِ الكَمالِ بِحِجاب الجَمالِ[3].

4 – طاعون عمْواس:

عَن عَوفِ بن مالِكٍ رَضيَ اللهُ عَنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: {اعْدُدْ سِتًّا بينَ يَدَيِ السَّاعةِ} فذَكَرَ مِنها: {ثُمَّ مَوتانٌ يأخُذُ فيكُم كَقُعاصِ الغَنَمِ}[4].

قال القُرطُبيُّ: عَوفُ بن مالِكٍ الأشجَعيُّ: شَهِدَ موتَ النَّبيِّ ﷺ، وحَضَرَ فتحَ بَيتِ المَقدِسِ مَعَ أميرِ المُؤمِنينَ عُمرَ بنِ الخَطَّاب، فتَحَه صُلحًا لِخَمسٍ خَلونَ مِن ذي القَعدةِ سَنَةَ عَشْرٍ مِنَ الهِجرةِ، ثُمَّ حَضَرَ قِسمةَ كُنوزِ كِسرَى على يَدِ أميرِ المُؤمِنينَ عُمَرَ، ثُمَّ شاهد قِتالَ الجَمَلِ وصِفِّينَ، وشاهدَ عَوفٌ رَضِيَ اللهُ عَنه أيضًا المَوتانَ الَّذي كانَ بالشَّامِ قَبلَ ذلك، وهو المُسَمَّى بطاعونِ عَمْواس، مات يومَئِذٍ سِتَّةٌ وعِشرونَ ألفًا، وقال المَدينيُّ: خَمسةٌ وعِشرونَ ألفًا...

وعَمواس: قَريةٌ بينَ الرَّملةِ وبَيتِ المَقدِسِ، مات فيه أمينُ هَذِه الأمَّةِ أبو عُبيدةَ بنُ الجَرَّاحِ، والأميرُ الفقيهُ أبو عَبدِ الرَّحمَنِ مُعاذُ بنُ جَبَلٍ.

قال الإمامُ أحمَدُ بن حَنبَلٍ في «تاريخِه»: كانَ طاعونُ عَمْواس سَنَةَ ثَماني عَشرة. أخرجه عَن أحمَدَ أبو زُرعةَ الرَّازي...

وموتانِ: بضَمِّ الميمِ هيَ لُغةٌ، وغَيرُهم يَفتَحونَها، وهو اسمُ الطَّاعونِ والمَوتِ.

---

[1] أخرجه البخاري (4867) واللَّفظُ له، ومسلم (2802)

[2] أخرجه البخاري (3176) مُطَوَّلًا.

[3] يُنظر: ((مرقاة المفاتيح)) (8/ 3411).

[4] أخرجه البخاري (3176).

وقَولُه: ((كَقُعاصِ الغَنمِ)): هو داءٌ يأخُذُها لا يُلْبِثُها، قاله أبو عُبيدةَ؛ لِأنَّ القعاصَ: المَوتُ العَجِلَ، ويُقالُ بالسِّينِ، وقيلَ: هو داءٌ يأخُذُ في الصَّدرِ كأنَّه يَكسِرُ العُنُقَ[1].

5 – نارُ الحِجازِ الَّتي أضاءَت أعناقَ الإبلِ ببُصرَى:

عَن أبي هُرَيرةَ رَضيَ اللهُ عَنه أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ قال: {لا تَقومُ السَّاعةُ حَتَّى تَخرُجَ نارٌ مِن أرضِ الحِجازِ، تُضيءُ أعناقَ الإبلِ ببُصْرَى}[2].

قال النَّوويُّ: لَيسَ في الحَديثِ أنَّ نارَ الحِجازِ مُتَعَلِّقةٌ بالحَشْرِ، بَل هيَ آيةٌ مِن أشراطِ السَّاعةِ مُستَقِلَّةٌ، وقَد خَرَجَت في زَمانِنا نارٌ بالمَدينةِ سَنَةَ أربَعٍ وخَمسينَ وسِتِّمِائةٍ، وكانَت نارًا عَظيمةً جِدًّا مِن جَنبِ المَدينةِ الشَّرقيِّ وراءَ الحَرَّةِ، تَواتَرَ العِلمُ بها عِندَ جَميعِ الشَّامِ وسائِرِ البُلدانِ، وأخْبَرَني مَن حَضَرَها مِن أهلِ المَدينةِ[3].

وذِكَرَ القُرطُبيُّ ظُهورَ هَذِه النَّارِ وأفاضَ في وصفِها، وذَكَرَ أنَّها رُئِيَتْ مِن مَكةَ ومِن جِبالِ بُصرَى[4].

وليست هذه كل أشارط الساعة الصغرى، بل هي كثير، منها كثرة القتل، وانتشار الفسق، وانتشار الزنا والخمر، واستحلال المحارم وغيرها، ولكننا ذكرنا أهمَّا، ولعلَّ كل العلامات الصغرى ظهرت في هذا الزمن، ولم يبقى إلا انتظار العلامات الكبرى، نسأل الله العفو والعافية.



---

[1] يُنظر: ((التذكرة)) للقرطبي (2/ 299).

[2] أخرجه البخاري (7118)، ومسلم (2902). قال المظهري: (بُصْرَى بضم الباء: بلدة بالشَّامِ). ((المفاتيح في شرح المصابيح)) (5/ 396). وقال علي القاري: ((هي مدينةُ حورانَ بالشَّامِ، وقيل: مدينةُ قَيسَاريَةَ بالبَصْرَة)). ((مرقاة المفاتيح)) (8/ 3432).

[3] يُنظر: ((شرح مسلم)) (28/18).

[4] يُنظر: ((التذكرة)) (2/ 349).

﴿المطلب الثاني﴾

﴿علامات الساعة الكبر﴾

وفيه عشرة فروع:

1 – خروج الدجال.

2 – نزول عيسى.

3 – خروج يأجوج ومأجوج.

4 – خروج الدابة.

5 – طلوع الشمس من مغربها.

6 – الدُّخان.

7 – خسف بالمشرق.

8 – خسف بالمغرب.

9 – خسف بجزيرة العرب.

10 – نار تخرج من قعر عدن باليمن، تسوق النَّاس إلى محشرهم.

فعن حذيفة بن أسد الغِفاري، قال: اطَّلع النبيُّ ﷺ علينا ونحن نتذاكر، فقال: ما تذاكرون؟ قالوا نَذكُرُ الساعةَ قال إنها لن تَقومَ حتى ترَوا قبلَها عشْرَ آياتٍ فذَكَر الدُّخانَ والدجَّالَ والدابَّةَ وطُلوعَ الشمسِ من مَغرِبِها ونُزولَ عيسى ابنِ مريمَ صلَّى اللهُ عليه وآلِه وسلَّم ويَأجوجَ ومَأجوجَ وثلاثَ خُسوفٍ خَسفٌ بالمَشرِقِ وخَسفٌ بالمَغرِبِ وخَسفٌ بجزيرةِ العربِ وآخِرُ ذلك نارٌ تَخرُجُ من اليمَنِ تَطرُدُ الناسَ إلى مَحشَرِهم[1].



[1] رواه الدارقطني في الإلزامات والتتبع 182، وأخرجه مسلم (2901).

فائدة:

إنَّ ترتيب علامات الساعة الكبرى مما اختلف فيه أهل العلم لاختلاف الروايات في ذلك، فقد قال المباركفوري رحمه الله تعالى في شرح الترمذي: اعْلَمْ أَنَّ الرِّوَايَاتِ قَدِ اختلفت في ترتيب الآيات العشر، ولذا اخْتَلَفَ أَهْلُ الْعِلْمِ فِي تَرْتِيبِهَا فَقَدْ قِيلَ إِنَّ أَوَّلَ الْآيَاتِ الدُّخَانُ، ثُمَّ خُرُوجُ الدَّجَّالِ، ثُمَّ نُزُولُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثُمَّ خُرُوجُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، ثُمَّ خُرُوجُ الدَّابَّةِ، ثُمَّ طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِنَّ الْكُفَّارَ يُسْلِمُونَ فِي زَمَنِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى تَكُونَ الدَّعْوَةُ وَاحِدَةً، وَلَوْ كَانَتِ الشَّمْسُ طَلَعَتْ مِنْ مَغْرِبِهَا قَبْلَ خُرُوجِ الدَّجَّالِ وَنُزُولِهِ لَمْ يَكُنِ الْإِيمَانُ مَقْبُولًا مِنَ الْكُفَّارِ، فَالْوَاوُ لِمُطْلَقِ الْجَمْعِ فَلَا يَرِدُ أَنَّ نُزُولَهُ قَبْلَ طُلُوعِهَا، وَلَا مَا وَرَدَ أَنَّ طُلُوعَ الشَّمْسِ أَوَّلُ الْآيَاتِ، وَقَالَ فِي فَتْحِ الْوَدُودِ: قِيلَ أَوَّلُ الْآيَاتِ الْخَسُوفَاتُ، ثُمَّ خُرُوجُ الدَّجَّالِ، ثُمَّ نُزُولُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثُمَّ خُرُوجُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، ثُمَّ الرِّيحُ الَّتِي تُقْبَضُ عِنْدَهَا أَرْوَاحُ أَهْلِ الْإِيمَانِ، فَعِنْدَ ذَلِكَ تَخْرُجُ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، ثُمَّ تَخْرُجُ دَابَّةُ الْأَرْضِ، ثُمَّ يَأْتِي الدُّخَانُ، قَالَ صَاحِبُ فَتْحِ الْوَدُودِ: وَالْأَقْرَبُ فِي مِثْلِهِ التَّوَقُّفُ وَالتَّفْوِيضُ إِلَى عَالِمِهِ انْتَهَى قُلْتُ ذَكَرَ الْقُرْطُبِيُّ فِي تَذْكِرَتِهِ مِثْلَ هَذَا التَّرْتِيبِ إِلَّا أَنَّهُ جَعَلَ الدَّجَّالَ مَكَانَ الدُّخَانِ.

وقال القرطبي رحمه الله في التذكرة: أول الآيات ظهور الدجال، ثم نزول عيسى عليه السلام، ثم خروج يأجوج ومأجوج، فإذا قتلهم الله بالنغف في أعناقهم على ما يأتي، وقبض الله تعالى نبيه عيسى عليه السلام، وخلت الأرض منا، وتطاولت الأيام على الناس، و ذهب معظم دين الإسلام أخذ الناس في الرجوع إلى عاداتهم، وأحدثوا الأحداث من الكفر والفسوق، كما أحدثوه بعد كل قائم نصبه الله تعالى بينه و بينهم حجة عليهم ثم قبضه، فيخرج الله تعالى لهم دابة من الأرض فتميز المؤمن من الكافر ليرتدع بذلك الكفار عن كفرهم والفساق عن فسقهم، ويستبصروا وينزعوا عما هم فيه من الفسوق والعصيان، ثم تغيب الدابة عنهم و يمهلون، فإذا أصروا على طغيانهم طلعت الشمس من مغربها، ولم يقبل بعد ذلك لكافر ولا فاسق توبة، وأزيل الخطاب والتكليف عنهم، ثم كان قيام الساعة على أثر ذلك قريباً لأن الله تعالى يقول: {وَمَا خَلَقْتُ الجنَّ والإنسَ إلَّا لِيَعْبُدُون} فإذا قطع عنهم التعبد لم يقرهم بعد ذلك في الأرض زماناً طويلاً، هكذا ذكره بعض العلماء[1]. اهـ

[1] ينظر: في ذلك كتاب التذكرة للقرطبي.

وأنا أميل إلى رأي القرطبي وهذا لأسباب، أهمها؛ هو أنَّ أوَّل أشراط الساعة الكبرى مجعولة للردع، وإنَّ الدخان المذكور هو الذي يَأخُذُ بأنفاسِ الكُفَّارِ، ويَأخُذَ الْمُؤمِنَ مِنه كهَيئةَ الزُّكامِ، وهذا عقاب، وفتنة الدجال ونزول عيسى من رحمة الله بالبشر إذ جعل بينهم نبيًّا من أولي العزم يسوسهم، ثمَّ إذا ما مات عيسى وعاد الناس للكفر جاءهم الدخان يأخذ بأنفاس الكفار منهم.

وقد ذكر النبي ﷺ ستًّا تنقطع بعدها التوبة، أو تصعب، أو لا تقبل، فقال:

{بادِرُوا بالأعْمالِ سِتًّا: طُلُوعَ الشَّمْسِ من مَغْرِبِها، أوِ الدُّخانَ، أوِ الدَّجَّالَ، أوِ الدَّابَّةَ، أو خاصَّةَ أحَدِكُمْ، أوْ أمْرَ العامَّةِ}[1].

وخاصة أحدكم قيل الموت، وأمر العامَّة، قيل: يوم القيامة، فكلها تنقطع معها التوبة كطلوع الشمس من مغربها، أو الدخان الذي يأخذ بأنفس الكفار، أو الموت، أو يوم القيامة، أو ظهور الدابة، أو خروج الدجال فتكون الناس في عهده على فريقين مؤمن وكافر.

وعلى هذا فالدخان المراد هو الذي يأتي قُبيل يوم القيامة وليس الذي حدث في عصر النبي ﷺ لما دعا على قريش بقوله: {...اللَّهُمَّ أعِنِّي عليهم بسَبْعٍ كَسَبْعِ يُوسُفَ فأخَذَتْهُمُ السَّنَةُ حتَّى حَصَّتْ كُلَّ شيءٍ، حتَّى أكَلُوا العِظَامَ والجُلُودَ، فَقالَ أحَدُهُمْ: حتَّى أكَلُوا الجُلُودَ والمَيْتَةَ، وجَعَلَ يَخْرُجُ مِنَ الأرْضِ كَهَيْئَةِ الدُّخَانِ...}.

فرأى ابن مسعود أنه هو الدخان المذكور في القرآن والسنة فقال: { فقَدْ مَضَى: الدُّخَانُ، والبَطْشَةُ واللِّزَامُ، وقالَ أحَدُهُمْ: القَمَرُ، وقالَ الآخَرُ: والرُّومُ}[2].

قال ابنُ كثيرٍ مُعَلِّقًا على رَأيِ ابنِ مَسعودٍ رَضِيَ اللهُ عَنه: هذا التَّفسيرُ غَريبٌ جِدًّا، ولَم يُنقَلْ مِثلُه عَن أحَدٍ مِنَ الصَّحابةِ غَيرِه، وقَد حاوَلَ بَعضُ العُلَماءِ الْمُتَأخِّرينَ رَدَّ ذلك، ومُعارَضَتُه بما ثَبَت في حَديثِ أبي سَريحةَ حُذَيفةَ بن أسيدٍ: ((لا تَقومُ السَّاعةُ حَتَّى تَرَوْا عَشْرَ آياتٍ))، فذَكَرَ فيهِنَّ الدُّخانَ[3]، وكَذلك في حَديثِ أبي هُرَيرةَ: ((بادِروا بالأعمالِ سِتًّا))، فذَكَرَ فيهِنَّ الدُّخانَ[4]، والحَديثانِ في صَحيحِ مُسْلِمٍ مَرفوعانِ، والمَرفوعُ مُقَدَّمٌ على كُلِّ مَوقوفٍ...[5].

---

[1] أخرجه مسلم (2947).

[2] أخرجه البخاري 4824، أخرجه مسلم (2798).

[3] أخرجه مسلم (2901) باختلافٍ يسيرٍ.

[4] أخرجه مسلم (2947).

[5] يُنظر: ((البداية والنهاية)) (19/ 265).

والصحيح أنَّ الدخان المراد، هو الذي يأتي قبل يوم القيامة، لدلالة حديث مسلم السابق:
{بادِرُوا بالأعْمالِ سِتًّا: طُلُوعَ الشَّمْسِ من مَغْرِبِها، أوِ الدُّخانَ، أوِ الدَّجَّالَ، أوِ الدَّابَّةَ، أو خاصَّةَ أحَدِكُمْ، أوْ أمْرَ العامَّةِ}[1].
فإن كان الذي حدث في عهد النبي ﷺ لمات كل الكفَّار حينها.
وأمَّا الترتيب فهو والله أعلم على ما رتَّبناه في الباب.
وهي على ما يلي:



[1] أخرجه مسلم (**2947**).

﴿الفرع الأول﴾

﴿ المسيح الدجال﴾

وهو على ستَّة وجوه:

1 – معنى المسيح الدجال:

2 – صفات المسيح الدجال:

3 – خروج المسيح الدجال:

4 – فتنة المسيح الدجال:

5 – قدرات المسيح الدجال:

6 – نهاية المسيح الدجال:



عن فاطمة بنت قيس رضي الله عنها قالت:

{سَمِعْتُ نِدَاءَ الْمُنَادِي ، مُنَادِى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، يُنَادِي (الصَّلاَةَ جَامِعَةً)، فَخَرَجْتُ إِلَى الْمَسْجِدِ فَصَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَكُنْتُ فِى صَفِّ النِّسَاءِ الَّتِى تَلِى ظُهُورَ الْقَوْمِ، فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلاَتَهُ جَلَسَ عَلَى الْمِنبَرِ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَقَالَ لِيَلْزَمْ كُلُّ إِنْسَانٍ مُصَلاَّهُ، ثُمَّ قَالَ أَتَدْرُونَ لِمَ جَمَعْتُكُمْ ؟

قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ:

إِنِّى وَاللَّهِ مَا جَمَعْتُكُمْ لِرَغْبَةٍ وَلاَ لِرَهْبَةٍ، وَلَكِنْ جَمَعْتُكُمْ لأَنَّ تَمِيماً الدَّارِىَّ كَانَ رَجُلاً نَصْرَانِيًّا فَجَاءَ فَبَايَعَ وَأَسْلَمَ، وَحَدَّثَنِى حَدِيثاً وَافَقَ الَّذِى كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْ مَسِيحِ الدَّجَّالِ، حَدَّثَنِى أَنَّهُ رَكِبَ فِى سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ مَعَ ثَلاَثِينَ رَجُلاً مِنْ لَخْمٍ وَجُذَامَ، فَلَعِبَ بِهِمُ الْمَوْجُ شَهْراً فِى الْبَحْرِ، ثُمَّ أَرْفَئُوا (أي : التجؤوا) إِلَى جَزِيرَةٍ فِى الْبَحْرِ حَتَّى مَغْرِبِ الشَّمْسِ، فَجَلَسُوا فِى أَقْرُبِ السَّفِينَةِ (وهي سفينة صغيرة تكون مع الكبيرة كالجنيبة يتصرف فيها ركاب السفينة لقضاء حوائجهم، الجمع قوارب والواحد قارب) فَدَخَلُوا الْجَزِيرَةَ فَلَقِيَتْهُمْ دَابَّةٌ أَهْلَبُ (أي: غليظ الشعر) كَثِيرُ الشَّعَرِ، لاَ يَدْرُونَ مَا قُبُلُهُ مِنْ دُبُرِهِ مِنْ كَثْرَةِ الشَّعَرِ، فَقَالُوا: وَيْلَكِ مَا أَنْتِ؟ فَقَالَتْ: أَنَا الْجَسَّاسَةُ (قيل سميت بذلك لتجسسها الأخبار للدجال)، قَالُوا: وَمَا الْجَسَّاسَةُ؟ قَالَتْ: أَيُّهَا الْقَوْمُ انْطَلِقُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فِى الدَّيْرِ فَإِنَّهُ إِلَى خَبَرِكُمْ بِالأَشْوَاقِ، قَالَ لَمَّا سَمَّتْ لَنَا رَجُلاً فَرِقْنَا (أي خفنا) مِنْهَا أَنْ تَكُونَ شَيْطَانَةً، قَالَ فَانْطَلَقْنَا سِرَاعاً حَتَّى دَخَلْنَا الدَّيْرَ، فَإِذَا فِيهِ أَعْظَمُ إِنْسَانٍ رَأَيْنَاهُ قَطُّ خَلْقاً، وَأَشَدُّهُ وِثَاقاً، مَجْمُوعَةٌ يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ، مَا بَيْنَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى كَعْبَيْهِ بِالْحَدِيدِ، قُلْنَا وَيْلَكَ مَا أَنْتَ؟ قَالَ: قَدْ قَدَرْتُمْ عَلَى خَبَرِي، فَأَخْبِرُونِي مَا أَنْتُمْ؟ قَالُوا: نَحْنُ أُنَاسٌ مِنَ الْعَرَبِ، رَكِبْنَا فِى سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ، فَصَادَفْنَا الْبَحْرَ حِينَ اغْتَلَمَ (أي هاج)، فَلَعِبَ بِنَا الْمَوْجُ شَهْراً، ثُمَّ أَرْفَأْنَا إِلَى جَزِيرَتِكَ هَذِهِ، فَجَلَسْنَا فِى أَقْرُبِهَا، فَدَخَلْنَا الْجَزِيرَةَ، فَلَقِيَتْنَا دَابَّةٌ أَهْلَبُ كَثِيرُ الشَّعَرِ لاَ يُدْرَى مَا قُبُلُهُ مِنْ دُبُرِهِ مِنْ كَثْرَةِ الشَّعَرِ، فَقُلْنَا: وَيْلَكِ مَا أَنْتِ؟ فَقَالَتْ: أَنَا الْجَسَّاسَةُ، قُلْنَا: وَمَا الْجَسَّاسَةُ؟ قَالَتِ: اعْمِدُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فِى الدَّيْرِ فَإِنَّهُ إِلَى خَبَرِكُمْ بِالأَشْوَاقِ، فَأَقْبَلْنَا إِلَيْكَ سِرَاعاً، وَفَزِعْنَا مِنْهَا وَلَمْ نَأْمَنْ أَنْ تَكُونَ شَيْطَانَةً، فَقَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ نَخْلِ بَيْسَانَ، قُلْنَا: عَنْ أَىِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟ قَالَ: أَسْأَلُكُمْ عَنْ نَخْلِهَا هَلْ يُثْمِرُ؟ قُلْنَا لَهُ: نَعَمْ، قَالَ: أَمَا إِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ لاَ تُثْمِرَ، قَالَ: أَخْبِرُونِى عَنْ بُحَيْرَةِ الطَّبَرِيَّةِ؟ قُلْنَا: عَنْ أَىِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟ قَالَ: هَلْ فِيهَا مَاءٌ؟

قَالُوا: هِيَ كَثِيرَةُ الْمَاءِ، قَالَ: أَمَا إِنَّ مَاءَهَا يُوشِكُ أَنْ يَذْهَبَ، قَالَ: أَخْبِرُونِى عَنْ عَيْنِ زُغَرَ؟ (وهي بلدة تقع في الجانب القبلي من الشام) قَالُوا: عَنْ أَىِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟ قَالَ: هَلْ فِى الْعَيْنِ مَاءٌ؟ وَهَلْ يَزْرَعُ أَهْلُهَا بِمَاءِ الْعَيْنِ؟ قُلْنَا لَهُ: نَعَمْ، هِيَ كَثِيرَةُ الْمَاءِ، وَأَهْلُهَا يَزْرَعُونَ مِنْ مَائِهَا، قَالَ: أَخْبِرُونِى عَنْ نَبِيِّ الأُمِّيِّينَ مَا فَعَلَ؟ قَالُوا: قَدْ خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ وَنَزَلَ يَثْرِبَ، قَالَ: أَقَاتَلَهُ الْعَرَبُ؟ قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: كَيْفَ صَنَعَ بِهِمْ؟ فَأَخْبَرْنَاهُ أَنَّهُ قَدْ ظَهَرَ عَلَى مَنْ يَلِيهِ مِنَ الْعَرَبِ وَأَطَاعُوهُ، قَالَ لَهُمْ: قَدْ كَانَ ذَلِكَ؟ قُلْنَا نَعَمْ، قَالَ: أَمَا إِنَّ ذَاكَ خَيْرٌ لَهُمْ أَنْ يُطِيعُوهُ، وَإِنِّى مُخْبِرُكُمْ عَنِّي، إِنِّى أَنَا الْمَسِيحُ، وَإِنِّى أُوشِكُ أَنْ يُؤْذَنَ لِى فِى الْخُرُوجِ، فَأَخْرُجَ فَأَسِيرَ فِى الأَرْضِ فَلاَ أَدَعَ قَرْيَةً إِلاَّ هَبَطْتُهَا فِى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً غَيْرَ مَكَّةَ وَطَيْبَةَ فَهُمَا مُحَرَّمَتَانِ عَلَيَّ كِلْتَاهُمَا، كُلَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَ وَاحِدَةً أَوْ وَاحِداً مِنْهُمَا اسْتَقْبَلَنِى مَلَكٌ بِيَدِهِ السَّيْفُ صَلْتاً يَصُدُّنِى عَنْهَا، وَإِنَّ عَلَى كُلِّ نَقْبٍ مِنْهَا مَلاَئِكَةً يَحْرُسُونَهَا، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ – وَطَعَنَ بِمِخْصَرَتِهِ فِى الْمِنْبَرِ –: هَذِهِ طَيْبَةُ هَذِهِ طَيْبَةُ هَذِهِ طَيْبَةُ. (يَعْنِى الْمَدِينَةَ) أَلاَ هَلْ كُنْتُ حَدَّثْتُكُمْ ذَلِكَ؟ فَقَالَ النَّاسُ: نَعَمْ.

فَإِنَّهُ أَعْجَبنِى حَدِيثُ تَمِيمٍ أَنَّهُ وَافَقَ الَّذِى كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْهُ وَعَنِ الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ، أَلاَ إِنَّهُ فِى بَحْرِ الشَّامِ أَوْ بَحْرِ الْيَمَنِ، لاَ بَلْ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ ما هُوَ، مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ، مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ}[1].



[1] رواه مسلم في صحيحه برقم (2942).

﴿الوجه الأوّل﴾

﴿معنى المسيح الدجال﴾

عن أنس بن مالك، قال: قال النبي ﷺ: {ما من نبيٍّ إلا وأنذر قومَه الأعْوَرَ الدَّجَّالَ، ألا إنه أَعْوَرُ، وإنَّ ربَّكم ليس بأعْوَرَ، ومكتوبٌ بين عَيْنَيْهِ ك ف ر}[1].

وعن عبد الله بن عمر قال: {فَقامَ رَسولُ اللهِ ﷺ في النَّاسِ فأثْنَى علَى اللهِ بما هو أهْلُهُ، ثُمَّ ذَكَرَ الدَّجَّالَ، فقالَ: إنِّي لأُنْذِرُكُمُوهُ، ما مِن نَبِيٍّ إلَّا وقدْ أنْذَرَهُ قَوْمَهُ، لقَدْ أنْذَرَهُ نُوحٌ قَوْمَهُ، ولَكِنْ أقُولُ لَكُمْ فيه قَوْلًا لَمْ يَقُلْهُ نَبِيٌّ لِقَوْمِهِ: تَعَلَّمُوا أنَّه أعْوَرُ، وأنَّ اللَّهَ تَبارَكَ وتَعالَى ليسَ بأَعْوَرَ}[2].

الأول: معنى المسيح:

قال الفيروزآباديُّ: ذَكَرْتُ في اشتِقاقِه خَمسين قَولًا في شَرحي لصَحيحِ البُخاريِّ وغَيرِه[3].

ومِن تِلكَ الأقوالِ ما يُفيدُه حَديثُ: إنَّ الدَّجَّالَ مَمسوحُ العينِ[4].

قال ابنُ الأثيرِ: أمَّا الدَّجَّالُ فسُمِّيَ به؛ لأنَّ عينَه الواحِدةَ مَمسوحةٌ. ويُقالُ: رَجُلٌ مَمسوحُ الوَجه ومَسيحٌ، وهو ألَّا يَبقى على أحَدِ شِقَّيْ وَجْهِه عَينٌ ولا حاجِبٌ إلَّا استَوى[5].

وقال ابنُ فارِس: الْمَسيحُ: الذي أحَدُ شِقَّيْ وَجهِه مَمسوحٌ، لا عَينَ لَه ولا حاجِبَ. ومنه سُمِّيَ الدَّجَّالُ مَسيحًا؛ لأنَّه مَمسوحُ العينِ[6].

ومِنَ الأقوالِ في مَعنى الْمَسيحِ بالنِّسبةِ للدَّجَّالِ: أنَّه يَمسَحُ الأرضَ، أي: يَقطَعُها[7].

قال عياضٌ: قال عيسى بن دينارٍ وغَيرُه: سُمِّي الدَّجَّالُ مَسيحًا؛ لأنَّه مَمسوحُ إحدى العَينينِ، فهو فَعِيلٌ بمَعنى مَفعولٍ... وقيلَ: بمَسحِه الأرضَ حينَ خُروجِه[8].

---

[1] أخرجه البخاري (7131)، ومسلم (2933) باختلاف

[2] أخرجه مسلم 169، والبخاري 3337 باختلاف يسير.

[3] يُنظر: ((القاموس المحيط)) (ص: 225).

[4] أخرجه مسلم (2934) من حديث حذيفة بن أسيد رضي الله عنه.

[5] يُنظر: ((النهاية)) (4/ 327).

[6] يُنظر: ((مقاييس اللغة)) (5/ 322).

[7] يُنظر: ((النهاية)) لابن الأثير (4/ 327).

[8] يُنظر: ((إكمال المعلم)) (1/ 519).

الثاني: معنى الدجال:

الدَّجَلُ لُغةً: تمويهُ الشَّيءِ وتَغْطِيَتُه، وسُمِّيَ الكَذَّابُ دَجَّالًا لأنَّه كذَّابٌ مُموِّهٌ، وأصلُ (دجل) يدُلُّ على التغطيةِ والسَّتْرِ، فكُلُّ شَيءٍ غَطَّيتَه فقد دجَّلْتَه، واشتِقاقُ الدَّجَّالِ مِن هذا؛ لأنَّه يُغَطِّي الأرضَ بالجَمعِ الكثيرِ[1].

قال ابنُ الأثيرِ: أصلُ الدَّجَلِ: الخَلطُ. يُقالُ: دَجِلَ: إذا لَبَّسَ ومَوَّهَ. ومِنه الحَديثُ: {يَكونُ في آخِرِ الزَّمانِ دَجَّالونَ}[2]، أي: كذَّابونَ مُموِّهون. وقَد تَكَرَّر ذِكرُ الدَّجَّالِ في الحَديثِ، وهو الذي يَظهَرُ في آخِرِ الزَّمانِ يَدَّعي الألوهيَّةَ. وفَعَّالٌ من أبنيةِ الْمُبالَغةِ، أي: يَكثُرُ مِنه الكَذِبُ والتَّلبيسُ[3].

وقال ابنُ بازٍ في شَأنِ الْمَسيحِ الدَّجَّالِ: وُجودُه حَقٌّ لا بُدَّ مِنه، ولَكِنَّه أكذَبُ النَّاسِ، وأكفَرُ النَّاسِ -نَعوذُ باللهِ- ولِهذا سُمِّيَ دَجَّالًا؛ لكَثرةِ كذِبِه، وهو كافِرٌ، يَدَّعي أنَّه نَبيٌّ، ثُمَّ يَدَّعي أنَّه رَبُّ العالَمينَ[4].



---

[1] يُنظر: ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (2/ 329)، ((النهاية)) لابن الأثير (2/ 102): ((المصباح المنير)) للفيومي (1/ 190).

[2] أخرجه من طرق مسلم في ((مقدمة الصَّحيح)) (7)، وأحمد (8596) مُطَوَّلًا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
صحَّحه الألباني في ((صحيح الجامع)) (8151)، وحسَّنه شعيب الأرناؤوط في تخريج ((مسند أحمد)) (8596)، وصحَّح إسنادَه أحمد شاكر في تخريج ((مسند أحمد)) (245/16).

[3] يُنظر: ((النهاية)) (2/ 102).

[4] يُنظر: ((الموقع الرسمي لابن باز)).

﴿الوجه الثاني﴾

﴿صفات المسيح الدجال﴾

أولا: رأسه:

في حَديثِ ابنِ عَبَّاس رَضِيَ الله عَنهما أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال في الدَّجَّالِ: {كأنَّ رَأسَه أَصَلةٌ}[1].

قال الجَوهَريُّ: ((الأَصَلةُ بالتَّحريك: جِنسٌ مِنَ الحَيَّاتِ، وهيَ أخبَثُها[2].

وقال ابنُ مَنظورٍ: شَبَّه رَسولُ الله ﷺ رَأسَ الدَّجَّالِ بها لِعِظَمِه واستِدارَتِه، وفي الأَصَلةِ مَعَ عِظَمِها استِدارةٌ[3].

وقال ابنُ كثيرٍ: إنَّ رَأسَه من ورائِه كأنَّه أَصَلةٌ -أي حَيَّةٌ- لَعَلَّه طَويلُ الرَّأسِ[4].

ثانيا: جبهته:

عَن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ الله عَنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال في وصفِ الدَّجَّالِ: {أجلى الجَبهةِ}[5].

قال ابنُ قُتيبةَ: إنَّ الأجلى الجَبهةِ هو الذي انحَسَرَ الشَّعرُ عَن مُقَدَّمِ رَأسِه، والجَبْهةُ مَسجِدُ الرَّجُلِ، والجَبَينانِ يَكتَنِفانِها... فإذا ارتَفَعَ ذلك الإنحِسارُ حَتَّى يَبلُغَ اليافوخَ فهو الصَّلَعُ[6].

وقال الْمُناويُّ: أجلى الجَبهةِ -بالجيم- أي مُنحَسِرُ الشَّعرِ من مُقَدَّمِ رَأسِه[7].

---

[1] أخرجه أحمد (2148)، وابن حبان (6796)، والطبراني (273/11) (11711) مُطَوَّلًا. صحَّحه ابن حبان، وشعيب الأرناؤوط في تخريج ((صحيح ابن حبان)) (6796)، وصحَّح إسنادَه أحمد شاكر في تخريج ((مسند أحمد)) (18/4)، والألباني على شرط مسلم في ((سلسلة الأحاديث الصَّحيحة)) (1193).

[2] يُنظر: ((الصحاح)) (4/ 1623).

[3] يُنظر: ((لسان العرب)) (1/ 89).

[4] يُنظر: ((البداية والنهاية)) (19/ 208).

[5] أخرجه أحمد (7905) ، والطيالسي (2655) مُطوَّلًا. حسَّنه شعيب الأرناؤوط في تخريج ((مسند أحمد)) (7905)، وصحَّح إسنادَه أحمد شاكر في تخريج ((مسند أحمد)) (28/15)، وحسَّنه ابن كثير في ((نهاية البداية والنهاية)) (159/1).

[6] يُنظر: ((غريب الحديث)) (1/ 309).

[7] يُنظر: ((فيض القدير)) (6/ 278).

ثالثا: وصف عيني الدجال:

عَن أنسٍ رَضِيَ الله عَنه قال: قال النَّبيُّ ﷺ: {ما بُعِثَ نَبيٌّ إلَّا أنذَرَ أمَّتَه الأعورَ الكَذَّابَ، ألَا إنَّه أعورُ، وإنَّ ربَّكم لَيسَ بأعوَرَ}[1].

اتفقنا بهذا أنَّ الدجال أعور، ولكِن جاءَ في رِوايةٍ أنَّه أعورُ العينِ اليُمنى[2]، وجاءَ في رِوايةٍ أخرى أنَّه أعورُ العينِ اليُسرى[3].

قال عياضٌ في رِوايةِ العينِ اليُمنى: هو الْمَشهورُ، وفي رِوايةٍ أخرى: {أعورُ العينِ اليُسرى}، وقَد ذَكَرَهما مَعًا مُسْلِمٌ آخِرَ الكِتابِ[4].

وقال أيضًا جامِعًا بينَ مَعنى الرِّوايَتين: تَجتَمِعُ رِوايةُ أعورِ العينِ اليُمنى مَعَ أعورِ العينِ اليُسرى؛ إذ كُلُّ واحِدةٍ مِنهما بالحَقيقةِ عَوراءُ؛ إذِ الأعورُ من كُلِّ شَيءٍ الْمَعيبُ، ولا سيَّما بما يَختَصُّ بالعينِ، وكِلا عَينَيِ الدَّجَّالِ مَعيبةً عَوراءُ؛ فالمَمسوحةُ والمَطموسةُ والطَّافِئةُ بالهَمزِ عَوراءُ حَقيقةً، والجاحِظةُ الَّتي كأنَّها كوكَبٌ وهي الطَّافيةُ –بغَيرِ هَمزٍ– مَعيبةٌ عَوراءُ لعَيبِها، فكُلُّ واحِدةٍ مِنهما عَوراءُ، إحداهما بذَهابِها، والأُخرى بعيبِها[5].

وعليه فكلا عيني الدجال فيها عيب؛ إحداهما ممسوحة، والأخرى كأنها زبيبة طافية، كما في الحديث: {أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ ذَكَرَ الدَّجَّالَ بيْنَ ظَهْرانَيِ النَّاسِ، فقالَ: إنَّ اللَّهَ تَعالَى ليسَ بأَعْوَرَ، ألا وإنَّ المَسِيحَ الدَّجَّالَ أعْوَرُ العَيْنِ اليُمْنَى، كَأنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طافِئَةٌ}[6].

فلا ضير إن كانت اليسرى ممسوحة والأخرى عوراء أي بها عور وهو كأنها زبيبة طافية لكنه يرى بها، أو كانت اليمنى ممسوحة، واليسرى كأنها زبيبة طافية.

وقدجاءَ في تَتمةِ (الْمَفاتيحِ في شَرحِ الْمَصابيحِ): قَولُه: ((مَمسوحُ العين)) أي: لَه عَينٌ واحِدةٌ،

---

[1] أخرجه مُطوَّلًا البخاري (7131) واللَّفظُ له، ومسلم (2933).

[2] أخرجها البخاري (3439)، ومسلم (169) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

[3] أخرجها مسلم (2934) من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه.

[4] يُنظر: ((إكمال المعلم)) (1/ 521).

[5] يُنظر: ((إكمال المعلم)) (1/ 522).

[6] أخرجه مسلم 169، و البخاري (3439) باختلاف يسير.

وَموضِعُ عَينٍ أخرى مَمسوحٌ مِثلُ جَبهَتِه، لَيسَ لَه أثَرُ العَينِ، وعلى تِلكَ العينِ ظَفرةٌ[1]، أي لحمة غليظة.

والتي يبصر بها وهي الموصوفة كأنها زبيبة طافية لونها أخضر مثل الزجاج، فعَن أُبَيِّ بنِ كَعبٍ رَضِيَ الله عَنه عَنِ النَّبيِّ ﷺ، أنَّه ذَكَرَ الدَّجَّالَ عِندَه، فقال: {عَينُه خَضراءُ كالزُّجاجةِ، فتَعوَّذوا باللهِ مِن عَذابِ القَبرِ}[2].

الدجال مكتوب بين عينيه (ك ف ر):

عَن أنسِ بن مالِكٍ رَضِيَ الله عَنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: {الدَّجَّالُ مَكْتُوبٌ بيْنَ عَيْنَيْهِ ك ف ر، أيْ: كافِرٌ}.

وفي رِوايةٍ عَن أنسٍ رَضِيَ الله عَنه: {الدَّجَّالُ مَمسوحُ العينِ مَكتوبٌ بينَ عينَيه كافِرٌ، ثم تهجَّاها ك ف ر، يقرؤه كُلُّ مُسلِمٍ}[3].

وعَن حُذَيفةَ الغِفاريِّ رَضِيَ الله عَنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: {مَكْتُوبٌ بيْنَ عَيْنَيْهِ كافِرٌ، يَقْرَؤُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ، كاتِبٍ وغَيْرِ كاتِبٍ}[4].

قال الصَّنعانيُّ: وظاهِرُه كِتابةٌ حَقيقيَّةٌ خَلقَ اللهُ إدراكَها في بَصَرِ الْمُؤمنِ بحَيثُ يَراه وإن لَم يَعرِفِ الكِتابةَ، ولا يَراها الكافِرُ وإنْ عَرَفَها، كما يَرى الْمُؤمِنُ الأدِلَّةَ ببَصيرَتِه وإن لَم يَرها الكافِرُ، وذلك زَمانُ خَرقِ العاداتِ[5].

رابعا: شعره:

الدَّجَّالُ شَديدُ جُعودةِ الشَّعرِ:

عَن عَبد اللهِ بن عُمَرَ رَضِيَ الله عَنهما أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال في وصفِ الدَّجَّالِ: {جَعْدٌ قَطَطٌ}[6].

---

[1] يُنظر: ((المفاتيح في شرح المصابيح)) للمظهري (5/ 413).

[2] أخرجه أحمد (21146) واللفظ له، والطيالسي (546)، وابن حبان (6795). صححه ابن حبان، والألباني في ((صحيح الجامع)) (3401)، وصحح إسناده البوصيري في ((إتحاف الخيرة المهرة)) (518/2)، وشعيب الأرناؤوط في تخريج ((مسند أحمد)) (21146).

[3] أخرجها مسلم (2933).

[4] أخرجه مسلم (2934) مُطَوَّلًا.

[5] يُنظر: ((التنوير شرح الجامع الصغير)) (6/ 124).

[6] أخرجه البخاري (5902)، ومسلم (169).

قال العَينيُّ: الجَعْدُ، بفَتحِ الجيمِ وسُكونِ العينِ الْمُهمَلةِ، والقَطَطُ بفَتحَتين، والجُعودةُ في الشَّعرِ أنْ لا يَتَكَسَّرَ ولا يَسترَسِلَ، والقَطَطُ شَديدُ الجُعودةِ[1].

الدجال كثير الشعر:

عَن حُذَيفةَ رَضِيَ الله عَنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال في وصفِ الدَّجَّالِ: {جُفَالُ الشَّعرِ}[2].

قال علي القاري: {جُفالُ الشَّعرِ} بضَمِّ الجيمِ، أي: كثيرُ الشَّعرِ الْمُجتَمِعُه[3].

عَن عَبدِ اللهِ بن عَباسٍ رَضِيَ الله عَنهما أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: {كأنَّ شَعرَ رَأسِه أغصانُ شَجَرةٍ}[4].

قال ابنُ حَجَرٍ: يُريدُ أنَّ شَعرَ رَأسِه كثيرٌ مُتَفَرِّقٌ قائِمٌ[5].

خامسا: رقبته:

الدَّجَّالُ عَريضُ النَّحرِ:

عَن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ الله عَنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال في وصفِ الدَّجَّالِ: {إنَّه عَريضُ النَّحرِ}[6].

سادسا: ساقاه:

ساقا الدجال مُتَباعِدَتانِ:

عَن عُبادةَ بن الصَّامِتِ رَضِيَ الله عَنه أنَّ رَسولَ الله ﷺ وصفَ الدَّجَّالَ بأنَّه {أفحَجُ}[7].

---

[1] يُنظر: ((عمدة القاري)) (16/ 105).

[2] أخرجه مسلم (2934).

[3] يُنظر: ((مرقاة المفاتيح)) (8/ 3456).

[4] أخرجه أحمد (3546)، والحارث (24)، وأبو يعلى (2720) مُطَوَّلًا. صحَّح إسنادَه الطبري في ((التفسير)) (408/1)، وابن كثير في ((التفسير)) (26/5)، وأحمد شاكر في تخريج ((مسند أحمد)) (182/5)، وشعيب الأرناؤوط في تخريج ((مسند أحمد)) (3546).

[5] يُنظر: ((فتح الباري)) (13/ 101).

[6] لفظ الحديث: ((... وأما مسيح الضلالة، فإنه أعور العين، أجلى الجبهة ، عريض النحر ...)) أخرجه أحمد (7905)، والطيالسي (2655). حسَّنه شعيب الأرناؤوط في تخريج ((مسند أحمد)) (7905)، وصحَّح إسنادَه أحمد شاكر في تخريج ((مسند أحمد)) (28/15)، وحسَّنه ابن كثير في ((نهاية البداية والنهاية)) (159/1).

[7] لفظ الحديث: أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: ((إني قد حدثتكم عن الدجال حتى خشيت أن لا تعقلوا إن مسيح الدجال رجل قصير أفحج جعد أعور مطموس العين ليس بناتئة ولا جحراء..)) أخرجه أبو داود (4320)، وأحمد (22764) صحَّحه ابن عبد البر في ((الاستذكار)) (338/7)، والألباني في ((صحيح سنن أبي داود)) (4320)، وحسن إسناده شعيب الأرناؤوط في تخريج ((العواصم والقواصم)) (186/5).

قيل في معنى الفَحَج: (تَباعُدُ ما بينَ السَّاقينِ في الإنسانِ والدَّابَّة[1].

وقال ابنُ فارسٍ: هو تباعُدُ ما بيْنَ أوْساطِ السَّاقَيْنِ في الإِنسانِ والدَّابَّةِ[2].

وقال ابنُ حَجَرٍ: أفْحَجُ: بفاءٍ ساكِنةٍ ثُمَّ مُهمَلةٍ مَفتوحةٍ ثُمَّ جيمٍ، مِنَ الفَحَجِ، وهو: تَباعُدُ ما بينَ السَّاقينِ أوِ الفَخِذَينِ، وقيلَ: تَداني صُدورِ القَدَمين مَعَ تَباعُدِ العَقِبَين، وقيلَ: هو الذي في رِجْلِه اعوِجاجٌ[3].

ويَنتُجُ عَن ذلك تَباعُدُ رِجلَيه إذا مَشى.

سابعا: قامته:

عَن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال في وصفِ الْمَسيحِ الدَّجَّالِ: {فيه دَفَأٌ}[4].

قال أبو عُبَيدٍ الهَرَويُّ: في حَديثِ الدَّجَّالِ ((فيه دَفَأٌ)) أيِ: انحِناءٌ، ورَجُلٌ أدفَأُ، وامرَأةٌ دَفَّاءُ[5].

ثمنا: بنيته:

الدَّجَّالُ ضَخمُ الجُثَّةِ:

عَن عَبدِ اللهِ بنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنهما أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال في وصفِ الدَّجَّالِ: {رجلٌ جَسِيمٌ}[6].

وعَن عَبدِ اللهِ بنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنهما أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال في وصفِه: {رَأيتَه فَيْلَمانيًّا}[7].

قال الخَطابيُّ: الفَيْلَمُ والفَيْلَمانيُّ: العَظيمُ الجُثَّةِ[8].

---

[1] يُنظر: ((العين)) (3/ 85).

[2] يُنظر: ((مقاييس اللغة)) (4/ 480).

[3] يُنظر: ((فتح الباري)) (13/ 97).

[4] فظ الحديث: ((... وأما مسيح الضلالة، فإنه أعور العين، أجلى الجبهة ، عريض النحر، فيه دفأ ...)) أخرجه أحمد (7905) واللَّفظُ له، والطيالسي (2655). حسَّنه شعيب الأرناؤوط في تخريج ((مسند أحمد)) (7905)، وصحَّح إسنادَه أحمد شاكر في تخريج ((مسند أحمد)) (28/15)، وحسَّنه ابن كثير في ((نهاية البداية والنهاية)) (159/1).

[5] يُنظر: ((الغريبين في القرآن والحديث)) (2/ 641).

[6] أخرجه مُطوَلًا البخاري (7128) واللَّفظُ له، ومسلم (171).

[7] أخرجه أحمد (3546)، وأبو يعلى (2720) مُطوَلًا. صحَّح إسنادَه الطبري في ((التفسير)) (408/1)، وابن كثير في في ((التفسير)) (26/5)، وأحمد شاكر في تخريج ((مسند أحمد)) (182/5)، وشعيب الأرناؤوط في تخريج ((مسند أحمد)) (3546).

[8] يُنظر: ((غريب الحديث)) (1/ 581).

وقال ابن الأثير: الفَيْلَمُ: الأمرُ العَظيمُ[1].

تاسعا: لونه:

شَديدُ البَياضِ، ومُشْرَبٌ بحُمرةٍ:

عَن عَبد اللهِ بن عُمَرَ رَضِيَ الله عَنهما أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال في وصفِ الدَّجَّالِ: {أحمَرُ}[2].

قال ابنُ حَجَرٍ: الأحمَرُ عِندَ العَرَبِ الشَّديدُ البَياضِ مَعَ الحُمرةِ[3].

وعَن عَبدِ اللهِ بنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ الله عَنهما أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال في وَصْفِه: {أقمَرُ هِجَانًا}[4].

قال ابنُ الأثيرِ: هو الشَّديدُ البَياضِ[5].

عاشرا: عمره:

الدَّجَّالُ رَجُلٌ شابٌّ:

عَنِ النَّواسِ بن سَمعانَ رَضِيَ الله عَنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال عَنِ الْمَسيحِ الدَّجَّالِ: {إنَّه شابٌّ}[6].

الحادي عشر: جنس الدجَّال:

هو رَجُلٌ مِنَ البَشَرِ، من بني آدَم، ولَيسَ مِنَ الجانِّ، واللهُ تعالى أعلَمُ.

قال الحَلِيميُّ: أمَّا الدَّجَّالُ فإنَّه رَجُلٌ من بني آدَمَ كأعظَمِهم وأجسَرِهم[7].

وجاءَ في تَتمَّةِ (الْمَفاتيحِ في شَرحِ الْمَصابيحِ): أورَدَ الشَّيخُ الإمامُ أبو بَكرٍ مُحَمَّدُ بنُ إبراهيم الكلاباذيُّ البُخاريُّ رَحِمَه الله في مَعاني مُشكِلاتِ أخبارِ النَّبيِّ ﷺ قَولَه: {إنَّه أعورُ، وإنَّ الله لَيسَ بأعورَ} ولَو لَم يَكُن أعورَ، وكان صَحيحَ العَينين لَم يَكُن يوجِبُ شُبهةً، وإنَّما أرادَ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أنَّه إنسانٌ ولَيسَ بحَيَوانٍ ولا شَيطانٍ،...[8].

---

[1] يُنظر: ((النهاية)) (3/ 474).

[2] أخرجه البخاري (3441)، ومسلم (171) مُطوَّلًا.

[3] يُنظر: ((فتح الباري)) (6/ 486).

[4] أخرجه أحمد (3546)، والحارث (24)، وأبو يعلى (2720) مُطوَّلًا. صحَّح إسنادَه الطبري في ((التفسير)) (408/1)، وابن كثير في ((التفسير)) (26/5)، وأحمد شاكر في تخريج ((مسند أحمد)) (182/5)، وشعيب الأرناؤوط في تخريج ((مسند أحمد)) (3546).

[5] يُنظر: ((النهاية)) (4/ 107).

[6] أخرجه مسلم (2937) مُطوَّلًا.

[7] يُنظر: ((المنهاج في شعب الإيمان)) (1/ 422).

[8] يُنظر: ((المفاتيح في شرح المصابيح)) (5/ 410).

﴿الوجه الثالث﴾

﴿خروج المسيح الدجال﴾

أوَّلا: علامات خروج الدجال:

عَن نافِعِ بن عُتْبَةَ بنِ أبي وقَّاصٍ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: {تغْزون جَزيرةَ العَربِ فيفتَحُها اللهُ، ثُمَّ فارسَ فيفتَحُها اللهُ، ثُمَّ تَغْزُونَ الرُّومَ فيفتَحُها اللهُ، ثُمَّ تَغزونَ الدَّجَّالَ فيَفتَحُه اللهُ}، قال: فقال نافِعٌ: يا جابِرُ، لا نَرى الدَّجَّالَ يَخرُجُ، حَتَّى تُفتَحَ الرُّومُ[1].

وعَن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ الله عَنه أنَّ رَسولَ الله ﷺ قال: {سَمِعتُمْ بمَدينةٍ جانِبٌ مِنها في البَرِّ وجانِبٌ مِنها في البَحرِ؟ قالوا: نَعَم، يا رَسولَ اللهِ، قال: لا تقومُ السَّاعةُ حَتَّى يَغزوَها سَبعونَ ألفًا من بني إسحاقَ، فإذا جاؤوها نَزَلوا، فلَم يُقاتِلوا بسِلاحٍ ولَم يَرموا بسَهمٍ، قالوا: لا إلَه إلَّا اللهُ واللهُ أكبَرُ، فيَسقُطُ أحَدُ جانِبَيها –قال ثورٌ: لا أعلَمُه إلَّا قال: الذي في البَحرِ– ثُمَّ يَقولوا الثَّانيةَ: لا إلَه إلَّا اللهُ واللهُ أكبَرُ، فيَسقُطُ جانِبُها الآخَرُ، ثُمَّ يَقولوا الثَّالِثةَ: لا إلَهَ إلَّا اللهُ واللهُ أكبَرُ، فيُفْرَجُ لَهم، فيَدخُلوها فيَغنَموا، فبينَما هم يَقتَسِمونَ الْمَغانِمَ إذ جاءَهم الصَّريخُ، فقال: إنَّ الدَّجَّالَ قَد خرجَ، فيَترُكونَ كُلَّ شَيءٍ ويَرجِعونَ}[2].

قال الْمظهريُّ: قَولُه: {هَل سَمِعتُم بمَدينةٍ جانِبٌ مِنها في البَرِّ، وجانِبٌ مِنها في البَحرِ}: هَذِه الْمَدينةُ في الرُّومِ[3].

قال علي القاري: {فيَدخُلونَها فيَغنَمونَ} أي: ما فيها {فبينَما هم يَقتَسِمونَ الْمَغانِمَ} أي: يُريدونَ الِاقتِسامَ ويَشرَعونَ فيه {إذ جاءَهم الصَّريخُ، فقال: إنَّ الدَّجَّالَ قَد خَرَجَ، فيَتُركون كُلَّ شَيءٍ} أي: مِنَ الْمَغانِمِ وغيرِها مِنَ الأنفالِ {ويَرجِعونَ} أي: سَريعًا لمُقابَلةِ الدَّجَّالِ، ومُساعَدةِ الأهلِ والعيالِ[4].

وعَن حَفصةَ رَضِيَ الله عَنها أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: {إنَّما يَخرُجُ مِنْ غَضْبَةٍ يغْضَبُها}[5].

---

[1] أخرجه مسلم (2900).

[2] أخرجه مسلم (2920).

[3] يُنظر: ((المفاتيح في شرح المصابيح)) (5/ 378).

[4] يُنظر: ((مرقاة المفاتيح)) (8/ 3417).

[5] أخرجه مسلم (2932).

جاءَ في تَتِمَّةِ الْمَفاتيحِ في شَرحِ الْمَصابيحِ: قَوله: {إنَّما يَخرُجُ من غَضْبةٍ يَغضَبُها} يَعني: إنَّما يَخرُجُ الدَّجَّالُ حينَ يَغضَبُ[1].

وقال الطِّيبيُّ: قَولُه: مِن غَضبةٍ يَغضَبُها} أيِ: أنَّه يَغضَبُ غَضبةً لِيَخرُجَ بسَبَبِ غَضْبَتِه فيَدَّعي النُّبوَّةَ[2].

ثانيا: خروج الدجال من جهة المشرق:

عَن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عَنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: {يَأْتي المَسِيحُ من قِبَلِ المَشْرِقِ}[3].

وعَن أنسِ بنِ مالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: {يَتْبَعُ الدَّجَّالَ مِن يَهودِ أصبَهانَ سَبعونَ ألفًا عليهم الطَّيالِسةُ}[4].

وعَن فاطِمةَ بنتِ قَيسٍ رَضِيَ اللهُ عَنها أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال عَنِ الدَّجَّالِ: {أَلَا إنَّه في بَحْرِ الشَّأْمِ، أَوْ بَحْرِ اليَمَنِ، لا بَلْ من قِبَلِ المَشْرِقِ ما هُوَ، من قِبَلِ المَشْرِقِ ما هو، من قِبَلِ المَشْرِقِ، ما هو، وَأَوْمَأَ بيَدِهِ إلى المَشْرِقِ}[5].

قال عياضٌ: قَولُه: {لا، بَل من قِبَلِ الْمَشرِقِ ما هو، من قِبَلِ الْمَشرِقِ ما هو، وأومَأ بيدِه نَحوَ الْمَشرِقِ}: لَيسَ «ما» هنا للنَّفيِ؛ لأنَّه إنَّما يُريدُ إثباتَ كونِه من جِهةِ الْمَشرِقِ، و"ما" هنا زائِدةٌ لصِلةِ الكَلامِ[6].

وعَن أبي بَكرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنه قال: حَدَّثنا رَسولُ اللهِ ﷺ: {الدَّجَّالُ يَخرُجُ من أرضٍ بالمَشرِقِ يُقالُ لَها: خُراسانُ}[7].

---

[1] يُنظر: ((المفاتيح في شرح المصابيح)) للمظهري (5/ 443).

[2] يُنظر: ((شرح المشكاة)) (11/ 3475).

[3] أخرجه مسلم (1380) مُطَولًا.

[4] أخرجه مسلم (2944).

[5] أخرجه مسلم (2942) مُطَولًا.

[6] يُنظر: ((إكمال المعلم)) (8/ 502).

[7] أخرجه الترمذي (2237)، وابن ماجه (4072)، وأحمد (12) مُطَولًا. صحَّحه الألباني في ((صحيح سنن الترمذي)) (2237)، وقال الترمذي: حسن غريب، وصحَّح إسنادَه أحمد شاكر في تخريج ((مسند أحمد)) (1/27)، وشعيب الأرناؤوط في تخريج ((مسند أحمد)) (12).

قال عَلِيٌّ القارِي: {الدَّجَّالُ يَخرُجُ من أرضٍ بالمَشرِقِ يُقالُ لَها: خُراسانُ}: بضَمِّ أوَّلِه، في القاموسِ: إنَّه بلادٌ يَعني مَعروفةً بينَ بلادِ ما وراءَ النَّهرِ وبِلدانِ العِراقِ، مُعظَمُها الآنَ بَلِدةُ هراةَ الْمُسَمَّاةُ بخُراسانَ، كتَسميَةِ دِمشْقَ بالشَّامِ[1].

وعَنِ النَّوَّاسِ بنِ سَمعانَ رَضِيَ اللهُ عَنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: {إنَّه خَارِجٌ خَلَّةً بيْنَ الشَّأْمِ والْعِرَاقِ}[2].

قال أبو العَبَّاس القُرطُبيُّ: {قَولُه: إنَّه خارِجٌ حَلَّة بينَ الشَّامِ والعِراقِ} رُوِّيتُه وقيَّدْتُه بفَتحِ الحاءِ الْمُهمَلةِ، وتَشديدِ اللَّامِ، وهيَ رِوايةُ السجزيِّ، وقيلَ: مَعنى ذلك: قُبالةَ وسَمْتَ، وفي كِتابِ العين: والحَلَّةُ: مَوضِعُ حَزْنٍ وضُمورٍ، وسَقَطَت هَذِه الكَلِمةُ من رِوايةِ العذريِّ، ورُوِيَ عَنِ ابنِ الحذاءِ: حَلُّه بضَمِّ اللَّامِ وهاءِ الضَّميرِ، أي: نُزولُه وحُلولُه، وكَذا في كِتابِ التَّميميِّ، وهَكَذا ذَكَرَه الحُمَيديُّ، وأخرجه الهَرَويُّ في غَريبِه: خَلَّةً: بالخاءِ الْمُعجَمةِ مَفتوحةً، وتَشديدِ اللَّامِ، وفَسَّرَه بأنَّه ما بينَ البَلدَتين، قال غَيرُه: هو الطَّريقُ في الرَّملِ، ويُجمَعُ: خلٌّ، قُلتُ: وقَد رَوى التِّرمِذيُّ من حَديثِ أبي بَكرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنه قال: حَدَّثنا رَسولُ اللهِ ﷺ قال: {الدَّجَّالُ يَخرُجُ من أرضٍ بالمَشرِقِ يُقالُ لَها: خُراسانُ، يَتبَعُه أفواجٌ، كأنَّ وُجوهَهم الْمَجَانُّ الْمُطْرَقةُ}[3].

قال: وفي البابِ عَن أبي هُرَيرةَ وعائِشةَ رَضِيَ اللهُ عَنهما، وهذا حَديثٌ حَسَنٌ غَريبٌ، ووَجهُ الجَمعِ بينَ هذا وبينَ الذي قَبلَه: أنَّ مُبتَدَأَ خُروجِ الدَّجَّالِ من خُراسانَ، ثُمَّ يَخرُجُ إلى الحِجازِ فيما بينَ العِراقِ والشَّامِ، واللهُ تعالى أعلَمُ[4].

ولَعَلَّ الْمُرادَ بمَوضِعِ خُروجِه مَبدَأُ فتنَتِه ولَيسَ مَوضِعَ ميلادِه أو مَوضِعَ الجَزيرةِ الَّتي وُثِقَ فيها، وبِهذا –واللهُ أعلَمُ– يَزولُ الإشكالُ الذي يُثيرُه كلامُ ابنِ حِبَّانَ بَعدَ إيرادِه حَديثَ {يَخرُجُ

---

[1] يُنظر: ((مرقاة المفاتيح)) (8/ 3479).

[2] أخرجه مسلم (2937) مُطَوَّلًا.

[3] أخرجه الترمذي (2237) واللَّفظُ له، وابن ماجه (4072)، وأحمد (12). صحَّحه الألباني في ((صحيح سنن الترمذي)) (2237)، وقال الترمذي: حسن غريب، وصحَّح إسنادَه أحمد شاكر في تخريج ((مسند أحمد)) (1/27)، وشعيب الأرناؤوط في تخريج ((مسند أحمد)) (12). وذكر البزار في ((البحر الزخار)) (1/113) أن فيه سعيد بن أبي عروبة لم يسمع من أبي التياح.

[4] يُنظر: ((المفهم)) (7/ 278).

الدَّجَّالُ من هاهنا، وأشارَ نَحوَ الْمَشرِقِ}[1]؛ حَيثُ قال ابنُ حِبَّانَ مُعَلِّقًا: قَولُ أبي هُرَيرةَ: {وأشارَ نَحوَ الْمَشرِق} أرادَ به البَحرين؛ لأنَّ البَحرينِ مَشرِقُ الْمَدينةِ، وخُروجُ الدَّجَّالِ يَكونُ من جَزيرةٍ من جَزائِرِها، لا من خُراسانَ، والدَّليلُ على صِحَّةِ هذا أنَّه مُوثَقٌ في جَزيرةٍ من جَزائِرِ البَحرِ، على ما أخبَرَ تَميمٌ الدَّاري، ولَيسَ بخُراسانَ بَحرٌ ولا جَزيرةٌ[2]. اهـ

وأقول: أنَّ حديث خروجه من خرسان صحيح، وحديث خروجه من مشرق المدينة وهي البحرين صحيح، والجمع بينهما، والجمع بينهما يكون أنه مربوط في جزيرة من جزر البحرين غالبا، فيخرج منها خرجه الأوَّل، ثمَّ يتجه إلى خرسان فيخرج منها خروجه الثاني أي بفتنته، والله أعلم.

ثالثا: أتباع الدجال:

عَن أنسِ بنِ مالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: {يَتبَعُ الدَّجَّالَ مِن يَهودِ أَصْبَهانَ سَبْعونَ ألفًا عليهم الطَّيالِسةُ}[3].

قال ابنُ تَيميَّةَ: إنَّ اليَهودَ يَتَأوَّلونَ البِشارةَ بالمَسيحِ على أنَّه لَيسَ هو عيسى بنَ مَريَمَ، بَل هو آخَرُ يَنتَظِرونَه، وهم في الحَقيقةِ إنَّما يَنتَظِرونَ الْمَسيحَ الدَّجَّالَ؛ فإنَّه الذي يَتْبَعُه اليَهودُ ويَخرُجُ مَعَه سَبعونَ ألفَ مُطيلِسٍ من يَهودِ أصبَهانَ، ويَقتُلُهم الْمُسْلِمونُ مَعَه، حَتَّى يَقولَ الشَّجَرُ والحَجَرُ: يا مُسْلِمُ هذا يَهوديٌّ ورائي تَعالَ فاقتُلْه، كما ثَبَت ذلك في الصَّحيح[4].

وقال ابنُ حَجَرٍ: قال أبو نُعَيمٍ في تاريخِ أصبَهانَ: كانتِ اليَهوديَّةُ من جُملةِ قُرى أصبَهانَ، وإنَّما سُمِّيَت اليَهوديَّةَ؛ لأنَّها كانت تَختَصُّ بسُكنى اليَهودِ، قال: ولَم تَزَلْ على ذلك إلى أنْ مَصَّرَها أيوبُ بن زيادٍ أميرُ مِصرَ في زَمَنِ الْمَهديِّ بنِ الْمَنصورِ، فسَكَنَها الْمُسلِمونَ، وبَقيَت لليَهودِ مِنها قِطعةٌ مُنفَرِدةٌ، وأمَّا ما أخرَجَه مُسْلِمٌ عَن أبي هُرَيرةَ مَرفوعًا قال: {يَتبَعُ الدَّجَّالَ سَبعونَ ألفًا

---

[1] أخرجه ابن حبان (6792)، وابن عساكر في ((تاريخ دمشق)) (521/10) واللَّفظُ لهما، والحاكم (8609) باختلافٍ يسيرٍ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. صحَّحه ابن حبان، وصحَّح إسنادَه الحاكم.

[2] يُنظر: ((صحيح ابن حبان)) (15/ 203).

[3] أخرجه مسلم (2944). الطيالسة نوع رفيع من الثياب.

[4] أخرجه البخاري (2926)، ومسلم (2922) مُطَوَّلًا باختلافٍ يسيرٍ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. ينظر: يُنظر: ((الجواب الصَّحيح)) (2/ 289).

مَن يَهودِ أصبَهانَ}، فلَعَلَّها كانت يَهوديَّةَ أصبَهانَ يُريدُ البَلَدَ الْمَذكورَ لا أنَّ الْمُرادَ جَميعُ أهلِ أصبَهانَ يَهودٌ، وأنَّ القَدْرَ الذي يَتْبَعُ الدَّجَّالَ مِنهم سَبعونَ ألفًا[1].

وعَن أبي بَكرٍ الصِّديقِ رَضِيَ اللهُ عَنه قال: حَدَّثنا رَسولُ اللهِ ﷺ: {إنَّ الدَّجَّالَ يَخرُجُ من أرضٍ بالمَشرِقِ يُقالُ لَها: خُراسانُ، يَتبَعُه أقوامٌ كأنَّ وُجوهَهم الْمَجَانُّ الْمُطْرَقةُ}[2].

قال عَلِيٌّ القارِي: {يَتبَعُه}: بسُكونِ التَّاءِ وفَتحِ الباءِ، وفي نُسخةٍ بتَشديدِ التَّاءِ وكَسرِ الباءِ أي: يَلحَقُه ويُطيعُه {أقوامٌ} أي: جَماعاتٌ أيْ عَظيمةٌ وغَريبةٌ من جِنسِ الإنسانِ، ولَكِنَّهم يُشبِهونَ الجانَّ، {كأنَّ وُجوهَهم الْمَجَانُّ}: بفَتحِ الْميمِ وتَشديدِ النُّونِ، جَمعُ الْمِجَنِّ بكَسرِ الْميمِ، وهو التُّرسُ، وقَولُه: {الْمُطْرَقةُ}: بضَمِّ الْميمِ وسُكونِ الطَّاءِ، على ما في أصلِ السيدِ وأكثَرِ النُّسَخِ.

وقال السُّيوطيُّ: رُوِيَ بتَشديدِ الرَّاءِ وتَخفيفِها، فهيَ مَفعولةٌ من أطرَقِه أو طَرَّقَه أي: جَعلَ الطِّراقَ على وَجهِ التُّرْسِ، والطِّراقُ بكَسرِ الطَّاءِ: الجِلدُ الذي يُقطَعُ على مِقدارِ التُّرْسِ، فيُلصَقُ على ظَهرِه، والمَعنى أنَّ وُجوهَهم عَريضةٌ، ووَجَناتِهم مُرتَفِعةٌ كالمجَنَّةِ، وهذا الوَصفُ إنَّما يوجَدُ في طائِفةِ التُّركِ والأزبَكِ ما وراءَ النَّهرِ، ولَعَلَّهم يَأتونُ إلى الدَّجَّالِ في خُراسانَ، كما يُشيرُ إليه قَولُه: يَتبَعُه، أو يَكونونَ حينَئِذٍ مَوجودين في خُراسانَ...[3].

وقال المُناويُّ: {يَتبَعُه أقوامٌ} مِنَ الأتراكِ واليَهودِ... {كأنَّ وُجوهَهم الْمَجَانُّ} واحِدُها مِجَنٌّ، وهو التُّرسُ، سُمِّيَ به؛ لأنَّه يَستُرُ الْمُستَجِنَّ به، أي: يُغَطِّيه، {الْمُطَرَّقةُ} بضَمِّ الْميمِ وتَشديدِ الرَّاءِ الْمَفتوحةِ، أيِ الأتراسُ الَّتي ألبِسَتِ العَقِبَ شَيئًا فوقَ شَيءٍ... شَبَّه وُجوهَ أتباعِه بالمَجانِّ في غِلَظِها وعَرضِها وفَظاظَتِها[4].

---

[1] يُنظر: ((فتح الباري)) (13/ 328).

[2] أخرجه الترمذي (2237) باختلافٍ يسيرٍ، وابن ماجه (4072)، وأحمد (12) واللَّفظُ لهما. صحَّحه الألباني في ((صحيح سنن ابن ماجه)) (4072)، وقال الترمذي: حسن غريب، وصحَّح إسنادَه أحمد شاكر في تخريج ((مسند أحمد)) (27/1)، وشعيب الأرناؤوط في تخريج ((مسند أحمد)) (12).

[3] يُنظر: ((مرقاة المفاتيح)) (8/ 3479).

[4] يُنظر: ((فيض القدير)) (3/ 539).

رابعا: مدَّة لُبثِه في الأرض:

عَنِ النَّواسِ بنِ سَمعانَ رَضِيَ اللهُ عَنه قال: {قُلنا: يا رسولَ اللهِ، وما لُبْثُهُ في الأرضِ؟ قال: أربَعونَ يَومًا؛ يَومٌ كسَنةٍ، ويَومٌ كشَهرٍ، ويَومٌ كجُمُعةٍ، وسائِرُ أيَّامِه كأيَّامِكم، قُلْنا: يا رسولَ اللهِ، فذلك اليَومُ الذي كسَنةٍ أتَكْفِينا فيه صَلاةُ يَومٍ؟ قال: لا، اقدُروا لُه قَدْرَه}[1].

قال أبو العَبَّاس القُرطُبيُّ: ظاهِرُ هذا: أنَّ اللهَ تعالى يَخرِقُ العادةَ في تِلكَ الأيَّامِ، فيُبطِئُ بالشَّمسِ عَن حَرَكَتِها الْمُعتادةِ في أوَّلِ يَومٍ من تِلكَ الأيَّامِ، حَتَّى يَكونَ أوَّلُ يَومٍ كمِقدارِ سَنةٍ مُعتادةٍ، ويُبطِئُ بالشَّمسِ حَتَّى يَكونَ كمِقدارِ شَهرٍ، والثَّالِثُ حَتَّى يَكونَ كمِقدارِ جُمُعةٍ، وهذا مُمكِنٌ، لا سَيَّما وذلك الزَّمانُ تَنخَرِقُ فيه العَوائِدُ كثيرًا، لا سيَّما على يَدَي الدَّجَّالِ[2].

وقال ابنُ كثيرٍ: مُدَّةُ مُقامِه في الأرضِ أربَعونَ يَومًا؛ يَومٌ كسَنةٍ، ويَومٌ كشَهرٍ، ويَومٌ كجُمُعةٍ، وسائِرُ أيَّامِه كأيَّامِ النَّاسِ هَذِه، ومُعَدَّلُ ذلك سَنةٌ وشَهرانِ ونِصفٌ[3].

وأقول: يلبث فغي الأرض تحديدا؛ سنة وشهران وأربعة عشر يوما.



[1] أخرجه مسلم (2937) مُطَولًا.

[2] يُنظر: ((المفهم)) (7/ 278-280).

[3] يُنظر: ((البداية والنهاية)) (19/ 204-206).

﴿الوجه الرابع﴾

﴿فتنة المسيح الدجال﴾

عن هشام بن عامر قال: سَمِعتُ رَسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: {ما بين خَلقِ آدَمَ إلى قيامِ السَّاعةِ خَلقٌ أكبَرُ مِنَ الدَّجَّالِ}[1]، وفي رِوايةٍ: {أمرٌ أكبَرُ مِنَ الدَّجَّالِ}[2].

قال النَّوويُّ: قَولُه ﷺ: {ما بينَ خَلقِ آدَمَ إلى قيامِ السَّاعةِ خَلقٌ أكبَرُ مِنَ الدَّجَّالِ}، الْمُرادُ: أكبَرُ فتنةً وأعظَمُ شَوكةً[3].

وعَن عَبدِ اللهِ بنِ عُمَرَ رَضِيَ الله عَنهما قال: {قامَ رَسولُ اللهِ ﷺ في النَّاسِ فأثنى على اللهِ بما هو أهلُه، ثُمَّ ذَكَرَ الدَّجَّالَ فقال: إنِّي لأُنذِرُكُموه، وما من نَبيٍّ إلَّا أنذَرَه قَومَه، لَقَد أنذَرَ نوحٌ قَومَه، ولَكِنِّي أقولُ لَكم فيه قَولًا لَم يَقُلْه نَبيٌّ لقَومِه، تَعلَمونَ أنَّه أعوَرُ، وأنَّ اللهَ لَيسَ بأعوَرَ}[4].

قال أبو العَبَّاس القُرطُبيُّ: قَولُه: {إنِّي لأُنذِرُكم الدَّجَّالَ، وما من نَبيٍّ إلَّا وقَد أنذَرَه قَومَه، لَقَد أنذَرَه نوحٌ قَومَه} إنَّما كان هذا مِنَ الأنبياءِ لِمَا عَلِموا من عَظيمِ فِتنَتِه، وشِدَّةِ مِحْنَتِه، على ما يَأتي تَفصيلُها في الأحاديثِ الْمَذكورةِ بَعدُ، ولِأنَّهم لَمَّا لَم يُعَيَّنْ لواحِدٍ مِنهم زَمانُ خُروجِه، تَوَقَّعَ كُلُّ واحِدٍ مِنهم خُروجَه في زَمانِ أمَّتِه، فبالَغَ في التَّحذيرِ، وفائِدةُ هذا الإنذارِ الإيمانُ بوُجودِه والعَزمُ على مُعاداتِه ومُخالَفَتِه، وإظهارُ تَكذيبِه، وصِدْقُ الِالتِجاءِ إلى اللهِ تعالى في التَّعَوُّذِ من فتنَتِه، وهذا مَذهَبُ أهلِ السُّنةِ، وعامَّةِ أهلِ الفِقهِ والحَديثِ[5].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: {إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ باللَّهِ مِن أَرْبَعٍ يقولُ: اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِن عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ المَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ}[6].

---

[1] أخرجه مسلم (2946).

[2] أخرجها مسلم (2946).

[3] يُنظر: ((شرح مسلم)) (18/ 86).

[4] أخرجه البخاري (3337).

[5] يُنظر: ((المفهم)) (7/ 267).

[6] أخرجه البخاري (1377) ، ومسلم واللفظ له (588)

فمن خطورة الأمر حتى أنَّ النبي جعل التعوَّذ منه بعد كل تشهد من كل صلاة، بل قرنه بعذاب القبر والنار وبكل الفتن، وكل هذا لأنَّ الأمر جلل، فهو خطير جدا.



﴿الوجه الخامس﴾

﴿قدرات المسيح الدجال﴾

أولا: سرعة انتقاله في الأرض:

عَنِ النَّوَّاسِ بن سَمعانَ رَضِيَ الله عَنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ سُئِلَ عَن إسراعِ الدَّجَّالِ في الأرضِ فقال: {كالغَيثِ استَدبَرَتْه الرِّيحُ}[1].

قال علي القاري: {قال: كالغَيثِ}: الْمُرادُ به هنا الغَيمُ إطلاقًا للسَّبَبِ على الْمُسَبَّبِ، أي: يُسرِعُ في الأرضِ إسراعَ الغَيمِ {استَدبَرَته الرِّيحُ} والمَعنى أنَّ هذا مِثالٌ لا يُدرَكُ كيفيَّتُه، ولا يُمكِنُ تَقديرُ كمِّيَّتِه[2].

وعَن أنسٍ رَضِيَ الله عَنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قَال: {لَيسَ من بَلَدٍ إلَّا سَيَطَؤُه الدَّجَّالُ إلَّا مَكَّةَ والمَدينةَ}[3].

ثانيا: له جنة ونار:

عَن حُذَيفةَ رَضِيَ الله عَنه قال: قال رَسولُ اللهِ ﷺ: {مَعَه «أي: الدَّجَّالِ» جَنَّةٌ ونارٌ، فنارُه جَنَّةٌ، وجَنَّتُه نارٌ}[4]، وفي روايةٍ: {لأَنَا أعْلَمُ بما مع الدَّجَّالِ منه، معهُ نَهْرانِ يَجْرِيانِ، أحَدُهُما رَأْيَ العَيْنِ ماءٌ أبْيَضُ، والآخَرُ رَأْيَ العَيْنِ نارٌ تَأَجَّجُ، فَإِمَّا أدْرَكَنَّ أحَدٌ فَلْيَأْتِ النَّهْرَ الذي يَراهُ نارًا ولْيُغْمِضْ، ثُمَّ لْيُطَأْطِئْ رَأْسَه فَيَشْرَب منه؛ فإنَّه ماءٌ بارِدٌ}[5].

---

[1] أخرجه مسلم (2937) مُطوَلًا.

[2] يُنظر: ((مرقاة المفاتيح)) (8/ 3460).

[3] أخرجه البخاري (1881)، ومسلم (2943) مُطوَلًا.

[4] أخرجه مسلم (2934).

[5] أخرجها مسلم (2934).

ثالثا: له جبال من خبز ولحم:

عن المُغيرةِ بنِ شُعبةَ رَضِيَ اللهُ عنه قال: {ما سَأَلَ أَحَدٌ النبيَّ ﷺ عَنِ الدَّجَّالِ أَكْثَرَ ممَّا سَأَلْتُهُ، قالَ: وَما سُؤَالُكَ؟ قالَ: قُلتُ: إنَّهُمْ يقولونَ: معهُ جِبَالٌ من خُبْزٍ وَلَحْمٍ، وَنَهرٌ من مَاءٍ، قالَ: هو أَهْوَنُ علَى اللهِ من ذلكَ}[1]، وفي رواية: {معهُ أَنْهَارُ المَاءِ، وَجِبَالُ الخُبْزِ}[2].

قال عياضٌ: قَولُه في هذا الحَديثِ: قُلتُ: إنَّهم يَقولونَ: إنَّ مَعَه الطَّعامَ والأنهارَ، قال: هو أهونُ على الله من ذلك، أي: من أن يَجعَلَ ما يَخلُقُه على يَدِه مُضِلًّا للمُؤمِنينَ ومُشكِّكًا لقُلوبِ الْمَوقِنين، بَل ليَزدادَ الذينَ آمَنوا إيمانًا ولِيَرتابَ الذينَ في قُلوبِهم مَرَضٌ والكافِرون، كما قال لَه الذي قَتلَه ثُمَّ أحياه: {ما كُنت قَطُّ فيكَ أشَدَّ بصيرةً مِنِّي الآنَ}[3]، لا أنَّ قَولَه: {هو أهونُ على اللهِ من ذلك} أي: أنَّه لَيسَ شيءٌ من ذلك مَعَه، بَل أن يَجعَلَ ذلك آيةً على صِدْقِه، فكَيفَ وقَد جَعَلَ الآيةَ على كَذِبِه وكُفرِه ظاهِرةً بقِراءةِ من لا يَقرَأُ، زيادةً على شَواهِدِ كَذِبِه من صِدْقِه ونَقْصِه[4].

والمعنى هو أن يعطيه الله جبالا من خبز ولحم هو هين على الله تعالى ليس بصعب، وذلك ليثبت الذين آمنوا، وليزداد الذين كفروا كفرا.

رابعا: التحكم في خزائن الأرض:

عَنِ النَّواسِ بنِ سَمعانَ رَضِيَ اللهُ عَنه قال: {قال رَسولُ اللهِ ﷺ فيَأتي على القَومِ فيَدعوهم فيُؤمِنونَ به ويَستَجيبونَ لَه، فيَأمُرُ السَّماءَ فتُمطِرُ والأرضَ فتُنبِتُ، فتَروحُ عليهم سارِحَتُهم أطوَلَ ما كانت ذُرًا وأسبَغَه ضُروعًا وأمَدَّه خَواصِرَ، ثُمَّ يَأتي القَومَ فيَدعوهم فيردُّونَ عليه قَولَه، فيَنصَرِفُ عَنهم فيُصبِحونَ مُمحِلِينَ لَيسَ بأيديهم شَيءٌ من أموالِهم، ويَمُرُّ بالخَربةِ فيَقولُ لَها: أخرِجي كُنوزَكِ. فتَتبَعُه كُنوزُها كيَعاسيبِ النَّحلِ}[5].

قال أبو العَبَّاس القُرطُبيُّ: قَولُه: {فتَغدو عليهم سارِحَتُهم أطوَلَ ما كانت ذُرًا، وأسبَغَه ضُروعًا} تَغدو: تَبكرُ، والسَّارِحةُ: الْمَواشي الَّتي تَخرُجُ للسَّرحِ، وهو الرَّعيُ، كالإبلِ والبَقَرِ والغَنَمِ.

---

[1] أخرجه البخاري (7122)، ومسلم (2939) واللَّفظُ له.

[2] أخرجها مسلم (2152).

[3] أخرجه مُطَوَّلًا البخاري (1882)، ومسلم (2938) واللَّفظُ له من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

[4] يُنظر: ((إكمال المعلم)) (8/ 492).

[5] أخرجه مسلم (2937) مُطَوَّلًا.

والذُّرَا: جَمعُ ذِرْوةٍ، وهيَ الأسنِمةُ، وأسبَغَه: أطوَلَه ضُروعًا؛ لكَثرةِ اللَّبَنِ، وأمَدَّه خَواصِرَ: لكَثرةِ أكْلِها، وخِصْبِ مَرعاها، وقَولُه: {فيُصبِحونَ مُمحِلِينَ} وفي بَعضِ الرِّواياتِ: آزِلينَ، والمَحْلُ والأزْلُ، والقَحْطُ، والجَدبُ، كُلُّها واحِدٌ، واللهُ تعالى أعلَمُ.

ويَعاسيبُ النَّحلِ: فحُولُها، واحِدُها: يَعسوبٌ، وقيلَ: أُمَراؤُها، ووَجه التَّشبيه أن يَعاسيبَ النَّحلِ يَتبَعُ كُلَّ واحِدٍ مِنهم طائفةٌ مِنَ النَّحلِ، فتَراها جَماعاتٍ في تَفرِقةٍ، فالكُنوزُ تَتْبَعُ الدَّجَّالَ كذلك[1].

ومِنَ الْمُلاحَظِ أنَّ ما مَعَ الدَّجَّالِ من جِبالِ الخُبزِ واللَّحمِ والأنهارِ والكُنوزِ وغَيرِها يَأتي في وقتٍ تَشتَدُّ فيه حاجةُ النَّاسِ إلى الرِّزقِ والغِذاءِ، وتَبلُغُ أقصى دَرَجاتِ الحاجةِ، وبِذلك تَعظُمُ الفِتنةُ وتَشتَدُّ، فقَد يَتبَعُه كثيرٌ مِنَ النَّاسِ مَعَ عِلمِهم بكَذِبِه لشِدَّةِ حاجَتِهم وإيثارِهم دُنْياهم على أُخْراهم[2].

خامسا: إحياء الموتى:

عَن أبي سَعيدٍ الخُدريِّ رَضِيَ الله عَنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: {يَخْرُجُ الدَّجَّالُ فَيَتَوَجَّهُ قِبَلَهُ رَجُلٌ مِنَ المُؤْمِنِينَ، فَتَلْقاهُ المَسالِحُ، مَسالِحُ الدَّجَّالِ، فيَقولونَ له: أيْنَ تَعْمِدُ؟ فيَقولُ: أعْمِدُ إلى هذا الذي خَرَجَ، قالَ: فيَقولونَ له: أوَما تُؤْمِنُ برَبِّنا؟ فيَقولُ: ما برَبِّنا خَفاءٌ، فيَقولونَ: اقْتُلُوهُ، فيَقولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: أليسَ قدْ نَهاكُمْ رَبُّكُمْ أنْ تَقْتُلُوا أحَدًا دُونَهُ؟ قالَ: فَيَنْطَلِقُونَ به إلى الدَّجَّالِ، فإذا رَآهُ المُؤْمِنُ قالَ: يا أيُّها النَّاسُ، هذا الدَّجَّالُ الذي ذَكَرَ رَسولُ اللهِ ﷺ، قالَ: فَيَأْمُرُ الدَّجَّالُ به فيُشَبَّحُ، فيَقولُ: خُذُوهُ وشُجُّوهُ، فيُوسَعُ ظَهْرُهُ وبَطْنُهُ ضَرْبًا، قالَ: فيَقولُ: أوَما تُؤْمِنُ بي؟ قالَ: فيَقولُ: أنْت المَسِيحُ الكَذّابُ، قالَ: فيُؤْمَرُ به فيُؤْشَرُ بالمِئْشارِ من مَفْرِقِهِ حتَّى يُفَرَّق بيْنَ رِجْلَيْهِ، قالَ: ثُمَّ يَمْشِي الدَّجَّالُ بيْنَ القِطْعَتَيْنِ، ثُمَّ يقولُ له: قُمْ، فَيَسْتَوِي قائِمًا، قالَ: ثُمَّ يقولُ له: أتُؤْمِنُ بي؟ فيَقولُ: ما ازْدَدْتُ فِيكَ إلَّا بَصِيرَةً، قالَ: ثُمَّ يقولُ: يا أيُّها النَّاسُ، إنَّه لا يَفْعَلُ بَعْدِي بأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ، قالَ: فَيَأْخُذُهُ الدَّجَّالُ لِيَذْبَحَهُ، فيُجْعَلُ ما بيْنَ رَقَبَتِهِ إلى تَرْقُوَتِهِ نُحاسًا،

---

[1] يُنظر: ((المفهم)) (7/ 281).

[2] من موقع الدرر السنية.

فلا يَسْتَطِيعُ إِلَيْهِ سَبِيلًا، قالَ: فَيَأْخُذُ بيَدَيْهِ ورِجْلَيْهِ فَيَقْذِفُ به، فَيَحْسِبُ النَّاسُ أنَّما قَذَفَهُ إلى النَّارِ، وإنَّما أُلْقِيَ في الجَنَّةِ، فَقالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: هذا أعْظَمُ النَّاسِ شَهادَةً عِنْدَ رَبِّ العالَمِينَ}[1].

قال الخَطابيُّ: قَد يُسأَلُ عَن هذا، فيُقالُ: كيفَ يَجوزُ أن يُجريَ اللهُ تعالى آياتِه على أيدي أعدائِه؟ وإحياءُ الْموتى آيةٌ عَظيمةٌ من آياتِ أنبيائِه؟ فكَيفَ مَكَّنَ مِنه الدَّجَّالَ، وهو كَذَّابٌ !مُفترٍ على اللهِ يَدَّعي الرُّبوبيَّةَ لنَفسِه؟

فالجَوابُ: أنَّ هذا جائِزٌ على سَبيلِ الِامتِحانِ لعَبادِه إذا كان مِنه ما يَدُلُّ على أنَّه مُبْطِلٌ، غَيرُ مُحِقٍّ في دَعواه، وهو أنَّ الدَّجَّالَ أعورُ عينِ اليُمنى {مَكتوبٌ على جَبهَتِه كافِرٌ، يَقرَؤُه كُلُّ مُسْلِمٍ}، فدَعواه داحِضةٌ مَعَ وسْمِ الكُفرِ ونَقْصِ العَورِ الشَّاهِدَينِ بأنَّه لَو كان رَبًّا لقَدَرَ على رَفعِ العَورِ عَن عينِه ومَحوِ السِّمةِ عَن وجهِه، وآياتُ الأنبياءِ الَّتي أُعطوها الأنبياءُ بريئةٌ عَمَّا يُعارِضُها ونَقائِضها؛ فلا يَشتَبِهانِ بحَمدِ الله[2].

وعن النواس: {...قُلْنَا: يا رَسُولَ اللهِ، وَما إِسْرَاعُهُ في الأرْضِ؟ قالَ: كَالْغَيْثِ اسْتَدْبَرَتْهُ الرِّيحُ، فَيَأْتي علَى القَوْمِ فَيَدْعُوهُمْ، فيُؤْمِنُونَ به وَيَسْتَجِيبُونَ له، فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ، وَالأرْضَ فَتُنْبِتُ، فَتَرُوحُ عليهم سَارِحَتُهُمْ أَطْوَلَ ما كَانَتْ ذُرًا، وَأَسْبَغَهُ ضُرُوعًا، وَأَمَدَّهُ خَوَاصِرَ، ثُمَّ يَأْتي القَوْمَ، فَيَدْعُوهُمْ، فَيَرُدُّونَ عليه قَوْلَهُ، فَيَنْصَرِفُ عنْهمْ، فيُصْبِحُونَ مُمْحِلِينَ ليسَ بأَيْدِيهِمْ شيءٌ مِن أَمْوَالِهِمْ، وَيَمُرُّ بالخَرِبَةِ، فيَقولُ لَهَا: أَخْرِجِي كُنُوزَكِ، فَتَتْبَعُهُ كُنُوزُهَا كَيَعَاسِيبِ النَّحْلِ، ثُمَّ يَدْعُو رَجُلًا مُمْتَلِئًا شَبَابًا، فَيَضْرِبُهُ بالسَّيْفِ فَيَقْطَعُهُ جَزْلَتَيْنِ رَمْيَةَ الغَرَضِ، ثُمَّ يَدْعُوهُ فيُقْبِلُ وَيَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ، يَضْحَكُ...}[3].

يَدْعُو الدَّجَّالُ رجُلًا «مُمْتَلِئًا شَبَابًا» أي: تامًّا كاملًا قويًّا، فيَضْرِبُه بالسَّيْفِ، «فَيَقْطَعُه جَزْلَتَيْنِ»، أي: قِطْعَتَيْنِ مُنفصِلتَين، مِثْلَ «رَمْيَةَ الغَرَضِ»، أي: يَجْعَلُ بينَ القِطعتينِ مِقدارَ ما بيْنَ مَكَانِ رَمْيَةِ السَّهْمِ وبينَ الهَدَفِ، أو يَقطَعُه نِصفينِ كرَميةِ الهدفِ في السُّرعةِ والإصابةِ، ثُمَّ يَدْعُوهُ الدَّجَّالُ ويُنادِيه فيُقبِلُ ذلك المقتولُ ويَأتي إلى الدَّجَّالِ «ويَتَهَلَّلُ وَجهُه» أي: يُقبِلُ إليه وقدِ استنارَ وَجْهُه وهو يَضْحَكُ.

---

[1] أخرجه مسلم (2938).

[2] يُنظر: ((أعلام الحديث)) (4/ 2331).

[3] أخرجه مسلم 2937.

﴿الوجه السادس﴾

﴿نهاية المسيح الدجال﴾

عَن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ الله عنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: {لا تقومُ السَّاعةُ حَتَّى يَنزِلَ الرُّومَ بالأعماقِ، أو بدابِقَ[1]، فيَخرُجُ إليهم جَيشٌ مِنَ الْمَدينةِ، من خيارِ أهلِ الأرضِ يومَئِذٍ، فإذا تَصافُّوا قالتِ الرُّومُ: خَلُّوا بيننا وبينَ الذينَ سُبُوا مِنَّا نُقاتِلْهم، فيَقولُ الْمُسلِمونَ: لا، واللهِ لا نُخَلِّي بينَكم وبينَ إخوانِنا، فيُقاتِلونَهم، فيَنهَزِمُ ثُلثٌ لا يَتوبُ الله عليهم أبَدًا، ويُقتَلُ ثُلثُهم أفضَلُ الشُّهداءِ عِندَ اللهِ، ويَفتَتِحُ الثُّلثُ لا يُفتَنونَ أبَدًا، فيَفتَتِحونَ قُسطنطينيَّةَ[2]، فبينَما هم يَقتَسِمونَ الغَنائِمَ قَد عَلَّقوا سُيوفَهم بالزَّيتونِ إذ صاحَ فيهم الشَّيطانُ: إنَّ الْمَسيحَ قَد خَلَفَكم في أهْلِيكم، فيَخرُجونَ، وذلك باطِلٌ، فإذا جاؤوا الشَّأمَ خَرجَ، فبينَما هم يُعِدُّونَ للقِتالِ يُسَوُّونَ الصُّفوفَ إذ أقيمَتِ الصَّلاةُ، فيَنزِلُ عيسى بنُ مَريَمَ ﷺ فأَمَّهم، فإذا رَآه عَدوُّ اللهِ ذابَ كما يَذوبُ الْمِلحُ في الْماءِ، فلَو تَركَه لانذابَ حَتَّى يَهلِكَ، ولَكِن يَقتُلُه اللهُ بيدِه، فيُريهم دَمَه في حَرْبَتِه}[3].

وعَنِ النَّواسِ بن سَمعانَ رَضِيَ الله عنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: {فَيَنْزِلُ (عيسى بن مريم) عِنْدَ المَنَارَةِ البَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ، بيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ، وَاضِعًا كَفَّيْهِ علَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ، إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ، وإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ منه جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ، فلا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ إِلَّا مَاتَ، وَنَفَسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ، فَيَطْلُبُهُ حتَّى يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدٍّ، فَيَقْتُلُهُ}[4].

قال علي القاري: {فيَطلُبُه} أي: يَطلُبُ عيسى عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ الدَّجَّالَ {حَتَّى يُدرِكَه ببابِ لُدٍّ}: بضَمِّ لامٍ وتَشديدِ دالٍ، مَصروفٌ: اسمُ جَبَلٍ بالشَّامِ، وقيلَ: قَريَةٌ من قُرى بَيتِ الْمَقدِسِ[5].

---

[1] قال النووي: (الأعماقُ ودابق موضعان بالشَّامِ بقُربِ حَلَب). ((شرح مسلم)) (18/ 21).

[2] قال ياقوت: (كانت رومية دار ملك الروم، وكان بها منهم تسعة عشر ملكًا... ثم ملك أيضًا برومية قسطنطين الأكبر، ثم انتقل إلى بزنطية وبنى عليها سورًا وسمَّاها قسطنطينية، وهي دار ملكهم إلى اليوم، واسمها إصطنبول، وهي دار ملك الروم، بينها وبين بلاد المسلمين البحرُ المالح، عمَّرها ملكٌ من ملوك الروم يقال له قُسطنطين فسُمِّيت باسمه، والحكايات عن عِظَمِها وحُسْنِها كثيرةٌ، ولها خليج من البحر يطيف بها من وجهين ممَّا يلي الشرق والشمال، وجانباها الغربي والجنوبي في البر). ((معجم البلدان)) (4/347).

[3] أخرجه مسلم (2897).

[4] أخرجه مسلم (2937) مُطوَّلًا.

[5] يُنظر: ((مرقاة المفاتيح)) (8/ 3462).

﴿فائدة﴾

﴿كيف نُعصم من الدجال﴾

عن النَّوَّاسِ بنِ سِمْعانَ رَضِيَ الله عنه، قال: {ذَكَرَ رَسولُ اللهِ ﷺ الدجَّالَ ذات غَداةٍ...، وفيه أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: فمَن أدْرَكه منكم، فليَقْرأْ عليه فواتحَ سورةِ الكهفِ}[1].

وعن أبي الدَّرداءِ رَضيَ اللهُ عنه، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: {مَن حَفِظَ عَشرَ آياتٍ مِن أوَّلِ سُورةِ الكَهفِ، عُصِمَ مِن الدجَّالِ}[2].

وعليه فحفظ عشر آيات من أول سورة الكهف، تعصم من الدجال، وكذا إذا لقي المسلم الدجال، يقرأ عليه فواتح سورة الكهف، وهي عشر آيات المذكورة.

وهي:

﴿أَعوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيطانِ الرَّجيمِ﴾

﴿بِسمِ اللهِ الرَّحمٰنِ الرَّحيمِ﴾

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۜ ﴿1﴾ قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿2﴾ مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿3﴾ وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴿4﴾ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ۚ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿5﴾ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿6﴾ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿7﴾ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿8﴾ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴿9﴾ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿10﴾﴾

---

[1] أخرجه مسلم (2937).

[2] أخرجه مسلم (809).

اتفق أهل العلم على أنَّ البأس الشديد المذكور في أوَّل الآية هو عذاب الله تعالى، وأقول: لعلَّ البأس الشديد المذكور في الآية هو فتنة الدجَّال لعلاقة أحاديث حفظ وقراءة عشر الآيات الأوَّل من سورة الكف عليه، والله أعلم.



ملاحظة:

لعلَّ الدجَّال في أوَّل أمره يدَّعي أنه عالم من علماء الشريعة، فإذا التفَّ الناس من حوله، استدرجهم إلى عقيدة الحلول والاتحاد، التي يقول بها بعض غلاة الصوفية، وهم كثر، فإذا انقادوا إلى ذلك، استدرجهم إلى عقيدة الثالوث النصرانية، بأن يصححها، وهذا لم يعد صعبا بعد اتفاقهم على عقيدة الحلول والاتحاد، ولكن بأن يقول أنَّ الله حلَّ في عيسى، أو أنَّ عيسى جزء من الله تعالى، كما يقول بعض غلاة الصوفية، وهو أنهم من الله تعالى ولكنَّ الذنوب أبعدتهم عن أصلهم الحقيقي وهو ذات الله، فلمَّا طهّروا أنفسهم بالذكر والزهد، عادوا إلى أصلهم الحق وهو ذات الله تعالى، فهم الله والله هم، لذلك قال بعضهم مخاطبا الله تعالى: سبحانك سبحاني، سبحانك ما أعظم شأني، وقال آخر: ليس تحت الجبة إلا الله، وكل هذا معلوم عند أهل العلم، فإن أقرُّوا عقيدة الحلول والاتحاد، فلم يعد هنالك مشكل في إثبات أنَّ عيسى من الله تعالى، فالله عيسى وعيسى هو الله، ككل إنسان طهَّر نفسه، ولكنَّ قوَّة الاتصال تكون بقوَّة الذكر والتطهير، ولا شكَّ أنَّ عيسى أطهر الناس، ولعلَّه يدعي تصحيح عقيدة الثالوث النصرانية أيضا، وذلك بحذف الثالث وهو جبريل، فيميل له الجهال في ذلك، فيأتيه علماء أهل السنة فيناظرونه، فيغلبونه، أو يضربونه، فيغضب، وحينها يدعي أوَّل ما يدعي أنه نبي الله عيسى، وأنَّ روح عيسى حلَّت به، مثلما ادعى الميرزا غلام أحمد القادياني، أنه مثيل نبي الله عيسى، ثمَّ بعد سنوات ادعى أنه هو المقصود بعيسى النازل آخر الزمان، فيصدق الدجال من كان معه على عقيدة الحلول والاتحاد، ويخرج فيدعوا الناس إلى الإيمان بنبوَّته ومن ذلك حلول الله فيه، واتحاده معه، فهو الله والله هو، فيبدأ بادئ الأمر باللين، فيدعوا الناس فمن تبعه وآمن به، فتحت له أبواب الخير، ومن كفر به اشتدَّ فقره وهمَّه، فإذا ما حاربه أهل السنة، أعلن عليهم الحرب، فيخرج فلا يترك موطئا في الأرض إلا وطأه إلا مكة والمدينة، فيتَّبعه خلق كثير وهم على أجناس، منهم من اتبعه تصديقا له، ومنهم من تبعه للضرورة؛ لأنَّ في زمنه يكثر الجوع والفقر والقحط، ومنهم من تبعه خوفا منه وتقيَّة، ولا أدري ما حكم المضطرِّ، أو حكم التقية، في عصره، ثم ينزل عيسى فيقتله، والله أعلم.

﴿الفرع الثاني﴾

﴿نزول عيسى ﷺ﴾

وفيه عشرة وجوه:

1 – ثبوت نزول عيسى ﷺ.

2 – موضع نزول عيسى ﷺ.

3 – صفة نزول عيسى ﷺ.

4 – وقت نزول عيسى ﷺ.

5 – المهدي.

6 – أول عمل يعمله عيسى ﷺ بعد نزوله.

7 – طبيعة الحياة في عهد عيسى ﷺ.

8 – مدة حياة عيسى ﷺ بعد نزوله.

9 – القحطاني.

10 – الجهجاه.



﴿الوجه الأول﴾

﴿الإيمان بنزول عيسى ﷺ﴾

وهو التصديق الجازم بأنه عائد إلى الأرض آخر الزمان، حاكما عادلا على شريعة محمد ﷺ،

قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ ۚ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾[الزخرف: 61].

قال كل أهل التفسير منهم البَغَويُّ: وَإِنَّهُ يَعني عيسى عليه السَّلامُ، لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ يَعني: نُزولُه من أشراطِ السَّاعةِ يُعلَمُ به قُربُها، وقَرَأ ابنُ عَبَّاسٍ وأبو هُرَيرةَ وقَتادةُ: ((وإنَّه لَعَلَمٌ للسَّاعةِ)) – بفَتحِ اللَّامِ والعينِ– أي: أمارةٌ وعَلامةٌ[1].

وقال اللهُ سُبحانَه: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾[النساء: 159]، **قال البغوي: أي: وما مِن أهلِ الكِتابِ إلَّا لَيُؤمِنَنَّ بعيسى عليه السَّلامُ، وهو قَولُ أكثَرِ الْمُفَسِّرين وأهلِ العِلمِ، وقَولُه: {قَبْلَ مَوْتِهِ} اختَلَفوا في هَذِه الكِنايةِ، فقال عَكرِمةُ ومُجاهِدٌ والضَّحاكُ والسُّدِّيُّ: إنَّها كِنايةٌ عَنِ الكِتابي، ومَعناه: وما من أهلِ الكِتابِ أحَدٌ إلَّا لَيُؤمِنَنَّ بِعيسى عليه السَّلامُ قَبلَ موتِه،... وذَهَب قَومٌ إلى أنَّ الهاءَ في موتِه كِنايةٌ عَن عيسى عليه السَّلامُ، مَعناه: وإن من أهلِ الكِتابِ إلَّا لَيُؤمِنَنَّ بعيسى قَبلَ مَوتِ عيسى عليه السَّلامُ، وذلك عِندَ نُزولِه مِنَ السَّماءِ في آخِرِ الزَّمانِ، فلا يَبقى أحَدٌ إلَّا آمَنَ به حَتَّى تَكونَ الْمِلَّةُ واحِدةً، مِلَّةُ الإسلامِ[2].**

وقال ابنُ كثيرٍ بَعدَ أن ساقَ أدِلَّةً كثيرةً في نُزولِ عيسى بن مَريَمَ عليه السَّلامُ: فهَذِه أحاديثُ مُتَواتِرةٌ عَن رَسولِ اللهِ ﷺ من رِوايةِ أبي هُرَيرةَ، وابنِ مَسعودٍ، وعُثمانَ بن أبي العاصِ، وأبي أُمامةَ، والنَّواسِ بن سَمعانَ، وعَبدِ اللهِ بن عَمرِو بنِ العاصِ، ومجمع بنِ جارِيةَ وأبي سريحةَ وحُذَيفةَ بنِ أُسيدٍ، رَضِيَ اللهُ عَنهم، وفيها دَلالةٌ على صِفةِ نُزولِه ومَكانِه، من أنَّه بالشَّامِ، بَل بِدِمَشْقَ، عِندَ الْمَنارةِ الشَّرقيَّةِ، وأنَّ ذلك يَكونُ عِندَ إقامةِ الصَّلاةِ للصُّبحِ، وقَد بُنِيَت في هَذِه الأعصارِ في سَنَةِ إحدى وأربَعينَ وسَبعِمِائةٍ مَنارةٌ للجامِعِ الأمويِّ بَيضاءُ، من حِجارةٍ مَنحوتةٍ،

---

[1] يُنظر: ((تفسير البغوي)) (4/ 166).

[2] يُنظر: ((تفسير البغوي)) (1/ 719).

عِوَضًا عَنِ الْمَنارةِ الَّتي هُدِمَت بسَبَبِ الحَريقِ الْمَنسوبِ إلى صَنيعِ النَّصارى –عليهم لعائِنُ اللهِ الْمُتَتابِعةُ إلى يَومِ القيامةِ– وكان أكثَرُ عِمارَتِها من أموالِهم، وقَويَتِ الظُّنونُ أنَّها هيَ الَّتي يَنزِلُ عليها الْمَسيحُ عيسى بنُ مَريَم... فلا يَقبَلُ إلَّا الإسلامَ، كما تَقَدَّم في الصَّحيحينِ[1]، وهذا إخبارٌ مِنَ النَّبيِّ ﷺ بذلك، وتَقريرٌ وتَشريعٌ وتَسويغٌ لَه على ذلك في ذلك الزَّمانِ؛ حَيثُ تَنزاحُ عِلَلُهم، وتَرتَفِعُ شُبَهُهم من أنفُسِهم؛ ولِهذا كُلُّهم يَدخُلونَ في دينِ الإسلامِ مُتابَعةً لعيسى عليه السَّلامُ، وعلى يَدَيه؛ ولِهذا قال تعالى: ﴿ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾[النساء: 159][2].

وعَن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ الله عَنه قال: قال رَسولُ الله ﷺ: {والذي نَفسي بيدِه، ليوشِكَنَّ أن يَنزِلَ فيكم ابنُ مَريَم حَكَمًا عَدلًا، فيَكسِرَ الصَّليبَ، ويَقتُلَ الخِنزيرَ، ويَضَعَ الجِزْيةَ، ويَفيضَ الْمالُ حَتَّى لا يَقبَلَه أحَدٌ، حَتَّى تَكونَ السَّجدةُ الواحِدةُ خَيرًا مِنَ الدُّنيا وما فيها، ثُمَّ يَقولُ أبو هُرَيرةَ: واقرَؤوا إنْ شِئتُم: ﴿ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ [النساء: **159**]}[3].

قال ابنُ حَجَرٍ: قَولُه: {فيَكسِرَ الصَّليبُ ويَقتُلَ الخِنزيرَج} أي: يُبْطِلَ دينَ النَّصرانيَّةِ بأن يَكسِرَ الصَّليبَ حَقيقةً ويُبْطِلَ ما تَزعُمُه النَّصارى من تَعظيمِه... قَولُه... {ويَضَع الجِزْيةَ} والمَعنى: أنَّ الدِّينَ يَصيرُ واحِدًا فلا يَبقى أحَدٌ من أهلِ الذِّمَّةِ يُؤَدِّي الجِزْيةَ...قَولُه {ويَفيضَ الْمالُ}...، أي: يَكثُرَ،... وسَبَبُ كثرَتِه نُزولُ البَرَكاتِ وتَوالي الخيراتِ بسَبَبِ العَدْلِ وعَدَمِ الظُّلمِ، وحينَئِذٍ تُخرِجُ الأرضُ كُنوزَها وتَقِلُّ الرَّغَباتُ في اقتِناءِ الْمالِ لعِلمِهم بقُربِ السَّاعةِ، قَولُه: {حَتَّى تَكونَ السَّجدةُ الواحِدةُ خَيرًا مِنَ الدُّنيا وما فيها} أي: إنَّهم حينَئِذٍ لا يَتَقَرَّبونَ إلى الله إلَّا بالعِبادةِ لا

---

[1] أخرجه البخاري (2222)، ومسلم (155) بمعناه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. ولفظه: ((..ويَقتلُ الخِنزيرَ ويَضَعُ الجِزية ويَفيضُ المالُ حتى لا يقبَلَه أحدٌ)) قوله: "فيَضَع الجِزيةَ" أي: لا يقبَلُها ولا يقبَلُ من الكُفَّارِ إلا الإسلامَ.

[2] يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (2/ 464).

[3] أخرجه البخاري (3448) واللَّفظُ له، ومسلم (155).

بالتَّصَدُّقِ بالمالِ، وقيلَ: مَعناه أنَّ النَّاسَ يَرغَبونَ عَنِ الدُّنيا حَتَّى تَكونَ السَّجدةُ الواحِدةُ أحَبَّ إليهم مِنَ الدُّنيا وما فيها[1].



[1] يُنظر: ((فتح الباري)) (6/ 491).

﴿الوجه الثاني﴾

﴿موضع نزول عيسى ﷺ﴾

عَنِ النَّواسِ بنِ سَمعانَ رَضِيَ الله عَنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: {فَيَنْزِلُ عِنْدَ المَنَارَةِ البَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ}[1].

قال ابنُ رَسلان: {يَنزِلُ عيسى بنُ مَريَم} صَلَواتُ الله عليه {عِندَ الْمَنارةِ} بفَتحِ الْميمِ، وهيَ الَّتي يُؤذَّنُ عليها[2].

وقال النَّوَويُّ: هَذِه الْمَنارةُ مَوجودةٌ اليَومَ شَرقِيَّ دِمَشْقَ[3].

وقال ابنُ كثيرٍ: قَد جُدِّدَ بِناءُ مَنارةٍ في زَمانِنا في سَنةِ إحدى وأربَعينَ وسَبعِمِائةٍ، من حِجارةٍ بِيضٍ، من أموالِ النَّصارى الذينَ حَرَقوا الْمَنارةَ الَّتي كانت مَكانَها، ولَعَلَّ هذا يَكونُ من دَلائِلِ النُّبوَّةِ الظَّاهِرةِ؛ حَيثُ قَيَّضَ اللهُ بناءَ هَذِه الْمَنارةِ البَيضاءِ من أموالِ النَّصارى؛ لِيَنزِلَ عيسى بنُ مَريَم عليها، فيَقتُلَ الخِنزيرَ، ويَكسِرَ الصَّليبَ، ولا يَقبَلَ مِنهم جِزْيةً، ومَن لَم يُسلِمْ قَتَلَه، وكَذلك يَكونُ حُكمُه في سائِرِ كُفَّارِ أهلِ الأرضِ يومَئِذٍ، فإنَّه لا يَبقى حُكمٌ في أهلِ الأرضِ إلَّا لَه، وهذا من بابِ الإخبارِ عَنِ الْمَسيحِ بذلك، فإنَّ الله قَد سوَّغَ لَه ذلك، وشَرعَه لَه، فإنَّه إنَّما يَحكُم بمُقتَضى هَذِه الشَّريعةِ الْمُطَهَّرةِ[4].



---

[1] أخرجه مسلم (2937) مُطوَلًا.

[2] يُنظر: ((شرح سنن أبي داود)) (17/ 156).

[3] يُنظر: ((شرح مسلم)) للنووي (18/ 67).

[4] يُنظر: ((البداية والنهاية)) (19/ 229).

﴿الوجه الثالث﴾

﴿صفة نزول عيسى ﷺ﴾

عَنِ النَّواسِ بنِ سَمعانَ رَضِيَ الله عنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال في حَديثٍ طَويلٍ عَنِ الْمَسيحِ الدَّجَّالِ: {فبينَما هو كذلك إذ بَعَثَ الله الْمَسيحَ ابنَ مَريَمَ، فيَنزِلُ عِندَ الْمَنارةِ البَيضاءِ شَرقيَّ دِمشْقَ، بينَ مَهرودَتينِ، واضِعًا كفَّيه على أجنِحةِ مَلَكينِ، إذا طَأطَأَ رَأسَه قَطرَ، وإذا رَفَعَه تَحدَّرَ مِنه جُمانٌ كاللُّؤْلُؤِ، فلا يَحِلُّ لكافِرٍ يَجِدُ ريحَ نَفَسِه إلَّا مات، ونَفَسُه يَنتَهي حَيثُ يَنتَهي طَرْفُه، فيَطلُبُه حَتَّى يُدرِكَه ببابِ لُدٍّ، فيَقتُلُه، ثُمَّ يَأتي عيسى بنَ مَريَمَ قَومٌ قَد عَصَمَهم اللهُ مِنه، فيَمسَحُ عَن وُجوهِهم ويُحدِّثُهم بدَرَجاتِهم في الجَنَّةِ}[1].

قال أبو العَبَّاس القُرطُبيُّ: قَولُه: {بينَ مَهرودَتينِ}... هَرَدْتُ الثَّوبَ: شَقَقْتُه، والهِرْدى على وزنِ فِعْلى، بكَسرِ الهاءِ: نَبتٌ يُصبَغُ به، وثوبٌ مَهرودٌ، أي: صِبغٌ أصفَرُ، ولَمَّا كان هذا هو الْمَعروفَ في اللُّغةِ اختَلَفَ الشَّارِحونَ في هذا اللَّفظِ في هذا الحَديثِ؛ فقيلَ: إنَّ عيسى عليه السَّلامُ يَنزِلُ في شقَّتي ثوبٍ، والشقَّةُ نِصفُ الْملاءةِ، أو في حُلَّتين، مَأخوذٌ مِنَ الهَردِ، وهو القَطْعُ والشَّقُّ، وقال أكثَرُهم: في ثوبينِ مَصبوغينِ بالصُّفرةِ، وكَأنَّه الذي صُبِغَ بالهِرْدى... والأَصَحُّ: قَولُ الأكثَرِ، ويَشهَدُ لَه ما قَد وقَعَ في بَعضِ الرِّواياتِ بَدَلَ مَهرودَتين: مُمصَّرَتين والمُمصَّرةِ مِنَ الثِّيابِ هيَ الْمَصبوغةُ بالصُّفرةِ. واللهُ تعالى أعلَمُ. وقَولُه: {إذا طَأطَأَ رَأسَه قَطرَ} أي: إذا خَفَضَ رَأسَه سالَ مِنه ما يَعني به العَرَقَ، وهذا نَحوٌ ممَّا قال في الحَديثِ الذي تَقَدَّم: يَقْطُرُ رَأسُه ماءً، كأنَّما خَرَجَ من ديماسٍ، يَعني: الحَمَّامَ. وقَولُه: {إذا رَفَعَه تَحدَّرَ مِنه جُمانٌ كاللُّؤْلُؤِ} الجُمانُ: ما استَدارَ مِنَ اللُّؤلُؤِ والدُّرِّ، ويُستَعارُ لكُلِّ ما استَدارَ مِنَ الحُليِّ... شَبَّه قَطَراتِ العَرَقِ بمُستَديرِ الجَوهَرِ، وهو تَشبيهٌ واقِعٌ، وقَولُه: {فلا يَحِلُّ لكافِرٍ يَجِدُ ريحَ نَفَسِه إلَّا مات} الرِّوايةُ: لا يَحِلُّ، بكَسرِ الحاءِ، مَعناه: يَحِقُّ ويَجِبُ، وهو من نَحوِ قَولِه تعالى: ﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [الأنبياء: 95]، أي: واجِبٌ ذلك ولازِمٌ، وقيلَ: مَعناه: لا يُمكِنُ، وفي بَعضِ الرِّواياتِ عَنِ ابنِ الحذاءِ: فلا يَحِلُّ لكافِرٍ يَجِدُ نَفَسَ ريحِه، ووَجهُه بَيِّنٌ، وأمَّا من أخرجه يَحُلُّ -بضَمِّ

---

[1] أخرجه مسلم (2937) مُطوَّلًا.

الحاءِ– فلَيسَ بشَيءٍ، إلَّا أن يَكونَ بَعدَه: بكافِرٍ، بالباءِ، فيَكونَ لَه وَجهٌ. وقَولُه: {ونَفَسُه يَنتَهي حَيثُ يَنتَهي طَرْفُه} نَفَسُه: بفَتحِ الفاءِ، وطَرْفُه –بسُكونِ الرَّاءِ– وهو عَينُه، ويَعني بذلك أنَّ الله تعالى قوَّى نَفَسَ عيسى عليه السَّلامُ حَتَّى يَصِلَ إلى الْمَحَلِّ الذي يَصِلُ إليه إدراكُ بَصَرِه،

فمَعناه: أنَّ الكُفَّارَ لا يَقْرَبونَه، وإنَّما يَهلِكونَ عِندَ رُؤيَتِه ووُصولِ نَفَسِه إليهم، تَأييدٌ مِنَ الله تعالى لَه وعِصمةٌ، وإظهارُ كرامةٍ ونِعمةٍ، وقَولُه: {فيَمسَحُ عَن وُجوهِهم}... أي: يُزيلُ عَن وُجوهِهم بمَسحِه ما أصابَها من غُبارِ سَفرِ الغَزوِ ووَعْثائِه؛ مُبالَغةً في إكرامِهم وفي اللطفِ بهم، والتَّحفِّي بهم، وقيلَ: مَعناه يَكشِفُ ما نَزَلَ بهم مِنَ الخَوفِ والمِشَقَّاتِ، والأولى: الحَقيقةُ، وهذا تَوَسُّعٌ[1].

وقال علي القاري: {واضِعًا كفَّيه على أجنِحةِ مَلَكينِ: حالٌ لبَيانِ كيفيَّةِ إنزالِه، كما أنَّ ما قَبلَه حالٌ لبَيانِ كيفيَّةِ لُبسِه وجَمالِه، ثُمَّ بيَّنَ لَه حالةً أخرى بقَولِه: {إذا طَأطَأ} بهَمزَتين أي: خَفَضَ، {رَأسَه قَطرَ} أي: عَرِقَ {وإذا رَفَعَه} أي: رَأسَه {تَحَدَّرَ}: بتَشديدِ الدَّالِ، أي: نَزَلَ {مِنه} أي: من شَعرِه قَطَراتٌ نُورانيَّةٌ {مِثلُ الجُمَانِ}: بضَمِّ الجيمِ وتَخفيفِ الْميمِ وتُشَدَّدُ: حَبٌّ يُتَّخَذُ مِنَ الفِضَّةِ، {كاللُّؤلُؤِ} أي: في الصَّفاءِ والبَياضِ[2].



[1] يُنظر: ((المفهم)) للقرطبي (7/ 282-284).

[2] يُنظر: ((مرقاة المفاتيح)) (8/ 3462).

﴿الوجه الرابع﴾

﴿وقت نزول عيسى ﷺ﴾

ينزل عيسى وقت صلاة الفجر والناس صفوف في وقت إقامة الصلاة، وهم يتجهزُّون لقتال الدجال، فيقول إمامهم المهدي تعال صلِّ لنا، فيرفض المسيح ابن مريم ويصلي خلف إمامهم، فعَن جابِرِ بنِ عَبد الله رَضِيَ الله عَنهما عَنِ النَّبيِّ ﷺ قال: {لا تَزالُ طائِفةٌ من أمتي يُقاتِلونَ على الحَقِّ ظاهِرينَ إلى يَومِ القيامةِ. قال: فيَنزِلُ عيسى بنُ مَريَمَ ﷺ، فيَقولُ أميرُهم: تَعالَ صَلِّ لَنا، فيَقولُ: لا، إنَّ بَعضَكم على بَعضٍ أُمَراءُ؛ تَكرِمةَ اللهِ هَذِه الأمَّة[1].

قال علي القاري: ({فيَنزِلُ عيسى بنُ مَريَمَ فيَقولُ أميرُهم} أيِ: الْمَهديُّ {تعالَ} بفَتحِ اللَّامِ، أيِ: احضرْ وتَقَدَّمْ، و{صَلِّ} بَدَلٌ أوِ استِئنافُ بَيانٍ، والمَعنى: أُمَّ {لَنا} أي: في صَلاتِنا، فإنَّ الأولى بالإمامةِ هو الأفضَلُ، وأنتَ النَّبيُّ صَلى اللهُ تعالى عليه وسَلَّمَ الرَّسولُ الأكمَلُ، وفي رِوايةٍ: {تَعالُ فصلِّ لَنا}، {فيَقولُ: لا} أي: لا أصيرُ إمامًا لكم؛ لئَلَّا يُتَوَهَّمَ بإمامَتي لَكم نَسْخُ دينِكم، وقيلَ: تَعَلَّلَ بأنَّ هَذِه الصَّلاةَ أقيمَت لإمامِكم، فهو أَولى بها، لَكِن يُؤَيِّدُ الأوَّلَ إطلاقُ قَولِه: {إنَّ بَعضَكم على بَعضٍ أُمَراءُ} أي: دينيَّة أو دُنيويَّة، وإنَّ على الإعانةِ الْمَعيَّة {تَكرِمةَ الله هَذِه الأمَّة} أي: إكرامًا مِنه سُبحانَه لهَذِه الجَماعةِ الْمُكَرَّمةِ[2].



---

[1] أخرجه مسلم (156).

[2] يُنظر: ((مرقاة المفاتيح)) (8/ 3495).

﴿الوجه الخامس﴾

﴿المهدي﴾

عن علي بن أبي طالب: عن النبي ﷺ: {المَهديُّ منَّا أَهلَ البيتِ، يصلحُهُ اللَّهُ في ليلةٍ}[1].

يُصْلِحُه اللهُ في ليلةٍ"، أي: يُصْلِحُ أمرَه ويرفَعُ قدْرَه في ليلةٍ واحدةٍ، أو في ساعةٍ واحدةٍ مِن " اللَّيلِ، حيث يتَّفقُ على خِلافتِه أهلُ الحَلِّ والعَقْدِ فيه، وقيل: وهو أنَّ المهديَّ يَتفضَّلُ اللهُ عليه بتعليمِه وإرشادِه وتَوفيقِه ويتوبُ عليه في ليلةٍ.

والمهدي من آل بيت رسول الله ﷺ.

فعَن عليٍّ رَضِيَ الله عنه عَنِ النَّبيِّ ﷺ قال: {لَو لَم يَبقَ مِنَ الدَّهرِ إلَّا يومٌ، لَبَعثَ اللهُ رَجُلًا من أهلِ بيتي يَملَؤُها عَدْلًا كما مُلِئَت جَورًا}[2].

والمهدي يوافق اسمه اسم النبي ﷺ واسم أبيه اسم أبي النبي ﷺ، فاسمه: محمد بن عبد الله.

فعن عبد الله بن مسعود، عن النبي ﷺ قال: {لا تقومُ الساعةُ حتى يملِكَ [الناسَ] رجلٌ من أهلِ بَيْتي، يُواطِئُ اسمُه اسمي، واسمُ أبيه اسمَ أبي، فيملأُها قِسطًا وعَدلًا}[3].

وقد تأوَّل قوم هذا الخبر وقالوا إنَّ للنبي ﷺ أسماء كما في الحديث: {إنَّ لي أسماءً: أنا محمدُ، وأنا أحمدُ، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفرَ، وأنا الحاشرُ الذي يُحشَرُ الناسُ على قَدَمي، وأنا العاقبُ، والعاقبُ الذي ليس بعده نبيٌّ}[4].

فهو في واحد من هذه الأسماء الخمس، كما تأوّلوا اسم أبيه، فرفعوه إلى نبي الله إبراهيم ﷺ لقوله تعالى: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الحج: 78]، ومن المعلوم أنَّ والدي النبي ﷺ ماتا على

---

[1] أخرجه ابن ماجه (4085)، وأحمد (645) وحسنه الألباني.

[2] أخرجه أبو داود (4283) واللَّفظُ له، وأحمد (773). صحَّحه الألباني في ((صحيح سنن أبي داود)) (4283)، وصحَّح إسنادَه أحمد شاكر في ((مسند أحمد)) (118/2)، وشعيب الأرناؤوط في تخريج ((سنن أبي داود)) (4283)، وقال الذهبي في ((تلخيص العلل المتناهية)) (316): إسناده صالح ، وقال البزار في ((البحر الزخار)) (134/2): لا نعلمه يُروى بإسناد أحسن من هذا الإسناد.

[3] أخرجه أبو داود (4282) باختلاف يسير، والترمذي (2230)، وأحمد (3571) مختصراً باختلاف يسير

[4] أخرجه البخاري (4896)، ومسلم (2354) باختلاف يسير

الجاهلية، فعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلا قَالَ : {يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيْنَ أَبِي؟ قَالَ: فِي النَّارِ . فَلَمَّا قَفَّى دَعَاهُ، فَقَالَ: إِنَّ أَبِي وَأَبَاكَ فِي النَّار}[1].

واستندوا بذلك على قول الله تعالى على ابن نوح: ﴿ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ﴾ [هود: 46].

وعلى كل حال فالجماعة على أنَّ اسم المهدي هو: محمد، واسم أبيه هو: عبد الله.

والمهدي هو إمام الجماعة المنصورة، فينزل عيسى ﷺ والمهدي وأتباعه يأهبوزن لقتال الدجال (قيل بعد صلاة الفجر) فهم صفوف للصلاة فينزل فيهم عيسى، فيتأخر المهدي، فيقدمه عيسى كما سبق في الحديث.



[1] مسلم (**203**).

﴿الوجه السادس﴾

﴿ أول عمل يعمله عيسى ﷺ بعد نزوله﴾

أول عمل يقول به رسول الله عيسى هو قتل الدجال وقد سبق ذكره في مبحث نهاية الدجال، وفي الحديث عن النَّواسِ بن سَمعانَ رَضِيَ الله عَنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: {فَيَنْزِلُ عِنْدَ المَنَارَةِ البَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ، بيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ، وَاضِعًا كَفَّيْهِ علَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ، إذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ، وإذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ منه جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ، فلا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ إِلَّا مَاتَ، وَنَفَسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ، فَيَطْلُبُهُ حتَّى يُدْرِكَهُ ببَابِ لُدٍّ، فَيَقْتُلهُ}[1].

وفي رواية أبي هريرة: {فبينَما هم يُعِدُّونَ للقِتالِ يُسَوُّونَ الصُّفوفَ إذ أقيمَتِ الصَّلاةُ، فيَنزِلُ عيسى بنُ مَريَم ﷺ فأمَّهم، فإذا رَآه عَدوُّ اللهِ ذابَ كما يَذوبُ الْمِلحُ في الْماءِ، فلَو تَركَه لانذابَ حَتَّى يَهلِكَ، ولكِن يَقتُلُه اللهُ بيدِه، فيُريهم دَمَه في حَرْبَتِه}[2].



[1] أخرجه مسلم (2937) مُطَولًا.

[2] أخرجه مسلم (2897).

﴿الوجه السابع﴾

﴿طبيعة الحياة في عهد عيسى ﷺ﴾

عَهْدُ عيسى عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ يَبتَدِئُ كما تَقَدَّم بقَتْلِ الْمَسيحِ الدَّجَّالِ، ثُمَّ بالدُّعاءِ على يَأجُوجَ ومَأجوجَ، فيُهلِكُهم اللهُ تعالى وتَنتَهي شُرورُهم.

ويَعُمُّ في زَمَنِه الأمنُ والأمان؛ فلا خَوفَ ولا عُدْوان.

عَن عَبدِ اللهِ بنِ عَمرٍو رَضِيَ الله عَنهما قال: قال رَسولُ الله ﷺ: {يَخرُجُ الدَّجَّالُ في أمَّتي فيَمكُثُ أربَعينَ، لا أدري: أربَعينَ يومًا، أو أربَعينَ شَهرًا، أو أربَعينَ عامًا، فيَبعَثُ اللهُ عيسى بنَ مَريمَ كأنَّه عُروةُ بنُ مَسعودٍ، فيَطلُبُه فيُهلِكُه، ثُمَّ يمكُثُ النَّاسُ سبعَ سنينَ، ليسَ بين اثنينِ عَداوةٌ}[1].

قال أبو العَبَّاس القُرطُبيُّ في حَديثِ {إذا اقترَبَ الزَّمانُ لَم تَكَدْ رُؤيا الْمُسْلِمِ تَكذِبُ}: ويَعني – واللهُ أعلَمُ – بآخِرِ الزَّمانِ الْمَذكورِ في هذا الحَديثِ: زَمانَ الطَّائِفةِ الباقيةِ مَعَ عيسى عليه السَّلامُ بَعدَ قَتلِه الدَّجَّالَ الْمَذكورَ في حَديثِ عَبدِ اللهِ بنِ عَمرٍو، الذي قال فيه: فيَبعَثُ اللهُ عيسى بنَ مَريَم، ثُمَّ يَمكُثُ في النَّاسِ سَبعَ سِنينَ لَيسَ بينَ اثنين عَداوةٌ، ثُمَّ يُرسِلُ اللهُ ريحًا بارِدةً من قِبَلِ الشَّامِ، فلا تُبقي على وجهِ الأرضِ أحَدًا في قَلبِه مِثقالُ ذَرَّةٍ من خَيرٍ أو إيمانٍ إلَّا قَبَضَتْه، فكان أهلُ هذا الزَّمانِ أحسَنَ هَذِه الأمَّة بَعدَ الصَّدرِ الْمُتَقَدِّمِ حالًا، وأصدَقَهم أقوالًا، وكانت رُؤياهم لا تَكذِبُ[2].

وعَن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ الله عَنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال عَمَّا يَكونُ من شَأنِ عيسى عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ بَعدَ نُزوله: {ويُرجِعُ السَّلْمَ، ويَتَّخِذُ السُّيوفُ مَناجِلَ، وتَذهَبُ حُمَةُ كُلِّ ذاتِ حُمَةٍ، وتُنزِلُ السَّماءُ رِزْقَها، وتُخرِجُ الأرضُ برَكَتَها، حَتَّى يَلعَبَ الصَّبيُّ بالثُّعبانِ فلا يَضُرُّه، ويُراعي الغَنَمَ

---

[1] أخرجه مسلم (2940) مُطَولًا.

[2] يُنظر: ((المفهم)) للقرطبي (6/ 11).

الذِّئبُ فلا يَضُرُّها، ويُراعي الأسَدُ البَقَرَ فلا يَضُرُّها}[1].
قال الخَطابيُّ: قَولُه: {يَتَّخِذُ السُّيوفَ مَناجِلَ} يُريدُ أنَّ النَّاسَ يَترُكونَ الجِهادَ، ويَشتَغِلونَ بالحَرْثِ والزِّراعةِ[2]. اهـ
وهذا لأنَّ الناس كلهم مسلمون فلم يعد للجهاد حاجة.
ويَكونُ عَهدُه زَمانَ خَيراتٍ وبَرَكاتٍ.
فعَن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ الله عَنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال عَن عَهدِ عيسى ﷺ: {ويَفِيضُ المالُ حتَّى لا يَقْبَلَهُ أحَدٌ}[3].
قال النَّوَويُّ: قَولُه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: {ويَفيضُ الْمالُ} فهو بفَتحِ الياءِ، ومَعناه: يَكثُرُ وتَنزِلُ البَرَكاتُ وتَكثُرُ الخَيراتُ بسَبَبِ العَدْلِ وعَدَمِ التَّظالُمِ وتَقيءُ الأرضُ أفلاذَ كَبِدِها كما جاءَ في الحَديثِ الآخَرِ[4]، وتَقِلُّ أيضًا الرَّغَباتُ لقِصَرِ الآمالِ وعِلمِهم بقُربِ السَّاعةِ؛ فإنَّ عيسى ﷺ عَلَمٌ من أعلامِ السَّاعةِ، واللهُ أعلَمُ[5].
وقال السَّمعانيُّ: قَولُه تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ [الصف: 9]، أي: على الأديانِ كُلِّها، ومِنَ الْمَشهورِ أنَّ عيسى عليه السَّلامُ يَنزِلُ مِنَ السَّماءِ، ويَكسِرُ الصَّليبَ، ويَقتُلُ الخِنزيرَ، ولا يَبقى يَهوديٌّ ولا نَصرانيٌّ إلَّا أسلَمَ، وحينَئِذٍ تَضَعُ الحَربُ أوزارَها، ويَفيضُ الْمالُ حَتَّى لا يَقبَلَه أحَدٌ[6].
وبه قال الطبري، والقرطبي.

---

[1] أخرجه أحمد (10261)، وابن عساكر في ((تاريخ دمشق)) (47/496) مُطَوَلًا. صحَّحه شعيب الأرناؤوط في تخريج ((مسند أحمد)) (10261)، وجود إسناده وقواه ابن كثير في ((نهاية البداية والنهاية)) (1/169). وأخرجه من طريق آخر بنحوه: أحمد (9632)، والطيالسي (2698)، وابن حبان (6814). صحَّحه ابن حبان، وشعيب الأرناؤوط في تخريج ((مسند أحمد)) (9632).
[2] يُنظر: ((غريب الحديث)) (1/ 559).
[3] أخرجه البخاري (2222)، ومسلم (155) مُطَوَلًا.
[4] أخرجه مسلم (1013) مُطَوَلًا.
[5] يُنظر: ((شرح مسلم)) للنووي (2/ 190).
[6] يُنظر: ((تفسير السمعاني)) (5/ 208).

وعَنِ النَّواسِ بن سَمعانَ رَضِيَ الله عَنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال بَعدَ ذَهابِ يَأجوجَ ومَأجوجَ وانتِهاءِ أمرِهم: {ثُمَّ يُقالُ للأرضِ: أنبِتي ثَمَرَتَكِ، ورُدِّي بَرَكَتَكِ، فيومَئِذٍ تَأكُلُ العِصابةُ مِنَ الرُّمَّانةِ، ويَستَظِلُّونَ بقِحْفِها، ويُبارَكُ في الرِّسْلِ، حَتَّى إنَّ اللِّقْحةَ مِنَ الإبِلِ لتَكفي الفِئامَ مِنَ النَّاسِ، واللِّقحةَ مِنَ البَقَرِ لتَكفي القَبيلةَ مِنَ النَّاسِ، واللِّقْحةَ مِنَ الغَنَمِ لتَكفي الفَخْذَ مِنَ النَّاسِ}[1].

قال النَّوَويُّ: قَولُه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: {تَأكُلُ العِصابةُ مِنَ الرُّمَّانةِ ويَستَظِلُّونَ بقِحْفِها} العِصابةُ الجَماعةُ، وقِحْفُها -بكَسرِ القافِ- هو مُقَعَّرُ قِشْرِها، شَبَّهَها بقِحْفِ الرَّأسِ، وهو الذي فوقَ الدِّماغِ، وقيلَ: ما انفَلَقَ من جُمجُمَتِه وانفَصَلَ.

قَولُه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: {ويُبارَكُ في الرِّسْلِ حَتَّى إنَّ اللِّقحةَ مِنَ الإبلِ لتَكفي الفِئامَ مِنَ النَّاسِ} الرِّسْلُ -بكَسرِ الرَّاءِ وإسكانِ السِّينِ- هو اللَّبَنُ، واللِّقْحةُ بكَسرِ اللَّامِ وفَتحِها لُغَتانِ مَشهورَتانِ، والكَسرُ أشهَرُ، وهيَ القَريبةُ العَهدِ بالوِلادةِ، وجَمعُها لِقَحٌ بكَسرِ اللَّامِ وفَتحِ القافِ، كبِركةٍ وبِرَكٍ، واللَّقوحُ: ذاتُ اللَّبَنِ وجَمعُها لِقاحٌ، والفِئامُ -بكَسرِ الفاءِ وبَعدَها هَمزةٌ مَمدودةٌ- وهيَ الجَماعةُ الكَثيرةُ، هذا هو الْمَشهورُ والمَعروفُ في اللُّغةِ وكُتُبِ الغَريبِ...

قَولُه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: {لتَكفي الفَخْذَ مِنَ النَّاسِ} قال أهلُ اللُّغةِ: الفَخْذُ الجَماعةُ مِنَ الأقارِبِ وهم دونَ البَطنِ، والبَطنُ دونَ القَبيلةِ، قال القاضي: قال ابنُ فارِسٍ: الفَخْذُ هنا بإسكانِ الخاءِ لا غَيرُ، فلا يُقالُ إلَّا بإسكانِها، بخِلافِ الفَخِذِ الَّتي هيَ العُضوُ؛ فإنَّها تُكْسَرُ وتُسَكَّنُ[2].



[1] أخرجه مسلم (2937) مُطَوَّلًا.

[2] يُنظر: ((شرح مسلم)) للنووي (18/ 69).

﴿الوجه الثامن﴾

﴿مدة حياة عيسى ﷺ بعد نزوله﴾

اختُلِفَ في مُدَّةِ بَقاءِ عِيسى عليه السَّلامُ في الأرضِ بَعْدَ نُزولِه في آخِرِ الزَّمانِ، فقيل: يَمكُثُ أربَعينَ عامًا. وقيلَ: سَبعةَ أعوامٍ، يَكونُ بها تَمامُ أربَعينَ سَنةً لعُمرِه؛ حَيثُ رُفِعَ على الْمَشهورِ وعُمرُه ثَلاثٌ وثَلاثونَ، والله أعلم.

عَن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ الله عَنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: {الأنبياءُ إخوةٌ لعَلَّاتٍ، أمَّهاتُهم شَتَّى ودِينُهم واحِدٌ، وإنِّي أَولى النَّاسِ بعيسى بنِ مَريَم؛ لأنَّه لَم يَكُن بَيني وبينَه نَبيٌّ، وإنَّه نازِلٌ، فإذا رَأيتُموه فاعرِفوه: رَجُلٌ مَربوعٌ إلى الحُمرةِ والبياضِ، عليه ثوبانِ مُمصَّرانِ كأنَّ رَأسَه يَقطُرُ، وإن لَم يُصِبْه بَلَلٌ، فيَدُقُّ الصَّليبَ، ويَقتُلُ الخِنزيرَ، ويَضَعُ الجِزْيةَ، ويَدعو النَّاسَ إلى الإسلامِ، فيُهلِكُ اللهُ في زَمانِه الْمِلَلَ كُلَّها إلَّا الإسلامَ، ويُهلِكُ اللهُ في زَمانِه الْمَسيحَ الدَّجَّالَ، ثُمَّ تَقَعُ الأَمَنةُ على الأرضِ حَتَّى تَرتَعَ الأُسودُ مَعَ الإبلِ، والنِّمارُ مَعَ البَقَرِ، والذِّئابُ مَعَ الغَنَمِ، ويَلعَبَ الصِّبيانُ بالحَيَّاتِ، لا تَضُرُّهم، فيَمكُثُ أربَعينَ سَنةً، ثُمَّ يُتَوَفَّى، ويُصَلِّي عليه الْمُسلِمونَ}[1].

قال ابنُ رَسلان: {فيَمكُثُ} عيسى عليه السَّلامُ {في الأرضِ أربَعينَ سَنةً} وفي مُسْنَدِ أبي داوُدَ الطَّيالِسيُّ: {يُهلِكُ اللهُ مَسيحَ الضَّلالةِ الأَعْوَرَ الكَذَّابَ، وتَقَعُ الأَمَنةُ في الأرضِ حَتَّى يَرعى الأَسَدُ مَعَ الإبلِ والنَّمِرُ مَعَ البَقَرِ والذِّئابُ مَعَ الغَنَمِ، ويَلعَبَ الصِّبيانُ بالحَيَّاتِ فلا يَضُرَّ بَعضُهم

---

[1] أخرجه مُطَوَّلًا أبو داود (4324)، وأحمد (9270) واللَّفظُ له صحَّحه ابن حبان في ((صحيحه)) (6821)، والألباني في ((صحيح سنن أبي داود)) (4324)، وشعيب الأرناؤوط في تخريج ((سنن أبي داود)) (4324) وقال: دون قوله: "فيصلي عليه المسلمون"، وصحَّح إسنادَه الحاكم في ((المستدرك)) (4163)، وأحمد شاكر في ((عمدة التفسير)) (601/1)، وجوَّد إسناده وقوَّاه ابن كثير في ((نهاية البداية والنهاية)) (171/1)، وقال الطبري في ((التفسير)) (373/3): متواتر.

بَعضًا، يَبقى في الأرضِ أربَعينَ سَنةً}[1]، {ثُمَّ يُتَوَفَّى} يموتُ، {فيَصلِّي عليه الْمُسلِمونُ} ويَدْفِنونَه[2].

قال ابنُ كثيرٍ: {فيَمكُثُ أربَعينَ سَنةً ثُمَّ يُتَوَفَّى، ويُصَلي عليه الْمُسلِمونَ} أخرجه أحمَدُ، وأبو داوُدَ، وهَكَذا وقَعَ في هذا الحَديثِ أنَّه يَمكُثُ في الأرضِ أربَعينَ سَنةً، وثَبَت في صَحيحِ مُسْلِمٍ، عَن عَبدِ اللهِ بنِ عَمرٍو، عَنِ النَّبيِّ ﷺ: {أنَّه يَمكُثُ في الأرضِ سَبعَ سِنينَ}[3]، فهذا مَعَ هذا مُشكِلٌ، اللهمَّ إلَّا أن تُحمَلَ هَذِه السَّبعُ على مُدَّةِ إقامَتِه بَعدَ نُزولِه، ويَكونُ ذلك مَحمولًا على مُكْثِه فيها قَبلَ رَفْعِه مُضافًا إليه، وكان عُمرُه قَبلَ رَفعِه ثَلاثًا وثَلاثينَ سَنةً على الْمَشهورِ. وهَذِه السَّبعُ تَكمِلةُ الأربَعينَ، فيَكونُ هذا مُدَّةَ مُقامِه في الأرضِ قَبلَ رَفعِه وبَعدَ نُزولِه، وأمَّا مُقامُه في السَّماءِ قَبلَ نُزولِه فهو مُدَّةٌ طَويلةٌ، واللهُ سُبحانَه أعلَمُ.

وقَد ثَبَت في الصَّحيحِ أن يَأجُوجَ ومَأجوجَ يَخرُجونَ في زَمانِه، ويُهلِكُهم الله ببَركةِ دُعائِه، في لَيلةٍ واحِدةٍ، كما تقَدَّمَ وكَما سَيَأتي، وثَبَت أنَّه يَحُجُّ في مُدَّةِ إقامَتِه في الأرضِ بَعدَ نُزولِه[4].

وأقول أنَّ في حديث أبو داود وأحمد ذكر أنه يلبث أربعين سنة، ولم يذكر في الأرض، وفي حديث مسلم ذكر، أنه يلبث في الأرض سبع سنين، وعليه فإنَّ لبثه في الأرض سبع سنين، مع عمره اللذي رفع ونزل به وهو ثلاث وثلاثون، يكون مجموع لبثه في الأرض أربعين سنة والله أعلم.

---

[1] أخرجه مُطَوَّلًا أبو داود (4324)، وأحمد (9270)، والطيالسي (2698) باختلافٍ يسيرٍ. صحَّحه ابن حبان في ((صحيحه)) (6821)، والألباني في ((صحيح سنن أبي داود)) (4324)، وشعيب الأرناؤوط في تخريج ((سنن أبي داود)) (4324)، وصحَّح إسنادَه الحاكم في ((المستدرك)) (4163)، وأحمد شاكر في ((عمدة التفسير)) (601/1)، وجوَّد إسناده وقوَّاه ابن كثير في ((نهاية البداية والنهاية)) (171/1)، وقال الطبري في ((التفسير)) (373/3): متواتر.

[2] يُنظر: ((شرح سنن أبي داود)) (17/ 161).

[3] أخرجه مسلم (2940) من حديث عبد اللهِ بنِ عَمرٍو رضي اللهُ عنهما مرفوعاً بلفظ: ((... فيبعث اللهُ عيسى ابنَ مريمَ، كأنَّه عُروةُ بنُ مَسعودٍ، فيطلبه فيُهلِكُه، ثم يمكث الناسُ سبع سنين ليس بين اثنين عداوةٌ ...)).

[4] أخرجه مسلم (1252) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النَّبي صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قَالَ ((والذي نفسي بيَدِه ليُهِلَّنَّ ابنُ مَريمَ بفَجِّ الروحاءِ حاجًّا أو معتَمِرًا أو لَيَثْنِيَنَّهما)). قال النووي: (قوله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: (لَيَثْنِيَنَّهما) هو بفتح الياء في أوله، معناه: يَقرِنُ بينهما، وهذا يكون بعد نزول عيسى عليه السلام من السماء في آخر الزمانِ، وأمَّا فَجُّ الرَّوحاءِ فبفتح الفاء وتشديد الجيم، قال الحافظ أبو بكر الحارثي: هو بين مكَّة والمدينةِ). ((شرح مسلم)) (234/8). يُنظر: ((البداية والنهاية)) (19/ 230).

﴿الوجه التاسع﴾

﴿القحطاني﴾

القحطاني إمام صالح يكون بعد المهدي.

فعَن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ الله عَنه عَنِ النَّبيِّ ﷺ قال: {لا تَقومُ السَّاعةُ حَتَّى يَخرُجَ رَجُلٌ من قَحْطانَ يَسوقُ النَّاسَ بعَصاه}[1].

قال ابن حجر: قوله: {يسوق الناس بعصاه} هو كناية عن الملك، شبهه بالراعي وشبه الناس بالغنم، ونكتة التشبيه التصرف الذي يملكه الراعي في الغنم، وهذا الحديث يدخل في علامات النبوة من جملة ما أخبر به صلى الله عليه وسلم قبل وقوعه ولم يقع بعد، وقد روى نعيم بن حماد في الفتن من طريق أرطأة بن المنذر – أحد التابعين من أهل الشام – أن القحطاني يخرج بعد المهدي ويسير على سيرة المهدي، وأخرج أيضا من طريق عبد الرحمن بن قيس بن جابر الصدفي عن أبيه عن جده مرفوعا: {يكون بعد المهدي القحطاني، والذي بعثني بالحق ما هو دونه}[2].

وفي رواية أرطاة بن المنذر أن القحطاني: {يعيش في الملك عشرين سنة} واستشكل ذلك كيف يكون في زمن عيسى يسوق الناس بعصاه والأمر إنما هو لعيسى! ويجاب بجواز أن يقيمه عيسى نائبا عنه في أمور مهمة عامة[3].

وبما أنَّا رجحنا أنَّ عيسى ﷺ سيمكث في الأرض سبع سنين، فلعلَّ القحطاني هو الذي يخلف عيسى ﷺ بعد موته، وحينها يسوق الناس بعصاه، ويتبع طريقة المهدي من قبله، لقول النبي ﷺ: {والذي بعثني بالحق ما هو دونه}، أي: أقل شأنا منه، أو أقل تقوى وصلاحا منه.

ويدعم ذلك ما رواه الطبراني عن حاصل أو (جاحل) الصدفي عن النبي ﷺ قال: {سيكون بعدي خلفاء، ومن بعد الخلفاء أمراء، ومن بعد الأمراء ملوك، ومن بعد الملوك جبابرة، ثم

---

[1] أخرجه البخاري (3517)، ومسلم (2910).

[2] فتح الباري 630/6.

[3] السابق.

يخرج رجل من أهل بيتي، يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جورًا، ثم يؤمر بعده القحطاني، فوالذي بعثني بالحق ما هو بدونه}[1].

وهذا الخبر ضعَّفه الألباني، ولا أراه إلا حسنا لغيره بكثرة الشواهد.



[1] أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد 193/5، وقال: فيه جماعة لم أعرفهم، وأورده المناوي في فيض القدير 127/4، حديث رقم 4768، وابن حجر في السابق.

﴿الوجه العاشر﴾

﴿من هو الجهجاه؟﴾

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: {لا تَذْهَبُ الأيَّامُ واللَّيالِي، حتَّى يَمْلِكَ رَجُلٌ يُقالُ له الجَهْجاهُ}[1].

وعَنه رَضِيَ الله عَنه قال: قال رَسولُ الله ﷺ: {لا يَذهَبُ اللَّيلُ والنَّهارُ حَتَّى يَملِكَ رَجُلٌ مِنَ الْمَوالي يُقالُ لَه جَهْجَاه}[2].

اختلف أهل العلم هل القحطاني هو جهجاه أو غيره، ومال جمع من أهل العلم إلى أنهما ليسا شخصا واحدا، فإن القحطاني من الأحرار لأن نسبه إلى قحطان الذي تنتهي أنساب أهل اليمن من حمير وكندة وهمدان وغيرهم إليه، وأما الجهجاه فهو من الموالي ويؤيد ذلك الحديث السابق.

كما انَّ القحطاني رجل صالح، ولم يذكر في أخبار الجهجاه إلا الملك.

قال ابن كثير في النهاية: يحتمل أن يكون هذا اسم ذي السويقتين الحبشي.

وبالتتبع تجد أنَّ كلام ابن كثير أقرب، فالإمبراطور الأخير لأثيوبيا وهي من الحبشة (هايلي سيلاسي) يطلقون عليه في الوقت الحاضر اسم: جاه، ويعتبرونه الإله المجسد أو بديل المسيح، فقد قامت في القرن العشرين ديانة اسمها: (الرستفارية)، وهي دين تطور في (جَمَيكة) في ثلاثينيات القرن العشرين، وتقوم معتقدات (الرستفارية) على تفسير معين للكتاب المقدس، وعقيدتها المركزية: الإيمان التوحيدية بإله واحد، يسمى (جاه) وهو يسكن جزئيًّا في داخل كل إنسان، ويحافظ كذلك الرستفاريون على اعتقادهم بأن (جاه) تجسد في صورة بشرية هي المسيح، ويعطي الرستفاريون (هايلي سيلاسي)، وهو إمبراطور إثيوبيا بين عام 1930 وعام 1974، أهمية مركزية، ويعتبره كثير منهم المجيء الثاني للمسيح ومن ثم تجسدًا للإله (جاه)، ويراه آخرون إنسانًا نبيًّا أدرك الألوهة الداخلية في كل إنسان إدراكًا

---

[1] أخرجها مسلم (2911).

[2] أخرجه الترمذي (2228)، وأحمد (8364). صحَّحه الألباني في ((صحيح سنن الترمذي)) (2228)، وقال الترمذي: حسن غريب، وصحَّح إسنادَه أحمد شاكر في تخريج ((مسند أحمد)) (156/16)، وشعيب الأرناؤوط على شرط مسلم في تخريج ((مسند أحمد)) (8364).

كاملًا، وعلى كل الأحوال، فإنَّ هذا الإمبراطور الأثيوبي الحبشي الثالوثي الأخير، رتبته (جاه) أي تجسيد الرب، أو الرب، وهذا الأخير هو سليل الأباطرة الأثيوبيين أي: الحبشة، وأصحاب هذه الديانة الآن ينتظرون خليفة الجاه الثاني (هايلي سيلاسي)، فالجاه الأول عيسى، والجاه الثاني (هايلي سيلاسي)، فيعتبرون الجاه القادم آخر الزمان هو المخلص لهم، ويُعدون أثيوبيا هي بوابة النصر لهم، ولا يخفى علينا أن أثيوبيا هي من الحبشة؛ فالذي ينتظرونه هو أعلى من الجاه السابق لأنه المخلص، كحال رسول الله محمد عليه وعلى سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، والنبي محمد ﷺ سيد الأنبياء، فلا ضير أن يسموا مخلصهم بـ (جاه جاه)، أي: رب الأرباب، أو خاتمة الأرباب وسيدهم، وهذا ينطبق على ذو السويقتين الحبشي الذي سيهدم الكعبة والذي سنورد أخباره في ما بعد مبحث يأجوج ومأجوج إن شاء الله تعالى، وبهذا يتبيَّن لنا والله أعلم أنَّ الجهجاه المذكور في الأخبار هو ذو السويقيتين والله تعالى أعلم[1].



[1] هذا بحث من فكرة الأخ أبو ريحان من موقع الرؤى المبشرة، بحث: الجهجاه من علامات الساعة الكبرى، ولكنِّي أخذت منه الفكرة فقط، وأمَّا ما سواه فبحثي وجمعي الخاص.

﴿ الفرع الثالث ﴾

﴿ خروج يأجوج ومأجوج ﴾

وفيه خمسة وجوه:

1 – معنى يأجوج ومأجوج.

2 – أصل يأجوج ومأجوج.

3 – سدُّ يأجوج ومأجوج.

4 – زمن خروج يأجوج ومأجوج.

5 – هلاك يأجوج ومأجوج.

6 – ذو السويقتان.



﴿الوجه الأول﴾

﴿معنى يأجوج ومأجوج﴾

قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ﴾ [الأنبياء: 96].

يَأجوجُ ومَأجوجُ: قَبِيلتانِ من خَلْقِ اللهِ تعالى، وهما اسمانِ أعجَمِيَّانِ لا اشتقاقَ لهما، ومُنِعَا مِنَ الصَّرفِ للعَلَمِيَّةِ والعُجْمةِ، وقيل: عَربيَّانِ، واختلفوا في اشتقاقِهما؛ فقيل: اشتقاقُهما مِنْ أَجيج النَّارِ، وهو التِهابُها وشِدَّةُ تَوَقُّدِها.

وقيل: مِنَ الأَجَّةِ، وهو الاختِلاطُ أو شِدَّةُ الحَرِّ.

وقيل: من الأَجِّ، وهو سُرْعةُ العَدْوِ.

وقيل: من الأُجاجِ، وهو الماءُ المِلْحُ الزُّعاق.

ووَزنُهما يَفْعُوْل ومَفْعُول[1].



[1] ينظر: ((التفسير البسيط)) للواحدي (14/ 142)، ((الدر المصون)) لسمين الحلبي (7/ 545)، ((المصباح المنير)) للفيومي (1/ 5). ((تاج العروس)) للزبيدي (5/ 400).

﴿الوجه الثاني﴾

﴿أصل يأجوج ومأجوج﴾

هما من ولَدِ آدَمَ وحَوَّاءَ، كما هو ظاهِرُ حَديثِ أبي سَعيدٍ الخُدريِّ رَضِيَ اللهُ عَنه قال: قال رَسولُ ﷺ: {يَقولُ اللهُ عَزَّ وجَلَّ يَومَ القيامةِ: يا آدَمُ، يَقولُ: لَبَّيكَ رَبَّنا وسَعْدَيكَ، فيُنادى بصَوتٍ: إنَّ اللهَ يَأمُرُكَ أن تُخرِجَ من ذُرِّيَّتِك بَعثًا إلى النَّارِ، قال: يا رَبِّ، وما بَعثُ النَّارِ؟ قال: من كُلِّ ألفٍ -أُراه قال- تِسعَمِائةٍ وتِسعةً وتِسعينَ، فحينَئِذٍ تَضَعُ الحامِلُ حَمْلَها، ويَشيبُ الوَليدُ، ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾[الحج: 2]، فشَقَّ ذلك على النَّاسِ حَتَّى تَغَيَّرت وُجوهُهم، فقال النَّبيُّ ﷺ: مِن يَأجوجَ ومَأجوجَ تِسعَمِائةٍ وتِسعةً وتِسعين ومِنكم واحِدٌ...[1].

قال ابنُ حَجَرٍ: الغَرَضُ مِنه هنا ذِكرُ يَأجوجَ ومَأجوجَ والإشارةُ إلى كثرَتِهم، وأنَّ هَذِه الأمَّةَ بالنِّسبةِ إليهم نَحوُ عُشرِ عُشرِ العُشرِ، وأنَّهم من ذُرِّيَّةِ آدَمَ؛ رَدًّا على من قال خِلافَ ذلك[2].

قال ابن كثير: وهم من ذُرِّيَّةِ نوح عليه السَّلامُ؛ من سُلالةِ يافِثَ بنِ نُوحٍ، وهو أبو التُّركِ، وقَد كانوا يُفسِدونَ في الأرضِ، ويؤذونَ أهلُها، فأمرَ اللهُ سُبحانَه ذا القَرنين فحَصرَهم في مَكانِهم داخِلَ السَّدِّ إلى أن يَأذَنَ اللهُ تعالى في خُروجِهم على النَّاسِ، فيَكونُ من أمرِهم ما ذَكَرْنا في الأحاديثِ. وهم كالنَّاسِ يُشبِهونَهم كأبناءِ جِنسِهم مِنَ التُّركِ... على أشكالِهم وألوانِهم، ومَن زَعَمَ أنَّ مِنهم الطَّويلَ كالنَّخلةِ السَّحُوقِ وأطوَلَ، ومِنهم القَصيرُ كالشَّيءِ الحَقيرِ، ومِنهم من لَه أُذُنانِ يَتَغطَّى بإحداهما ويَتَوطَّأ بالأخرى، فقَد تَكَلَّفَ ما لا عِلمَ لَه به، وقال ما لا دَليلَ عليه[3].



---

[1] أخرجه البخاري (4741) مُطوَلًا.

[2] يُنظر: ((فتح الباري)) (6/ 386).

[3] يُنظر: ((البداية والنهاية)) (19/ 238-240).

﴿ الوجه الثالث ﴾

﴿ سدُّ يأجوج ومأجوج ﴾

﴿ أوّلًا ﴾

﴿ بناء السد ﴾

قال الله تعالى عن ذي القرنين: ﴿ حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ﴾[الكهف: 93 – 96].

قال ابنُ كثيرٍ: قولُه: {وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا} أي: لاستِعجامِ كلامِهم وبُعْدِهم عَنِ النَّاسِ.

{قَالُوا يَاذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا}، قال ابنُ جُرَيجٍ عَن عَطاءٍ، عَنِ ابنِ عَباسٍ: أجرًا عَظيمًا، يَعني أنَّهم أرادوا أن يَجمَعوا لَه من بينهم مالًا يُعطونَه إيَّاه، حَتَّى يَجعَلَ بينَهم وبينَهم سَدًّا، فقال ذو القَرنين بعِفَّةٍ وديانةٍ وصَلاحٍ وقَصدٍ للخَيرِ: {مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ} أي: إنَّ الذي أعطاني اللهُ مِنَ الْمُلكِ والتَّمكينِ خيرٌ لي مِنَ الذي تَجمَعونَه، كما قال سُليمانُ عليه السَّلامُ: ﴿ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴾[النمل: 36] **وهَكَذا قال ذو القَرنين: الذي أنا فيه خَيرٌ مِنَ الذي تَبذُلونَه، ولَكِن ساعِدوني {بِقُوَّةٍ} أي: بعَملِكم وآلاتِ البِناءِ، {أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا * آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ والزُّبَرُ}: جَمعُ زُبْرةٍ، وهيَ القِطعةُ مِنه، قاله ابنُ عَبَّاس، ومَجاهِدٌ، وقَتادةُ، وهيَ كاللَّبِنةِ... {حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ} أي: وضعَ بَعضَه على بَعضٍ مِنَ الأساسِ حَتَّى إذا حاذى به رُءوسَ الجَبَلين طُولًا وعَرْضًا... {قَالَ انْفُخُوا} أي: أجَّجَ عليه النَّارَ حَتَّى صارَ كُلُّه**

نارًا، {قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا} قال ابنُ عَباسٍ، ومُجاهِدٌ، وعِكرِمةُ، والضَّحَّاكُ، وقَتادةُ، والسُّدِّيُّ: هو النُّحاسُ. وزادَ بَعضُهم: الْمُذابُ، ويُستَشهَدُ بقَولِه تعالى: ﴿وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ﴾[سبإ: 12]؛ ولِهذا يُشَبَّهُ بالبَردِ الْمُحبرِ...ثُمَّ قال اللهُ تعالى: {فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا} يَقولُ تعالى مُخبِرًا عَن يَأجوجَ ومَأجوجَ أنَّهم ما قَدَروا على أن يَصعَدوا فوقَ هذا السَّدِّ، ولا قَدَروا على نَقبِه من أسفَلِه، ولَمَّا كان الظُّهورُ عليه أسهَلَ من نَقْبِه قابَلَ كُلًّا بما يُناسِبُه فقال: {فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا}، وهذا دَليلٌ على أنَّهم لَم يَقدِروا على نَقبِه، ولا على شَيءٍ مِنه[1].



[1] يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (5/ 195-197).

﴿ ثانيا ﴾

﴿ انهدام السد ﴾

قال اللهُ عَزَّ وجَلَّ حِكايةً لقَولِ ذي القَرنينِ بَعدَ بنائِه السَّدَّ: ﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾[الكهف: 97].

قال ابنُ كثيرٍ: قَولُه: {قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي أي: لَمَّا بناه ذو القَرنَينِ قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي أي: بالنَّاسِ؛ حَيثُ جَعَلَ بينَهم وبينَ يَأجوجَ ومَأجوجَ حائِلًا يَمنَعُهم مِنَ العَيثِ في الأرضِ والفَسادِ. فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي أي: إذا اقتَرَبَ الوَعدُ الحَقُّ جَعَلَهُ دَكَّاءَ أي: ساواه بالأرضِ. تَقولُ العَرَبُ: ناقةٌ دَكَّاءُ: إذا كان ظَهرُها مُستَويًا لا سَنامَ لَها[1].

وعن أبي سعيد الخدري مرفوعا: {تُفْتَحُ يأجوجُ ومأجوجُ، فيخرُجُونَ على الناسِ كما قال اللهُ عزَّ وجلَّ: {مِنْ كُلِّ حَدَبٍ ينسِلُونَ} فيغْشَوْنَ الناسَ، وينحازُ المسلمونَ عنهم إلى مدائِنِهم وحصونِهم، ويَضُمُّونَ إليهم مَوَاشِيَهم، ويَشربُونَ مياهَ الأرْضِ، حتَّى إنَّ بعضَهم لِيَمُرُّ بالنَّهْرِ فيَشْرَبونَ ما فيه حتَّى يتركوهُ يَبَسًا، حتى إنَّ مَنْ يَمُرُّ مِنْ بعدِهم لَيَمُرُّ بِذَلِكَ النهرِ فيقولُ: قدْ كانَ ههُنا ماءٌ مرَّةً، حتى إذا لَمْ يَبْقَ مِنَ الناسِ أحدٌ إلَّا أحدٌ فِي حِصْنٍ أوْ مدينةٍ، قال قائِلُهم: هؤلاءِ أهْلُ الأرْضِ قدْ فرَغنا منهم، بَقِيَ أهْلَ السماءِ! ثُمَّ يَهُزُّ أحدُهم حَرْبَتَهُ ثُمَّ يرمِي بِها إلى السماءِ فترجِعُ إليه مُخْتَضِبَةً دَمًا لِلْبَلاءِ والفتنَةِ...وفي رواية: فيقولونَ قد قتَلنا أهْلَ السَّماءِ...}[2].

في هذا الحَديثِ يقولُ أبو سَعيدٍ الخُدْريُّ: قال رسولُ اللهِ ﷺ: {تُفتَحُ يَأجُوجُ ومَأجوجُ}، أي: يُفتَحُ له السَّدُّ الَّذي بَناه ذو القَرنَينِ علَيهم،{فيَخرُجون كما قال اللهُ تعالى: ﴿وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾[الأنبياء: 96]،} أي: يَنتشِرون مِن كلِّ ناحيةٍ، أو أنَّهم يَأتون من كلِّ مكانٍ، {فيَعُمُّون الأرضَ}، أي: يَملؤون الأرضَ، {ويَنْحازُ مِنهم المسلِمون}، أي: يتَحصَّنون مِنهم، {حتَّى تَصيرَ بقيَّةُ المسلِمين في مَدائنِهم وحُصونِهم، ويَضُمُّون إليهم مَواشِيَهم}، أي: يجمَعُ

---

[1] يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (5/ 199).

[2] أخرجه ابن ماجه (4079)، وأحمد (11749) باختلاف يسير. وحسنه الألباني.

المسلِمون حَيَواناتِهم في الحُصونِ معَهم؛ لحِمايَتِها مِن يأجوجَ ومأجوجَ، {حتَّى إنَّهم لَيَمُرُّون بالنَّهرِ فيَشرَبونه، حتَّى ما يذَرون فيه شيئًا}، أي: يَشرَبُ يأجوجُ ومأجوجُ ماءَ الأنهارِ ولا يُبْقون منها شيئًا؛ وذلك لكثرَةِ عدَدِهم وعِظَمِ خَلْقِهم، {فيمُرُّ آخِرُهم على أثَرِهم فيَقولُ قائلُهم}، أي: أحَدُ هؤلاءِ المتأخِّرين: {لقد كان بهذا المكانِ مرَّةً ماءٌ}، وهذا مِن المبالَغةِ في إظهارِ أعدادِهم وكَثرتِها، {ويَظهَرون على الأرضِ}، أي: يَغلِبون أهلَ الأرضِ، {فيَقولُ قائِلُهم: هؤلاءِ أهلُ الأرضِ قد فرَغْنا مِنهم، ولَنُنازِلَنَّ أهلَ السَّماءِ، حتَّى إنَّ أحَدَهم لَيَهُزُّ حَرْبَته إلى السَّماءِ، فتَرجِعُ مُخضَبَةً بالدَّمِ}، أي: يُصوِّبُ الرَّجلُ مِن يَأجوجَ ومأجوجَ بسِهامِه إلى السَّماءِ، فتَرجِعُ وتَعودُ السِّهامُ مَصبوغةً بالدِّماءِ؛ فِتنةً مِن اللهِ وبَلاءً لهم، {فيَقولون: قد قتَلْنا أهلَ السَّماءِ}، أي: يَقولون ذلك افتِخارًا وتَكبُّرًا.

عنِ النَّبيِّ ﷺ في السَّدِّ قالَ: {يحفِرونَهُ كلَّ يومٍ، حتَّى إذا كادوا يخرقونَهُ قالَ الَّذي علَيهِم: ارجعوا فستخرقونَهُ غدًا، قال: فيعيدُهُ اللَّهُ كأشدِّ ما كانَ، حتَّى إذا بلغَ مدَّتَهُم وأرادَ اللَّهُ أن يبعثَهُم على النَّاسِ. قالَ الَّذي علَيهِم: ارجعوا فستَخرقونَهُ غدًا إن شاءَ اللَّهُ واستَثنى، قالَ: فيرجعونَ فيجدونَهُ كَهَيئتِهِ حينَ ترَكوهُ فيخرقونَهُ، ويخرُجونَ على النَّاسِ، فيستقونَ المياهَ، ويفرُّ النَّاسُ مِنهم، فيرمونَ بسِهامِهِم إلى السَّماءِ فترجعُ مخضَّبةً بالدِّماءِ، فيقولونَ: قَهَرنا مَن في الأرضِ وعلَونا مَن في السَّماءِ، قسوةً وعلوًّا...}[1].

وعَن زينَبَ بنتِ جَحشٍ رَضِيَ الله عَنها أنَّ رَسولَ الله ﷺ دَخَلَ عليها يَومًا فَزِعًا يَقولُ: {لا إلَه إلَّا اللهُ، ويْلٌ للعَرَبِ من شَرٍّ قَدِ اقتَرَبَ، فُتِحَ من رَدْمِ يَأجوجَ ومَأجوجَ مِثلُ هَذِه، وحَلَّقَ بإصبَعَيه: الإبهامُ والَّتي تَليها، قالت زينَبُ: فقُلتُ: يا رَسولَ اللهِ، أنهْلِكُ، وفينا الصَّالِحونَ؟ قال: نَعَم، إذا كثُرَ الخَبَثُ}[2].



---

[1] أخرجه الترمذي 3153، وصححه الألباني.

[2] أخرجه البخاري (3346)، ومسلم (2880) مُطوَّلًا باختلافٍ يسيرٍ.

﴿الوجه الرابع﴾

﴿زمن خروج يأجوج ومأجوج﴾

خُروجُهم يَقَعُ بَعدَ نُزولِ عيسى بنِ مَريَمَ وهَزيمَتِه للدَّجالِ.

عَنِ النَّوَّاسِ بنِ سَمْعانَ رَضِيَ اللهُ عنه أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ قال عَن نُزولِ عيسى عليه السَّلامُ: {فَيَنْزِلُ عِنْدَ المَنَارَةِ البَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ، بيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ، وَاضِعًا كَفَّيْهِ علَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ، إذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ، وإذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ منه جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ، فلا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ إلَّا مَاتَ، وَنَفَسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ، فَيَطْلُبُهُ حتَّى يُدْرِكَهُ ببَابِ لُدٍّ، فَيَقْتُلُهُ، ثُمَّ يَأْتي عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ قَوْمٌ قدْ عَصَمَهُمُ اللَّهُ منه، فَيَمْسَحُ عن وُجُوهِهِمْ وَيُحَدِّثُهُمْ بدَرَجَاتِهِمْ في الجَنَّةِ، فَبيْنَما هو كَذلكَ إذْ أَوْحَى اللَّهُ إلى عِيسَى: إنِّي قدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي، لا يَدَانِ لأَحَدٍ بقِتَالِهِمْ، فَحَرِّزْ عِبَادِي إلى الطُّورِ، وَيَبْعَثُ اللَّهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَهُمْ من كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ، فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ علَى بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ فَيَشْرَبُونَ ما فِيهَا، وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فيَقولونَ: لقَدْ كانَ بهذِه مَرَّةً مَاءٌ، وَيُحْصَرُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ، حتَّى يَكونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لأَحَدِهِمْ خَيْرًا من مِئَةِ دِينَارٍ لأَحَدِكُمُ اليَومَ...}.[1]

قال أبو العَبَّاس القُرطُبيُّ: قَولُه: {إنِّي قَد أخرَجتُ عِبادًا لي لا يَدانِ لأحَدٍ بقِتالِهم} أي: لا قُدرةَ لأحَدٍ على قِتالِ يَأجوجَ ومَأجوجَ. يُقالُ: لا يَدَ لفُلانٍ بهذا الأمرِ، أي: لا قُوَّةَ، وقَولُه: {فحَرِّزْ عِبادي إلى الطُّورِ} هَذِه الرِّوايةُ الصَّحيحةُ بالزَّاي، أي ارتَحِلْ بهم إلى جَبَلٍ يَحرِزونَ فيه أنفُسَهم... ويُحتَمَلُ أن يَكونَ ذلك هو طُورَ سيناءَ... وقَولُه: {ويَبعَثُ اللهُ يَأجوجَ ومَأجوجَ، وهم من كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلونَ} الحَدبُ: النَّشزُ مِنَ الأرضِ، وهيَ الآكامُ والكداءُ، ويَنسِلونَ: مِنَ النَّسَلانِ، وهيَ مُقارَبةُ الخَطوِ مَعَ الإسراعِ، كمَشيِ الذِّئبِ إذا بادَرَ، قاله القُتبيُّ، وقال الزَّجَّاجُ: يَنسِلونَ: يُسْرِعونَ[2].



[1] أخرجه مسلم (2937) مُطوَلًا.

[2] يُنظر: ((المفهم)) (7/ 284).

﴾الوجه الخامس﴿

﴾هلاك يأجوج ومأجوج﴿

عَنِ النَّوَّاسِ بنِ سَمْعانَ رَضِيَ الله عَنه أنَّ الرَّسولَ ﷺ قال: {...ويُحاصَرُ عيسى بنُ مَريَمَ وأصحابُه حَتَّى يَكونَ رَأسُ الثَّورِ لأحَدِهم خيرًا من مِائةِ دينارٍ لأحَدِكم اليَومَ، فيَرغَبُ نَبيُّ اللهِ عيسى عليه السَّلامُ وأصحابُه، فيُرسِلُ اللهُ عليهم النَّغفَ في رِقابِهم، فيُصبِحونَ فَرْسَى كموتِ نَفسٍ واحِدةٍ، ثُمَّ يَهبِطُ نَبيُّ الله عيسى عليه السَّلامُ وأصحابُه إلى الأرضِ، فلا يَجِدونَ في الأرضِ مَوضِعَ شِبرٍ إلَّا مَلأه زَهمُهم ونَتْنُهُمْ، فيَرغَبُ نَبيُّ الله عيسى وأصحابُه إلى الله، فيُرسِلُ الله طَيرًا كأعناقِ البُختِ فتَحمِلُهم فتَطرَحُهم حَيثُ شاءَ اللهُ، ثُمَّ يُرسِلُ اللهُ مَطرًا لا يَكُنُّ مِنه بَيت مَدرٍ ولا وَبَرٍ، فيَغسِلُ الأرضَ حَتَّى يَترُكَها كالزَّلفةِ، ثُمَّ يُقالُ للأرضِ: أنبِتي ثَمَرَتَكِ، ورُدِّي برَكَتَكِ، فيومَئِذٍ تَأكُلُ العِصابةُ مِنَ الرُّمَّانةِ ويَستَظِلُّونَ بقِحْفِها، ويُبارَكُ في الرِّسْلِ حَتَّى إنَّ اللِّقْحةَ مِنَ الإبلِ لتَكفي الفِئامَ مِنَ النَّاسِ، واللِّقحةَ مِنَ البَقَرِ لتَكفي القَبيلةَ مِنَ النَّاسِ، واللِّقحةَ مِنَ الغَنَمِ لتَكفي الفَخْذَ مِنَ النَّاسِ}[1].

قال أبو العَبَّاس القُرطُبيُّ: النَّغفُ –جَمعُ نَغَفةً– وهو بفَتحِ النُّونِ والغينِ الْمُعْجَمةِ، وهيَ دودٌ يَكونُ في أنوفِ الإبِلِ والغَنَمِ، وهيَ وإن كانت مُحتَقَرةً، فإتلافُها شَديدٌ، ويُقالُ للرَّجُلِ الحَقيرِ: ما أنت إلَّا نَغفةٌ، وقَولُه: {فيُصبِحونَ فَرْسى} أي: هَلَكى قَتْلى، من فَرسَ الذِّئْبُ الشَّاةَ: إذا قَتَلَها، والفَريسةُ مِنه، والزَّهَمُ، بفَتحِ الهاءِ: النَّتْنُ والرَّائِحةُ الكَريهةُ، وأصلُه: ما يَعلَقُ باليَدِ من ريحِ اللَّحمِ.

والبُختُ: إبلٌ غِلاظُ الأعناقِ، عِظامُ الأسنامِ، وقَولُه: {لا يَكُنُّ مِنه بَيت مَدرٍ، ولا وَبَرٍ} أي: لا يُستَرُ من ذلك الْمَطَرِ لكَثرَتِه بَيتٌ مَبنيٌّ بالطِّينِ، ولا بَيتُ شَعرٍ ولا وَبَر، وقَولُه: {حَتَّى يَترُكَها كالزَّلَفةِ} الرِّوايةُ بفَتحِ الزَّاي واللَّامِ، وقيدْتُه بالفاءِ والقافِ مَعًا، وكَذلك رُوِيَ عَنِ الأسديِّ، وزادَ فتحَ اللَّامِ وسُكونَها، فبِالقافِ: هيَ الأرضُ الْمَلساءُ الَّتي لا شَيءَ فيها، ومِنه قَولُه: {فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا} وبِالفاءِ: هيَ الْمَصنعةُ الْمُمتَلِئةُ[2].

---

[1] أخرجه مسلم (2937) مُطوَلًا.

[2] يُنظر: ((المفهم)) للقرطبي (7/ 285).

وقال ابنُ عَلَّان: ((ويُحصَرُ)) بضَمِّ التَّحتيةِ وفَتحِ الْمُهمَلةِ الثَّانيةِ، مِنَ الْمُحاصَرةِ ((نَبيُّ اللهِ عيسى وأصحابُه)) أي: يُمنَعونَ مَن يَأجوجَ ومَأجوجَ مِنَ النُّزولِ إلى الأرضِ حَتَّى ((يَكونَ رَأسُ الثَّورِ لأحَدِهم)) أي: عِندَه، وإنَّما ذُكِرَ رَأسُ الثَّورِ ليُقاسَ به البَقيَّةُ في ارتِفاعِ القيمةِ، وذَهَبَ بَعضُهم إلى أنَّه أرادَ برَأسِ الثَّورِ نَفسَه، أي: تَبلُغُ قيمةُ الثَّورِ إلى ما فوقَ الْمِائةِ لاحتياجِهم إليه في الزِّراعةِ، قال التوربشتيُّ: ولَم يُصِبْ؛ لأنَّ رَأسَ الثَّورِ قَلَّما يُرادُ به عِندَ الإطلاقِ نَفسُه، بَل يُقالُ: رَأسُ ثورٍ أو رَأسٌ مِنَ الثَّورِ، ثُمَّ إنَّ في الحَديثِ أنَّهم مَحصورونَ، وما للمَحصورِ والزِّراعةِ لا سيَّما على الطُّورِ؟! اهـ[1].

((خيرًا من مِائةِ دينارٍ لأحَدِكِم اليَومَ)) وذلك لقوَّةِ حاجَتِهم للطَّعامِ واضطِرارِهم إليه[2].

وعَنِ النَّواسِ بن سَمعانَ رَضِيَ اللهُ عَنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: {سيُوقِدُ المسلمونَ منْ قِسِيِّ يأجوجَ ومأجوجَ ونشابِهِمْ وأَتْرِسَتِهِمْ سبعَ سنينَ}[3].

القِسيُّ جمع قوس، والنشاب يطلق على النبل والسهم، والترس درع يحمل على اليد من خشب أو من حديد والحديد أقرب.



[1] يُنظر: ((الميسر في شرح مصابيح السنة)) للتوربشتي (4/ 1167).

[2] يُنظر: ((دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين)) (8/ 625).

[3] أخرجه ابن ماجه (4076) واللَّفظُ له، وابن أبي عاصم في ((الآحاد والمثاني)) (1495). صحَّحه الألباني في ((صحيح سنن ابن ماجه)) (4076).

﴿الوجه السادس﴾

﴿ذو السويقتان﴾

أولا: من هو ذو السويقتان:

سبق وأشرنا أنَّ الجهجاه هو ذو السويقتان على ما بينَّاه سابقا، والله أعلم.

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: {لَا تَذْهَبُ الْأَيَّامُ وَاللَّيَالِي حَتَّى يَمْلِكَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ الْجَهْجَاهُ}[1].

ثانيا: صفات ذو السويقتان:

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: {كَأَنِّي بِهِ أَسْوَدَ أَفْحَجَ يَقْلَعُهَا حَجَرًا حَجَرًا}[2].

قال ابن حجر في الفتح في شرح الحديث: قَوْله : {كَأَنَّ بِهِ}: كَذَا فِي جَمِيع الرِّوَايَات عَن اِبْن عَبَّاس فِي هَذَا الْحَدِيث، وَالَّذِي يَظْهَر أَنَّ فِي الحَدِيث شَيْئًا حُذِفَ، وَيَحْتَمِل أَنْ يَكُون هُوَ مَا وَقَعَ فِي حَدِيث عَلِيّ عِنْدَ أَبِي عُبَيْد فِي غَرِيب الحَدِيث مِنْ طَرِيق أَبِي العَالِيَة عَنْ عَلِيّ قَالَ: {اِسْتَكْثِرُوا مِنْ الطَّوَاف بِهَذَا البَيْت قَبْلَ أَنْ يُحَال بَيْنكُمْ وَبَيْنه، فَكَأَنَّ بِرَجُلٍ مِنْ الْحَبَشَة أَصْلَع – أَوْ قَالَ أَصْمَع – حَمْش السَّاقَيْنِ قَاعِد عَلَيْهَا وَهِيَ تُهْدَم} وَرَوَاهُ الْفَاكِهِيّ مِنْ هَذَا الْوَجْه وَلَفْظه (أَصْعَل) بَدَل (أَصْلَع) وَقَالَ: {قَائِمًا عَلَيْهَا يَهْدِمهَا بِمِسْحَاتِهِ} وَرَوَاهُ يَحْيَى الْحِمَّانِيّ فِي مُسْنَده مِنْ وَجْه آخَر عَنْ عَلِيّ مَرْفُوعًا.

قَوْله: {كَأَنِّي بِهِ أَسْوَد أَفْحَج}: وَالْفَحَج تَبَاعُد مَا بَيْنَ السَّاقَيْنِ، وَقَوْله {حَجَرًا حَجَرًا} حَال كَقَوْلِك بَوَّبْته بَابًا بَابًا، وَقَوْله فِي حَدِيث عَلِيّ {أَصْلَع أَوْ أَصْعَل أَوْ أَصْمَع} الْأَصْلَع مَنْ ذَهَبَ شَعْر مُقَدَّم رَأْسه، وَالْأَصْعَل لِصَّغِير الرَّأْس، وَالْأَصْمَع الصَّغِير الْأُذُنَيْنِ، وَقَوْله {حَمْش السَّاقَيْنِ} أَيْ دَقِيق السَّاقَيْنِ، وَهُوَ مُوَافِق لِقَوْلِهِ فِي رِوَايَة أَبِي هُرَيْرَة: {ذُو السُّوَيْقَتَيْنِ}.

قَوْله: {يَقْلَعهَا حَجَرًا حَجَرًا}: زَادَ الْإِسْمَاعِيلِيّ وَالْفَاكِهِيّ فِي آخره يَعْنِي الْكَعْبَة[3].

---

[1] صحيح مسلم 5183.

[2] رواه البخاري 1492

[3] ينظر فتح الباري حديث 1492.

وعن عبد الله بن عمر: {اسْتمتعوا من هذا البيتِ؛ فإنَّه قد هُدِمَ مرتين، و يُرْفَعُ في الثالثةِ}[1].

فإنَّه قد هُدِمَ مَرَّتيْنِ" أُولاها هُدِم بعد إبراهيم عليه السَّلام، فبناه قوم من العرب من جرهم والثانيةُ هدْمُها في أَيامِ قُرَيْشٍ مع إعادَةِ بِنائِها "ويُرفَعُ في الثالِثَةِ"، أي: يُهدَمُ البيتُ للمَرَّةِ الثالثةِ، والمرادُ بالرفعِ رفْعُ برَكتِه وما يُنالُ عِندَه مِن الأجورِ، أو يُرادُ به رفْعُ الحَجرِ الأسودِ، والمُرادَ هدْمُها على يَدِ ذي السُّوَيْقتيْن.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: {يُخَرِّبُ الْكَعْبَةَ ذُو السُّوَيْقَتَيْنِ مِنْ الْحَبَشَةِ وَيَسْلُبُهَا حِلْيَتَهَا وَيُجَرِّدُهَا مِنْ كِسْوَتِهَا وَلَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ أُصَيْلِعَ أُفَيْدِعَ يَضْرِبُ عَلَيْهَا بِمِسْحَاتِهِ وَمِعْوَلِهِ}[2].

وعليه فذو السويقتان، أسود، وأصلع، دقيق الساقين وأفحجهما.

ثالثا: بلد ذو السويقتان:

ذو السويقتان من الحبشة، قال النبي ﷺ: {يُخَرِّبُ الكَعْبَةَ ذُو السُّوَيْقَتَيْنِ مِنَ الحَبَشَةِ}[3].

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: {اتْرُكُوا الْحَبَشَةَ مَا تَرَكُوكُمْ فَإِنَّهُ لَا يَسْتَخْرِجُ كَنْزَ الْكَعْبَةِ إِلَّا ذُو السُّوَيْقَتَيْنِ مِنْ الْحَبَشَةِ}[4].

ثانيا: وقت خروج ذو السويقتان:

أقول أنه يخرج بعد وفاة عيسى وقبل خروج الدابة؛ لأنه لو خرج في زمن عيسى لقضى عليه نبي الله عيسى، ولو كان في زمن خروج الدابة، لهاله ما رأى منها والطبع على أنفه أنه كافر، إذا لانجزر ممَّا يريد أن يفعل، ولعلَّ ذو السويقتان يأتي بعد الدخان، حيث لا يبقى في الأرض من في قلبه مثقال ذرة من خير ولا إيمان، والله أعلم.

قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ:{... يَخْرُجُ الدَّجَّالُ في أُمَّتي فَيَمْكُثُ أَرْبَعِينَ –لا أَدْرِي أَرْبَعِينَ يَوْمًا، أَوْ أَرْبَعِينَ شَهْرًا، أَوْ أَرْبَعِينَ عَامًا– فَيَبْعَثُ اللَّهُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ كَأنَّهُ عُرْوَةُ بنُ مَسْعُودٍ، فَيَطْلُبُهُ فيُهْلِكُهُ، ثُمَّ يَمْكُثُ النَّاسُ سَبْعَ سِنِينَ، ليسَ بيْنَ اثْنَيْنِ عَدَاوَةٌ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ رِيحًا بَارِدَةً مِن قِبَلِ

---

[1] أخرجه البزار (6157)، وابن خزيمة (2506)، وابن حبان (6753)، والطبراني (273/13) (14033)

[2] رواه الإمام أحمد 6756.

[3] أخرجه البخاري (1591)، ومسلم (2909)

[4] رواه أبو داوود 3755 وحسنه الألباني / النسائي 2855

الشَّأْمِ، فلا يَبْقَى علَى وَجْهِ الأرْضِ أَحَدٌ في قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِن خَيْرٍ أَوْ إيمَانٍ إلَّا قَبَضَتْهُ، حتَّى لو أنَّ أَحَدَكُمْ دَخَلَ في كَبِدِ جَبَلٍ لَدَخَلَتْهُ عليه حتَّى تَقْبِضَهُ...حتى قال: فَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ في خِفَّةِ الطَّيْرِ وَأَحْلَامِ السِّبَاعِ؛ لا يَعْرِفُونَ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُونَ مُنْكَرًا...}[1].



[1] أخرجه مسلم **2940**.

﴿الفرع الرابع﴾

﴿خروج الدابة﴾

أولا: معنى الدابة:

الدابة لغة: كل ما يدب على الأرض.

والدابة عرفا: كل ما يسير على أربع، واشتهر على ما يحمل عليه كالبغال والخيل والإبل والحمير وغيرها.

والدابة شرعا: هي مخلوق يمشي على الأرض، ويكلم الناس، ويسم المسلم والكافر، فيزداد المسلم نورا، والكافر يخطم على أنفه، ولا يعلم شكلها إلا الله تعالى.

قال السعدي في شرح الآية القادمة: وهَذِه الدَّابَّةُ هيَ الدَّابَّةُ الْمَشهورةُ الَّتي تَخرُجُ في آخِرِ الزَّمانِ وتَكونُ من أشراطِ السَّاعةِ، كما تَكاثَرَت بذلك الأحاديثُ ولَم يَأتِ دَليلٌ يَدُلُّ على كيفيَّتِها ولا من أيِّ نَوعٍ هيَ، وإنَّما دَلَّتِ الآيةُ الكَريمةَ على أنَّ الله يُخرِجُها للنَّاسِ، وأنَّ هذا التَّكليمَ مِنها خارِقٌ للعَوائِدِ الْمَألوفةِ، وأنَّه مِنَ الأدِلَّةِ على صِدْقِ ما أخبَرَ اللهُ به في كِتابِه. واللهُ أعلَمُ...وقال أيضا: لَم يَذكُرِ اللهُ ورَسولُه كيفيَّةَ هَذِه الدَّابَّةِ، وإنَّما ذَكَرَ أثَرَها، والمَقصودَ مِنها، وأنَّها من آياتِ الله تُكلِّمُ النَّاسَ كلامًا خارِقًا للعادةِ حينَ يَقَعُ القَولُ على النَّاسِ، وحينَ يَمتَرونَ بآياتِ اللهِ، فتَكونُ حُجَّةً وبُرهانًا للمُؤمِنينَ وحُجَّةً على الْمَعانِدينَ[1].

ثانيا: ثبوت خروج الدابة:

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾ [النمل: 82].

قال البغوي: قوله تعالى: {وَإِذَا وَقَعَ القَوْلُ عَلَيْهِم} وجب العذاب عليهم، وقال قتادة: إذا غضب الله عليهم، {أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ} واختلفوا في كلامها، فقال السدي: تكلمهم ببطلان الأديان سوى دين الإسلام.

وقال بعضهم: كلامها أن تقول لواحد: هذا مؤمن، وتقول لآخر: هذا كافر.

[1] يُنظر: ((تفسير السعدي)) (ص: 610).

وقيل كلامها ما قال الله تعالى : { أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ}[1] .

وعَن أبي أُمامةَ الباهِليِّ رَضِيَ الله عَنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: {تَخرُجُ الدَّابَّةُ فتَسِمُ النَّاسَ على خَراطيمِهم، ثُمَّ يُعَمَّرونَ فيكم حَتَّى يَشتَرِيَ الرَّجُلُ الدَّابَّةَ، فيقالَ: مِمَّنِ اشتريتَ؟ فيَقولُ: مِنَ الرَّجُلِ الْمُخْطَمِ}[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: {بادروا بالأعمال ستا: الدجال، والدخان، ودابة الأرض، وطلوع الشمس من مغربها، وأمر العامة، وخويصة أحدكم}[3].

وعن حذيفة بن أسيد رضي الله عنه قال: {اطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر، فقال: ما تذاكرون؟ قالوا: نذكر الساعة قال: إنها لن تقوم الساعة حتى تروا قبلها عشر آيات فذكر الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم}[4].

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: {حفظت من رسول الله ﷺ حديثا لم أنسه بعد، سمعت من رسول الله ﷺ يقول: إن أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى، وأيتهما ما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على إثرها قريبا}[5].

ثالثا: مكان خروج الدابة وعدد خرجاتها:

عن أبي سريح الأنصاري، عن النبي ﷺ قال: {يكونُ للدَّابَّةِ ثلاثُ خَرَجاتٍ مِنَ الدَّهرِ؛ تَخرُجُ أوَّلَ خَرْجةٍ بأقْصى اليمنِ، فيَفْشو ذِكرُها بالباديةِ، ولا يَدخُلُ ذِكرُها القريةَ -يعني مكَّةَ- ثمَّ يَمكُثُ زمانًا طويلًا بعْدَ ذلكَ، ثمَّ تَخرُجُ خَرْجةً أُخرى قريبًا مِن مكَّةَ، فيُنشَرُ ذِكرُها في أهلِ

---

[1] ينظر: تفسير البغوي.

[2] أخرجه أحمد (22308) واللَّفظُ له، وابن الجعد في ((المسند)) (2919)، وأبو نعيم في ((تاريخ أصبهان)) (88/2). صحَّحه الألباني في ((صحيح الجامع)) (2927)، وصحَّح إسنادَه شعيب الأرناؤوط في تخريج ((مسند أحمد)) (22308)، وقال الهيثمي في ((مجمع الزوائد)) (8/9): رجاله رجال الصَّحيح غيرَ عُمَرَ بن عبد الرحمن بن عطية، وهو ثقة.

[3] أخرجه مسلم 4/ / 2267 وأمر العامة هو القيامة، وخويصة أحدكم الموت.

[4] أخرجه مسلم 4/ 2226.

[5] أخرجه مسلم 2941.

البادِيةِ، ويُنشَرُ ذِكرُها بمكَّةَ، ثمَّ تَكمُنُ زمانًا طَويلًا، ثمَّ بيْنا النَّاسُ في أعظَمِ المساجدِ حُرمةً، وأحبِّها إلى اللهِ، وأكْرَمِها على اللهِ تعالَى؛ المسجدِ الحرامِ، لم يَرُعْهم إلَّا وهي في ناحيةِ المسجدِ، تَدْنو -أو تَرْبو- بيْن الرُّكنِ الأسودِ وبيْن بابِ بَني مَخْزومٍ عن يَمينِ الخارجِ في وسَطٍ مِن ذلكَ، فيَرفَضُّ النَّاسُ عنها شتَّى ومعًا، ويَثبُتُ لها عِصابةٌ مِنَ المسْلِمين عَرَفوا أنَّهم لنْ يُعجِزوا اللهَ، فخرَجَت عليهم تَنفُضُ عن رأْسِها التُّرابِ، فبَدَتْ بهم، فجَلَتْ عن وُجوهِهم حتَّى تَرَكَتْها كأنَّها الكواكبُ الدُّرِّيَّةُ، ثمَّ وَلَّت في الأرضِ لا يُدرِكُها طالبٌ ولا يُعجِزُها، حتَّى إنَّ الرَّجلَ لَيتعوَّذُ منها بالصَّلاةِ، فتَأتيه مِن خلْفِه فتَقولُ: أيْ فُلانُ، الآنَ تُصلِّي؟! فيَلتفِتُ إليها فتَسِمُه في وجْهِه، ثمَّ تَذهَبُ، فتَجاوَرُ النَّاسُ في دِيارِهم، ويَصطَحِبون في أسفارِهم، ويَشترِكون في الأموالِ، يَعرِفُ المؤمنُ الكافرَ، حتَّى إنَّ الكافرَ يَقولُ: يا مُؤمِنُ، اقْضِني حَقِّي، ويقولُ المؤمنُ: يا كافرُ، اقْضِني حَقِّي}[1].

نخرج بهذا: أنَّ الدابة إمَّا تخرج قبل طلوع الشمس من مغربها أو بعد ذلك، قال ابنُ حَجَرٍ: قال الحاكِمُ أبو عَبدِ اللهِ: الذي يَظهَرُ أنَّ طُلوعَ الشَّمسِ يَسبِقُ خُروجَ الدَّابَّةِ، ثُمَّ تَخرُجُ الدَّابَّةُ في ذلك اليَومِ أوِ الذي يَقْرُبُ مِنه، قُلتُ: والحِكْمةُ في ذلك أنَّ عِندَ طُلوعِ الشَّمسِ مِنَ الْمَغرِبِ يُغلَقُ بابُ التَّوبةِ، فتَخرُجُ الدَّابَّةُ تُمَيِّزُ الْمُؤمِنَ مِنَ الكافِرِ تَكميلًا للمَقصودِ من إغلاقِ بابِ التَّوبةِ[2].

وأنَّ للدابة خرجات ثلاثة، وأنَّ الدابة لا أحد يعرف شكلها، إلا أنَّ في بعض الأخبار أنها تنفض التراب عن شرعها، أي: لها شعر، وفي بعض الأخبار لها زعاق، أي: صياح، وأنَّ الدابة تسم المؤمن والكافر، والله أعلم.



[1] أخرجه الحاكم في المستدرك عن أبي سريحة الأنصار ي 8714، وقال: صحيح الإسناد وهو أبين حديث في ذكر دابة الأرض، ولم يخرجاه، وأخرجه الزيلعي من طريق حذيفة بن أسيد الغفاري في تخريج الكشاف 20/3، وقال: فيه طلحة بن عمرو، قال البيهقي: غير قوي، وأقول الحديث حسن لغيره بطرقه وشواهده.

[2] يُنظر: ((فتح الباري)) (11/ 353).

﴿ الفرع الخامس ﴾

﴿ طلوع الشمس من مغربها ﴾

أولا: ثبوت طلوع الشمس من مغربها:

منها قولُ اللهِ تعالى: ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ ﴾ [الأنعام: 158].

قال ابنُ جَريرٍ: أَولى الأقوالِ بالصَّوابِ في ذلك ما تَظاهَرَت به الأخبارُ عَن رَسولِ الله ﷺ أنَّه قال: ذلك حينَ تَطلُعُ الشَّمسُ من مَغرِبِها[1].

وقال السَّعديُّ: {يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ} الخارِقةِ للعادةِ، الَّتي يُعلَمُ بها أنَّ السَّاعةَ قَد دَنَت، وأنَّ القيامةَ قَدِ اقترَبَت، {لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَم تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا} أي: إذا وُجِدَ بَعضُ آياتِ اللهِ لَم يَنفَعِ الكافِرَ إيمانُه أنْ آمَنَ، ولا الْمُؤمِنَ الْمُقَصِّرَ أن يَزدادَ خَيرُه بَعدَ ذلك، بَل يَنفَعُه ما كان مَعَه مِنَ الإيمانِ قَبلَ ذلك، وما كان لَه مِنَ الخَيرِ الْمَرجوِّ قَبلَ أن يَأتيَ بَعضُ الآياتِ.

والحِكْمةُ في هذا ظاهِرةٌ، فإنَّه إنَّما كان الإيمانُ يَنفَعُ إذا كان إيمانًا بالغَيبِ، وكان اختيارًا مِنَ العَبدِ؛ فأمَّا إذا وُجِدَتِ الآياتُ صارَ الأمرُ شَهادةً، ولَم يَبْقَ للإيمانِ فائِدةٌ؛ لأنَّه يُشبِهُ الإيمانَ الضَّروريَّ، كإيمانِ الغَريقِ والحَريقِ ونَحوِهما، مِمَّن إذا رَأى الْمَوتَ أقلَعَ عَمَّا هو فيه، كما قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ * فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ ﴾ [غافر: 84 – 85].

وقَد تَكاثَرَتِ الأحاديثُ الصَّحيحةُ عَنِ النَّبيِّ ﷺ أنَّ الْمُرادَ ببَعضِ آياتِ اللهِ طُلوعُ الشَّمسِ من مَغرِبِها، وأنَّ النَّاسَ إذا رَأَوها آمَنوا فلَم يَنفَعْهم إيمانُهم، ويُغلَقُ حينَئِذٍ بابُ التَّوبة[2].

---

[1] ينظر: تفسير الطبري.

[2] ينظر: تفسير السعدي.

فعَن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عَنه أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ قال: {لا تقومُ السَّاعةُ حَتَّى تَطلُعَ الشَّمسُ من مَغرِبِها، فإذا طَلَعَت فرآها النَّاسُ آمَنوا أجمَعونَ، فذاكَ حينَ ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾[الأنعام: 158] }[1].

عن أبي ذرٍّ رَضِيَ اللهُ عنه أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ يَوْمًا: {أتَدْرُونَ أيْنَ تَذْهَبُ هذِه الشَّمْسُ؟ قالوا: اللَّهُ ورَسولُهُ أعْلَمُ، قالَ: إنَّ هذِه تَجْرِي حتَّى تَنْتَهِيَ إلى مُسْتَقَرِّها تَحْتَ العَرْشِ، فَتَخِرُّ ساجِدَةً، فلا تَزالُ كَذلكَ حتَّى يُقالَ لَها: ارْتَفِعِي، ارْجِعِي من حَيْثُ جِئْتِ، فَتَرْجِعُ فَتُصْبِحُ طالِعَةً من مَطْلِعِها، ثُمَّ تَجْرِي حتَّى تَنْتَهِيَ إلى مُسْتَقَرِّها تَحْت العَرْشِ، فَتَخِرُّ ساجِدَةً، ولا تَزالُ كَذلكَ حتَّى يُقالَ لَها: ارْتَفِعِي، ارْجِعِي من حَيْثُ جِئْتِ، فَتَرْجِعُ فَتُصْبِحُ طالِعَةً من مَطْلِعِها، ثُمَّ تَجْرِي لا يَسْتَنْكِرُ النَّاسُ مِنْها شيئًا حتَّى تَنْتَهِيَ إلى مُسْتَقَرِّها ذاكَ تَحْت العَرْشِ، فيُقالُ لَها: ارْتَفِعِي أصْبِحِي طالِعَةً من مَغْرِبِكِ، فَتُصْبِحُ طالِعَةً من مَغْرِبِها، فقالَ رَسولُ اللهِ ﷺ أتَدْرُونَ مَتَى ذاكُمْ؟ ذاكَ حِينَ ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾[الأنعام: 158] }[2].

عَن حُذَيفةَ بنِ أُسَيدٍ رَضِيَ اللهُ عَنه قال: {اطَّلَعَ النبيُّ ﷺ عَلَيْنا وَنَحْنُ نَتَذاكَرُ، فَقالَ: ما تَذاكَرُونَ؟ قالوا: نَذْكُرُ السَّاعَةَ، قالَ: إنَّهَا لَنْ تَقُومَ حتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ، فَذَكَرَ: الدُّخَانَ، وَالدَّجَّالَ، وَالدَّابَّةَ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ من مَغْرِبِهَا...}[3].

عَن عَبدِ اللهِ بن عَمرٍو رَضِيَ اللهُ عَنهما قال: {حَفِظْتُ من رَسولِ اللهِ ﷺ حَديثًا لَم أنسَه بَعدُ، سَمِعتُ رَسولَ اللهِ ﷺ يَقولُ: إنَّ أوَّلَ الآياتِ خُروجًا طُلوعُ الشَّمسِ من مَغرِبِها، وخُروجُ الدَّابَّةِ على النَّاسِ ضُحًى، وأيُّهما ما كانت قَبلَ صاحِبَتِها فالأخرى على إثرِها قَريبًا}[4].

قال أبو العَبَّاس القُرطُبيُّ: قَولُه: {إنَّ أوَّلَ الآياتِ خُروجًا طُلوعُ الشَّمسِ من مَغرِبِها، وخُروجُ الدَّابَّةِ على النَّاسِ ضُحًى} يَعني –والله أعلَمُ– أوَّلُ الآياتِ الكائِنةِ في زَمانِ ارتِفاعِ التَّوبةِ والطَّبعِ

---

[1] أخرجه مُطَوَّلًا البخاري (**6506**) واللَّفظُ له، ومسلم (**157**).

[2] أخرجه البخاري (**7424**)، ومسلم (**159**) واللَّفظُ له.

[3] أخرجه مسلم (**2901**).

[4] أخرجه مسلم (**2941**).

على كُلِّ قَلبٍ بما فيه؛ لأنَّ ما قَبلَ طُلوعِ الشَّمسِ من مَغرِبِها التَّوبةُ فيه مَقبولةٌ، وإيمانُ الكافِرِ يَصِحُّ فيه[1].

وقال ابنُ حَجَرٍ: الذي يَتَرَجَّحُ من مَجموعِ الأخبارِ أنَّ خُروجَ الدَّجَّالِ أوَّلُ الآياتِ العِظامِ الْمُؤذِنُ بتَغَيُّرِ الأحوالِ العامَّةِ في مُعظَمِ الأرضِ، ويَنتَهي ذلك بمَوتِ عيسى بن مَريَمَ، وأنَّ طُلوعَ الشَّمسِ مِنَ الْمَغرِبِ هو أوَّلُ الآياتِ العِظامِ الْمُؤذِنُ بتَغَيُّرِ أحوالِ العالَمِ العُلويِّ، ويَنتَهي ذلك بقيامِ السَّاعةِ، ولَعَلَّ خُروجَ الدَّابَّةِ يَقَعُ في ذلك اليَومِ الذي تَطلُعُ فيه الشَّمسُ من الْمَغرِبِ، وقَد أخرَجَ مُسْلِمٌ أيضًا من طَريقِ أبي زُرعةَ عَن عَبدِ اللهِ بن عَمرِو بنِ العاصِ رَفَعَه: {أوَّلُ الآياتِ طُلوعُ الشَّمسِ من مَغرِبِها، وخُروجُ الدَّابَّةِ على النَّاسِ ضُحًى، فأيُّهما خَرَجَت قَبلَ الأُخرى، فالأُخرى مِنها قَريبٌ}[2].

ثانيا: غَلْقُ بابِ التَّوبةِ بَعدَ طُلوعِ الشَّمسِ من مَغرِبِها:

عَن أبي موسى رَضِيَ اللهُ عَنه قال: قال رَسولُ اللهِ ﷺ: {إنَّ اللهَ يَبسُطُ يَدَه باللَّيلِ ليَتوبَ مُسيءُ النَّهارِ ويَبسُطُ يَدَه بالنَّهارِ ليَتوبَ مُسيءُ اللَّيلِ، حَتَّى تَطلُعَ الشَّمسُ من مَغرِبِها}[3].

قال أبو العَبَّاس القُرطُبيُّ: إنَّ التَّوبةَ تَصِحُّ وتُقبَلُ دائِمًا إلى الوَقتِ الذي تَطلُعُ فيه الشَّمسُ من حَيثُ تَغرُبُ، فإذا كان ذلك طُبِعَ على كُلِّ قَلبٍ بما فيه، ولَم تَنفَعْ تَوبةُ أحَدٍ[4].

وعَن صَفوانَ بن عَسالٍ رَضِيَ اللهُ عَنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: {إنَّ اللهَ جَعَلَ بالمَغرِبِ بابًا عَرضُه مَسيرةُ سَبعين عامًا للتَّوبةِ لا يُغلَقُ ما لَم تَطلُعِ الشَّمسُ من قِبَلِه، وذلك قَولُ اللهِ عزَّ وجَلَّ: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا﴾}[5].

---

[1] يُنظر: ((المفهم)) (7/ 242).

[2] أخرجه مسلم (2941) باختلاف يسير، يُنظر: ((فتح الباري)) (11/ 353).

[3] أخرجه مسلم (2759).

[4] يُنظر: ((المفهم)) (7/ 105).

[5] أخرجه الترمذي (3536) واللفظ له، وابن ماجه (4070)، وأحمد (18093، 18094) مفرقاً باختلاف يسير. صححه الترمذي، وابن حبان في ((صحيحه)) (1321)، وابن العربي في ((الناسخ والمنسوخ)) (2/156).

قال ابنُ كثيرٍ: إذا أنشأَ الكافِرُ إيمانًا يومَئِذٍ لا يُقبَلُ مِنه، فأمَّا من كان مُؤمِنًا قَبلَ ذلك فإن كان مُصلِحًا في عَمَلِه فهو بخَيرٍ عَظيمٍ، وإن كان مُخَلِّطًا فأحدَثَ توبةً حينَئِذٍ لَم تُقبَلْ مِنه تَوبَتُه[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: {قال رسول الله ﷺ : مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ}[2].

فالقسم هنا على ثلاثة:

الأول: كافر: لا تقبل توبته عند طلوع الشمس من مغربها.

الثاني: مؤمن خلط عملا فاسدا بعمل صالح: فلا تقبل توبه ممَّا أذنب، وينفعه إيمانه في النجاة من الخلود في النار، أو ينفعه إيمانه ولا ترتفع درجاته.

الثالث: مؤمن صالح: ينفعه إيمانه في النجاة، وينفعه عمله الصالح في علو درجاته.

ثالثا: الحكمة من طلوع الشمس من مغربها:

قال القُرطُبيُّ: قَد قيلَ: إنَّ الحِكمَةَ في طُلوعِ الشَّمسِ من مَغرِبِها أنَّ إبراهيمَ عليه السَّلامُ قال لنمرودٍ: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾ [البقرة: 258] ، وأنَّ الْمُلحِدين والمُنجِّمين عَن آخِرِهم يُنكِرونَ ذلك، ويَقولونَ هو غَيرُ كائِنٍ، فيُطلِعُها الله تعالى يَومًا مِنَ الْمَغرِبِ ليَرى الْمُنكِرون لذلك قُدرَتَه من أنَّ الشَّمسَ في قُدرَتِه، إنْ شاءَ أطلَعَها مِنَ الْمَشرِقِ، وإن شاءَ أطلَعَها مِنَ الْمَغرِبِ[3].

وأقول: أنَّ الحكمة منها ظاهرة، وهي انقطاع التوبة، وعدم قبولها، فهي علامة على ذلك.



---

[1] يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (3/371).

[2] رواه مسلم (2703) .

[3] يُنظر: ((التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة)) (2/ 415).

﴿الفرع السادس﴾

﴿الدُّخان﴾

أولا: ثبوت ظهور الدخان:

قال الله تعالى: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ * يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[الدخان: 10 – 11].

وقد ذكرنا سابقا الخلاف في الدخان هل هو الذي حدث في عصر النبي ﷺ أو هو الذي قُبيل الساعة، ورجّحا قول أنه الذي قبيل الساعة بأدلتها.

فعَن حُذَيفةَ بنِ أُسَيدٍ الغِفاريِّ رَضِيَ اللهُ عَنه قال: {كانَ النبيُّ ﷺ في غُرْفَةٍ وَنَحْنُ أَسْفَلَ منه، فَاطَّلَعَ إلَيْنَا، فَقالَ: ما تَذْكُرُونَ؟ قُلْنَا: السَّاعَةَ، قالَ: إنَّ السَّاعَةَ لا تَكُونُ حتَّى تَكُونَ عَشْرُ آيَاتٍ: خَسْفٌ بالمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بالمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ في جَزِيرَةِ العَرَبِ، وَالدُّخَانُ...}[1].

قال النَّوويُّ: هذا الحَديثُ يُؤَيِّدُ قَولَ من قال: إنَّ الدُّخانَ دُخانٌ يَأخُذُ بأنفاسِ الكُفَّارِ، ويَأخُذَ الْمُؤمِنَ مِنه كهَيئةِ الزُّكامِ وأنَّه لَم يَأتِ بَعْدُ، وإنَّما يَكونُ قَريبًا من قيامِ السَّاعةِ[2].

وعَن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عَنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: بادِرُوا بالأعْمالِ سِتًّا: طُلُوعَ الشَّمْسِ من مَغْرِبِها، أوِ الدُّخانَ، أوِ الدَّجَّالَ، أوِ الدَّابَّةَ، أوْ خاصَّةَ أحَدِكُمْ، أوْ أمْرَ العامَّةِ}[3].

قال ابنُ حَجَرٍ: رَوى الطَّبَريُّ من حَديثِ ربعيٍّ عَن حُذَيفةَ مَرفوعًا في خُروجِ الآياتِ والدُّخانِ قال حُذَيفةُ: {يا رَسولَ اللهِ، وما الدُّخانُ، فتَلا هَذِه الآيةَ، قال: أمَّا الْمُؤمِنُ فيُصيبُه مِنه كهَيئةِ الزكمةِ، وأمَّا الكافِرُ فيَخرُجُ من منخرَيه وأُذُنَيه ودُبُرِه}، وإسنادُه ضَعيفٌ أيضًا، ورَوى ابنُ أبي حاتِمٍ من حَديثِ أبي سَعيدٍ نَحوَه، وإسنادُه ضَعيفٌ أيضًا، وأخرَجَه مَرفوعًا بإسنادٍ أصلَحَ مِنه، ولِلطَّبَريِّ من حَديثِ أبي مالِكِ الأشعَريِّ رَفعَه: {إنَّ رَبَّكم أنذَرَكم ثَلاثًا: الدُّخانَ يَأخُذُ الْمُؤمِنَ

---

[1] أخرجه مسلم (2901).
[2] يُنظر: ((شرح مسلم)) (18/ 27).
[3] أخرجه مسلم (2947).

كالزكمةِ} الحَديث. ومِن حَديثِ ابن عُمَرَ نَحوُه، وإسنادُهما ضَعيفٌ أيضًا، لَكِن تَضافُرُ هَذِه الأحاديثِ يَدُلُّ على أنَّ لذلك أصلًا[1].

ثانيا: هيئة الدخان:

الدخان يعم كل الناس، قال تعالى: ﴿ يَغْشَى النَّاسَ ۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[الدخان: 11]، قال ابن عاشور: ومعنى { يغشى الناس } أنه يحيط بهم ويعمّهم كما تحيط الغَاشية بالجسد ، أي لا ينجو منه أحد[2].

وأخرج ابن جرير في التفسير بسند فيه ضعف، عن ابن عمر قال: يخرج الدخان، فيأخذ المؤمن كهيئة الزكمة، ويدخل في مسامع الكافر والمنافق، حتى يكون كالرأس الحنيذ. اهـ.

ولم يأت في الحديث أنه يهلك الكفار بسبب هذا الدخان، وأظنه يعذبهم لقوله تعالى:

﴿يَغْشَى النَّاسَ ۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[الدخان: 11]، وأما المؤمنون، فقد ثبت في شأنهم ما في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو: {فَيَبْعَثُ اللَّهُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ كَأنَّهُ عُرْوَةُ بنُ مَسْعُودٍ، فَيَطْلُبُهُ فيُهْلِكُهُ، ثُمَّ يَمْكُثُ النَّاسُ سَبْعَ سِنِينَ، ليسَ بيْنَ اثْنَيْنِ عَدَاوَةٌ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ رِيحًا بَارِدَةً مِن قِبَلِ الشَّأْمِ، فلا يَبْقَى علَى وَجْهِ الأرْضِ أَحَدٌ في قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِن خَيْرٍ أَوْ إيمَانٍ إلَّا قَبَضَتْهُ، حتَّى لو أنَّ أَحَدَكُمْ دَخَلَ في كَبِدِ جَبَلٍ لَدَخَلَتْهُ عليه حتَّى تَقْبِضَهُ...}[3].

فيتبين لنا من هذا أنَّ الدخان يأتي في زمن ليس فيه مؤمنين على خلاف رواية ابن جرير الضعيفة والله أعلم.



[1] يُنظر: ((فتح الباري)) (8/ 573).

[2] ينظر تفسير ابن عاشور.

[3] أخرجه مسلم 2940.

﴿الفرع السابع، والثامن، والتاسع﴾

﴿خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب﴾

أولا: معنى الخسف:

الخسف لغة غياب الشيء في الأرض[1].

يُقالُ: خَسفَ الْمَكانُ يَخسِفُ خُسوفًا: إذا ذَهَبَ في الأرضِ وغابَ فيها، ومنه قَولُه تعالى:

﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ﴾[القصص: 81].

ثانيا: ثبوت الخسف:

عن حُذَيفةِ بنِ أُسَيدٍ رَضِيَ الله عَنه أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ قال: {لا تَقومُ السَّاعةُ حَتَّى تَرَوا عَشْرَ آياتٍ، فذَكَرَ مِنها ثَلاثةَ خُسوفٍ: خَسْفٌ بالمَشرِقِ، وخَسْفٌ بالمَغرِبِ، وخَسْفٌ بجَزيرةِ العَرَبِ}[2].

وعن حذيفة بن أسيد الغفاري، قال: كانَ النَّبيُّ ﷺ في غُرْفَةٍ وَنَحْنُ أَسْفَلَ منه، فَاطَّلَعَ إلَيْنَا، فَقالَ: ما تَذْكُرُونَ؟ قُلْنَا: السَّاعَةَ، قالَ: إنَّ السَّاعَةَ لا تَكُونُ حتَّى تَكُونَ عَشْرُ آيَاتٍ: خَسْفٌ بالمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بالمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ في جَزِيرَةِ العَرَبِ...}[3].

وهذه الخسوفات الثلاثة غير الخسوفات التي وقعت سابقا، إن وقع خسف في بعض المواقع، بل هي من أشراط الساعة الكبر، قال ابنُ حَجَرٍ: قَد وُجِدَ الخَسفُ في مَواضِعَ، ولَكِن يُحتَمَلُ أن يَكونَ الْمُرادُ بالخُسوفِ الثَّلاثةِ قَدْرًا زائِدًا على ما وُجِدَ، كأن يَكونَ أعظَمَ مِنه مَكانًا أو قَدْرًا[4].

وقال الْمُناويُّ: {وثَلاثة خُسوفٍ} جمعُ خَسْفٍ، وخَسْفُ الْمَكانِ: ذَهابُه في الأرضِ وغُيوبَتُه فيها، {خَسفٌ بالمَشرِقِ وخَسفٌ بالمَغرِبِ وخَسفٌ بجَزيرةِ العَرَبِ} مَكَّةَ والمَدينةِ واليَمامةِ

---

[1] ينظر لسان العرب مادة (خ س ف)

[2] أخرجه مسلم (2901).

[3] أخرجه مسلم 2901.

[4] يُنظر: ((فتح الباري)) (84/13).

واليَمَنِ، على ما حُكِيَ عَن مالِكٍ رَضِيَ الله تعالى عَنه، سُمِّيَت به لأنَّه يُحيطُ بها بَحرُ الهِندِ وبَحرُ القُلْزُمِ ودِجْلةَ والفُراتِ[1].

عن أم سلمة قالت: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: {سيكون بعدي خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف في جزيرة العرب، قلت: يا رسول الله! أيُخسَفُ بالأرض وفيها الصالحون؟ قال لها رسول الله ﷺ: إذا أكثر أهلها الخبث}[2].

كان النبي ﷺ يستعيذ من الخسف لأنه عذاب فعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اَللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: {لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ يَدَعُ هَؤُلَاءِ اَلْكَلِمَاتِ حِينَ يُمْسِي وَحِينَ يُصْبِحُ: اَللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ اَلْعَافِيَةَ فِي دِينِي، وَدُنْيَايَ، وَأَهْلِي، وَمَالِي، اَللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي، وَآمِنْ رَوْعَاتِي، وَاحْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ، وَمِنْ خَلْفِي، وَعَنْ يَمِينِي، وَعَنْ شِمَالِي، وَمِنْ فَوْقِي، وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي}[3]. قال وكيعٌ: يعني الخَسْفَ[4].



[1] يُنظر: ((فيض القدير)) (2/ 344).

[2] رواه الطبراني في " الأوسط " ؛كما قال الهيثمي في: " مجمع الزوائد " وقال: " في الصحيح بعضه، وفيه حكيم بن نافع، وثقه ابن معين، وضعفه غيره، وبقية رجاله ثقات

[3] أخرجه أبو داود (5074) واللفظ له، وابن ماجه (3871)، وأحمد (4785)

[4] مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح" (4/1664).

﴿الفرع العاشر﴾

﴿نار تخرج من قعر عدن باليمن، تسوق النّاس إلى محشرهم﴾

أولا: ثبوت خروج النار:

عَن حُذَيفةَ بنِ أُسَيدٍ رَضِيَ الله عَنه قال: {اطَّلَعَ النبيُّ ﷺ عَلَيْنا وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ، فَقالَ: ما تَذَاكَرُونَ؟ قالوا: نَذْكُرُ السَّاعَةَ، قالَ: إنَّهَا لَنْ تَقُومَ حتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ، فَذَكَرَ الدُّخَانَ، وَالدَّجَّالَ، وَالدَّابَّةَ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ من مَغْرِبِهَا، وَنُزُولَ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ ﷺ، وَيأَجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ: خَسْفٌ بالمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بالمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بجَزِيرَةِ العَرَبِ، وَآخِرُ ذلكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ اليَمَنِ تَطْرُدُ النَّاسَ إلى مَحْشَرِهِمْ}[1].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: {قال رسول الله ﷺ: ستخرج نار من حضرموت أو من بحر حضرموت قبل يوم القيامة تحشر الناس}[2].

وعن أنس رضي الله عنه: {أن عبد الله بن سلام لما أسلم سأل النبي ﷺ عن مسائل ومنها: ما أول أشراط الساعة؟ فقال النبي ﷺ: أما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب}[3].

والجمع بين الأحاديث الواردة في مكانها الجمع بين ما جاء أن هذه النار هي آخر أشراط الساعة الكبرى وما جاء أنها أول أشراطها بأن يقال: إن آخريتها باعتبار ما ذكر معها من الآيات الواردة معها في حديث حذيفة، وأوليتها باعتبار أنها أول الآيات التي لا شيء بعدها من أمور الدنيا أصلا، بل يقع بانتهاء هذه الآيات النفخ في الصور بخلاف ما ذكر معها من الآيات الواردة في حديث حذيفة، فإنه يبقى بعد كل آية منها أشياء من أمور الدنيا[4].

أما ما جاء في بعض الروايات بأن خروجها يكون من اليمن، وفي بعضها الآخر أنها تحشر الناس من المشرق إلى المغرب فيجاب عن ذلك بأجوبة:

---

[1] أخرجه مسلم (2901).

[2] أخرجه الإمام أحمد 7/ / 133 برقم 5146 وصححه أحمد شاكر. والترمذي: 4 / 431 ، وصححه الألباني في صحيح الجامع 3 / 203 .

[3] أخرجه البخاري 6/417 – 418.

[4] ينظر: فتح الباري 13/86.

1 – أنه يمكن الجمع بين هذه الروايات بأن كون النار تخرج من قعر عدن لا ينافي حشرها الناس من المشرق إلى المغرب، وذلك أن ابتداء خروجها من قعر عدن فإذا خرجت انتشرت في الأرض كلها، والمراد بقوله صلى الله عليه وسلم: {تحشر الناس من المشرق إلى المغرب} إرادة تعميم الحشر لا خصوص المشرق والمغرب.

2 – أن النار عندما تنتشر يكون حشرها لأهل المشرق أولا، ويؤيد ذلك أن ابتداء الفتن دائما من المشرق، وأما جعل الغاية المغرب فلأن الشام بالنسبة إلى أهل المشرق مغرب.

3 – يحتمل أن تكون النار المذكورة في حديث أنس كناية عن الفتن المنتشرة التي أثارت الشر العظيم والتهبت كما تلتهب النار، وكان ابتداؤها من قبل المشرق حتى خرب معظمه وانحشر الناس من جهة المشرق إلى الشام ومصر وهما من جهة الغرب، كما شوهد ذلك مرارا في عهد التتار والمغول وغيرهم، وأما النار التي في حديثي حذيفة بن أسيد وابن عمر فهي نار حقيقية، والله أعلم[1].

ثانيا: كيفية حشر الناس في آخر الزمان:

عَن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ الله عَنه عَنِ النَّبيِّ ﷺ قال: {يُحشَرُ النَّاسُ على ثَلاثِ طَرائِقَ راغِبينَ راهِبينَ، واثنانِ على بَعيرٍ، وثَلاثة على بَعيرٍ، وأربَعة على بَعيرٍ، وعَشَرةً على بَعيرٍ، ويَحشُرُ بَقيَّتَهم النَّارُ، تَقِيلُ مَعَهم حَيثُ قالوا، وتَبِيتُ مَعَهم حَيثُ باتوا، وتُصبِحُ مَعَهم حَيثُ أصبَحوا، وتُمسي مَعَهم حَيثُ أمسَوا}[2].

قال الخَطابيُّ: الحَشْرُ الْمَذكورُ في هذا الحَديثِ إنَّما يَكونُ قَبلَ قيامِ السَّاعةِ، يُحشَرُ النَّاسُ أحياءً إلى الشَّامِ، فأمَّا الحَشْرُ الذي يَكونُ بَعدَ البَعثِ مِنَ القُبورِ، فإنَّه على خِلافِ هَذِه الصُّورةِ من رُكوبِ الإبِلِ والمُعاقَبةِ عليها، إنَّما هو على ما ورَدَ في الخَبَرِ أنَّهم يُبعَثونَ يَومَ القيامةِ حُفاةً عُراةً بُهْمًا غُرْلًا، وقَد قيلَ: إنَّ هذا البَعثَ دونَ الحَشْرِ، فلَيسَ بينَ الحَديثين تَدافُعٌ، ولا تَضادٌّ. وقَولُه: وعَشَرةٌ على بَعيرٍ، يَعني أنَّهم يَعتَقِبونَ البَعيرَ الواحِدَ، يركَبُ بَعضُهم ويَمشي الباقونَ عَقبًا بينَهم[3].

---

[1] ينظر: فتح الباري 86/13، للمزيد ينظر: كتاب أشراط الساعة للغفيلي 164.

[2] أخرجه البخاري (6522)، ومسلم (2861).

[3] يُنظر: ((أعلام الحديث)) للخطابي (3/ 2269).

وقال النَّوَويُّ: قال العُلَماءُ: وهذا الحَشْرُ في آخِرِ الدُّنيا قُبَيلَ القيامةِ وقُبَيلَ النَّفخِ في الصُّورِ، بدَليلِ قَولِه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: {تَحْشُرُ بَقِيَّتَهم النَّارُ تَبيتُ مَعَهم وتَقيلُ وتُصبِحُ وتُمسي}، وهذا آخِرُ أشراطِ السَّاعةِ، كما ذَكَرَ مُسْلِمٌ بَعدَ هذا في آياتِ السَّاعةِ، قال: {وآخِرُ ذلك نارٌ تَخرُجُ من قَعرِ عَدَنٍ تُرَحِّلُ النَّاسَ}، وفي روايةٍ: {تَطرُدُ النَّاسَ إلى مَحْشَرِهم}[1]، والمُرادِ بثَلاثِ طَرائِقَ ثَلاثُ فِرَقٍ، ومنه قَولُه تعالى إخبارًا عَنِ الجِنِّ: كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا أي: فِرَقًا مُختَلِفةَ الأهواءِ[2].

الثالث: أرض المحشر في آخر الزمان:

قال اللهُ تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ ﴾[الحشر: 2].

قال السَّمعانيُّ: قَولُه: {لِأَوَّلِ الْحَشْرِ} قال الحَسَنُ: مَعنى أوَّلِ الحَشْرِ: هو أنَّ الشَّامَ أرضُ الحَشْرِ والمَنشَرِ، وكان رَسولُ الله ﷺ أجلاهم إلى الشَّامِ، فإجلاؤُه إيَّاهم كان هو الحَشْرَ الأوَّلَ، والحَشْرُ الثَّاني يَومَ القيامةِ، وهو قَولُ عِكرِمةَ أيضًا[3].

وقال ابنُ كثيرٍ: سَيَّرَهم رَسولُ الله ﷺ وأجلاهم مِنَ الْمَدينةِ، فكان مِنهم طائِفةٌ ذَهَبوا إلى أذرعاتٍ من أعالي الشَّامِ، وهيَ أرضُ الْمَحْشَرِ والمَنشَرِ، ومِنهم طائِفةٌ ذَهَبوا إلى خَيبَرَ[4].

وعَن حَكيمِ بن مُعاوِيةَ رَضِيَ اللهُ عَنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: {هاهُنا تُحشَرونَ، هاهُنا تُحشَرونَ، هاهُنا تُحشَرونَ –ثَلاثًا– رُكبانًا، ومُشاةً، وعلى وُجوهِكم}، قال ابنُ أبي بكيرٍ: فأشارَ بيَدِه إل الشَّامِ، فقال: {إلى هاهُنا تُحشَرونَ}[5].

وأرضُ الشَّامِ هيَ أرضُ الأمنِ والإيمانِ حينَ تَقَعُ الفِتَنُ في آخِرِ الزَّمانِ[6].

---

[1] أخرجه مسلم (2901) مُطَوَّلًا.

[2] يُنظر: ((شرح مسلم)) للنووي (17/ 194).

[3] يُنظر: ((تفسير السمعاني)) (5/ 395).

[4] يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (8/ 57).

[5] أخرجه النسائي في ((السنن الكبرى)) (11431)، وأحمد (20011). حسَّنه الوادعي في ((الصَّحيح المسند)) (1129)، وحسَّن إسنادَه شعيب الأرناؤوط في تخريج ((مسند أحمد)) (20011).

[6] موقع الدرر السنية

عَن أبي الدَّرداءِ رَضِيَ الله عَنه قال: قال رَسولُ الله ﷺ: {بَينا أنا نائِمٌ إذ رَأيتُ عَمودَ الكِتابِ احتُمِلَ من تَحتِ رَأسي، فظَنَنتُ أنَّه مَذهوبٌ به، فأتبَعْتُه بَصَري، فعُمِدَ به إلى الشَّامِ، ألَا وإنَّ الإيمانَ حينَ تَقَعُ الفِتَنُ بالشَّامِ}[1].

وعَن عَبدِ الله بنِ حَوالةَ رَضِيَ الله عَنه أنَّ رَسولَ الله ﷺ قال: {سَيَصيرُ الأمرُ إلى أن تَكونوا جُنودًا مُجَنَّدةً، جُندٌ بالشَّامِ، وجُندٌ باليَمنِ، وجُندٌ بالعِراقِ، قال ابنُ حَوالةَ: خِرْ لي يا رَسولَ اللهِ إن أدرَكْتُ ذلك، فقال: عليكَ بالشَّامِ؛ فإنَّها خِيرةُ اللهِ مِن أرضِه، يَجتَبي إليها خَيرَتَه من عِبادِه؛ فأمَّا إنْ أبيتُم فعَلَيكم بيَمَنِكم، واسْقُوا من غُدُرِكم؛ فإنَّ الله تَوَكَّلَ لي بالشَّامِ وأهلِه}[2].

وقَد دَعا رَسولُ الله ﷺ للشَّامِ بالبَرَكةِ؛ فعنِ ابنِ عُمَرَ رَضِيَ الله عَنهما قال: {قال النَّبيُّ ﷺ: اللهُمَّ بارِكْ لَنا في شَامِنا، اللَّهُمَّ بارِكْ لَنا في يَمَنِنا}[3].

قال ابنُ رَجَب: في الصَّحيحينِ عَن أبي هُرَيرةَ عَنِ النَّبيِّ ﷺ، قال: {يُحشَرُ النَّاسُ على ثَلاثِ طَرائِقَ، راغِبينَ راهِبينَ، واثنانِ على بَعيرٍ، وثَلاثة على بَعيرٍ، وأربَعة على بَعيرٍ، وعَشَرةٌ على بَعيرٍ، وتَحشُرُ بَقِيَّتَهم النَّارُ، تَقيلُ مَعَهم حَيثُ قالوا، تَبِيت مَعَهم حَيثُ باتوا، وتُصبِحُ مَعَهم حَيثُ أصبَحوا، وتُمسي مَعَهم حَيثُ أمسوا}[4].

فهَذِه الثَّلاثُ الْمَذكورةُ في هذا الحَديثِ؛ أحَدُها: مَن يُحشَرُ راغِبًا، وهو مَن يُهاجِرُ إلى الشَّامِ طَوعًا.

والثَّاني: مَن يُحشَرُ رَهْبةً وخَوفًا على نَفسِه؛ لظُهورِ الفِتَنِ في أرضِه.

والثَّالِثُ: من تَحشُرُه النَّارُ قَسْرًا، وهو شَرُّ الثَّلاثةِ[5].

---

[1] أخرجه أحمد (21781) واللَّفظُ له، والبزار (4111)، والطبراني كما في ((مجمع الزوائد)) للهيثمي (60/10) باختلافٍ يسيرٍ. صحَّحه الوادعي في ((الصَّحيح المسند)) (1056)، وصحَّح إسنادَه البيهقي في ((دلائل النبوة)) (447/6)، وابن حجر في ((فتح الباري)) (420/12)، وشعيب الأرناؤوط في تخريج ((مسند أحمد)) (21781). وقال البزار: لا نعلم له إسنادًا أحسن من هذا الإسناد.

[2] أخرجه أبو داود (2483) واللَّفظُ له، وأحمد (22489). صحَّحه الألباني في ((صحيح سنن أبي داود)) (2483)، وشعيب الأرناؤوط في تخريج ((سنن أبي داود)) (2483)، وحسَّنه الوادعي في ((صحيح دلائل النبوة)) (657)، وقال ابن رجب في ((فضائل الشام)) (181/3): له طرقٌ كثيرةٌ.

[3] أخرجه البخاري (7094).

[4] أخرجه البخاري (6522) واللَّفظُ له، ومسلم (2861).

[5] يُنظر: ((مجموع رسائل ابن رجب)) (3/ 238).

رابعا: زمان وقوع حشر الناس بالنار:

الحَشْرُ الْمَذكورُ في الأحاديثِ السَّابِقةِ يَكونُ في آخر الزمان، ولَيسَ الْمُرادُ به حَشْرَ النَّاسِ بَعدَ البَعثِ مِنَ القُبورِ.

قال القُرطُبيُّ: الحَشْرُ ومَعناه الجَمعُ، وهو على أربَعةِ أوجُهٍ: حَشْرانِ في الدُّنيا، وحَشْرانِ في الآخِرةِ.

أمَّا الذي في الدُّنيا فقَولُه تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾[الحشر: 12]، قال الزُّهريُّ: كانوا من سبطٍ لَم يُصِبْهم جَلاءٌ، وكان اللهُ عَزَّ وجَلَّ قَد كَتَبَ عليهم الجَلاءَ، فلَولا ذلك لعَذبَهم في الدُّنيا، وكان أوَّلُ حَشْرٍ حُشِروا في الدُّنيا إلى الشَّامِ... الثَّاني: ما أخرجه مُسْلِمٌ عَن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عَنه عَنِ النَّبيِّ ﷺ قال: {يُحشَرُ النَّاسُ على ثَلاثِ طَرائِقَ: راغِبينَ وراهِبين، واثنانِ على بَعيرٍ، وثَلاثة على بَعيرٍ، وأربَعة على بَعيرٍ، وعَشَرةٌ على بَعيرٍ، وتَحشُرُ بَقيَّتَهم النَّارُ، تَبيت مَعَهم حَيثُ باتوا، وتَقيلُ مَعَهم حَيثُ قالوا، وتُصبِحُ مَعَهم حَيثُ أصبَحوا، وتُمسِي مَعَهم حَيثُ أمسَوا}، أخرَجَه البُخاريُّ أيضًا... قال القاضي عِياضٌ: هذا الحَشْرُ في الدُّنيا قَبلَ قيامِ السَّاعةِ، وهو آخِرُ أشراطِها، كما ذَكَرَه مُسْلِمٌ بَعدَ هذا في آياتِ السَّاعةِ. قال فيه: {وآخِرُ ذلك نارٌ تَخرُجُ من قَعرِ عَدَنٍ تَزْجُرُ النَّاسَ}، وفي رِوايةٍ: {تَطرُدُ النَّاسَ إلى مَحْشَرِهم}، ويَدُلُّ على أنَّها قَبلَ يَومِ القيامةِ قَولُه: {فتَقيلُ مَعَهم حَيثُ قالوا، وتُمسي مَعَهم حَيثُ أَمْسَوا، وتُصبِحُ حَيثُ أَصْبَحوا}[1]، وذَكَرَ عُمَرُ بنُ شبَّةَ في كِتابِ الْمَدينةِ على ساكِنِها السَّلامُ، عَن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عَنه قال: {آخِرُ مَن يُحشَرُ رَجُلانِ؛ رَجُلٌ من جُهَينةَ وآخَرُ من مُزَينةَ، فيَقولانِ: أينَ النَّاسُ؟ فيَأتيانِ الْمَدينةَ، فلا يَريانِ إلَّا الثَّعلَبَ، فيَنزِلُ إليهما مَلَكانِ، فيَسحَبانِهما على وُجوهِهما حَتَّى يُلحِقاهما بالنَّاسِ}[2]، وهذا كُلُّه ممَّا يَدُلُّ على أنَّ ذلك في الدُّنيا، كما قال القاضي عياضٌ، وأمَّا الآخِرةُ فالنَّاسُ أيضًا مُختَلِفو الحالِ على ما ذَكَروه... والحَشْرُ الثَّالِثُ: حَشْرُهم إلى الْمَوقِفِ... قال اللهُ تعالى: ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ

---

[1] أخرجه البخاري (6522)، ومسلم (2861) مُطَوَّلًا.

[2] أخرجه ابن شبة في ((تاريخ المدينة)) (278/1).

مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾ [الكهف: 47]، والرَّابعُ: حَشْرُهم إلى الجَنَّةِ والنَّارِ، قال اللهُ تعالى: ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ﴾ [مريم: 85] أي: رُكبانًا على النُّجُبِ. وقيلَ: على الأعمالِ[1].

وقال ابنُ كثيرٍ بَعدَ ذِكرِ الأحاديثِ الوارِدةِ في خُروجِ النَّارِ: فهَذِه السِّياقاتُ تَدُلُّ على أنَّ هذا الحَشْرَ هو حَشْرُ الْمَوجودينَ في آخِرِ الدُّنيا من أقطارِ الأرضِ إلى مَحَلَّةِ الْمَحْشَرِ، وهيَ أرضُ الشَّامِ... وهذا كُلُّه ممَّا يَدُلُّ على أنَّ هذا إنَّما يَكونُ في آخِرِ الزَّمانِ آخِرِ الدُّنيا؛ حَيثُ يَكونُ الأكلُ والشُّربُ والرُّكوبُ مَوجودًا، والمُشتَرى وغَيرُه، وحَيثُ تُهلِكُ الْمُتَخَلِّفين مِنهم النَّارُ، ولَو كان هذا بَعدَ نَفخةِ البَعثِ لَم يَبْقَ مَوتٌ، ولا ظَهَرَ مشتَرى، ولا أكلٌ ولا شُربٌ، ولا لُبْس في العَرَصاتِ[2].

وأمَّا حَشْرُ الآخِرةِ، أي: يوم القيامة؛ فإنَّه قَد جاءَ في الأحاديثِ أنَّ النَّاسَ مُؤمِنَهم وكافِرَهم يُحشَرونَ حُفاةً عُراةً غُرْلًا بُهْمًا.

عَنِ ابنِ عَبَّاس رَضِيَ الله عَنهما قال: قامَ فينا النَّبيُّ ﷺ فقال: {إنَّكم مَحشورونَ حُفاةً عُراةً غُرْلًا ﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ [الأنبياء: 104]}[3].



[1] يُنظر: ((التذكرة)) (1/ 228-231).

[2] يُنظر: ((البداية والنهاية)) (19/ 332).

[3] أخرجه البخاري (3349) واللَّفظُ له، ومسلم (2860).

فائدة:

قد ورد أنَّ علامات الساعة الكبرى متتابعة كتتابع الخرز في النظام؛ فإذا ظهرت واحدة تبعتها الأخرى.

فعن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ: {خُروجُ الآياتِ بعضِها على أثرِ بعضٍ يتَتابَعنَ كما يتَتابَعُ الخَرَزُ في النظامِ}[1].

{خُروجُ الآياتِ}، يعني: علاماتِ الساعَةِ الكُبرَى، {بعضُها على إِثرِ بعضٍ}، يعني: تخرُجُ مُتتابِعَةً لا يَفصِلُ بينهُنَّ فاصِلٌ طويلٌ، {يَتَتابَعْنَ كما تَتابَعُ الخَرَزُ في النِّظامِ}، والنِّظامُ: الخيطُ الذي يُنظَمُ به اللُّؤْلؤُ، والمعنى: تكونُ مُتسارِعَةً كما في حَبَّاتِ الخَرَزِ التي تُوضَعُ في الخيْطِ.

وهذا الإخبارُ بأنَّ علاماتِ الساعَةِ الكُبرى ستَظهَرُ مُتتابِعَةً وسَريعةً؛ ليُبادِرَ الناسُ بالتوبَةِ والعَمَلِ الصالِحِ قبلَ أن تُدرِكَهم هذه الأيامُ التي لا ينفَعُ نفسًا إيمانُها لم تكُنْ آمَنَتْ من قبلُ أو كَسَبَتْ في إيمانِها خيرا، وفيه دليل على أنَّ إقامة عيسى في الأرض سبع سنين بعد نزوله لا أربعين، لأنَّ الأربعين كثير تخالف التتابع، بل يمكث أربعين وهو مجموع عمره، لما ارتفع في الثالثة والثلاثين، ثمَّ يقيم في الأرض سبعا فهذه أربعون سنة، والله أعلم.



[1] أخرجه أبو بكر الدينوري في ((المجالسة)) (**2156**)، والطبراني في ((المعجم الأوسط)) (**4271**) واللفظ لهما، وابن حبان (**6833**) باختلاف يسير. وصححه الألباني في صحيح الجامع **3227**.

﴿المبحث الثالث﴾

﴿الإيمان بفتنة القبر﴾

وفيه: أربع مسائل:

1 – الاحتضار، والموت.

2 – هول القبر وظلمته.

3 – سؤال الملكين.

4 – نعيم القبر وعذابه.



﴿المسألة الأولى﴾

﴿الاحتضار، والموت﴾

وفيها مطلبان:

الأول: احتضار المسلم وموته:

الثاني: احتضار الكافر وموته:

﴿المطلب الأول﴾

﴿احتضار المسلم وموته﴾

قال الله سُبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ * نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ [فصلت: 30-32].

قال ابنُ كثيرٍ: كُلُّ مَن اتَّبعِ الرَّسولَ النَّبيَّ الأمِّيَّ ﷺ فلَه السَّعادةُ الأبديَّةُ، ولا خَوفٌ عليهم فيما يَستقبلونَه، ولا هم يَحزَنونَ على ما يَتركونَه ويُخلِّفونَه، كما قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: 62]، **وكَما تقولُ المَلائِكةُ لِلمُؤمِنينَ عِندَ الاحتِضارِ في قَولِه: إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ[1].**

وقال ابنُ بازٍ: مَعنَى الآيةِ: أنَّ الَّذينَ اعترَفوا بأنَّ رَبَّهم اللهُ وآمَنوا به وأخلَصوا لَه العِبادةَ واستَقاموا على ذلك تُبَشِّرُهمُ المَلائكةُ عِندَ المَوتِ بأنَّهم لا خَوفٌ عليهم ولا هم يَحزَنونَ، وأنَّ مَصيرَهمُ الجَنَّةُ من أجلِ إيمانِهم به سُبحانَه، واستِقامَتِهم على طاعَتِه، وتَرْكِ مَعصيَتِه، وإخلاصِ العِبادةِ لَه سُبحانَه[2]. اهـ

---

[1] يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (1/ 284).

[2] يُنظر: ((مجموع فتاوى ابن باز)) (15/ 429).

ولعلَّ قولهم: {لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}، أي: أنَّ الملائكة لن تخاف عليهم من عذاب الله؛ بما فعلوم من صغائر الذنوب، أو حتى الكبائر التي تاب منها، لأنَّهم سالكون إن شاء الله تعالى وعدا من الله تعالى، {وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}، أي: أنَّ هؤلاء المؤمنين لن يحزنوا على ما فرَّطوا وتابوا في جنب الله تعالى، أو مما فعلوه من صغائر الذنوب دون الشرك، فالإنسان لابد له من معصية، ولعلَّ كلام الملائكة عن الخوف عائد على المؤمنين، أي: فلا تخافوا أيها المؤمنون، وأبشروا، ولا تحزنوا، على ما تقدَّم من الشيء القليل من التقصير، والله أعلم.

وقال اللهُ سُبحانَه: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: 32].

قال السَّمعانيُّ: قَولُه تعالى: {الَّذِينَ تَتَوفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ} يعني: طاهِرينَ زاكِينَ مِنَ الشِّرْكِ، وقيلَ: مَعناه: أنَّ وفاتَهم تَقَعُ طَيِّبةً سَهْلةً، قَولُه: {يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ} يُقالُ: إنَّ المُرادَ مِنه تَسليمُ المَلائِكةِ، يُبَلِّغونَ سَلامَ اللَّهِ إلَيهم[1]. اهـ

ولعلَّه تبشير من الملائكة عليهم السلام، بالسلامة للمؤمن من كل ما يكره، والله أعلم.

وقال ابنُ كَثيرٍ: أخبَرَ تعالى عَن حالِهم عِندَ الاحتِضارِ أنَّهم طَيِّبونَ، أي: مُخْلَصونَ مِنَ الشِّركِ والدَّنَسِ وكُلِّ سُوءٍ، وأنَّ المَلائِكةَ تُسَلِّمُ عليهم وتُبَشِّرُهم بالجَنَّةِ، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ﴾ [فصلَت: 30 – 32].

وقال الشِّنقيطيُّ: ذَكَرَ جَلَّ وعَلَا في هَذه الآيةِ الكَريمةِ: أنَّ المُتَّقينَ الَّذينَ كانوا يَمتَثِلونَ أوامِرَ رَبِّهم، ويَجتَنِبونَ نواهِيَه، تَتَوفَّاهُمُ المَلائِكةُ: أي يَقبِضونَ أرواحَهم في حالِ كَونِهم طَيِّبينَ: أي طاهِرينَ مِنَ الشِّركِ والمَعاصي على أصَحِّ التَّفسيراتِ، ويُبَشِّرونَهم بالجَنَّةِ، ويُسَلِّمونَ عليهم...، والبِشارةُ عِندَ المَوتِ وعِندَ الجَنَّةِ من بابٍ واحِدٍ؛ لِأنَّها بشارةٌ بالخَيرِ بَعدَ الانتِقالِ إلَى الآخِرةِ،

---

[1] يُنظر: ((تفسير السمعاني)) (3/ 170).

ويُفهَمُ من صِفاتِ هَؤُلاءِ الَّذينَ تَتوفَّاهمُ المَلائِكةُ طَيِّبينَ، ويَقولونَ لَهم: سَلامٌ عليكُمُ ادخُلوا الجَنةَ: أنَّ الَّذينَ لَم يَتَّصِفوا بالتَّقوى لَم تَتَوفَّهمُ المَلائِكةُ على تِلكَ الحالِ الكَريمةِ، ولَم تُسَلِّمْ عليهم، ولَم تُبَشِّرْهم[1].

وعَن عُبادةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضيَ اللهُ عنه عَنِ النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: {مَن أحَبَّ لِقاءَ اللَّهِ أحَبَّ اللَّهُ لِقاءَه، ومَن كَرِه لَقاءَ اللَّهِ كَرِه اللَّهُ لِقاءَه، قالت عائِشةُ أو بَعضُ أزواجِه: إنَّا لَنَكرَهُ المَوتَ، قال: لَيسَ كَذلك، ولَكِنَّ المُؤمِنَ إذا حَضَرَه المَوتُ بُشِّرَ برِضوانِ اللَّهِ وكَرامَتِه، فلَيسَ شَيءٌ أحَبَّ إلَيه مِمَّا أمامَه، فأحَبَّ لِقاءَ اللَّهِ وأحَبَّ اللَّهُ لِقاءَه، وإنَّ الكافِرَ إذا حُضِرَ بُشِّرَ بعَذابِ اللَّهِ وعُقوبَتِه، فلَيسَ شَيءٌ أكرَهَ إلَيه مِمَّا أمامَه، فكَرِهَ لِقاءَ اللَّهِ، وكَرِهَ اللَّهُ لِقاءَه}[2].

قال أبو العَبَّاسِ القُرطُبيُّ: هَذِه الكَراهيَةُ لِلمَوتِ هيَ الكَراهيَةُ الطَّبيعيَّةُ الَّتي هيَ راجِعةٌ إلَى النُّفرةِ عَنِ المَكروه والضَّرَرِ واستِصعابِ ذلك على النُّفوسِ، ولا شَكَّ في وِجدانِها لِكُلِّ أحَدٍ، غَيرَ أنَّ مَن رَزَقَه اللَّهُ تعالى ذَوقًا من مَحَبَّتِه أوِ انكَشَفَ لَه شَيءٌ من جَمالِ حَضْرَتِه غَلَبَ عليه ما يَجِدُه من خالِصِ مَحَبَّتِه، فقال عِندَ أُزوفِ رِحلَتِه مُخاطِبًا لِلمَوتِ وسَكْرَتِه، كَما قال مُعاذٌ رَضيَ اللَّهُ عَنه: حَبيبٌ جاءَ على فاقةٍ، لا أفلَحَ اليَومَ مَن نَدِمَ! وكانَ يَقولُ عِندَ اشتِدادِ السَّكَراتِ: اخنُقْني خَنْقَك، فوحَقِّكَ إنَّ قَلبي لَيُحِبُّك[3].

وقال المظهريُّ: قَولُه: «لَيسَ ذلك» يعني: لَيسَت كَراهةُ المَوتِ كَما تَظُنِّينَ يا عائِشةُ، بَلِ المُؤمِنونَ يَكرَهونَ المَوتَ في حالةِ الصِّحَّةِ وفي المَرَضِ قَبلَ حُضورِ مَلَكِ المَوتِ بهم، وكَراهيَتِهمُ المَوتَ؛ لِخَوفِ شِدَّةِ المَوتِ، ولَيسَ لِكَراهةِ انتِقالِهم مِنَ الدُّنيا إلَى الآخِرةِ، بَل إذا رأى المُؤمِنُ مَلَكَ المَوتِ بُشِّرَ المُؤمِنُ في ذلك الوَقتِ بما لَه عِندَ اللَّهِ مِنَ المَنزِلةِ والكَرامةِ، فيَزولُ حينَئِذٍ خَوفُه، ويَشتَدُّ حِرصُه بسُرعةِ قَبْضِ رُوحِه؛ لِيَصِلَ إلَى ما لَه عِندَ اللَّهِ من الكَرامةِ، وأمَّا الكافِرُ فحالُه بعَكسِ هَذا[4].

---

[1] يُنظر: ((أضواء البيان)) (2/ 373).

[2] أخرجه البخاري (6507) واللَّفظُ له، ومسلم (2683، 2684) مفرَّقًا.

[3] يُنظر: ((المفهم)) لأبي العباس القرطبي (3/ 644).

[4] يُنظر: ((المفاتيح في شرح المصابيح)) (2/ 414).

وعَن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عَنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: {إذا حُضِرَ المُؤمِنُ أتَتْه مَلائِكةُ الرَّحمةِ بحَريرةٍ بَيضاءَ، فيَقولونَ: اخرُجي راضيةً مَرضِيًّا عَنكِ إلَى رَوحِ اللَّهِ ورَيحانٍ، ورَبٍّ غَيرِ غَضْبانَ، فتَخرُجُ كأطيَبِ رِيحِ الْمِسْكِ حَتَّى إنَّه ليُناوِلُه بَعضُهم بَعضًا، حَتَّى يأتُوا به بابَ السَّماءِ، فيَقولونَ: ما أطيبَ هَذِه الرِّيحَ الَّتي جاءَتكُم مِنَ الأرضِ! فيأتونُ به أرواحَ المُؤمِنينَ، فلَهم أشَدُّ فَرَحًا به من أحَدِكُم بغائِبه يَقْدَمُ عليه، فيَسألونَه: ماذا فعل فُلانٌ؟ ماذا فعل فُلانٌ؟ فيَقولونَ: دَعُوه؛ فإنَّه كانَ في غَمِّ الدُّنيا، فإذا قال: أمَا أتاكُم؟ قالوا: ذُهِبَ به إلَى أمِّه الهاويةِ.

وإنَّ الكافِرَ إذا احتُضِرَ أتَتْه مَلائِكةُ العَذاب بمِسْحٍ، فيَقولونَ: اخرُجِي ساخِطةً مَسخُوطًا عليكِ إلَى عَذابِ اللَّهِ عزَّ وجَلَّ؛ فتَخرُجُ كأنتَنِ رِيحِ جيفةٍ، حَتَّى يأتونَ به بابَ الأرضِ، فيَقولونَ: ما أنتَنَ هَذِه الرِّيحَ! حَتَّى يأتونَ به أرواحَ الكُفَّارِ}[1].

في هذا الحَديثِ يقولُ النبيُّ ﷺ: {إنَّ المؤمِنَ إذا احتُضِرَ}، أي: إذا قرُب موتُهُ، وحضرتْهُ الملائكةُ الموكَّلون بنزْعِ الروحِ، {أتتْه ملائكةُ الرَّحمةِ بحريرةٍ بيضاءَ}، أي: ثوْبٍ ناعمٍ حريرٍ، لونُه أبيضُ كالكَفَنِ لتَلُفَّ فيها رُوحَه، وترفعَها إلى السماءِ، {فيقولون: اخْرُجي}، أي: من جَسَدِكِ الطَّيِّبِ، فارْجِعي إلى ربِّكِ {راضيةً مرضيًّا عنكِ}، أي: راضيةً عن اللهِ برحمتِه لك، وحُسنِ توفيقِهِ، وهو راضٍ عنكِ، بطاعتِكِ وحُسْنِ عَملِكِ، {إلى رَوْحٍ}، أي: اخرُجي إلى راحةٍ ورحمةٍ، {وريْحانٍ}، أي: رِزْقٍ أو رَيحانٍ مَشمومِ الرَّائحةِ طيِّبٍ، {وربٍّ غيرِ غَضبانَ}، أي: وبمُلاقاةِ ربِّكِ، وهو راضٍ عنك؛ فيُنعِمُ عليكِ بالخُلودِ والرِّزقِ الحسَنِ، {فتخرجُ كأَطيبِ رِيحِ مِسكٍ}، أي: تخرجُ روحُ المؤمنِ لها رائحةُ المِسكِ الطيبةُ، {حتى إنَّهم لِيناوِلُه بعضُهم بعضًا يَشَمُّونه}، أي: إنَّ الملائكةَ يَصعَدون به مِن يَدٍ إلى يَدٍ ويُقبِّلونه ويَشَمُّون رائحتَه الطَّيِّبةَ؛ تكريمًا وتَعظيمًا وتبرُّكًا وتشريفًا، {حتى يأتوا به بابَ السَّماءِ، فيَقولون}، أي: بعضُ ملائكةِ السَّماءِ على جِهةِ التعجُّبِ من غايةِ عَظمةِ طِيبه، {ما أطيبَ هذه الرِّيحَ التي جاءتْكُم من الأرضِ؟}، أي: تتعجَّب ملائكةُ السماءِ التي يَمُرُّون بها من حُسنِ وجَمالِ هذه الرائحةِ التي تخرُجُ من نفْسِ المؤمنِ، {وكلَّما أتَوْا سماءً قالوا ذلك}، أي: قالتِ الملائكةُ هذا الثناءَ على رائحةِ المؤمنِ،

---

[1] أخرجه النسائي (1833) واللَّفظُ له، وابن حبان (3014)، والحاكم (1302). صَحَّحه ابنُ حبان، والألباني في ((صحيح سنن النسائي)) (1833)، والوادعي في ((الصحيح المسند)) (1331)، وصَحَّح إسنادَه الحاكم، والعراقي في ((تخريج الإحياء)) (212/5)، وشعيب الأرناؤوط في تخريج ((صحيح ابن حبان)) (3014).

{حتى يأتوا به أرواحَ المؤمنين}، أي: حتى تذهبَ به الملائكةُ إلى مَقرِّ أرواحِ المؤمنين في عِلِّيين، {فلَهُمْ أفْرحُ به من أحدِكُم بغائبِهِ إذا قَدِمَ عليه}، أي: تفرَحُ به أرواحُ المؤمنين أشدَّ ممَّا يفرحُ الواحدُ مِنَّا عندَما يعودُ له حبيبُهُ الغائبُ عنه، {فيسألونه: ما فَعَل فُلانٌ؟}، أي: تسألُ بعضُ أرواحِ المؤمنين هذا المؤمِنَ عن بعضِ الناسِ الذين يَعرِفونهم، {قال: فيقولون: دَعوهُ حتى يَستريحَ؛ فإنه كان في غمِّ الدنيا}، أي: يقولُ بعضُهم لبعضٍ دَعوا القادِمَ؛ فإنَّه حديثُ عهدٍ بتَعبِ الدنيا، {فإذا قال لهم}، أي: الروحُ المؤمنةُ وهو يُجيبُ سؤالَهم {ما أتاكم؟ فإنَّه قد مات}، أي: هذا الشخصُ الذي تسألون عنه قد مات ألَمْ يأتِ عندَكم؟ {يقولون: ذُهِبَ به إلى أُمِّهِ الهاويةِ}، أي: تقولُ أرواحُ المؤمنين إذا مات، ولم يَلْحَقْ بنا، فقد ذُهِبَ به إلى النارِ، والهاويةُ من أسماءِ النارِ كأنَّها العَميقةُ يَهوِي أهلُ النار فيها مهوًى بعيدًا. ... قال صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: {وأمَّا الكافِرُ}، أي: إذا احتُضِر، {فإنَّ مَلائكةَ العذابِ تأتيهِ فتقولُ: اخرُجي ساخطَةً مسخوطًا عليكِ إلى عذابِ اللهِ وسَخَطِه}، أي: اخرُجي كارهةً غيرَ راضيةٍ عن اللهِ، وهو غيرُ راضٍ عنكِ إلى العذابِ والجحيمِ، {فتخرجُ كأنتنِ ريحِ جيفةٍ}، أي: تخرجُ رائحتُها كأقبحِ رائحةِ حيوانٍ ميِّتٍ تعفَّن جَسدُه، {فينطلِقون به إلى بابِ الأرضِ} ويَحتمِلُ أن يكونَ المعنى إلى بابِ سماءِ الأرضِ ثم يُردَّ إلى قبرِه في الأرضِ كما عندَ ابن ماجهْ: {ثم يُعرجُ إلى السماءِ فيُفتحُ لها فيقالُ: مَن هذا؟ فيقالُ: فلانٌ. فيقالُ: لا مَرحبًا بالنفْسِ الخبيثةِ كانتْ في الجسدِ الخبيثِ! ارْجِعي ذميمةً، فإنَّها لا تُفتحُ لكِ أبوابُ السماءِ؛ فتُرْسلُ من السماءِ ثم تصيرُ إلى القبرِ}، فعُلِمَ أنَّ الكُفارَ لا تُفتحُ لهم أبوابُ السماءِ، وإنما يُهبَطُ بهم إلى سِجِّينٍ في أسفلِ الأرَضين، {فيقولون: ما أَنْتَنَ هذه الرِّيحَ! كلَّما أتوْا على أرضٍ قالوا ذلك}، أي: تقولُ مَلائكةُ الأرضِ التي تمُرُّ عليها أرواحُ الكُفارِ: ما أخْبثَ وأقْبحَ هذه الرائحةَ! {حتى يأتوا به أرواحَ الكفَّارِ}، أي: حتى تذهبَ به الملائكةُ إلى مقرِّ أرواحِ الكفارِ في سِجِّينٍ كما قال اللَّه تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾ [المطففين: 7]؛ قيل: هو كِتابٌ جامعٌ لأعمالِ الشياطينِ والكَفَرَةِ، وقيل: هو مَكانٌ في أسفلِ الأرضِ السابعةِ، وهو محَلُّ إبليسَ وجنودِهِ[1].

[1] شرح الحديث من موقع الدرر السنية.

وعَن أبي سَعيدٍ الخُدْريِّ رَضِيَ اللهُ عنه قال: قال رَسولُ اللَّهِ ﷺ: {إذا وُضِعَتِ الجِنازةُ واحتَمَلَها الرِّجالُ على أعناقِهِم، فإن كانَت صالِحةً قالت: قَدِّموني، وإن كانت غَيرَ صالِحةٍ قالت: يا ويلَها أينَ يَذهَبونَ بها؟ يَسمَعُ صَوتَها كُلُّ شَيءٍ إلَّا الإنسانَ، ولَو سَمِعَه صَعِقَ}[1].

وقال ابنُ عُثَيمين: الإسراعُ في الجِنازةِ يَشمَلُ الإسراعَ في تَجهيزِها، والإسراعَ في تَشييعِها، والإسراعَ في دَفنِها؛ وذلك أنَّ المَيتَ إذا مات فإمَّا أن يَكونَ صالِحًا، وإمَّا أن يَكونَ سِوى ذلك؛ فإن كانَ صالِحًا فإنَّ حَبسَه حَيلولةٌ بَينَه وبَينَ ما أعَدَّه لَه اللَّهُ مِنَ النَّعيمِ في قَبرِه؛ لِأنَّه يَنتَقِلُ مِنَ الدُّنيا إلَى خَيرٍ مِنها وإلَى أفضَلَ؛ لِأنَّه حينَ احتِضارِه ومُنازَعَتِه المَوتَ يُبَشَّرُ يُقالُ لِرُوحِه أبشِري بِرَحمةٍ مِنَ اللَّهِ ورِضوانٍ، فيشتاقُ لِهَذِه البُشرَى فيُحِبُّ أن يَتَعَجَّلَ وأن يُعَجَّلَ به، فإذا حُبِسَ كانَ في هَذا شَيءٌ مِنَ الجِنايةِ عليه والحَيلولةِ بَينَه وبَينَ ما أعَدَّه اللَّهُ لَه مِنَ النَّعيمِ، وإن كانَ غَيرَ صالِحٍ –والعياذُ باللهِ– فإنَّه لا يَنبَغي أن يَكونَ بَينَنا ويَنبَغي أن نُسارِعَ بالتَّخَلُّصِ مِنه[2]. اهـ

فعن أبي هريرة عن النبي قال: {أسرِعُوا بالجنازَةِ ، فإنْ تكُ صالِحةً فخيرٌ تُقدِّمُونَها إليه ، وإنْ تَكُ سِوَى ذلكَ فشَرٌّ تَضعونَهُ عن رِقابِكمْ}[3].



[1] أخرجه البخاري (1314).

[2] يُنظر: ((شرح رياض الصالحين)) (4/ 546).

[3] أخرجه البخاري (1315)، ومسلم (944)، وأبو داود (3181) واللفظ له.

﴿المطلب الثاني﴾

﴿احتضار الكافر والعاصي وموته﴾

الكافِرون والمُفرِّطونُ في أمرِ اللَّهِ تعالى يَسألونَ اللَّهَ عزَّ وجَلَّ حالَ الاحتِضارِ الرَّجْعةَ إلَى الحَياةِ الدُّنيا؛ ليُصلِحوا ما كانوا قَد أفسَدوه في مُدَّةِ حَياتِهم الدُّنيا[1].

قال اللهُ تعالى عنهم: ﴿حَتَّى إذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: 99 – 100].

قال ابنُ جريرٍ: يَقولُ تعالى ذِكرُه: حَتَّى إذا جاءَ أحَدَ هَؤُلاءِ المُشرِكينَ المَوتُ، وعايَن نُزولَ أمرِ اللَّهِ به، قال لِعَظيمِ ما يُعاينُ، مِمَّا يَقْدَمُ عليه من عَذابِ اللَّهِ تَندُّمًا على ما فاتَ، وتَلهُّفًا على ما فرَّطَ فيه قَبلَ ذلك من طاعةِ اللَّهِ ومَسألَتِه لِلإقالةِ: رَبِّ ارْجِعُونِ إلى الدُّنيا فرُدُّوني إليها، لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا، يقول: كي أعمَلَ صالحًا فِيمَا تَرَكْتُ قبل اليومِ، مِنَ العَمَلِ، فضيَّعتُه، وفرَّطتُ فيه[2].

وقال الشِّنقيطيُّ: قَولُه تعالى {حَتَّى إذَا جاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلا}، وما تَضَمَّنَتْه هَذِه الآيةُ الكَريمةُ من أنَّ الكافِرَ والمُفَرِّطَ في عَمَلِ الخَيرِ إذا حَضَرَ أحَدَهما المَوتُ طَلَبا الرَّجْعةَ إلَى الحَياةِ؛ لِيَعمَلا العَمَلَ الصَّالِحَ الَّذي يُدخِلُهما الجَنةَ، ويَتَدارَكا به ما سَلَفَ مِنهما مِنَ الكُفرِ والتَّفريطِ، وأنَّهما لا يُجابانِ إلَى ذلك، كَما دَلَّ عليه حَرفُ الزَّجْرِ والرَّدعُ الَّذي هو كَلَّا، جاءَ موضَّحًا في مَواضِعَ أخَرَ[3].

قال اللهُ سُبحانَه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي

---

[1] مُستفاد من موقع الدرر السنية.

[2] يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (17/ 106).

[3] يُنظر: ((أضواء البيان)) (5/ 354).

إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [المنافقون: 9-11].

قال ابنُ جريرٍ: يقولُ تعالى ذِكْرُه: {وَأَنْفِقُوا} أيُّها المؤمنون باللهِ ورَسولِه، من الأموالِ التي رزَقْناكم {مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ} إذا نزل به الموتُ: يا رَبِّ هَلَّا أخَرْتَني، فتُمْهِلَ لي في الأجَلِ {إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ} يقولُ: فأزَكِّيَ مالي، {وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ} أعمَلُ بطاعتِك وأؤدِّي فرائِضَك، وقيل: عَنى بقَولِه وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ وأحُجُّ بيتَك الحَرامَ[1].

وحينَ تَنزِلُ عليهم الملائِكةُ لقَبضِ أرواحِهم توبِّخُهم وتَضرِبُهم وتُبَشِّرُهم بالنَّارِ.

قال اللهُ تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء: 97].

قال السَّعديُّ: هَذا الوعيدُ الشَّديدُ لِمَن تَرَكَ الهجْرةَ مَعَ قُدرَتِه عليها حَتَّى مات، فإنَّ المَلائِكةَ الَّذينَ يَقبِضونَ روحَه يوبِّخونَه بهَذا التَّوبيخِ العَظيمِ... وفي الآيةِ... الإيمانُ بالمَلائِكةِ ومَدحُهم؛ لِأنَّ اللَّهَ ساقَ ذلك الخِطابَ لَهم على وَجهِ التَّقريرِ والاستِحْسانِ مِنهم، وموافقَتِه لِمَحَلِّه[2].

وقال ابنُ بازٍ: أخبَرَ سُبحانَه في هَذِه الآيةِ أنَّ المَلائِكةَ تَقولُ لِمَن تُوُفِّي مِنَ المُسْلِمينَ في بلادِ الشِّركِ ولَم يُهاجِروا: ألم تَكُن أرضُ اللَّهِ واسِعةً فتُهاجِروا فيها؟ بَعدَما أخبَرَ سُبحانَه أنَّهم قَد ظَلَموا أنفُسَهم بإقامَتِهم بَينَ الكُفَّارِ وهم قادِرونَ على الهِجْرةِ[3].

وجاءَ عَنِ ابنِ عِباسٍ رَضِيَ اللهُ عَنهما أنَّ هَذِه الآيةَ قَد نَزَلَت في فريقٍ أسلَمَ، ولَم يُهاجِرْ، فأدرَكَه المَوتُ، أو قُتِلَ في صُفوفِ الأعداءِ ، فإن الملائكةَ تُقَرِّع هؤلاء في حالِ الاحتضارِ وتوَبِّخهم، وتبَشِّرُهم بالنَّارِ.

---

[1] يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (22/ 671).

[2] يُنظر: ((تفسير السعدي)) (ص: 195).

[3] يُنظر: ((مجموع فتاوى ابن باز)) (9/ 299).

وقال اللهُ تعالى عن توَفِّي الملائِكةِ للكَفَرةِ في معركةِ بَدرٍ: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ * ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [الأنفال: 50-51].

قال ابنُ كَثيرٍ: ولَو عايَنْتَ يا مُحَمَّدُ حالَ تَوَفِّي المَلائِكةِ أرواحَ الكُفَّارِ لَرَأيتَ أمرًا عَظيمًا هائِلًا فظيعًا مُنكَرًا؛ إذ يَضرِبونَ وُجوهَهم وأدبارَهم، ويَقولونَ لَهم: ذُوقوا عَذابَ الحَريقِ[1].

وقال أيضًا: هَذا السِّياقُ -وإن كانَ سَبَبُه وقعةَ بَدرٍ -ولَكِنَّه عامٌّ في حَقِّ كُلِّ كافِرٍ؛ ولِهَذا لَم يَخْصُصْه تعالى بأهلِ بَدرٍ، بَل قال تعالى: {وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ} وفي سورةِ القِتالِ مِثلُها، وتَقَدَّمَ في سورةِ الأنعامِ عِندَ قَولِه: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [الأنعام: 93] أي: باسِطو أيديهم بالضَّربِ فيهم، يأمُرونَهم إذا استَصعَبَت أنفُسُهم، وامتَنَعَت مِنَ الخُروجِ مِنَ الأجسادِ أن تَخرُجَ قَهْرًا، وذلك إذا بشَّروهم بالعَذابِ والغَضَبِ مِنَ اللَّهِ، كَما جاءَ في حَديثِ البَراءِ[2].

وقال اللهُ سُبحانَه: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام: 93].

قال ابنُ جَريرٍ: هَذا خَبَرٌ مِنَ اللَّهِ جَلَّ ثَناؤُه، عَمَّا تَقولُ رُسُلُ اللَّهِ الَّتي تَقبِضُ أرواحَ هَؤُلاءِ الكُفَّارِ لَها، يُخبِرُ عَنها أنَّها تَقولُ لِأجسامِها ولِأصحابِها أخرِجوا أنفُسَكُم إلَى سَخَطِ اللَّهِ ولَعْنَتِه؛ فإنَّكُمُ اليَومَ تُثابونَ على كُفْرِكُم باللهِ، وقيلِكُم عليه الباطِلَ، وزَعَمِكُم أنَّ اللَّهَ أوحَى إلَيكُم ولَم يُوحِ إلَيكُم شَيئًا، وإنذارِكُم أن يَكونَ اللَّهُ أنزَلَ على بَشَرٍ شَيئًا، واستِكبارِكُم عَنِ الخُضوعِ لِأمرِ اللَّهِ

---

[1] يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (76/4).

[2] يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (77/4).

وأمرِ رَسولِه، والانقيادِ لِطاعَتِه– عَذابَ الهُونِ، وهو عَذابُ جُهنَّمَ الَّذي يُهينُهم فيُذِلُّهم حَتَّى يَعرِفوا صَغارَ أنفُسِهم وذِلَّتَها[1].

وقال ابنُ القَيِّمِ: فقَولُ الملائِكةِ: {الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ} المرادُ به: عذابُ البَرْزخِ، الذي أوَّلُه يومُ القَبضِ والموتِ[2].

وقال اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾[الأنفال: 50–51].

قال ابنُ جَريرٍ: ولَو تُعايِنُ يا مُحمَّدُ حينَ يَتوفَّى المَلائِكةُ أرواحَ الكُفَّارِ فتَنزِعُها من أجسادِهم، تَضرِبُ الوُجوهَ مِنهم والأستاهَ، ويَقولونَ لَهم: ذُوقوا عَذابَ النَّارِ الَّتي تُحْرِقُكُم يَومَ وُرودِكُم جَهنَّمَ... ذُوقوا عَذابَ اللَّهِ الَّذي يُحْرِقُكُم، هَذا العَذابُ لَكُم بما قَدَّمَت أيديكُم، أي: بما كَسَبَتْ أيديكُم مِنَ الآثامِ والأوزارِ، واجترَحتُم من مَعاصي اللَّهِ أيَّامَ حَياتِكُم، فذُوقوا اليَومَ العَذابَ، وفي مَعادِكُم عَذَابَ الحَريقِ[3]. اهـ

وتعيَّن ضرب الوجه الاست لما فيه من مهانة للرجل.

وقال ابنُ القَيِّمِ: فهَذِه الإذاقةُ هيَ في البَرزَخِ وأوَّلُها حينَ الوفاةِ؛ فإنَّه مَعطوفٌ على قَولِه {يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ} وهو مِنَ القَولِ المَحذوفِ مَقُولُه؛ لِدَلالةِ الكَلامِ عليه كَنَظائِرِه، وكِلاهما واقِعٌ وقتَ الوَفاةِ[4].

قال ابنُ كثيرٍ: قد وردت أحاديثُ مُتواتِرةٌ في كيفيَّةِ احتِضارِ المؤمِنِ والكافِرِ[5].

عَنِ البراءِ بْنِ عازِبٍ رَضيَ اللهُ عَنه قال: {خَرَجنا مَعَ النَّبيِّ ﷺ في جِنازةِ رَجُلٍ مِنَ الأنصارِ، فانتهَينا إلَى القَبرِ، ولَمَّا يُلحَدْ، فجَلَسَ رَسولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، وجَلَسْنا حَولَه، كأنَّ على رُؤوسِنا الطَّيرَ، وفي يَدِه عودٌ يَنكُتُ في الأرضِ، فرَفَعَ رأسَه، فقال: استَعيذُوا باللهِ من عَذابِ القَبرِ –مَرَّتينِ أو ثَلاثًا–، حتى قال: ...وإنَّ العبدَ الكافِرَ إذا كان في انْقِطاعٍ مِنَ الدُّنيا،

---

[1] يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (183/7).

[2] يُنظر: ((مفتاح دار السعادة)) (72/1).

[3] يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (16/10).

[4] يُنظر: ((مفتاح دار السعادة)) (72/1).

[5] يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (302/3).

وإقبالٍ مِنَ الآخِرَةِ، نَزَل إليه من السَّماءِ مَلائكةٌ سُودُ الوُجوهِ، مَعَهمُ المُسُوحُ، فيَجْلِسونَ منه مَدَّ البَصَرِ، ثُمَّ يَجيءُ مَلَكُ المَوتِ حتَّى يَجْلِسَ عِندَ رَأسِه، فيَقولُ: أيَّتُها النَّفْسُ الخبيثةُ، اخْرُجي إلى سَخَطٍ من اللهِ وغَضَبٍ! فتَفَرَّقُ في جسَدِه، فيَنتَزِعُها كَما يُنتزع السَّفُّودُ مِنَ الصُّوفِ المَبْلولِ، فيَأْخُذُها، فإذا أخَذَها لَم يَدَعُوها في يَدِه طَرْفةَ عينٍ حتَّى يَجْعَلوها في تِلك المُسوحِ، ويَخْرُج مِنها كأنْتَنِ رِيحِ جِيفةٍ وُجِدَت على وَجهِ الأرضِ. فيَصْعَدونَ بها...}[1].

قال الطِّيبيُّ في معنى السَّفُّودِ: هو الحَديدةُ الَّتي يُشوى بها اللَّحمُ، فيَبقَى مَعَها بَقيَّةٌ مِنَ المَحروقِ فيَستَصحِبُ عِندَ الجَذبِ شَيئًا من ذلك الصُّوفِ مَعَ قوَّةٍ وشِدَّةٍ، وبعَكسِه شَبَّه خُروجَ رُوحِ المُؤْمِنِ من جَسَدِه بتَرَشُّحِ الماءِ وسَيَلانِه مِنَ القِرْبةِ المَملوءةِ ماءً مَعَ سُهولةٍ ولُطفٍ[2].



[1] أخرجه أبو داود (4753) بنحوه، والنسائي (2001)، وابن ماجه (1549) مختصرًا، وأحمد (18534) واللَّفظُ له. صحَّحَه القرطبي في ((التذكرة)) (119)، وابن القيم في ((الروح)) (269/1)، والألبانيُّ في ((صحيح سنن أبي داود)) (4753)، وحسَّنه المنذريُّ في ((الترغيب والترهيب)) (4/280)، وابن تيمية في ((مجموع الفتاوى)) (290/4)، والوادعي في ((الصحيح المسند)) (150).

[2] يُنظر: ((شرح المشكاة)) (1381/4).

﴿المسألة الثانية﴾

﴿هول القبور وظلمتها﴾

رَوى هانِئٌ مولَى عُثمانَ بْنَ عَفَّانَ قال: {كانَ عُثمانُ رَضيَ اللَّه عَنه إذا وقَف على قَبرٍ بكَى، حَتَّى يَبُلَّ لِحْيتَه، فقيلَ لَه: تَذْكُرُ الجَنةَ والنَّارَ فلا تَبكي، وتَبكي من هَذا؟ فقال: إنَّ رَسولَ اللَّه ﷺ قال: إنَّ القَبرَ أوَّلُ مَنزِلٍ من مَنازِلِ الآخِرةِ، فإنْ نَجا مِنه فما بَعدَه أيسَرُ مِنه، وإن لَم يَنجُ مِنه فما بَعدَه أشَدُّ مِنه، قال: وقال رَسولُ اللَّهِ ﷺ: ما رأيتُ مَنظَرًا قَطُّ إلَّا والقَبرُ أفظَعُ مِنه}[1].

قال المظهَريُّ: {إذا وقَف على قَبرٍ} أي: على رأسِ قَبرٍ، أو عِندَ قَبرٍ {يبكي حَتَّى يَبُلَّ لِحيَتَه} مِنَ الدَّمعِ، {فقيلَ لَه: تَذْكُرُ الجَنةَ والنَّارَ ولا تَبكي}، يعني: تَسمَعُ ذِكرَ الجَنَّةِ والنَّارِ ولا تَبكي من خَوفِ النَّارِ واشتياقِ الجَنةِ، {وتَبكي مِن} خَوفِ القَبرِ؟

قَولُه: {أوَّلُ مَنزِلٍ من مَنازِلِ الآخِرةِ} يعني: لِلآخِرةِ مَنازِلُ، أوَّلُها القَبرُ، ومِنها عَرصةُ القيامةِ عِندَ العَرْضِ، ومِنها الوُقوفُ عِندَ الميزانِ، ومِنها المُرورُ على الصِّراطِ، ومِنها الجَنةُ والنَّارُ.

{فإنْ نَجَا} أي: فإنْ نَجا الرَّجُلُ في القَبرِ مِنَ العَذابِ تَكونُ نَجاتُه عَلامةَ السَّعادةِ.

{فما بَعدَه} أي: فما بَعدَ القَبرِ من أحوالِ القيامةِ تَكونُ أيسَرَ وأسهَلَ عليه.

{وإنْ لَم يَنجُ} مِنَ العَذاب في القَبرِ يَكونُ عَذابُه في القَبرِ عَلامةَ الشَّقَاوةِ، فيَكونُ ما بَعدَ القَبرِ من أحوالِ القيامةِ أشَدَّ وأشَقَّ عليه، يعني: قال عُثمانُ: لِأجلِ هَذا أبكي من خَوفِ القَبرِ، فما أدري: أنجو من عَذابِ القَبرِ حَتَّى يَكونَ ما بَعدَه أيسَرَ عليَّ أم لا أنجو مِنه حَتَّى يَكونَ ما بَعدَه أشَدَّ عليَّ[2].

وقال الطِّيبيُّ: قَولُه: {إلَّا والقَبرُ} الواوُ لِلحالِ، والاستِثناءُ مُفَرَّغٌ، أي: ما رأيت مَنظَرًا وهو ذو هَولٍ وفظاعةٍ {إلَّا والقَبرُ أفظَعُ مِنه...} فظيعٌ، أيْ: شَديدٌ شَنيعٌ جاوَزَ المِقدارَ[3].

---

[1] أخرجه الترمذي (2308)، وابن ماجه (4267) واللَّفظُ لهما، وعبد الله بن أحمد في ((زوائد المسند)) (454) باختلاف يسير. حسَّنه ابن حجر في ((الفتوحات الربانية)) (192/4)، والألباني في ((صحيح سنن الترمذي)) (2308)، وصحَّح إسنادَه الحاكم في ((المستدرك)) (7942)، وأحمد شاكر في تخريج ((مسند أحمد)) (225/1)، وشعيب الأرناؤوط في تخريج ((مسند أحمد)) (454).

[2] يُنظر: ((المفاتيح في شرح المصابيح)) (1/ 233).

[3] يُنظر: ((شرح المشكاة)) (2/ 597).

وعن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنه؛ {أنَّ امْرَأَةً سَوْدَاءَ كَانَتْ تَقُمُّ المَسْجِدَ، أَوْ شَابًّا، فَفَقَدَهَا رَسولُ اللهِ ﷺ، فَسَأَلَ عَنْهَا، أَوْ عنْه، فَقالوا: مَاتَ، قالَ: أَفلا كُنْتُمْ آذَنْتُمُونِي قالَ: فَكَأنَّهُمْ صَغَّرُوا أَمْرَهَا، أَوْ أَمْرَهُ، فَقالَ: دُلُّونِي على قَبْرِهِ فَدَلُّوهُ، فَصَلَّى عَلَيْهَا، ثُمَّ قالَ: إنَّ هذِه القُبُورَ مَمْلُوءَةٌ ظُلْمَةً علَى أَهْلِهَا، وإنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُنَوِّرُهَا لهمْ بصَلَاتي عليه}[1].

وقال صلَّى اللهُ عليه وسلَّم في دُعائِه لأبي سَلَمةَ عندَ مَوتِه: {اللَّهُمَّ اغْفِرْ لأَبِي سَلَمَةَ وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ فِي الْمَهْدِيِّينَ، وَاخْلُفْهُ فِي عَقِبِهِ فِي الْغَابِرِينَ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلَهُ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، وَافْسَحْ لَهُ فِي قَبْرِهِ وَنَوِّرْ لَهُ فِيهِ}[2].

وقَد رُويَ عَن أبي أمامةَ الباهليِّ أنَّه قال: يا أيُّها النَّاسُ، أصبَحتُم وأمسيتُم في مَنزِلٍ تَقتَسِمونَ فيه الحَسَناتِ والسَّيِّئاتِ، وتُوشِكونَ أن تَظْعَنوا مِنه إلَى مَنزِلٍ آخَرَ، وهو هَذا – فيُشيرُ إلَى القَبرِ – بَيتِ الوَحْدةِ، وبَيتِ الظُّلْمةِ، وبَيتِ الدُّودِ، وبَيتِ الضِّيقُ، إلَّا ما وَسَّعَ اللَّهُ، ثُمَّ تَنتَقِلونَ مِنه إلَى مَواطِنِ يَومِ القيامةِ[3].

وقالتِ امرأةُ هِشامٍ الدَّستوائيِّ: إن كانَ إذا طُفِئَ السِّراجُ غَشِيَهُ من ذلك أمرٌ عَظيمٌ! فقُلت لَه: إنَّه ليَغشاكَ عِندَ هَذا المِصباحِ إذا طُفِئَ، قال: إنِّي أذكُرُ ظُلْمةَ القَبرِ[4].

وقال مُحَمَّدُ بْنُ حَربٍ المَكيُّ: قَدِمَ علينا أبو عَبدِ الرَّحمَنِ العُمريُّ العابدُ واجتَمَعنا إلَيه وأتاه وُجوهُ أهلِ مَكةَ، قال فرَفعَ رأسَه، فلَمَّا نَظَرَ إلَى القُصورِ المُحْدِقةِ بالكَعبةِ فإذا بأعلَى صَوتِه: يا أصحابَ القُصورِ المُشَيَّدةِ اذكُروا ظُلْمةَ القُبورِ الموحِشةِ، يا أهلَ التَّنَعُّمِ والتَّلَذُّذِ اذكُروا الدُّودَ والصَّديدَ وبِلَى الأجسامِ في التُّرابِ. قال ثُمَّ: غَلَبَته عَيْناه فقامَ[5].

---

[1] أخرجه البخاري (458)، ومسلم (956) واللَّفظُ له.

[2] أخرجه مسلم (920).

[3] يُنظر: ((الزهد)) لابن المبارك (2/ 108).

[4] يُنظر: ((القبور)) لابن أبي الدنيا (ص: 92).

[5] يُنظر: ((القبور)) لابن أبي الدنيا (ص: 150).

﴿ضمَّة القبر﴾

عَن ابنِ عُمرَ رَضِيَ اللهُ عَنهما قال: قال رَسولُ اللَّهِ ﷺ عَن سَعدِ بن مُعاذٍ رَضِيَ اللهُ عَنه: {هَذا الَّذي تَحَرَّكَ لَه العَرشُ، وفتِحَت لَه أبوابُ السَّماءِ، وشَهِدُه سَبعونَ ألفًا مِنَ المَلائِكةِ، لَقَد ضُمَّ ضَمَّةً، ثُمَّ فُرِجَ عَنه}[1].

وعَن عائِشةَ رَضِيَ اللهُ عَنها أنَّ الرَّسولَ ﷺ قال: {إنَّ لِلقَبرِ ضَغطةً لَو كانَ أحَدٌ ناجيًا مِنها نَجا سَعدُ بنُ مُعاذٍ}[2].

قال المُناويُّ: {إنَّ لِلقَبرِ ضَغطةً} أي: ضِيقًا لا يَنجو مِنه صالِحٌ ولا طالِحٌ، لَكِنَّ الكافِرَ يَدومُ ضَغْطُه والمُؤمِنَ لا، والمَرادُ به التِقاءُ جانِبَيه على المَيِّتِ، {لَو كانَ أحَدٌ ناجيًا مِنها نَجا} مِنها {سَعدُ بْنُ مُعاذٍ} إذْ ما من أحَدٍ إلَّا وقَد ألَمَّ بخَطيئةٍ، فإن كانَ صالِحًا فهَذِه جَزاؤُه ثُمَّ تُدرِكُه الرَّحْمةُ... وقيلَ: أصلُ ذلك: أنَّ الأرضَ أمُّهم؛ مِنها خُلِقوا فغابوا عَنها طَويلًا فتَضُمُّهم ضَمَّةَ والِدةٍ غابَ عَنها ولَدُها؛ فالمُؤمِنُ برِفقٍ، والعاصي بعُنفٍ غَضبًا عليه[3].

وقال المُناويُّ: إنَّ المُؤمِنَ الكامِلَ يَنضَمُّ عليه ثُمَّ يَنفرِجُ عَنه سَريعًا، والمُؤمِنَ العاصيَ يَطولُ ضَمُّه ثُمَّ يَتَراخَى عَنه بَعدُ، وإنَّ الكافِرَ يَدومُ ضَمُّه أو يَكادُ أن يَدومَ[4].

قال ابنُ أبي زَيدٍ في ذِكرِ اعتِقادِ أهلِ السُّنَّةِ: وأنَّ المُؤمنينَ يُفتَنونَ في قُبورِهم ويُضغَطونَ ويُبْلَونَ، ويُثبِّتُ اللَّهُ مَنطِقَ مَن أحَبَّ تَثبيتَه[5].

---

[1] أخرجه النسائي (2055)، والطبراني (10/6) (5333)، وأبو نعيم في ((معرفة الصحابة)) (3111). صَحَّحه الألباني في ((صحيح سنن النسائي)) (2055)، والوادعي على شرط مسلم في ((الصحيح المسند)) (781)، وصحَّح إسنادَه النووي في ((الخلاصة)) (1042/2)، وشعيب الأرناؤوط في تخريج ((العواصم والقواصم)) (347/5).

[2] أخرجه أحمد (24283)، والطحاوي في ((شرح مشكل الآثار)) (273)، وابن حبان (3112). صَحَّحه ابنُ حبان، والألباني في ((صحيح الجامع)) (2180)، وشعيب الأرناؤوط في تخريج ((مسند أحمد)) (24283)، وصحَّح إسنادَه الطبري في ((مسند عمر)) (599/2)، وقوَّاه الذهبي في ((سير أعلام النبلاء)) (291/1)، وجوَّده العراقي في ((تخريج الإحياء)) (259/5).

[3] يُنظر: ((فيض القدير)) (2/ 501).

[4] يُنظر: ((فيض القدير)) (2/ 168).

[5] يُنظر: ((الجامع في السنن والآداب والمغازي والتاريخ)) (ص: 112).

وقال ابنُ تيميَّةَ: إنَّ الذُّنوبَ مُطلَقًا من جَميعِ المُؤمنينَ هيَ سَبَبُ العَذابِ، لَكِنَّ العُقوبةَ بها في الآخِرةِ في جَهَنَّمَ تندَفِعُ بنَحوِ عَشَرةِ أسبابٍ... السَّبَبُ الثَّامِنُ: ما يُبتَلَى به المُؤمِنُ في قَبرِه مِنَ الضَّغطةِ وفتنةِ ال مَلَكينِ[1].

وممَّا جاء في ضَمَّةِ الكافِرِ حديثُ البراءِ بنِ عَازبٍ رَضِيَ اللهُ عنهما، وفيه قولُه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: {إِنَّ الْكَافِرَ، فَذَكَرَ مَوْتَهُ، قَالَ: وَتُعَادُ رُوحُهُ في جَسَدِهِ، وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ هَاهْ، لَا أَدْرِى! فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِى! فَيَقُولَانِ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِى بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِى! فَيُنَادِى مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَنْ كَذَبَ، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ النَّارِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ، قَالَ: فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسَمُومِهَا. قَالَ: وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ}[2].

وممَّا جاء في ضَمَّةِ المنافِقِ حديثُ أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنه، وفيه قَولُه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: {وَإِنْ كَانَ مُنَافِقًا قَالَ: سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ فَقُلْتُ مِثْلَهُ، لَا أَدْرِى. فَيَقُولانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ ذَلِكَ، فَيُقَالُ لِلأَرْضِ: الْتَئِمِى عَلَيْهِ، فَتَلْتَئِمُ عَلَيْهِ فَتَخْتَلِفُ فِيهَا أَضْلَاعُهُ، فَلَا يَزَالُ فِيهَا مُعَذَّبًا حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ}[3].



[1] يُنظر: ((منهاج السنة النبوية)) (6/ 205-238).

[2] أخرجه مُطَوَّلًا أبو داود (4753) واللَّفظُ له، وأحمد (18534) باختلافٍ يسيرٍ. صحَّحَه القرطبي في ((التذكرة)) (119)، وابن القيم في ((الروح)) (269/1)، والألبانيُّ في ((صحيح سنن أبي داود)) (4753)، وحسَّنه المنذريُّ في ((الترغيب والترهيب)) (4/280)، وابن تيمية في ((مجموع الفتاوى)) (290/4)، والوادعي في ((الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين)) (150).

[3] أخرجه مُطَوَّلًا الترمذي (1071) واللَّفظُ له، والبزار (8462)، وابن حبان (3117). صَحَّحه ابنُ حبان، وحسَّنه الألباني في ((صحيح الترمذي)) (1071)، وقوَّى إسناده شعيب الأرناؤوط في تخريج ((صحيح ابن حبان)) (3117).

﴿المسألة الثالثة﴾

﴿سؤال الملكين﴾

قال اللهُ تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: 27].

أي: يثبِّتُ اللهُ المُؤمِنينَ بالقَولِ الصَّادقِ الحَقِّ، الذي ثبَتَ في قُلوبِهم، وتمكَّنَ فيها، واطمأنَّتْ إليه نفوسُهم -وهو شَهادةُ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ، وأنَّ مُحمَّدًا رَسولُ اللهِ ﷺ - فيُثَبِّتُهم اللهُ في حياتِهم الدُّنيا على إيمانِهم باللهِ تعالى وبرَسولِه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، ويُسلِّمُهم من الشَّهَواتِ والشُّبُهاتِ، ويُثَبِّتُهم أيضًا في قُبورِهم عندَ سؤالِ المَلَكينِ[1].

وعن البَراءِ بنِ عازبٍ رَضِيَ الله عنهما أنَّ النبيَّ ﷺ قال: {المُسلِمُ إذا سُئِلَ في القبرِ يشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ، وأنَّ محمدًا رسولُ اللهِ، فذلك قولُه: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ **}[2].**

وعن أبي سعيدٍ الخُدريِّ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: شَهِدتُ مع رسولِ اللهِ ﷺ جنازةً، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: {أيُّها النَّاسُ، إنَّ هذه الأمَّةَ تُبتَلَى في قُبورِها، فإذا الإنسانُ دُفِنَ فتفَرَّقَ عنه أصحابُه، جاءه مَلَكٌ في يَدِه مِطراقٌ فأقعَدَه، قال: ما تقولُ في هذا الرَّجُلِ؟ فإن كان مؤمِنًا قال: أشهَدُ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ وأنَّ مُحمَّدًا عبدُه ورسولُه، فيقولُ: صَدَقتَ، ثمَّ يُفتَحُ له بابٌ إلى النَّارِ، فيقولُ: هذا كان مَنزِلَك لو كفَرْتَ برَبِّك، فأمَّا إذ آمنتَ فهذا مَنزِلُك، فيُفتَحُ له بابٌ إلى الجنَّةِ، فيريدُ أن ينهَضَ إليه، فيقولُ له: اسكُنْ، ويُفسَحُ له في قَبرِه. وإن كان كافِرًا أو مُنافِقًا يقولُ له: ما تقولُ في هذا الرَّجُلِ؟ فيقولُ: لا أدري، سَمِعتُ النَّاسَ يقولونَ شَيئًا! فيقولُ: لا دَرَيتَ، ولا تَلَيتَ[3]، ولا اهتَدَيتَ، ثمَّ يُفتَحُ له بابٌ إلى الجنَّةِ فيقولُ: هذا مَنزِلُك لو آمنْتَ برَبِّك، فأمَّا إذ كفَرْتَ به

---

[1] يُنظر: ((التفسير المحرر – سورة إبراهيم)) (ص: 335).

[2] أخرجه البخاري (4699) واللَّفظُ له، ومسلم (2871).

[3] قال علي القاري: (((لا دَرَيتَ)) أي: لا عَلِمْتَ ما هو الحَقُّ والصَّوابُ "ولا تَلَيتَ" أي: لا تَبِعْتَ الناجين، يعني: ما وقع منك التحقيقُ والتسديدُ، ولا صدر منك المتابعةُ والتقليدُ. ((مرقاة المفاتيح)) (205/1).

فإنَّ اللهَ عَزَّ وجَلَّ أبدَلَك به هذا، ويُفتَحُ له بابٌ إلى النَّارِ، ثمَّ يَقمَعُه قَمعةً بالمِطراقِ يَسمَعُها خَلقُ اللهِ كُلُّهم غيرَ الثَّقَلينِ. فقال بعضُ القَومِ: يا رسولَ اللهِ، ما أحدٌ يقومُ عليه ملَكٌ في يَدِه مِطراقٌ إلَّا هِيلَ عند ذلك! فقال رسولُ اللهِ ﷺ: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ }[1].

قال السَّمعانيُّ: قَولُه تعالى: {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ} القَولُ الثَّابتُ: كَلِمةُ التَّوحيدِ، وهيَ لا إلَه إلَّا اللَّهُ، وقال: يُثَبِّتُ اللَّهُ؛ لِأنَّه هو المُثَبِّتُ لِلإيمانِ في قُلوبِ المُؤمِنينَ.

وقَولُه: {فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} يعني: قَبلَ المَوتِ، وقَولُه {وَفِي الْآخِرَةِ} أي: في القَبرِ، وعليه أكثَرُ أهلِ التَّفسيرِ، وقَد ثَبَتَ ذلك عَنِ النَّبيِّ ﷺ بِروايةِ البراءِ بْنِ عازِبٍ، وهو قَولُ عَبدِ اللَّهِ بنِ مَسعودٍ، وعَبدِ اللَّهِ بنِ عَبَّاسٍ، وجَماعةٍ مِنَ الصَّحابةِ.

واعلَمْ أنَّ سُؤالَ القَبرِ ثابتٌ في السُّنَّةِ، والإيمانُ به واجِبٌ، وقَد ورَدَت فيه الأخبارُ الكَثيرةُ...

وفي الآيةِ قَولٌ آخَرُ: أنَّ الحَياةَ الدُّنيا هيَ القَبْرُ، وفي الآخِرةِ هيَ القيامةُ، والقَولُ الأوَّلُ أصَحُّ.

وقَولُه: {وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ} مَعناه: أنَّه لا يَهدي المُشرِكينَ إلَى هَذا الجَوابِ، ولا يُلَقِّنُهم إيَّاه، وقَولُه: {وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ} مِنَ التَّوفيقِ والخِذْلانِ والتَّثبيتِ وتَركِ التَّثبيتِ[2].

أسماء الملكين: منكر ونكير:

عَن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عَنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: {إذا قُبِرَ المَيِّتُ –أو قال: أحَدُكُم– أتاهُ مَلكانِ أسودانِ أزرَقانِ، يُقالُ لِأحَدِهما: المُنكَرُ، ولِلآخَرِ: النَّكيرُ، فيَقولانِ: ما كُنتَ تَقولُ في هَذا الرَّجُلِ؟ فيَقولُ: ما كانَ يَقولُ، هو عَبدُ اللَّهِ ورَسولُه، أشهَدُ أنْ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، وأنَّ مُحَمَّدًا عَبدُه ورَسولُه. وإن كانَ مُنافِقًا، قال: سَمِعتُ النَّاسَ يَقولونَ قَولًا، فقُلتُ مِثلَه، لا أدري...}[3].

قال أبو حَنيفةَ: سُؤالُ مُنكَرٍ ونَكيرٍ حَقٌّ؛ لِورودِ الأحاديثِ[4].

---

[1] أخرجه أحمد (11000) واللَّفظُ له، وابن أبي عاصم في ((السنة)) (865) بلفظ: ((ذهل)) بدلًا من ((هيل))، والبزار كما في ((مجمع الزوائد)) للهيثمي (3/50). صحَّحه ابنُ القيِّم في ((إعلام الموقعين)) (1/164)، وشعيب الأرناؤوط في تخريج ((مسند أحمد)) (11000)، وصحَّح إسنادَه الألباني في ((سلسلة الأحاديث الصحيحة)) (3394)، وقال ابنُ كثيرٍ في ((تفسير القرآن)) (4/417): إسنادُه لا بأسَ به.

[2] يُنظر: ((تفسير السمعاني)) (3/ 115).

[3] أخرجه مُطَوَّلًا الترمذي (1071) واللَّفظُ له، والبزار (8462)، وابن حبان (3117). صَحَّحه ابنُ حبان، وحسَّنه الألباني في ((صحيح الترمذي)) (1071)، وقوَّى إسناده شعيب الأرناؤوط في تخريج ((صحيح ابن حبان)) (3117).

[4] يُنظر: ((شرح وصية الإمام أبي حنيفة)) للبابرتي (ص: 120).

وقال الشَّافِعيُّ: إنَّ عَذابَ القَبرِ حَقٌّ، ومُساءَلةَ أهلِ القُبورِ حَقٌّ، والبَعثَ والحِسابَ والجَنَّةَ والنَّارَ وغَيرَ ذلك مِمَّا جاءَت به السُّنَنُ وظَهَرَت على ألسِنةِ العُلَماءِ وأتباعِهم من بلادِ المُسْلِمينَ حَقٌّ[1].

قال أحمَدُ بنُ حَنبلٍ: الإيمانُ بعَذابِ القَبرِ وأنَّ هَذِه الأمَّةَ تُفتَنُ في قُبورِها، وتُسأَلُ عَنِ الإيمانِ والإسلامِ، ومَن رَبُّه؟ ومَن نَبيُّه؟ ويأتيه مُنكَرٌ ونَكيرٌ كَيف شاءَ اللَّهُ، وكَيف أرادَ، والإيمانُ به، والتَّصديقُ به[2].

الذين لا يفتنون في قبورهم:

قال ابن عثيمين رحمه الله تعالى: أوَّلًا: أمَّا الأنبياءُ فلا تَشمَلُهمُ الفِتنةُ، ولا يُسأَلونَ؛ وذلك لِوجهَينِ:

الأوَّلُ: أنَّ الأنبياءَ أفضَلُ مِنَ الشُّهداءِ، وقَد أخبَرَ النَّبيُّ ﷺ أنَّ الشَّهيدَ يوقَى فتنةَ القَبرِ، فقد سأل رجل من الصحابة النبي ﷺ فقال: { يا رسولَ اللَّهِ! ما بالُ المؤمنينَ يُفتَنونَ في قبورِهِم إلَّا الشَّهيدَ ؟ ! قالَ : كفَى ببارقةِ السُّيوفِ علَى رأسِهِ}[3].

الثَّاني: أنَّ الأنبياءَ يُسأَلُ عَنهم؛ فيُقالُ لِلمَيِّتِ: مَن نَبيُّكَ؟ فهمُ مَسؤولٌ عَنهم، ولَيسوا مَسؤولينَ؛ ولِهَذا قال النَّبيُّ ﷺ: {إنَّه أوحيَ إلَيَّ أنَّكُم تُفتَنونَ في قُبورِكُم}[4]، والخِطابُ لِلأمَّةِ المُرْسَلِ إلَيهم؛ فلا يَكونُ الرَّسولُ داخِلًا فيهم.

ثانيًا: وأمَّا الصِّدِّيقونَ فلا يُسأَلونَ؛ لِأنَّ مَرتَبةَ الصِّدِّيقينَ أعلَى من مَرتَبةِ الشُّهداءِ؛ فإذا كانَ الشُّهداءُ لا يُسأَلونَ؛ فالصِّدِّيقونَ من بابِ أَولَى، ولِأنَّ الصِّدِّيقَ على وصفِه مُصَدِّقٌ وصادِقٌ؛ فهو قَد عُلِمَ صِدْقُه؛ فلا حاجةَ إلَى اختِبارِه؛ لِأنَّ الاختِبارَ لِمَن يُشَكُّ فيه: هَل هو صادِقٌ أو كاذِبٌ، أمَّا إذا كانَ صادِقًا فلا حاجةَ تَدعو لِسُؤالِه، وذَهَبَ بَعضُ العُلَماءِ إلَى أنَّهم يُسأَلونَ؛ لِعُمومِ الأدِلَّةِ. واللَّهُ أعلَمُ.

---

[1] يُنظر: ((الاعتقاد)) للبيهقي (ص: 260).
[2] يُنظر: ((الروح)) لابن القيم (1/ 166)، ((تسلية أهل المصائب)) للمنبجي (ص: 223).
[3] أخرجه النسائي 2052.
[4] أخرجه النائي 2062.

ثالثًا: وأمَّا الشُّهَداءُ الَّذينَ قُتِلوا في سَبيلِ اللَّهِ؛ فإنَّهم لا يُسألونَ؛ لِظُهورِ صِدْقِ إيمانِهم بجِهادِهم. قال اللَّهُ تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ [التوبة: 111] ، وقال: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: 169] ، وقال النَّبيُّ ﷺ: {كَفى ببارِقةِ السُّيوفِ على رأسِه فِتنةً}، وإذا كانَ المُرابِطُ؛ إذا مات أمِنَ الفَتَّانَ؛ لِظُهورِ صِدْقِه، فهَذا الَّذي قُتِلَ في المَعرَكةِ مِثلُه أو أَولَى مِنه؛ لِأنَّه بَذلَ وعَرَضَ رَقبَتَه لِعَدُوِّ اللَّهِ؛ إعلاءً لِكَلِمةِ اللَّهِ، وانتِصارًا لدينِه، وهَذا من أكبَرِ الأدِلَّةِ على صِدْقِ إيمانِه.

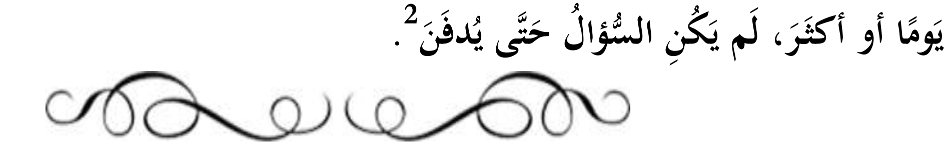
رابعًا: وأمَّا المُرابِطونُ فإنَّهم لا يُفتَنونَ؛ ففي صَحيحِ مُسلم أنَّ رَسولَ اللَّهِ ﷺ قال: {رِباطُ يَومٍ ولَيلةٍ خَيرٌ من صيامِ شَهرٍ وقيامِه، وإن مات جَرَى عليه عَمَلُه الَّذي كانَ يَعمَلُه، وأُجرِيَ عليه رِزقُه، وأمِنَ الفَتَّانَ}[1].

خامِسًا: الصِّغارُ والمَجَانينُ؛ هَلْ يُفتَنونَ أو لا يُفتَنونَ؟ قال بَعضُ العُلَماءِ: إنَّهم يُفتَنونَ؛ لِدُخولِهم في العُمومِ، ولِأنَّهم إذا سَقَطَ التَّكليفُ عَنهم في حالِ الحَياةِ، فإنَّ حالَ المَماتِ تُخالِفُ حالَ الحَياةِ. وقال بَعضُ العُلَماءِ: إنَّ المَجانينَ والصِّغارَ لا يُسألونَ؛ لِأنَّهم غَيرُ مُكَلَّفينَ، وإذا كانوا غَيرَ مُكَلَّفينَ، فإنَّه لا حِسابَ عليهِم؛ إذ لا حِسابَ إلَّا على مَن كانَ مُكَلَّفًا يُعاقَبُ على المَعاصي، وهَؤُلاءِ لا يُعاقَبونَ، ولَيسَ لَهم إلَّا الثَّوابُ؛ إنْ عَمِلوا عَمَلًا صالِحًا يُثابونَ عليه.

تَنبيهٌ: النَّاسُ ثَلاثةُ أقسامٍ: مُؤمِنونَ خُلَّصٌ، ومُنافِقونَ، وهَذانِ القِسمانِ يُفتَنونَ، والثَّالِثُ كُفَّارٌ خُلَّصٌ؛ ففي فتنَتِهم خِلافٌ، وقَد رَجَّحَ ابنُ القَيِّمِ في كِتابِ الرُّوحِ أنَّهم يُفتَنونَ.

وهل تُسأَلُ الأمَمُ السَّابقةُ؟ ذَهَبَ بَعضُ العُلَماءِ –وهو الصَّحيحُ– إلَى أنَّهم يُسأَلونَ؛ لِأنَّه إذا كانَت هَذه الأُمَّةُ –وهيَ أشرَفُ الأُمَمِ– تُسأَلُ، فمَن دونَها من بابِ أَولَى.

كما أنَّ الفِتنةَ لا تَكونُ إلَّا إذا انتَهَتِ الأحوالُ الدُّنيويَّةُ، وسُلِّمَ إلَى عالَمِ الآخِرةِ، فإذا تأخَّرَ دَفنُه يَومًا أو أكثَرَ، لَم يَكُنِ السُّؤالُ حَتَّى يُدفَنَ[2].



[1] أخرجه مسلم (1913) من حَديثِ سلمان رَضِيَ اللهُ عنه.

[2] يُنظر: ((شرح العقيدة الواسطية)) لابن عثيمين بتصرف (2/ 108–113).

﴿المسألة الرابعة﴾

﴿نعيم القبر وعذابه﴾

وفيها أربعة مطالب:

الأول: تواتر أحاديث عذاب القبر ونعيمه:

الثاني: سماع صوت المعذَّبين:

الثالث: صفة عذاب القبر ونعيمه:

الرابع: المعصومون من فتنة القبر وعذابه:



﴿المطلب الأول﴾

﴿تواتر أخبار عذاب القبر ونعيمه﴾

قال تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾[غافر: 46]، فيه دلالة على الحياة في القبور ومن ضمنها نعيم القبر أو عذابه.

فعَن عَبدِ اللَّهِ بنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنهما أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: {إنَّ أحَدَكُم إذا ماتَ عُرِضَ عليه مَقعَدُه بالغَداةِ والعَشِيِّ؛ إن كانَ من أهلِ الجَنةِ فمن أهلِ الجَنةِ، وإن كانَ من أهلِ النَّارِ فمن أهلِ النَّارِ، فيُقالُ: هَذا مَقعَدُكَ حَتَّى يَبعَثَكَ اللَّهُ يومَ القيامةِ}[1].

عن البراءِ بن عازِبٍ رَضيَ اللهُ عنهما عَنِ النَّبيِّ ﷺ قال: {إذا أُقعِدَ المُؤمِنُ في قَبرِه أُتيَ ثُمَّ شَهِدَ أنْ لا إلهَ إلَّا اللَّهُ وأنَّ مُحَمَّدًا رَسولُ اللَّهِ، فذلك قَولُه: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾[إبراهيم: 27]}، وفي رِوايةٍ أُخرَى: وزادَ: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾[إبراهيم: 27] نَزَلَت في عَذابِ القَبرِ[2].

وعَن عائِشةَ رَضِيَ اللهُ عَنها قالت: {دَخَلَتْ عليَّ عَجُوزانِ من عُجُزِ يَهودِ المَدينةِ، فقالَتَا: إنَّ أهْلَ القُبورِ يُعَذَّبونَ في قُبورِهم، قالت: فكَذَّبْتُهما، ولَم أنعَمْ أنْ أُصَدِّقَهما، فخَرَجَتا، ودَخلَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ، فقُلتُ لَه: يا رَسولَ اللَّهِ إنَّ عَجوزينِ من عُجُزِ يَهودِ المَدينةِ دَخَلَتَا عليَّ، فزَعَمَتا أنَّ أهلَ القُبورِ يُعذَّبونَ في قُبورِهم، فقال: صَدَقَتا، إنَّهم يُعذَّبونَ عَذابًا تَسمَعُه البَهائِمُ، قالت: فما رأيتُه بَعدُ في صَلاةٍ إلَّا يَتَعَوَّذُ من عَذابِ القَبرِ}[3].

وعَن أسماءَ بنتِ أبي بَكرٍ رَضِيَ اللهُ عَنها قالت: {قامَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ خَطيبًا، فذَكَرَ فِتنةَ القَبرِ الَّتي يُفتَنُ فيها المَرءُ، فلَمَّا ذَكَرَ ذلك ضَجَّ المُسْلِمونَ ضَجَّةً}[4].

---

[1] أخرجه البخاري (1379) واللَّفظُ له، ومسلم (2866).

[2] أخرجه البخاري (1369) واللَّفظُ له، ومسلم (2871).

[3] أخرجه البخاري (6366)، ومسلم (586) واللَّفظُ له.

[4] أخرجه البخاري (1373).

وعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ: {مَلأَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ وَقُبُورَهُمْ نَارًا كَمَا شَغَلُونَا عَنْ صَلَاةِ الْوُسْطَى حَتَّى غَابَتِ الشَّمْسُ}[1].

وعَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَدْعُو فِي الصَّلَاةِ: {اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَفِتْنَةِ الْمَمَاتِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْمَأْثَمِ وَالْمَغْرَمِ}[2].

وعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: {كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعَلِّمُنَا هَؤُلَاءِ الكَلِمَاتِ، كَمَا تُعَلَّمُ الكِتَابَةُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ البُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الجُبْنِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ نُرَدَّ إِلَى أَرْذَلِ العُمُرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا، وَعَذَابِ القَبْرِ}[3].

قال الشَّافِعيُّ: والإيمانُ بعَذابِ القَبرِ، والإيمانُ بالحَوضِ والشَّفاعةِ، وخُروجُ الدَّجَّالِ حَقٌّ، ومُنكَرٌ ونَكيرٌ حَقٌّ، والإيمانُ بهَذا كُلِّه حَقٌّ، فمَن تَرَكَ من هَذا شَيئًا؛ فهو مُخالِفٌ لِكِتابِ اللَّهِ عزَّ وجَلَّ وسُنَّةِ نَبيِّه ﷺ[4].

وقال أحمَدُ بنُ حَنبلٍ: أصولُ السُّنَّةِ عِندَنا... الإيمانُ بعَذابِ القَبرِ[5].

وقال ابنُ أبي العِزِّ: قَد تَواتَرَتِ الأخبارُ عَن رَسولِ اللَّهِ ﷺ في ثُبوتِ عَذابِ القَبرِ ونَعيمِه لِمَن كانَ لِذلك أهلًا، وسُؤالُ المَلَكينَ، فيَجِبُ اعتِقادُ ثُبوتِ ذلك والإيمانُ به، ولا نَتَكَلَّمُ في كَيفيَّتِه؛ إذ لَيسَ لِلعَقلِ وُقوفٌ على كَيفيَّتِه؛ لِكَونِه لا عَهدَ لَه به في هَذِه الدَّارِ، والشَّرعُ لا يأتي بما تُحيلُه العُقولُ، ولَكِنَّه قَد يأتي بما تَحارُ فيه العُقولُ، فإنَّ عَودةَ الرُّوحِ إلَى الجَسَدِ لَيسَ على الوَجهِ المَعهودِ في الدُّنيا، بَل تُعادُ الرُّوحُ إلَيه إعادةً غَيرَ الإعادةِ المألوفةِ في الدُّنيا[6].

وقال ابنُ رَجَبٍ: قَد تَواتَرَتِ الأحاديثُ عَنِ النَّبيِّ ﷺ في عَذابِ القَبرِ والتَّعَوُّذِ مِنه[7].



---

[1] أخرجه البخاري (4111) واللَّفظُ له، ومسلم (627).

[2] أخرجه البخاري (832) واللَّفظُ له، ومسلم (589).

[3] أخرجه البخاري (6390).

[4] يُنظر: ((اعتقاد الشافعي)) للهكاري (ص: 18).

[5] يُنظر: ((أصول السنة)) (ص: 14-30).

[6] يُنظر: ((شرح الطحاوية)) (2/ 578).

[7] يُنظر: ((أهوال القبور)) (ص: 45).

﴿المطلب الثاني﴾

﴿سماع صوت المعذَّبين﴾

أعطَى اللَّهُ نَبيَّه ﷺ القُدرةَ على سَماعِ المُعَذَّبينَ في قُبورِهم.

عَن زيدِ بنِ ثابتٍ رَضِيَ اللهُ عَنه قال: {بينَما النَّبيُّ ﷺ في حائِطٍ لبَني النَّجَّارِ على بغلةٍ لَه، ونَحنُ مَعَه، إذ حادَت به، فكادَت تُلْقِيه، وإذا أقبُرُ سِتَّةٍ أو خَمسةٍ أو أربَعةٍ، فقال: مَن يَعرِفُ أصحابَ هَذِه الأقبُرِ؟ فقال رَجُلٌ: أنا، قال: فمَتَى مات هَؤُلاءِ؟ قال: ماتوا في الإشراكِ، فقال: إنَّ هَذِه الأمَّةَ تُبتَلَى في قُبورِها، فلَولا أنْ لا تَدافَنوا لَدَعَوْتُ اللَّهَ أن يُسمِعَكُم من عَذابِ القَبرِ الَّذي أسمَعُ مِنه}[1].

وعَن أبي أيُّوبَ الأنصاريِّ رَضِيَ اللهُ عَنه قال: {خَرجَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ بَعدَما غَرَبتِ الشَّمسُ، فسَمِعَ صَوتًا، فقال: يَهودُ تُعَذَّبُ في قُبورِها}[2].

شواهد بعض الناس بسماعهم صوت المعذبين في قبورهم:

قال ابنُ رَجَبٍ: وقَد كَشَفَ لِمَن يَشاءُ من عِبادِه من عَذابِ أهلِ القُبورِ ونَعيمِهم، وقَد وقَعَ بَعضُ ذلك في زَمَنِ النَّبيِّ ﷺ، ووقَعَ بَعدَه كَثيرًا[3].

وقال ابنُ تيميَّةَ: قَد سَمِعَ غَيرُ واحِدٍ أصَواتَ المُعَذَّبينَ في قُبورِهم، وقَد شُوهِدَ مَن يَخرُجُ من قَبرِه وهو مُعَذَّبٌ[4].

وقال عَبدُ الحَقِّ الإشبيليُّ: حَدَّثَني الفقيهُ أبو الحكمِ بنُ برجان، وكانَ من أهلِ العِلمِ والعَمَلِ رَحِمُه اللَّهُ، أنَّهم دَفنوا مَيتًا بقَريتِهم من شَرقِ إشبيليَّةَ، فلَمَّا فرَغوا من دَفنِه قَعدوا ناحيةً يَتَحَدَّثونَ، ودابَّةٌ تَرعى قَريبًا مِنهم، وإذا بالدَّابةِ قَد أقبَلَت مُسرِعةً إلَى القَبرِ، فجَعلت أذُنَها عليه كأنَّها تَسمَعُ ثُمَّ وَلَّت فارَّةً! ثُمَّ عادَت إلَى القَبرِ، فجَعَلَت أُذُنَيها عليه كأنَّها تَسمَعُ ثُمَّ وَلَّت

---

[1] أخرجه مسلم (2867) مُطَوَّلًا.

[2] أخرجه البخاري (1375)، ومسلم (2869) واللَّفظُ له.

[3] يُنظر: ((أهوال القبور)) (ص: 60).

[4] يُنظر: ((مجموع الفتاوى)) (5/ 526).

كَذلك! ثُمَّ أعادَت ذلك مَرَّةً بَعدَ أخرَى، قال أبو الحكمِ رَحِمه اللَّهُ: فذَكَرْتُ عَذابَ القَبرِ وقَولَ النَّبيِّ ﷺ: {إنَّهم لَيُعذَّبونَ عَذابًا تَسمَعُه البَهائِمُ}[1].



---

[1] أخرجه البخاري (**6366**)، ومسلم (**586**) من حَديثِ عائشة رَضِيَ اللهُ عنها. يُنظر: ((العاقبة في ذكر الموت)) (ص: **247**).

﴿المطلب الثالث﴾

﴿صفة عذاب القبر ونعيمه﴾

ذَكَرَ النَّبيُّ ﷺ في حَديثِ البراءِ بن عازِبٍ رضيَ اللهُ عنهما أنَّ المَلائِكةَ تَسألُ العَبدَ المُؤْمِنَ في قَبرِه، فيُحْسِنُ الإجابةَ، وعِندَ ذاكَ: {يُنادي مَنادٍ مِنَ السَّماءِ: أنْ صَدقَ عَبدي، فأفرِشوه مِنَ الجَنةِ، وألبِسوه مِنَ الجَنةِ، وافتَحوا له بابًا إلَى الجَنةِ، قال: فيأتيه من رَوحِها وطِيبِها، ويُفسَحُ لَه في قَبرِه مَدَّ بَصَرِه، قال: ويأتيه «وفي رِوايةٍ: يُمَثَّلُ لَه» رَجُلٌ حَسَنُ الوَجهِ حَسَنُ الثِّيابِ، طَيِّبُ الرِّيحِ، فيَقولُ: أبشِرْ بالَّذي يَسُرُّك، «أبشِرْ برِضوانٍ مِنَ اللَّه، وجَناتٍ فيها نَعيمٌ مُقيمٌ» هَذا يومُكَ الَّذي كُنتَ تُوعَدُ، فيَقولُ لَه: «وأنتَ فبشَّركَ اللَّهُ بخَيرٍ» مَن أنتَ؟ فوجهُكَ الوَجهُ الَّذي يَجيءُ بالخَيرِ، فيَقولُ: أنا عَمَلُك الصَّالِحُ «فواللَّهِ ما عَلِمتُك إلَّا كُنتَ سَريعًا في طاعةِ اللَّهِ، بَطيئًا في مَعصيةِ اللَّهِ، فجَزاك اللَّهُ خَيرًا»، ثُمَّ يُفتَحُ لَه بابٌ مِنَ الجَنةِ، وبابٌ مِنَ النَّارِ، فيُقالُ: هَذا مَنزِلُكَ لَو عَصَيتَ اللَّهَ، أبدَلَكَ اللَّهُ به هَذا، فإذا رأى ما في الجَنةِ، قال: رَبِّ عَجِّلْ قيامَ السَّاعةِ؛ كيما أرجِعَ إلَى أهلي ومالي، فيُقالُ لَه: اسكُنْ}[1].

قال المظهريُّ: قَولُه: {أنْ صَدَقَ عَبدي} يعني: أنْ صَدقَ بما يَقولُ؛ فإنَّه كانَ في الدُّنيا على هَذا الاعتِقادِ عَنِ الإخلاصِ والصِّدقِ، لا عَنِ النِّفاقِ والرِّياءِ، فإذا كانَ لَه هَذا الاعتِقادُ عَنِ الإخلاصِ فهو مُستَحِقٌّ لِلإكرامِ؛ فأكرِمُوه.

وقَولُه: {فأفرِشوه مِنَ الجَنةِ} أي: فأفرِشوا لَه، يعني: فأْمروا بفَرْشِ بِساطٍ من بُسُطِ الجَنةِ.

قَولُه: وألبِسوه} يعني: ألبِسوه {مِن} ثيابِ {الجَنَّةِ}، والضَّميرُ في {أفرِشوه} وما بَعدَه لِلمَلائِكةِ أو لِخزَنةِ الجَنةِ.

قَولُه: {من رَوحِها} أي: من رائحةِ الجَنَّةِ ولَذَّتِها.

وقَولُه: {ويُفسَحُ لَه فيها} أي: في الجَنةِ {مَدٍّ بَصَرِه}، {المَدُّ}: البَسطُ والتَّوسيعُ، والمَرادُ مِنه هاهنا: إلَى حَيثُ يَنتَهي إليه بَصَرُه.

---

[1] أخرجه مُطَوَّلًا أبو داود (4753) بنحوه، وأحمد (18534) واللَّفظُ له. صحَّحَه القرطبي في ((التذكرة)) (119)، وابن القيم في ((الروح)) (269/1)، والألبانيُّ في ((صحيح سنن أبي داود)) (4753)، وحسَّنه المنذريُّ في ((الترغيب والترهيب)) (4/280)، وابن تيمية في ((مجموع الفتاوى)) (290/4)، والوادعي في ((الصحيح المسند)) (150).

فإنْ قيلَ: قال قَبلَ هَذا: {يُفتَحُ لَه سَبعونَ ذِراعًا في سَبعينَ}، وقال هاهنا: {يُفتَحُ لَه فيها مَدَّ بَصَرِه}، كَيف التَّوفيقُ بينَهما؟

قُلنا: {سَبعونَ ذِراعًا في سَبعينَ} عِبارةٌ عَن تَوسُّعِ قَبرِه، و{مَدُّ البَصَرِ} هنا عِبارةٌ عَمَّا يُعرَضُ عليه مِنَ الجَنةِ؛ فبينَهما فرقٌ، ويُحتَمَلُ أن يَكونَ ذلك لِمن دَرَجَتُه أقَلُّ مِمَّن لَه هَذا؛ لِأنَّ مَدَّ البَصَرِ أكثَرُ من سَبعينَ ذِراعًا[1].

وذَكَرَ النَّبيُّ ﷺ أنَّ العَبدَ الكافِرَ أوِ الفاجِرَ بَعدَ أن يَسيءَ الإجابةَ {يُنادي مُنادٍ في السَّماءِ أنْ كَذَبَ، فأفرِشوا لَه مِنَ النَّارِ، وافتَحوا لَه بابًا إلَى النَّارِ، فيأتيه من حَرِّها وسَمومِها، ويُضَيَّقُ عليه في قَبرِه، حَتَّى تَختَلِف فيه أضلاعُه، ويأتيه «وفي رِوايةٍ: ويُمَثَّلُ لَه» رَجُلٌ قَبيحُ الوجهِ، قَبيحُ الثِّيابِ، مُنتِنُ الرِّيحِ، فيَقولُ: أبشِرْ بالَّذي يَسوءُكَ، هَذا يَومُكَ الَّذي كُنتَ تُوعَدُ، فيَقولُ: «وأنتَ فبشَّرَكَ اللَّهُ بالشَّرِّ»، مَن أنتَ؟ فوجهُكَ الوَجهُ الَّذي يَجيءُ بالشَّرِّ، فيَقولُ: أنا عَمَلُكَ الخَبيثُ، «فواللَّهِ ما عَلِمتُكَ إلَّا كُنتَ بَطيئًا عَن طاعةِ اللَّه، سَريعًا إلَى مَعصيةِ اللَّهِ»، «فجَزاكَ اللَّهُ شَرًّا، ثُمَّ يُقَيِّضُ اللَّهُ لَه أعمَى أصَمَّ أبكَمَ في يَدِه مِرزبَّةٌ، لَو ضُرِبَ بها جَبَلٌ كانَ تُرابًا، فيُضرِبُه حَتَّى يَصيرَ بها تُرابًا، ثُمَّ يُعيدُه كَما كانَ، فيَضرِبُه ضَرَبةً أخرَى، فيَصيحُ صيحةً يَسمَعُه كُلُّ شَيءٍ إلَّا الثَّقَلينِ، ثُمَّ يُفتَحُ لَه بابٌ مِنَ النَّارِ، ويُمهَّدُ من فُرُشِ النَّارِ»، فيَقولُ: رَبِّ لا تُقِمِ السَّاعةَ}[2].

قال المظهريُّ: {فيُنادي مُنادٍ مِنَ السَّماءِ: أنْ كَذَبَ}، يعني: كَذَبَ أنَّه لا يَدري مَن رَبُّه وما دينُه ومَن هَذا الرَّجُلُ الَّذي بُعِثَ فيهم؛ لِأنَّ الكُفَّارَ يَعلَمونَ أنَّ رَبَّهم هو اللَّهُ تعالى، ويَعلَمونَ أنَّ دينَهم هو الإسلامُ، وأنَّ نَبيَّهم مُحَمَّدٌ رَسولُ اللَّهِ ﷺ، ولَكِن لا يُؤمِنونَ حَسَدًا وبُغضًا.

فإنْ قيلَ: لمَ قال في قِصَّةِ المُؤمِنِ: {أنْ صَدَقَ عَبدي} ولم يَقُلْ هاهنا: {عَبدي}؟

قُلنا: لِأنَّ إضافةَ اللَّهِ تعالى العَبدَ إلَى نَفسِه تَشريفٌ لَه، والمُؤمِنُ مُستَحِقٌّ التَّشريفَ، بخِلافِ الكافِرِ.

---

[1] يُنظر: ((المفاتيح في شرح المصابيح)) (1/231).

[2] أخرجه مُطَوَّلًا أبو داود (4753) بنحوه، وأحمد (18534) واللَّفظُ له من حَديثِ البراء بن عازب رَضِيَ اللهُ عنهما. صحَّحَه القرطبي في ((التذكرة)) (119)، وابن القيم في ((الروح)) (1/269)، والألبانيُّ في ((صحيح سنن أبي داود)) (4753)، وحسَّنه المنذريُّ في ((الترغيب والترهيب)) (4/280)، وابن تيمية في ((مجموع الفتاوى)) (4/290)، والوادعي في ((الصحيح المسند)) (150).

قَولُه: {فيأتيه من حَرِّها وسَمومِها}، والضَّميرانِ يَرجِعانِ إِلَى النَّارِ، و{الحَرُّ} هنا: تأثيرُ النَّارِ إلَيه، و{السَّمومُ}: الرِّيحُ الحارَّةُ، يعني: يَلحَقُه أثَرُ حَرِّ النَّارِ والرِّيحِ الحارَّةِ.

قَولُه: {ثُمَّ يُقَيَّضُ لَه أعمَى أصَمَّ} أي: يُقَدَّرُ لَه ويوكَّلُ عليه زَبانيةٌ لا عينَ لَه؛ حَتَّى لا يَرَى عَجْزَه وجَرَيانَ دَمعِه، كي لا يرحَمَ عليه ولا يَسمَعَ صَوتَ بُكائِه واستِغاثَتِه[1].



[1] يُنظر: ((المفاتيح في شرح المصابيح)) (1/ 232).

﴿المطلب الرابع﴾

﴿المعصومون من فتنة القبر وعذابه من غير الأنبياء﴾

الأول: الشهيد:

عَن راشِدِ بن سَعدٍ عَن رَجُلٍ من أصحابِ رَسولِ اللَّهِ ﷺ أنَّ رَجُلًا قال: {يا رَسولَ اللَّهِ، ما بالُ المُؤمنينَ يُفتَنونَ في قُبورِهم إلَّا الشَّهيدَ؟ قال: كَفى ببارِقةِ السُّيوفِ على رأسِه فِتنةً}[1].

يدخل تحت اسم الشهيد:

عن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ: {الشُّهداءُ خمسةٌ : المطعونُ والمبطونُ والغرِقُ وصاحبُ الهدمِ والشَّهيدُ في سبيلِ اللهِ}[2].

وعَن عَبدِ اللهِ بنِ يَسارٍ قال: كُنتُ جالِسًا وسُلَيمانَ بنَ صردٍ وخالِدَ بنَ عرفطةٍ، فذَكَروا أنَّ رَجُلًا تُوُفِّيَ مات ببَطْنِه، فإذا هما يَشتَهيانِ أن يَكونا شِهدَا جِنازَتَه، فقال أحَدُهما لِلآخَرِ: ألم يَقُلْ رَسولُ اللَّهِ ﷺ: {مَن يَقتُلْه بَطنُه فلَن يُعذَّبَ في قَبرِه}؟ فقال الآخَرُ: بلَى[3].

قال المظهريُّ: قَولُه: {مَن قتَلَه بَطنُه لَم يُعذَّبْ}، يعني: مَن مات لِوَجعِ البَطنِ لَم يُعذَّبْ في القَبرِ، ولَعَلَّ سَبَبَه: أنَّ وجَعَ البَطنِ شَديدٌ يَكونُ كَفَّارةً لِذُنوبِه، فلا يَكونُ لَه عَذابٌ في القَبرِ[4].

وأقل: إن كان الكلام على المبطون بهذا النحو، فالمطعون أي: الذي مات بالطاعون، لا يقل ألمه على المبطون، ولا الغريق، والذي سقط عليه الهدم، والقتيل في سبيل الله من باب أولى.

---

[1] أخرجه النسائي (2053)، وأبو نعيم في ((معرفة الصحابة)) (7211) من حَديثِ رجل من الصحابة. حسَّنه ابن القطان في ((الوهم والإيهام)) (743/5)، وصَحَّحه الألباني في ((صحيح سنن النسائي)) (2053).

[2] أخرجه البخاري (2829)، ومسلم (1914).

[3] أخرجه النسائي (2052)، وأحمد (18310). صَحَّحه الألباني في ((صحيح سنن النسائي)) (2052)، والوادعي في ((الصحيح المسند)) (454)، وصحَّح إسنادَه ابن حجر في ((أسئلة وأجوبة)) (30)، وشعيب الأرناؤوط في تخريج ((مسند أحمد)) (18310). وأخرجه من طريق أبي إسحاقَ السَّبيعيِّ عن سُليمان أو خالد: الترمذيُّ (1064)، والطبراني (191/4) (4109) بلفظ: ((من قتَلَه بَطنُه لم يُعَذَّبْ في قَبْرِه؟ فقال أحَدُهما لصاحِبِه: نعم)). صَحَّحه الألباني في ((صحيح سنن الترمذي)) (1064)، وصحَّح إسنادَه ابن حجر في ((فتاوى العقيدة)) (45/1)،. وفي روايةٍ: صَدَقْتَ. أخرجها ابن قانع في ((معجم الصحابة)) (389/1)، وابن حبان (2933). صَحَّحه ابنُ حبان، وصحَّح إسنادَه الألباني في ((أحكام الجنائز)) (53)، وشعيب الأرناؤوط في تخريج ((صحيح ابن حبان)) (2933).

[4] يُنظر: ((المفاتيح في شرح المصابيح)) (2/ 411).

الثاني: المرابط في سبيل الله:

عَنْ سَلْمَانَ رضيَ اللهُ عنه قَالَ: {سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: رِباطُ يَومٍ ولَيلَةٍ خَيرٌ مِنْ صِيامِ شَهْرٍ وقِيَامِه، وإن ماتَ جَرَى عليه عَمَلُه الَّذي كان يَعْمَلُه، وأُجْرِيَ عليه رِزْقُه وأَمِنَ الفَتَّانَ}[1].

قال أبو العَبَّاسِ القُرطُبيُّ: قَولُه: {وأمِنَ الفتَّانَ}؛ يُروى عَنِ الأكثَرِ مِنَ الرُّواةِ: بضَمِّ الفاءِ، جَمعُ فاتِنٍ، ويَكونُ لِلجِنسِ، أي: يُؤمَّنُ من كُلِّ ذي فِتنةٍ. وأخرجه الطَّبَريُّ: بفتحِ الفاءِ، يعني به: فَتَّانَ القَبرِ، وكَذلك أخرجه أبو داوُدَ مُفسَّرًا بالإضافةِ إلَى القَبرِ[2].



[1] أخرجه مسلم (1913).

[2] يُنظر: ((المفهم)) (3/ 756).

﴿المبحث الرابع﴾

﴿يوم القيامة﴾

وفيه تسع مسائل:

1 – الإيمان بالبعث.

2 – الأيمان بالحشر.

3 – الإيمان بالحوض.

4 – الإيمان بنشر الصحف.

5 – الإيمان بالميزان.

6 – الإيمان بالشفاعة.

7 – الإيمان بالصراط.

8 – الإيمان القنطرة.

9 – الإيمان بالجنَّة والنَّار.



﴿المسألة الأولى﴾

﴿الإيمان بالبعث﴾

إنَّ الإيمان بالعبث من لوازم الإيمان بالله تعالى، فمن لم يؤمن بالعبث فقد كذَّب نصوص الشرع، وقد سَلَكَ القُرآنُ الكَريمُ في إثباتِ البَعثِ وتَأكيدِ وُقوعِه طُرُقًا مُتَنَوِّعةً؛ نذكر منها:

أوَّلًا: القسم على وُقوعِ البَعثِ:

وقد أمر الله تعالى نبيه في القرآن أن يقسم على قيام الساعة والبعث ثلاث مرَّات:

أ – قال تعالى: ﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ❋ وَيَسْتَنبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ ۖ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ [يونس: 52 – 53].

قال الطبري: {ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ} تجرّعوا عذابَ الله الدائم لكم أبدًا، الذي لا فناء له ولا زوال[1].

قال السَّعديُّ: يَقولُ تعالى لنَبيِّه ﷺ: {ويَستنبِئونَك أحَقٌّ هو} أي: يَستَخبِرُك المُكَذِّبونَ على وَجهِ التَّعنُّتِ والعِنادِ، لا على وجه التَّبيُّنِ والرَّشادِ {أَحَقٌّ هُوَ} أي: أصحيحٌ حَشرُ العِبادِ، وبَعثُهم بَعدَ مَوتِهم لِيَومِ المَعادِ، وجَزاءُ العِبادِ بأعمالِهم؛ إنْ خَيرًا فخيرٌ، وإنْ شَرًّا فشَرٌّ؟ قُلْ لهم مُقسِمًا على صِحَّتِه، مُستَدِلًّا عليه بالدَّليلِ الواضِحِ والبُرهانِ: {إِيْ وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ} لا مِرْيَةَ فيه ولا شُبْهَةَ تَعتَريه، {وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ} لله أن يَبعَثَكم، فكما ابتَدَأ خَلقَكم ولَم تَكونوا شَيئًا، كذلك يُعيدُكم مَرَّةً أخرى لِيُجازيَكم بأعمالِكم[2].

ب – وقوله تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن: 7].

قال ابنُ جَريرٍ: يَقولُ تعالى ذِكرُه: زَعَمَ الذينَ كَفَروا بالله أن لَن يَبعَثَهمُ اللهُ إليه من قُبورِهم بَعدَ مَمَاتِهم... وقَولُه: {قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ} يَقولُ لنَبيِّهِ مُحمَّدٍ ﷺ: قُلْ لهم يا مُحَمَّدُ: بَلى وربي

---

[1] ينظر: تفسير الطبري.

[2] ينظر: تفسير السعدي.

لتُبعَثُنَّ من قُبورِكم {ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ} يَقولُ: ثُمَّ لتُخبَرُنَّ بأعمالِكم التي عَمِلتُموها في الدُّنيا {وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ} يَقولُ: وبَعثُكم من قُبورِكم بَعدَ مَمَاتِكم على الله سَهلٌ هَيِّنٌ[1].

ج – وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: 3].

قال الطبري: يقول تعالى ذكره: ويستعجلك يا محمد الذين جحدوا قدرة الله على إعادة خلقه بعد فنائهم بهيئتهم التي كانوا بها من قبل فنائهم من قومك بقيام الساعة؛ استهزاء بوعدك إياهم وتكذيبا لخبرك، قل لهم: بلى تأتيكم وربي، قسمًا به لتأتينكم الساعة، ثم عاد جل جلاله بعد ذكره الساعة على نفسه، وتمجيدها فقال {عَالِمِ الْغَيْبِ...}[2].

ثانيًا: التَّنبيهُ بالنَّشأةِ الأُولى على النَّشأةِ الثَّانيةِ:

قال اللهُ تعالى: ﴿وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا * قُل كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا * أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُؤُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا * يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: 49-52].

أقول: وقوله: {قُل كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا}، جواب على إنكار بعث الناس وهم عظام ورفات، فقال: كونوا حجارة أو حديدا، وهي أشد وأقوى من العظام والرفات، أو كونوا أيَّ شيء ممَّا تظنونه قوي وجامد، فمع ذلك فإنَّ الله تعالى قادر على إحياكم وإعادتكم كما كنتم {فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا}، أي: من ذا الذي يقدر على ذلك وكيف ذلك، على وجه الإنكار، {قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ}، فإنه لم يعجزه خلقكم أوَّل مرَّة، فكيف يعجزه إعادتكم؟...

---

[1] ينظر: تفسير الطبري.

[2] السابق.

وقال اللهُ سُبحانَه: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ * وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ [يس: 77 – 79].

وقال ابنُ كثيرٍ: هيَ عامَّةٌ في كُلِّ من أنكَرَ البَعثَ، والألِفُ واللامُ في قَولِه: {أَوَلَمْ يَرَ الإِنْسَانُ} للجِنسِ، يَعُمُّ كُلَّ مُنكِرٍ للبَعثِ، {أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ} أي: أولَم يَستَدِلَّ من أنكَرَ البَعثَ بالبَدءِ على الإعادةِ؟... فالذي خَلَقَه من هذه النُّطفةِ الضَّعيفةِ أليسَ بقادِرٍ على إعادَتِه بَعدَ مَوتِه؟[1]

وقال اللهُ عَزَّ وجلَّ: ﴿ أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى * أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَى * ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى * فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَى * أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَى ﴾ [القيامة: 36 – 40].

ثالثا التصريح ببعث الناس:

قال تعالى: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ ﴾ [الحج: 7].

وقال اللهُ سُبحانَه: ﴿ فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [الروم: 50].

ومن السنة:

عن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ عنه، عن النَّبيِّ ﷺ قال: {قال اللهُ: كذَبَني ابنُ آدَمَ ولَم يَكُنْ له ذلك، وشَتَمَني ولَم يَكُن له ذلك؛ فأمَّا تَكذيبُه إيَّايَ فقولُه: لَن يُعيدَني كما بَدَأني. وليس أوَّلُ الخَلقِ

---

[1] ينظر: تفسير ابن كثير.

بأهونَ عَلَيَّ مِن إعادَتِه، وأمَّا شَتْمُه إيَّايَ فقَولُه: اتَّخَذَ اللهُ ولَدًا. وأنا الأحَدُ الصَّمدُ لَم ألِدْ ولَم أُولَدْ ولَم يَكُنْ لي كُفْأً أحَدٌ}[1].

وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ عنه أنَّ رَسولَ ﷺ قال: {إنَّ في الإنسانِ عَظمًا لا تَأكُلُه الأرضُ أبَدًا فيه يُرَكَّبُ يَومَ القيامةِ. قالوا: أيُّ عَظمٍ هو يا رَسولَ اللهِ؟ قال: عَجْبُ الذَّنَبِ}[2].

وعنه أيضا قال: قال رَسولُ اللهِ ﷺ: {ما بينَ النَّفخَتينِ أربَعونَ – قالوا: يا أبا هُريرةَ أربَعونَ يَومًا؟ قال: أبيتُ، قالوا: أربَعونَ شَهرًا؟ قال: أبيتُ، قالوا: أربَعونَ سَنةً؟ قال: أبيتُ، ثُمَّ يُنزِلُ اللهُ من السَّماءِ ماءً فيَنبُتونَ كما يَنبُتُ البَقْلُ، قال: وليس من الإنسانِ شَيءٌ إلَّا يَبلى إلَّا عَظمًا واحِدًا، وهو عَجْبُ الذَّنَبِ، ومنه يُرَكَّبُ الخَلقُ يَومَ القيامةِ}[3].

وعن عَبدِ اللهِ بنِ عَمرٍو رَضِيَ الله عنهما وفيه: {ثُمَّ يُنفَخُ في الصُّورِ، فلا يَسمَعُه أحَدٌ إلَّا أصغى لِيتًا ورَفَعَ ليتًا. قال: وأوَّلُ مَن يَسمَعُه رَجُلٌ يَلوطُ حَوضَ إبلِه. قال: فيَصعَقُ ويَصعَقُ النَّاسُ. ثُمَّ يُرسِلُ اللهُ –أو قال: يُنزِلُ اللهُ– مَطَرًا كأنَّه الطَّلُّ أوِ الظِّلُّ – نُعمانُ الشَّاكُّ– فتَنبُتُ منه أجسادُ النَّاسِ، ثُمَّ يُنفَخُ فيه أُخرى، فإذا هم قيامٌ يَنظُرونَ، ثُمَّ يُقالُ: يا أيُّها النَّاسُ هَلُمَّ إلى رَبِّكم. وقِفُوهم إنَّهم مَسئولونَ. قال: ثُمَّ يُقالُ: أخرِجوا بَعْثَ النَّارِ. فيقالُ: مِن كم؟ فيقالُ: من كُلِّ ألفٍ تِسعَمِائةٍ وتِسعةً وتِسعينَ. قال: فذاك يَومُ يَجعَلُ الوِلْدانَ شِيبًا، وذلك يَومُ يُكشَفُ عن ساقٍ}[4].

قال النَّوَويُّ: {أصغى لِيتًا ورَفَعَ لِيتًا} اللِّيتُ – بكِسرِ اللامِ وآخِرُه مُثنَّاةٌ فوقَ – وهي صَفحةُ العُنُقِ، وهي جانِبُه، وأصغى: أمالَ (أي: أمل عنقه ثمَّ رفعه) قَولُه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: {وأوَّلُ مَن يَسمَعُه رَجُلٌ يَلوطُ حَوضَ إبلِه} أي: يُطَيِّنُه ويُصلِحُه، (فيميل رقبته ويرفعها ثمَّ يسقط صعقا) قَولُه: ((كأنَّه الطَّلُّ أوِ الظِّلُّ)) قال العُلَماءُ: الأصَحُّ الطَّلُّ بالمُهمَلةِ[5]. (والطل المطر الخفيف، وقيل هو مطر خاثر مثل المني).



---

[1] أخرجه البخاري (4974).

[2] أخرجه البخاري (4814) بنحوه، ومسلم (2955) واللَّفظُ له.

[3] أخرجها البخاري (4935)، ومسلم (2955) واللَّفظُ له.

[4] أخرجه مسلم (2940).

[5] يُنظر: ((شرح مسلم)) للنووي بتصرف (18/ 76).

﴿المسألة الثانية﴾

﴿الإيمان الحشر﴾

وفيه ستة مطالب:

1 – معنى الحشر.

2 – أدلة الحشر.

3 – صفة أرض المحشر.

4 – صفة حشر الخلق.

5 – أوَّل من يحشر من الناس.

6 – حشر البهائم.



﴿المطلب الأول﴾

﴿معنى الحشر﴾

الحشر لغة: الحَشْرُ: الجَمْعُ مع سَوْقٍ، وكُلُّ جَمعٍ حَشْرٌ، وأصلُ (حشر) يدُلُّ على السَّوقِ والبَعثِ والانبِعاثِ[1].

الحَشرُ في الاِصطِلاحِ هو: سوقُ النَّاسِ وجَمعُهم إلى المَحْشَرِ لِحسابِهم.

قال ابنُ حَجَرٍ عن الحَشرِ يَومَ القيامةِ: حَشرُ الأمواتِ من قُبورِهم وغَيرِها بَعدَ البَعثِ جَميعًا إلى المَوقِفِ، ﴿قال اللهُ عَزَّ وجلَّ: وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ **[الكهف: 47].**



[1] يُنظر: ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (2/ 66)، ((مختار الصحاح)) للرازي (ص73)، ((المصباح المنير)) للفيومي (1/ 136).

﴿المطلب الثاني﴾

﴿أدلة الحشر﴾

قال تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [البقرة: 203].

قال البغوي: تجمعون في الآخرة فيجزيكم بأعمالكم[1].

وقال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ [الأنعام: 22].

وقال تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ [الأنعام: 38].

أي: جميع الأمم تحشر وتجمع إلى الله في موقف القيامة، في ذلك الموقف العظيم الهائل، فيجازيهم بعدله وإحسانه، ويمضي عليهم حكمه الذي يحمده عليه الأولون والآخرون، أهل السماء وأهل الأرض[2].

ومن السنة:

عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: { تُحْشَرُونَ حُفاةً عُراةً غُرْلًا قالَتْ عائِشَةُ: فَقُلتُ: يا رَسولَ اللَّهِ، الرِّجالُ والنِّساءُ يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إلى بَعْضٍ؟ فقالَ: الأمْرُ أشَدُّ مِن أنْ يُهِمَّهُمْ ذاكِ}[3].



[1] ينظر: تفسير البغوي.

[2] ينظر: تفسير السعدي.

[3] أخرجه البخاري (6527)، ومسلم (2859).

﴿المطلب الثالث﴾

﴿صِفةُ أرضِ المَحْشَرِ﴾

عن سَهلِ بن سَعدٍ رَضِيَ الله عنه قال: سَمِعتُ النَّبيَّ ﷺ يقولُ: {يُحشَرُ النَّاسُ يَومَ القيامةِ على أرضٍ بَيضاءَ عَفراءَ كقُرصةِ نَقيٍّ، قال سَهلٌ أو غَيرُه: ليس فيها مَعْلَمٌ لأحَدٍ}[1].

قال أبو العَبَّاسِ القُرطُبيُّ: قَولُه: {يُحشَرُ النَّاسُ يَومَ القيامةِ على أرضٍ بَيضاءَ عَفراءَ} أي: تَضرِبُ إلى الحُمرةِ، والعَفرةُ: بياضٌ ليس ناصِعًا، بَل يضرِبُ إلى الحُمرةِ، وكَأنَّها تَغيَّرَت من لهبِ النَّارِ. وقَولُه: {كقُرصةِ النَّقيِّ}، القُرصةُ: الخُبزةُ، {النَّقِيُّ} - بفَتحِ النُّونِ وكَسرِ القافِ - هو الحُوارى، وهو الدَّرمكُ، سُمِّيَ بذلك لأنَّه يُنقَّى ويُصفَّى من نُخالَتِه ومِمَّا يُغيِّرُه، وقَولُه: {ليس فيها عَلَمٌ لأحَدٍ}، الرِّوايةُ المَشهورةُ بفَتحِ العينِ المُهمَلةِ واللامِ، أي: ليس فيها عَلامةٌ لأحَدٍ ولا أثَرٌ، أي: لَم يَكُن فيها أحَدٌ فيَكونَ له أثَرٌ[2].

وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ الله عنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: {يَجمَعُ اللهُ النَّاسَ الأوَّلينَ والآخِرينَ في صَعيدٍ واحِدٍ، يُسمِعُهمُ الدَّاعي ويَنْفُذُهمُ البَصَرُ، وتَدنو الشَّمسُ، فيَبلُغُ النَّاسَ من الغَمِّ والكَربِ ما لا يُطيقونَ ولا يَحتَمِلونَ}[3].

قال ابنُ حَجَرٍ: قال النَّوَويُّ: الصَّعيدُ: الأرضُ الواسِعةُ المُستَويةُ. ويَنفُذُهم -بفَتحِ أوَّلِه وسُكونِ النُّونِ وضَمِّ الفاءِ، بَعدَها ذالٌ مُعجَمةٌ- أي: يَخرِقُهم، بمُعجَمةٍ وقافٍ، حَتَّى يَجوزَهم، وقيلَ: بالدَّالِ المُهمَلةِ، أي: يَستَوعِبُهم، قال أبو عُبيدةَ: مَعناه: يُنْفُذُهم بَصَرُ الرَّحمَنِ حَتَّى يَأتيَ عليهم كُلِّهم، وقال غَيرُه: المُرادُ بَصَرُ النَّاظِرينَ، وهو أَولى، وقال القُرطُبيُّ: المَعنى أنَّهم يُجمَعونَ في مَكانٍ واحِدٍ بحَيثُ لا يَخفى منهم أحَدٌ لَو دَعاهم داعٍ لسَمعوه، ولَو نَظَرَ إليهم ناظِرٌ لأدرَكَهم.

قال: ويُحتَمَلُ أن يَكونَ المُرادُ بالدَّاعي هنا مَن يَدعوهم إلى العَرضِ والحِسابِ؛ لقَولِه: ﴿يَوۡمَ يَدۡعُ ٱلدَّاعِ﴾ [القمر: 6][4].

---

[1] أخرجه البخاري (6521).

[2] يُنظر: ((المفهم)) لأبي العباس القرطبي (7/ 350).

[3] أخرجه مطولًا: البخاري (4712) واللَّفظُ له، ومسلم (194).

[4] يُنظر: ((فتح الباري)) (11/ 447).

﴿المطلب الرابع﴾

﴿صفة حشر الخلق﴾

هناك صِفاتٌ عامَّةٌ يُحشَرُ عليها جَميعُ البَشَرِ، وهيَ حَشرُهم حُفاةً عُراةً غُرْلًا:

عن عائِشةَ رَضِيَ اللهُ عنها قالت: قال رَسولُ اللهِ ﷺ: {تُحشَرونَ حُفاةً عُراةً غُرْلًا، قالت عائِشةُ: فقُلتُ: يا رَسولَ اللهِ، الرِّجالُ والنِّساءُ يَنظُرُ بَعضُهم إلى بَعضٍ؟! فقال: الأمرُ أشَدُّ من أن يُهِمَّهم ذاك! ثم قرأ: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ }[1].

قال النَّوَويُّ: {حُفاةً عُراةً غُرْلًا} الغُرْلُ بضَمِّ الغينِ المُعجَمةِ وإسكانِ الرَّاءِ، مَعناه: غَيرُ مُختونينَ، جَمعُ أغرَلَ، وهو الذي لَم يُختَنْ، وبَقِيَت مَعَه غُرْلَتُه وهيَ قُلفَتُه، وهيَ الجِلدةُ التي تُقطَعُ في الخِتانِ... والحُفاةُ جَمعُ حافٍ، والمَقصودُ أنَّهم يُحشَرونَ كما خُلِقوا لا شَيءَ مَعَهم ولا يُفقَدُ منهم شَيءٌ حَتَّى الغُرلةُ تَكونُ مَعَهم[2].

وهناك صِفاتٌ خاصَّةٌ يَأتي بها بَعضُ الخَلائِقِ، وهيَ هَيئاتٌ مُختَلِفةٌ بَعضُها حَسَنٌ، وبَعضُها قَبيحٌ، بحَسَبِ ما قَدَّموه من خَيرٍ وشَرٍّ:

عن جابِرٍ رَضِيَ اللهُ عنه قال: سَمِعتُ النَّبيَّ ﷺ يَقولُ: {يُبعَثُ كُلُّ عَبدٍ على ما ماتَ عليه}[3].

قال النَّوَويُّ: قال العُلَماءُ: مَعناه: يُبعَثُ على الحالةِ التي ماتَ عليها[4].

ومن ذلك:

1 – حَشرُ المُتكَبِّرينَ:

عن عَبدِ اللهِ بنِ عَمرِو بنِ العاصِ رَضِيَ اللهُ عنهما أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ قال: {يُحشَرُ المُتَكَبِّرونَ

---

[1] أخرجه البخاري (6527) واللَّفظُ له، ومسلم (2859).
[2] يُنظر: ((شرح مسلم)) للنووي (17/ 193).
[3] أخرجه مسلم (2878).
[4] يُنظر: ((شرح مسلم)) (17/ 210).

يَومَ القيامةِ أمثالَ الذَّرِّ في صُوَرِ الرِّجالِ، يَغشاهمُ الذُّلُّ من كُلِّ مَكانٍ}[1].

والذر هو النمل الصغير، وهو كناية على حقارتهم وصغرهم مع أنهم في صور الرجال، يغشاهم الذل، أي: يعمهم الذل من كل ناحية، والجزاء من جنس العمل، فلمَّا كان في دنياه متكبرا كان في آخرته ذليلا، يقول النبي ﷺ: { ثَلاثَةٌ لا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَومَ القِيامَةِ ولا يُزَكِّيهِمْ، قالَ أبو مُعاوِيَةَ: ولا يَنْظُرُ إليهِم، ولَهُمْ عَذابٌ أليمٌ: شيخٌ زانٍ، ومَلِكٌ كَذّابٌ، وعائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ }[2].

والعائل ذو العيال، وهو كناية على فقره، فهو ما فقره مستكبر.

2 – حَشرُ السَّائِلينَ غَيرِ المُحتاجينَ:

عن عَبدِ اللهِ بنَ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عنهما قال: قال رَسولُ اللهِ ﷺ: {ما يَزالُ الرَّجُلُ يَسألُ النَّاسَ، حَتَّى يَأتيَ يَومَ القيامةِ وليس في وَجهِه مُزعةُ لَحمٍ}[3].

قال الخَطَّابيُّ: يُحتَمَلُ أن يَكونَ المُرادُ أنَّه يَأتي ساقِطًا لا قَدْرَ له ولا جاهَ، أو يُعذَّبُ في وَجهِه حَتَّى يَسقُطَ لَحمُه لمُشاكَلةِ العُقوبةِ في مَواضِعِ الجِنايةِ من الأعضاءِ[4].

وعن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال: { مَن سأَلَ وله ما يُغنيه، جاءَتْ يومَ القيامةِ خُموشٌ –أو خُدوشٌ، أو كُدوحٌ– في وجهِه، فقيلَ: يا رسولَ اللهِ، وما الغِنَى؟ قال: خَمسون دِرهمًا، أو قيمتُها من الذهبِ}[5].

قال الخطابي: الخُموشُ هيَ الخُدوشُ، يُقالُ خَمشَتِ المَرأةُ وَجْهَها إذا خَدَشَتْه بظُفرٍ أو حَديدةٍ أو نَحوِها، والكُدوحُ: الآثارُ من الخَدشِ والعَضِّ ونَحوِه[6].

---

[1] أخرجه مطولًا الترمذي (2492) واللَّفظُ له، وأحمد (6677) من حديثِ عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللهُ عنهما. صحَّحه الترمذي، وحسَّنه الألباني في ((صحيح سنن الترمذي)) (2492)، وصحَّح إسناده أحمد شاكر في تخريج ((مسند أحمد)) (10/157)، وحسَّنه شعيب الأرناؤوط في تخريج ((مسند أحمد)) (6677)، وجوَّده ابن حجر في ((فتح الباري)) (11/431).

[2] أخرجه مسلم 107.

[3] أخرجه البخاري (1474)، ومسلم (1040).

[4] يُنظر: ((فتح الباري)) (3/ 339).

[5] أخرجه الترمذي (650)، والنسائي (2592)، وابن ماجه (1840) باختلاف يسير وصححه الأرنؤوط.

[6] يُنظر: ((معالم السنن)) (2/ 56).

3 – حَشْرُ أصحابِ الغُلولِ:

قال اللهُ تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [آل عمران: 161].

الغلُّ هو: السرقة من الغنيمة، ويشمل كل خيانة، قال القُرطُبيُّ: قَولُه تعالى: {وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} أي: يَأتي به حامِلًا له على ظَهرِه ورَقَبتِه، مُعَذَّبًا بحَملِه وثِقلِه، ومَرعوبًا بصَوتِه، ومُوبَّخًا بإظهارِ خيانَتِه على رُءوسِ الأشهادِ[1].

وعن أبي هُريرةَ قال: {قامَ فينا رَسولُ اللهِ ﷺ ذاتَ يَومٍ، فذَكَرَ الغُلولَ فعَظَّمَه وعَظَّمَ أمرَه، ثُمَّ قال: لا أُلْفِيَنَّ أحَدَكم يَجيءُ يَومَ القيامةِ على رَقَبَتِه بَعيرٌ له رُغاءٌ، يَقولُ: يا رَسولَ اللهِ أغِثْني. فأقولُ: لا أملِكُ لَك شَيئًا، قد أبلَغتُك. لا أُلْفِيَنَّ أحَدَكم يَجيءُ يَومَ القيامةِ على رَقَبَتِه فرَسٌ له حَمحَمةٌ، فيَقولُ: يا رَسولَ اللهِ أغِثْني. فأقولُ: لا أملِكُ لَك شَيئًا، قد أبلَغتُك. لا أُلْفِيَنَّ أحَدَكم يَجيءُ يَومَ القيامةِ على رَقَبَتِه شاةٌ لها ثُغاءٌ، يَقولُ: يا رَسولَ اللهِ أغِثْني. فأقولُ: لا أملِكُ لَك شَيئًا، قد أبلَغْتُك. لا أُلْفِيَنَّ أحَدَكم يَجيءُ يَومَ القيامةِ على رَقَبَتِه نَفسٌ لها صِياحٌ، فيَقولُ: يا رَسولَ اللهِ أغِثْني. فأقولُ: لا أملِك لَك شَيئًا قد أبلَغتُك. لا أُلْفِيَنَّ أحَدَكم يَجيءُ يَومَ القيامةِ على رَقَبَتِه رِقاعٌ تَخفِقُ، فيَقولُ: يا رَسولَ اللهِ أغِثْني. فأقولُ: لا أملِكُ لَك شَيئًا قد أبلَغْتُك. لا أُلْفِيَنَّ أحَدَكم يَجيءُ يَومَ القيامةِ على رَقَبَتِه صامِتٌ، فيَقولُ: يا رَسولَ اللهِ أغِثْني. فأقولُ: لا أملِكُ لَك شَيئًا قد أبلَغْتُك}[2].

قال المظهريُّ: قَولُه: {لا أُلْفِيَنَّ أحَدَكم} يَعني: لا أجِدُ أحَدَكم، يَعني لا تَغُلُّوا من الغَنيمةِ شَيئًا؛ فإنَّ من غَلَّ منها شَيئًا يَكونُ يَومُ القيامةِ حامِلًا لذلك الشَّيءِ؛ لِيَكونَ أفضَحَ له، والرُّغاءُ: صَوتُ البَعيرِ، والحَمحَمةُ: صَوتُ الفَرَسِ، والثُّغاءُ: صَوتُ الشَّاةِ. الرِّقاعُ: جَمعُ رقعةٍ، وهيَ قِطعةٌ من الكرباسِ وغَيرِه، {تَخفِقُ} أي: تَتَحَرَّكُ، يَعني: لِيَعلَمَ أنَّه غَلَّ رِقاعًا من الغَنيمةِ وغَيرِها، والصَّامِتُ: الذَّهَبُ والفِضَّةُ، قَولُه: {لا أملِك لَك من اللهِ شَيئًا قد أبلَغْتُك} يَعني: قد قُلتُ لَك

---

[1] ينظر: تفسير القرطبي.

[2] أخرجه البخاري (3073)، ومسلم (1831) واللَّفظُ له.

في الدُّنيا: إنَّ الغُلولَ والسَّرِقةَ والخيانةَ موجِبةٌ للعَذابِ، فلَم تَقبَل قَولي، فاليَومَ لا أملِك أن أدفَعَ عنك من عَذابِ اللهِ شَيئًا[1].

4 – حَشرُ أهلِ الوُضوءِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِن آثارِ الوُضوءِ:

عن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ عنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: {لَكم سِيما ليست لأحَدٍ من الأُمَمِ تَرِدُونَ عليَّ غُرًّا مُحَجَّلينَ؛ من أثَرِ الوُضوءِ}[2].

قال ابنُ حَجَرٍ: أصلُ الغُرَّةِ لَمْعةٌ بَيضاءُ تَكونُ في جَبهةِ الفَرَسِ، ثُمَّ استُعمِلَت في الجَمَالِ والشُهرةِ وطِيبِ الذِّكرِ، والمُرادُ بها هنا النُّورُ الكائِنُ في وُجوهِ أمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وغُرًّا مَنصوبٌ على المَفعوليَّةِ، ليدعونَ، أو على الحالِ، أي: إنَّهم إذا دُعُوا على رُؤوسِ الأشهادِ نُودوا بهذا الوَصفِ وكانوا على هذه الصِّفةِ، قَولُه: مُحَجَّلينَ، بالمُهمَلةِ والجيمِ، من التَّحجيلِ، وهو بَياضٌ يَكونُ في ثَلاثِ قَوائِمَ من قَوائِمِ الفَرَسِ، وأصلُه من الحِجلِ، بكِسرِ المُهمَلةِ، وهو الخَلخالُ، والمُرادُ به هنا أيضًا النُّورُ، واستَدَلَّ الحليميُّ بهذا الحَديثِ على أنَّ الوُضوءَ من خَصائِصِ هذه الأمَّةِ، وفيه نَظَرٌ؛ لأنَّه ثَبَتَ عِندَ المُصَنِّفِ في قِصَّةِ سارةَ رَضِيَ اللهُ عنها مَعَ المَلكِ الذي أعطاها هاجَرَ أنَّ سارةَ لَمَّا همَّ المَلك بالدُّنوِ منها قامتْ تَتَوَضَّأ وتُصَلِّي، وفي قِصَّةِ جُرَيجِ الرَّاهِبِ أيضًا أنَّه قامَ فتوَضَّأ وصَلَّى ثُمَّ كَلَّمَ الغُلامُ؛ فالظَّاهِرُ أنَّ الذي اختُصَّت به هذه الأمَّةُ هو الغُرَّةُ والتَّحجيلُ لا أصلُ الوُضوءِ، وقد صَرَّحَ بذلك في رِوايةٍ لمُسلِمٍ عن أبي هُريرةَ أيضًا مَرفوعًا قال: سِيما ليست لأحَدٍ غَيرِكم[3].

وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ عنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: {أنتمُ الغُرُّ المُحَجَّلونَ يَومَ القيامةِ من إسباغِ الوُضوءِ}[4].

---

[1] يُنظر: ((المفاتيح في شرح المصابيح)) (4/ 433).

[2] أخرجه مسلم (247) مطولًا.

[3] يُنظر: ((فتح الباري)) (1/ 236).

[4] أخرجه مطولًا البخاري (136)، ومسلم (246) واللَّفظُ له.

5 – حَشرُ الشُّهَداءِ:

عن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ عنه قال: قال رَسولُ اللهِ ﷺ: {والذي نَفسي بيدِه لا يُكْلَمُ أحَدٌ في سَبيلِ اللهِ –واللهُ أعلَمُ بمَن يُكلَمُ في سَبيلِه– إلَّا جاءَ يَومَ القيامةِ واللَّونُ لَونُ الدَّمِ، والرِّيحُ رِيحُ المِسْكِ}[1].



[1] أخرجه البخاري (2803) واللَّفظُ له، ومسلم (1876) مطولًا.

﴿المطلب الخامس﴾

﴿أوّل من يحشر من الناس﴾

أوَّلُ مَن يُحشَرُ من النَّاسِ هو مُحَمَّدٌ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم.

عن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ عنه أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ قال: {أنا سَيِّدُ ولَدِ آدَمَ يومَ القِيامَةِ، وأَوَّلُ مَن يَنْشَقُّ عنْه القَبْرُ، وأَوَّلُ شافِعٍ، وأَوَّلُ مُشَفَّعٍ}[1].

قال علي القاري: {وأوَّلُ مَن يَنشَقُّ عنه القَبرُ}، أي: فهو أوَّلُ مَن يُبعَثُ من قَبرِه ويَحضُرُ في المَحشَرِ[2].

وعن جُبَيرِ بنِ مُطعِمٍ رَضِيَ اللهُ عنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: {لي خَمسةُ أسماءٍ: أنا مُحَمَّدٌ، وأحمَدُ، وأنا الماحي الذي يَمحو اللهُ بي الكُفرَ، وأنا الحاشِرُ الذي يُحشَرُ النَّاسُ على قَدَمي، وأنا العاقِبُ}[3].

يحشر الناس على قدمي، أي: على إثري.

وأمَّا أوَّلُ مَن يُكسَى من الخَلقِ فهو إبراهيمُ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ

عن ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عنهما أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: {إنَّ أوَّلَ الخَلائِقِ يُكسى يَومَ القيامةِ إبراهيمُ}[4].

قال الحليميُّ: يُحتَمَلُ أن يَكونَ تَقديمُ إبراهيمَ صَلَواتُ اللهِ عليه بالكِسوةِ لِما يُروى أنَّه لَم يَكُن في الأوَّلينَ والآخِرينَ للهِ تعالى عَبدٌ أخوفُ له من إبراهيمَ، فيُعَجِّلُ كِسوَتَه ما نالَه لِيَطمَئِنَّ قَلبَه[5].

أفضَلُ أمَمِ المُؤمِنينَ في المَحشَرِ أمَّةُ مُحَمَّدٍ ﷺ؛ فقَدِ اختَصَّها اللهُ عزَّ وجَلَّ فيه بخَصائِصَ تَمتازُ بها عن غَيرِها:

ومن هذه الخَصائِصِ:

1 – أنَّها أكثَرُ أتباعِ الأنبياءِ عَدَدًا:

---

[1] أخرجه مسلم (2278).

[2] يُنظر: ((مرقاة المفاتيح)) (9/ 3672).

[3] أخرجه البخاري (3532) واللَّفظُ له، ومسلم (2354).

[4] أخرجه البخاري (4625)، ومسلم (2860) مطولًا.

[5] يُنظر: ((المنهاج في شعب الإيمان)) (1/ 446).

عن أنسِ بن مالِكٍ رَضِيَ الله عنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: {أنا أكثَرُ الأنبياءِ تَبَعًا يَومَ القيامةِ}[1].

2 – تَمَيُّزُها بعَلامةٍ تُعرَفُ بها، وهيَ أنَّهم يَأتون غُرًّا مُحَجَّلينَ من آثارِ الوُضوءِ:

عن أبي هُريرةَ رَضِيَ الله عنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: {إنَّ أمَّتي يُدعَونَ يَومَ القيامةِ غُرًّا مُحَجَّلينَ من آثارِ الوُضوءِ}[2].



---

[1] أخرجه مسلم (196).

[2] أخرجه مطولًا البخاري (136) واللَّفظُ له، ومسلم (249).

﴿المطلب السادس﴾

﴿حشر البهائم﴾

قال اللهُ تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: 38].

قال ابنُ تَيميَّةَ: أمَّا البَهائِمُ فجَميعُها يَحشُرُها اللهُ سُبحانَه كما دَلَّ عليه الكِتابُ والسُّنَّةُ[1].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ [التكوير: 5].

قال القرطبي: وعن ابن عباس أيضا قال: يحشر كل شيء حتى الذباب.

وقال ابن عباس : تحشر الوحوش غدا: أي تجمع حتى يقتص لبعضها من بعض ، فيقتص للجماء من القرناء[2].

عن عبدِ اللهِ بنِ عمرو، مرفوعا، قال: {إذا كان يومُ القيامةِ مُدَّ الأديمُ وحُشِرَ الدَّوابُّ والبهائمُ والوحشُ ثم يحصلُ القِصاصُ بين الدوابِّ يُقتصُّ للشاةِ الجمَّاء من الشاةِ القرناءِ نطحَتْها فإذا فُرِغَ من القِصاصِ بين الدوابِّ قال لها كوني تُرابًا قال فعند ذلك يقول الكافرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تَرَابًا}[3].



[1] يُنظر: ((مجموع الفتاوى)) (248/4).

[2] ينظر: تفسير القرطبي بتصرف.

[3] صححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم 1966

﴿المسألة الثالثة﴾

﴿الإيمان الحوض[1]﴾

وفيه خمسة مطالب:

1 – تعريف الحوض:

2 – أدلة الحوض:

3 – صفة الحوض:

4 – أثر الشرب من الحوض:

5 – نهر الكوثر وعلاقته بالحوض:



[1] ينظر: موقع الدرر السنية (الإيمان بالحوض).

﴿المطلب الأول﴾

﴿تعريف الحوض﴾

الحوض لغة: مُجْتَمَعُ الماءِ، والجمعُ الحِيَاضُ والأحوَاضُ، مِن حَاضَ الماءَ يَحُوضُه حَوْضًا: إذا جَمَعه وحَاطَه[1].

الحوض شرعا: المُرادُ بالحَوضِ في اصطِلاحِ الشرع: هو حَوضُ النَّبيِّ ﷺ الذي تَرِدُ عليه أمَّتُه يَومَ القيامةِ، فيَجعَلُه اللهُ غِياثًا لهم، وإكرامًا لنَبيِّه مُحَمَّدٍ ﷺ[2].



---

[1] ينظر: ((تهذيب اللغة)) للأزهري (5/ 103)، ((النهاية)) لابن الأثير (1/ 461)، ((تاج العروس)) للزبيدي (18/ 308).

[2] يُنظر: ((شرح الطحاوية)) لابن أبي العز (277/1)، ((شرح لمعة الاعتقاد)) (ص: 123)، ((شرح العقيدة السفارينية)) (ص: 478) كلاهما لابن عثيمين.

﴿المطلب الثاني﴾

﴿أدلة الحوض﴾

عن أنسِ بن مالِكٍ رَضِيَ الله عنه أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ قال: {إنَّ قَدْرَ حَوضي كما بينَ أيلةَ[1] وصَنعاءَ من اليَمَنِ، وإنَّ فيه من الأباريقِ كعَدَدِ نُجومِ السَّماءِ}[2].

وفي لَفظٍ: {ما بينَ ناحيَتي حَوضي كما بينَ صَنعاءَ والمَدينةِ}[3].

وفي لَفظٍ {تُرى فيه أباريقُ الذَّهَبِ والفِضَّةِ كعَدَدِ نُجومِ السَّماءِ}، وفي رِوايةٍ: قال مِثلَه. وزادَ: أو أكثَرَ من عَدَدِ نُجومِ السَّماءِ}[4].

وعن أنسٍ رَضِيَ الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ قال {لَيَرِدَنَّ عليَّ ناسٌ من أصحابي الحَوضَ حَتَّى إذا عَرَفْتُهمُ اختَلَجوا[5] دوني، فأقولُ: أصحابي! فيَقولُ: لا تَدري ما أحدَثوا}[6].

وفي لَفظٍ: {ليَرِدَنَّ عليَّ الحَوضَ رِجالٌ مِمَّن صاحَبَني، حَتَّى إذا رَأيتُهم ورُفِعوا إليَّ اختَلَجوا دوني، فلَأقولَنَّ: أي رَبِّ، أُصَيْحابي أُصَيْحابي! فليُقالَنَّ لي: إنَّك لا تَدري ما أحدَثوا بَعدَك}[7].

عن عبدِ اللهِ بنِ عُمَرَ رَضِيَ الله عنهما عن النَّبيِّ ﷺ قال: {أمامَكم حَوضٌ كما بينَ جرباءَ وأذرحَ}[8].

---

[1] قال ابن الأثير: ((أَيْلة) هو بفتحِ الهمزةِ وسكونِ الياءِ: البلدُ المعروفُ فيما بين مصرَ والشَّام). يُنظر: ((النهاية)) (1/ 85). وقال ياقوتٌ الحمويُّ: (أَيْلةُ: بالفتحِ: مدينةٌ على ساحِلِ بحرِ القُلزمِ ممَّا يلي الشَّامَ) بَحرُ القُلزُمِ هو البَحرُ الأحمَرُ. ((معجم البلدان)) (1/292). وأيلةُ هي المسمَّاةُ الآنَ بالعَقَبةِ. يُنظر: ((فتح الباري)) لابن حجر (11/ 470).

[2] أخرجه البخاري (6580) واللَّفظُ له، ومسلم (2303).

[3] أخرجه مسلم (2303).

[4] أخرجه مسلم (2303).

[5] قال أبو العباس القرطبي: (اختلجوا: أُخرِجوا من بين الواردين). ((المفهم)) (6/ 98). وقال ابن الملقن: (يُقال: خلَجَه واختلَجَه: إذا جذَبَه وانتزَعَه). ((التوضيح لشرح الجامع الصحيح)) (32/ 277).

[6] أخرجه البخاري (6582).

[7] أخرجه مسلم (2304).

[8] أخرجه البخاري (6577).

عن حارِثةَ بنِ وهْبٍ الخُزاعيِّ رَضِيَ الله عنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ يَقولُ: {حَوضُه ما بينَ صَنعاءَ والمَدينةِ، فقال له المُستَوردُ بن شَدَّادٍ رَضِيَ الله عنه: ألَم تَسمَعْه قال: الأواني؟ قا:ل لا. قال المُستَوردُ: تُرى فيه الآنيَةُ مِثلَ الكَواكِبِ}[1].

عن سَهلِ بنِ سَعدٍ رَضِيَ اللهُ عنه قال: قال النبيُّ ﷺ: إنِّي فرطُكُم على الحوضِ[2]، من مَرَّ عليَّ شَرِبَ، ومَنْ شَرِبَ لم يظمَأْ أبدًا، لَيَرِدَنَّ عليَّ أقوامٌ أعرِفُهم ويَعرِفوني، ثمَّ يُحالُ بيني وبينهم} قال أبو حازمٍ: فسَمِعَني النعمانُ بنُ أبي عيَّاشٍ فقال: هكذا سمِعْتَ مِنْ سَهلٍ؟ فقلتُ: نعم. فقال: أشهَدُ على أبي سعيدٍ الخُدْريِّ لَسَمِعْتُهُ هو يزيدُ فيها: {فأقولُ: إنَّهم مِنِّي، فيقالُ: إنَّك لا تدري ما أحدَثُوا بَعْدَك، فأقولُ: سُحقًا سُحقًا لِمن غيَّر بعدي}[3]، وفي لفظٍ: {لمن بدَّل بعدي}[4].

قال القاضي عياضٌ: حَديثُ الحَوضِ صَحيحٌ، والإيمانُ به واجِبٌ، والتَّصديقُ به من الإيمانِ، وهو على وجهِه عِندَ أهلِ السُّنَّةِ والجَماعةِ، لا يُتَأوَّلُ ولا يُحالُ عن ظاهرِه، خِلافًا لِمَن لَم يَقُلْ من المُبتَدِعةِ الباقينَ له، والمُحَرِّفينَ له بالتَّأويلِ عن ظاهرِه. وهو حَديثٌ ثابِتٌ مُتَواتِرُ النَّقلِ، أخرجه جَماعةٌ من الصَّحابةِ. فذَكَرَه مُسلِمٌ من رِوايةِ ابنِ عُمرَ، وأبي سَعيدٍ، وسَهلِ بنِ سَعدٍ، وجُندَبٍ، وعَبدِ اللهِ بنِ عَمرِو بنِ العاصِ، وحارِثةَ بنِ وهْبٍ الخُزاعيِّ، والمُستَورِدِ، وأبي ذَرٍّ، وثَوبانَ، وأبي هُريرةَ، وأنسِ بنِ مالِكٍ، وجابِرِ بنِ سَمُرةَ. وذَكَرَه غَيرُ واحِدٍ عن أسماءِ بنتِ أبي بَكرٍ، وأبي بَرزةَ الأسلَميِّ، وأبي أُمامةَ، وزيدِ بنِ أرقَمٍ، وعَبدِ اللهِ بنِ زيدٍ، وسُوَيدِ بن جَبلةَ، وعَبدِ اللهِ الصَّنابِحي، والبَراءِ، وأبي بَكرٍ، وخَولةَ بنتِ قَيسٍ، وغَيرِهم. وفي بَعضِ هذا ما يُخرِجُ هذا الحَديثَ عن خَبرِ الواحِدِ إلى حَديثِ الِاستِفاضةِ والتَّواتُرِ[5].

---

[1] أخرجه البخاري (6592)، ومسلم (2298).

[2] قال ابن الملقن: (قوله: (أنا فَرَطُكم) هو بفتح الراء، أي: أتقدَّمُكم، وهو من يتقدَّم الواردَ فيهيِّئ لهم الإرشاءَ والدِّلاء، وعدد الحياض، ويسقي لهم، وهو فَعَل بمعنى فاعل، كتَبَع بمعنى تابع؛ يقال: رجل فَرْطٌ، ومنه الدعاء للطفل الميت: اجعله لنا فَرَطًا، أي: أجرًا يتقدَّمُنا حتى نَرِدَ عليه). ((التوضيح لشرح الجامع الصحيح)) (277/32).

[3] أخرجه البخاري (6583، 6584) واللَّفظُ له، ومسلم (2290، 2291).

[4] أخرجه البخاري (7051)، ومسلم (2291) مطولًا.

[5] يُنظر: ((إكمال المعلم)) (260/7).

قال الشَّافِعِيُّ: الإيمانُ بعَذابِ القَبرِ، والإيمانُ بالحَوضِ والشَّفاعةِ، وخُروجُ الدَّجَّالِ حَقٌّ، ومُنكَرٌ ونَكيرٌ حَقٌّ، والإيمانُ بهذا كُلِّه حَقٌّ، فمَن تَرَكَ شَيئًا من هذا فهو مُخالِفٌ لكِتابِ اللهِ عزَّ وجَلَّ، وسُنَّةِ نَبيِّه ﷺ[1].

قال أحمَدُ: مِنَ السُّنَّةِ اللازِمةِ التي من تَرَكَ منها خَصلةً لَم يَقُلْها ويُؤمِنْ بها لَم يَكُنْ من أهلِها... والإيمانُ بالحَوضِ وأنَّ لرَسولِ الله ﷺ حَوضًا يَومَ القيامةِ تَرِدُ عليه أمَّتُه، عَرْضُه مِثلُ طُولِه مَسيرةُ شَهرٍ، آنيَتُه كعَدَدِ نُجومِ السَّماءِ، على ما صَحَّتْ به الأخبارُ من غَيرِ وَجهٍ[2].

قال ابنُ أبي زيدٍ القَيروانيُّ: والإيمانُ بحَوضِ رَسولِ اللهِ ﷺ، تَرِدُه أمَّتُه لا يَظمَأُ من شَرِبَ منه، ويُذادُ عنه من بَدَّلَ وغَيَّرَ[3].



---

[1] يُنظر: ((اعتقاد الشافعي)) للهكاري (ص: 18).

[2] يُنظر: ((شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة)) للالكائي (1/175-178).

[3] يُنظر: ((عقيدة السلف – مقدمة ابن أبي زيد القيرواني لكتابه الرسالة)) (ص: 60).

﴿المطلب الثالث﴾

﴿صفة الحوض﴾

وهو على ثلاثة وجوه:

1 – سعت الحوض:

2 – لون ماء الحوض وطعمه وريحه:

3 – أباريق الحوض:

﴿الوجه الأول﴾

﴿سعت الحوض﴾

عن حارِثةَ بنِ وَهْبٍ رَضِيَ الله عنه قال: سَمِعتُ النَّبيَّ ﷺ، وذَكَرَ الحَوضَ فقال: {كما بينَ المَدينةِ وصَنعاءَ}[1].

وعن ابنِ عُمَرَ رَضِيَ الله عنهما عن النَّبيِّ ﷺ قال: {أمامَكم حَوضٌ كما بينَ جرباءَ وأذرحَ}[2].

وجرباءُ وأذرحُ قريتانِ بالشَّامِ.

وأحاديث الحوض كثيرة ومتنوعة ومختلفة.

قال القُرطُبيُّ: ظَنَّ بَعضُ النَّاسِ أنَّ هذه التَّحديداتِ في أحاديثِ الحَوضِ اضطِرابٌ واختِلافٌ، وليس كذلك، وإنَّما تَحدَّثَ النَّبيُّ ﷺ بحَديثِ الحَوضِ مَرَّاتٍ عَديدةً، وذَكَرَ فيها تلك الألفاظَ المُختَلِفةَ مُخاطِبًا لكُلِّ طائفةٍ بما كانت تَعرِفُ من مَسافاتِ مَواضِعِها، فيَقولُ لأهلِ الشَّامِ: ما بينَ أذرحَ وجربا، ولِأهلِ اليَمَنِ: من صنعاءَ إلى عَدَنٍ، وهَكَذا، وتارةً أخرى يُقَدِّرُ بالزَّمانِ، فيَقولُ: مَسيرةُ شَهرٍ، والمَعنى المَقصودُ أنَّه حَوضٌ كبيرٌ مُتَّسِعُ الجَوانِبِ والزَّوايا، فكان ذلك بحَسَبِ من حَضَرَه مِمَّن يَعرِفُ تلك الجِهاتِ، فخاطَبَ كُلَّ قَومٍ بالجِهةِ التي يَعرِفونَها، واللهُ أعلَمُ[3].

---

[1] أخرجه البخاري (6591) واللَّفظُ له، ومسلم (2298).

[2] أخرجه البخاري (6577) واللَّفظُ له، ومسلم (2299).

[3] يُنظر: ((التذكرة)) (1/ 347).

﴿الوجه الثاني﴾

﴿لون ماء الحوض وطعمه وريحه﴾

عن عَبدِ اللهِ بنِ عَمرِو بنِ العاصِ رَضِيَ الله عنهما أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: {ماؤُه أبيضُ من اللبَنِ، وريحُه أطيبُ من المِسكِ}[1].

عن أبي هُريرةَ رَضِيَ الله عنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: {لَهو أشَدُّ بَياضًا من الثَّلجِ، وأحلى من العَسَلِ باللَّبَنِ}[2].

عن ثَوبانَ رَضِيَ الله عنه أن نَبيَّ اللهِ ﷺ سُئِلَ عن شَرابِه –الحَوضِ– فقال: {أشَدُّ بَياضًا من اللبَنِ، وأحلى من العَسَلِ}[3].



[1] أخرجه مطولًا البخاري (6579) واللَّفظُ له، ومسلم (2292).
[2] أخرجه مسلم (247) مطولًا.
[3] أخرجه مسلم (2301) مطولًا.

﴿الوجه الثلث﴾

﴿أباريق الحوض﴾

عن عَبدِ اللهِ بنِ عَمرٍو رَضِيَ الله عنهما أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: {كيزانُه كنُجومِ السَّماءِ}[1].

عن أنسِ بن مالِك رَضِيَ الله عنه أنَّ رَسولَ الله ﷺ قال: {إنَّ فيه من الأباريقِ كعَدَدِ نُجومِ السَّماءِ}[2].

عن أبي ذَرٍّ رَضِيَ الله عنه قال: قُلتُ: {يا رَسولَ اللهِ، ما آنيةُ الحَوضِ؟ قال: والذي نَفسُ مُحَمَّدٍ بيَدِه لآنيَتُه أكثَرُ من عَدَدِ نُجومِ السَّماءِ وكَواكِبِها، ألَا في الليلةِ المُظلِمةِ المُصحيَةِ آنيَةُ الجَنَّةِ}[3].

قال النووي: قوله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم (ألَا في الليلة المُظلِمة) فهو بتخفيف ألا، وهي التي للاستفتاح، وخَصَّ الليلة المظلمة المُصْحِية؛ لأنَّ النُّجومَ تُرى فيها أكثَرَ، والمراد بالمظلمة التي لا قمر فيها مع أن النجوم طالعةٌ فإن وجود القمر يستر كثيرًا من النجوم، وأما قوله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم (آنيةُ الجنة) فضبطه بعضهم برفع آنية وبعضهم بنصبها، وهما صحيحان؛ فمن رفع فخبر مبتدأ محذوف، أي: هي آنية الجنةِ، ومن نصب فبإضمار أعني أو نحوه[4].



[1] أخرجه البخاري (6579)، ومسلم (2292) مطولًا.

[2] أخرجه البخاري (6580)، ومسلم (2303) مطولًا.

[3] أخرجه مسلم (2300) مطولًا.

[4] ((شرح مسلم)) (60/15).

﴿المطلب الرابع﴾

﴿أثر الشرب من الحوض﴾

مِن شَرِبَ منه شَربةً لَم يَظمَأْ بَعدَها أبَدًا:

عن سَهلِ بنِ سَعدٍ رَضِيَ الله عنه قال: قال النَّبيُّ ﷺ: {إنِّي فَرَطُكم على الحَوضِ، من مَرَّ عليَّ شَرِبَ، ومن شَرِبَ لَم يَظمَأْ أبَدًا، ليَرِدَنَّ عليَّ أقوامٌ أعرِفُهم ويَعرِفوني، ثُمَّ يُحالُ بَيني وبينَهم}[1].

وعن عَبدِ اللهِ بنِ عَمرٍو رَضِيَ الله عنهما أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: {حَوضي مَسيرةُ شَهرٍ، ماؤُه أبيضُ من اللبَنِ، وريحُه أطيبُ من المِسكِ، وكيزانُه كنُجومِ السَّماءِ، من شَرِبَ منها فلا يَظمَأُ أبَدًا}[2].

وجاءَ عن النَّبيِّ ﷺ قَولُه عَمَّنْ شَرِبَ من الحَوضِ: {ولَم يُسَوَّدْ وَجْهُه أبَدًا}[3].

والظاهر أنَّ الشرب من الحوض قبل المرور على الصراط، والله اعلم.



[1] أخرجه البخاري (6583) واللَّفظُ له، ومسلم (2290).

[2] أخرجه البخاري (6579) واللَّفظُ له، ومسلم (2292).

[3] أخرجه أحمد (22156)، وابن حبان (6457)، والطبراني (187/8) (7672) مطولًا من حديثِ أبي أمامة الباهلي رَضِيَ اللهُ عنه. صحَّحه ابن حبان، والألباني في ((صحيح الترغيب)) (3614)، وشعيب الأرناؤوط في تخريج ((مسند أحمد)) (22156)، وقال المنذري في ((الترغيب والترهيب)) (311/4): رواته محتج بهم في الصحيح، وقال الهيثمي في ((مجمع الزوائد)) (365/10): رجاله رجال الصحيح.

﴿المطلب الخامس﴾

﴿نهر الكوثر وعلاقته بالحوض﴾

الكوثر نهر في الجنَّة أُعطي للنبي ﷺ، قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾[الكوثر: 1].

عن أبي عُبيدةَ بنِ عَبدِ اللهِ بنِ مَسعودٍ أنَّه سَأل عائِشةَ رَضِيَ الله عنها عن قَولِه تعالى: {إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ}، فقالت: نَهرٌ أُعطِيَه نَبيُّكم ﷺ، شاطِئاه عليه دُرٌّ مُجَوَّفٌ، آنيَتُه كعَدَدِ النُّجومِ[1].

وعن أنسٍ رَضِيَ اللهُ عنه قال: {بَينا رَسولُ اللهِ ﷺ ذاتَ يَومٍ بينَ أظهُرِنا إذ أغفى إغفاءةً ثُمَّ رَفَعَ رَأسَه مُتَبَسِّمًا، فقُلنا: ما أضحَكَك يا رَسولَ اللهِ؟! قال: أُنزِلَت عليَّ آنِفًا سورةٌ، فقرَأَ: بِسْمِ اللهِ الرَّحمَنِ الرَّحيمِ ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾**[الكوثر: 1 - 3] ، ثُمَّ قال: أتدْرُونَ ما الكوثَرُ؟ فقُلْنا: اللهُ ورَسولُه أعلَمُ، قال: فإنَّه نَهرٌ وعَدَنِيه رَبِّي عزَّ وجَلَّ، عليه خَيرٌ كثيرٌ، هو حَوضٌ تَرِدُ عليه أمَّتي يومَ القيامةِ، آنيَتُه عَدَدُ النُّجومِ**[2].

وعن ابنِ عُمَرَ رَضِيَ الله عنهما قال: {لَمَّا أُنزِلَت: إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ، قال رَسولُ اللهِ ﷺ: هو نَهرٌ في الجَنَّةِ، حافَتاهُ من ذَهَبٍ، يَجري على جَنادِلِ الدُّرِّ والياقوتِ، شَرابُه أحلى من العَسَلِ، وأشَدُّ بَياضًا من اللبَنِ، وأبرَدُ من الثَّلجِ، وأطيبُ من ريحِ المِسكِ}[3].

وفي رِوايةٍ: {الكوثَرُ نَهرٌ في الجَنَّةِ حافَتاه من ذَهَبٍ، والماءُ يَجري على اللُّؤلُؤِ، وماؤُه أشَدُّ بَياضًا من اللبَنِ، وأحلى من العَسَلِ}[4].

---

[1] أخرجه البخاري (**4965**).

[2] أخرجه مسلم (**400**) مطولًا.

[3] أخرجه الترمذي (**3361**)، وابن ماجه (**4334**) باختلافٍ يسيرٍ، وأحمد (**5913**) واللَّفظُ له. صحَّحه الترمذي، والألباني في ((صحيح سنن الترمذي)) (**3361**)، وقواه شعيب الأرناؤوط في تخريج ((مسند أحمد)) (**5913**)، وصحَّح إسناده أحمد شاكر في تخريج ((مسند أحمد)) (**159/8**).

[4] أخرجها الترمذي (**3361**)، وابن ماجه (**4334**) باختلافٍ يسيرٍ، وأحمد (**5355**) واللَّفظُ له. صحَّحها الترمذي، والألباني في ((صحيح سنن الترمذي)) (**3361**)، وقواها شعيب الأرناؤوط في تخريج ((مسند أحمد)) (**5355**)، وصحَّح إسنادها أحمد شاكر في تخريج ((مسند أحمد)) (**191/7**).

والناظر في الأحاديث يظن أنَّ فيها تعارضا، ففي الأول يقول: أنَّ الكوثر هو الحوض، والآخر يقول: إنَّ الكوثر هو نهر في الجنَّة، حتى أوَّل البعض الكوثر بأنه الخير الكثير، وهذا تأويل فاسد، والصحيح أنه يجب أن تحمل النصوص على ظاهرها، وأنه لا تعارض في نصوص الشرع، كما قلنا ذلك في كل كتابتنا، بل هذه الأحاديث فيها تشابه فيجب أن تحمل على أصل محكم فيزول التشابه، وهذا الأصل المحكم في الحديث الصحيح عن ثَوبانَ رَضِيَ الله عنه: {أنَّ النَّبيَّ ﷺ سُئِلَ عن شَرابِ الحَوضِ، فقال: أشَدُّ بَياضًا من اللَّبَنِ، وأحلى من العَسَلِ، يَغُتُّ فيه ميزابانِ يَمُدَّانِه من الجَنَّةِ أحَدُهما من ذَهَبٍ، والآخَرُ من وَرِقٍ}[1].

يغتُ: أي: يصبُّ، فبجمع الأحاديث يتبيَّن لنا أنَّ ماء الحوض آت من نهر الكوثر، يصب فيه من ميزابان، ويتبيَّن ذلك من أنَّ ماء الحوض له نفس وصف نهر الكوثر الذي هو في الجنة، حيث قال ﷺ عن نهر الكوثر: {شَرابُه أحلى من العَسَلِ، وأشَدُّ بَياضًا من اللبَنِ، وأبرَدُ من الثَّلجِ، وأطيبُ من ريحِ المِسكِ}[2]، وهو نفس الوصف على ماء الحوض، حيث قال ﷺ {ماؤُه أبيضُ من اللبَنِ، وريحُه أطيبُ من المِسكِ، وكيزانُه كنُجومِ السَّماءِ، من شَرِبَ منها فلا يَظمَأُ أبَدًا}[3].

وبهذا يزول التعارض، ويتبيَّن لنا أنَّ ماء الكوثر يصب في الحوض والله أعلم.



[1] أخرجه مسلم (2301) مطولًا.

[2] أخرجه الترمذي (3361)، وابن ماجه (4334) باختلافٍ يسيرٍ، وأحمد (5913) واللَّفظُ له. صحَّحه الترمذي، والألباني في ((صحيح سنن الترمذي)) (3361)، وقواه شعيب الأرناؤوط في تخريج ((مسند أحمد)) (5913)، وصحَّح إسناده أحمد شاكر في تخريج ((مسند أحمد)) (159/8).

[3] أخرجه البخاري (6579) واللَّفظُ له، ومسلم (2292).

﴿المسألة الرابعة﴾

﴿الإيمان بنشر الصحف﴾

الصحيفة لغة: هو كل ما يكتب فيه، ونحن نؤمكن بها ولا ندري كيف هي.

أولا: أدلة كتابة الملائكة لكل ما يصدر من العباد:

قال اللهُ تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار: 10 –11].

قال ابنُ جَريرٍ: قَولُه: {وإنَّ عليكم لحافِظينَ} يَقولُ: وإنَّ عليكم رُقباءَ حافِظينَ يَحفَظونَ أعمالَكم، ويُحصونَها عليكم، {كِرامًا كاتِبين} يَقولُ: كِرامًا على الله كاتِبينَ، يَكتُبونَ أعمالَكم... وقَولُه: {يَعلَمونَ ما تَفعَلونَ} يَقولُ: يَعلَمُ هؤلاء الحافِظونَ ما تَفعَلونَ من خَيرٍ أو شَرٍّ، يُحصونَ ذلك عليكم[1].

وقال اللهُ عَزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِّنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾ [يونس: 21].

ثانيا: أدلة نشر الصحف:

قال اللهُ تعالى: ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ [التكوير: 10].

قال ابنُ جَريرٍ: قَولُه: {وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ}، يَقولُ تعالى ذِكرُه: وإذا صُحُفُ أعمالِ العِبادِ نُشِرَت لهم، بَعدَ أن كانت مَطويَّةً على ما فيها مَكتوبٌ من الحَسَناتِ والسَّيِّئاتِ[2].

وقال اللهُ تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا * اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: 13 – 14].

---

[1] ينظر: تفسير الطبري.

[2] ينظر: تفسير الطبري.

وقال اللهُ عَزَّ وجلَّ: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا * وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا * وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ * فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا * وَيَصْلَى سَعِيرًا إنه كان في أهله مسرورا ﴾[الانشقاق: 7 – 12].

قال ابنُ كثيرٍ: {فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا}، أي: سَهلًا بلا تَعسيرٍ، أي: لا يحققُ عليه جَميعَ دَقائِقِ أعمالِه؛ فإنَّ من حُوسِبَ كذلك يَهلِكُ لا مَحالةَ... وقَولُه تعالى: {وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا} أي: ويَرجِعُ إلى أهلِه في الجَنَّةِ، قاله قتادةُ والضَّحَّاكُ مَسْرُورًا أي: فرحانَ مُغتَبِطًا بما أعطاه اللهُ عزَّ وجَلَّ... وقَولُه: {وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ} أي: بشِمالِه من وراءِ ظَهرِه، تُثنَى يَدُه إلى وَرائِه ويُعطى كِتابَه بها كذلك، {فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا} أي: خَسارًا وهَلاكًا وَيَصْلَى سَعِيرًا، { إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا}، أي: فَرِحًا لا يُفَكِّرُ في العَواقِبِ، ولا يَخافُ مِمَّا أمامَه، فأعقَبَه ذلك الفَرحُ اليَسيرُ الحُزنَ الطَّويلَ[1].

قال ابنُ حزمٍ: الصُّحُفُ تُكتَبُ فيها أعمالُ العِبَادِ، المَلائِكةُ حَقٌّ نُؤمِنُ بها ولا نَدري كيفَ هيَ ... وأنَّ النَّاسَ يُعْطونَ كُتُبَهم يَومَ القيامةِ، فالمُؤمِنونَ الفائِزونَ الذينَ لا يُعذَّبونَ يُعْطَونَها بأيمانِهم، والكُفَّارُ بأشملِهم، والمُؤمِنونَ أهلُ الكَبائِرِ وراءَ ظُهورِهم[2].

وقال تعالى: ﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ۚ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾[الكهف: 49].

وقيل أنَّ الصحف تتطاير في السماء أربعين عاما، فلا يدري أحد أين سيقع كتابه، أعلى يمينه، أم على شمائل أو وراء ظهره، فيصيب الناس كرب عظيم.



[1] ينظر: تفسير ابن كثير.

[2] يُنظر: ((المحلى)) (17/1).

﴿المسألة الخامسة﴾

﴿الإيمان الميزان﴾

وفيه خمسة مطالب:

1 – تعريف الميزان:

2 – أدلة ثبوت الميزان:

3 – صفة الميزان:

4 – هل هو ميزان واحد أم موازين:

5 – ما الذي يوزن في الميزان:



﴿المطلب الأول﴾

﴿تعريف الميزان﴾

الميزان لغة: الآلةُ التي يُوزَنُ بها الأشياءُ، ويُجمَعُ على: موازين. والزِّنةُ: قَدْرُ وَزنِ الشَّيءِ، وأصلُ (وزن): يدُلُّ على تعديلٍ واستقامةٍ[1].

الميزانُ في الِاصطِلاحِ: ميزانٌ حَقيقيٌّ، له لسانٌ وكِفَّتانِ تُوزَنُ به أعمالُ العِبادِ، خَيرُها وشَرُّها في مَوقِفِ فصلِ القَضاءِ. وقد أخبَرَ اللهُ تعالى عنه في القُرآنِ الكَريمِ على وجهِ الإجمالِ، وجاءَتِ السُّنَّةُ النَّبَويَّةُ بالتَّفصيلِ في شَأنِه[2].



[1] يُنظر: ((تهذيب اللغة)) للأزهري (13/ 176)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (6/ 107).

[2] يُنظر: ((شرح الطحاوية)) لابن أبي العز (2/ 609)، ((لوامع الأنوار البهية)) للسفاريني (2/ 184)، ((شرح العقيدة الواسطية)) لابن عثيمين (2/ 139).

﴿المطلب الثاني﴾

﴿أدلة ثبوت الميزان﴾

من الكتاب:

قال اللهُ تعالى: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يِظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: 8 – 9].

قال السمعاني: ... وأكثَرُ المُفَسِّرينَ على أنَّه أرادَ به: الوَزنَ بالميزانِ المَعروفِ، وهو حَقٌّ[1].

وقال البغوي: ... وقال الأكثَرون: أرادَ به وزنَ الأعمالِ بالميزانِ، وذاك أنَّ اللهَ تعالى يَنصِبُ ميزانًا له لسانٌ وكِفَّتانِ[2].

وقال اللهُ سُبحانَه: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: 47].

قال البغوي: وفي الأخبارِ: إنَّ الميزانَ له لسانٌ وكِفَّتانِ[3].

من السنة:

عن أبي هُريرةَ رَضِيَ الله عنه قال: قال رَسولُ اللهِ ﷺ: {كلِمَتانِ حَبيبَتانِ إلى الرَّحمَنِ، خَفيفَتانِ على اللِّسانِ، ثَقيلَتانِ في الميزانِ: سُبحانَ اللهِ وبِحَمدِه، سُبحانَ اللهِ العَظيمِ}[4].

وعن أبي مالِكٍ الأشعَريِّ رَضِيَ الله عنه أنَّ رَسولَ ﷺ قال: {الطُّهورُ شَطرُ الإيمانِ، والحَمدُ للهِ تَملأُ الميزانَ}[5].

وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ الله عنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: {مَنِ احتَبَسَ فَرَسًا في سَبيلِ الله، إيمانًا باللهِ وتَصديقًا بوَعدِه، فإنَّ شِبَعَه ورِيَّه ورَوثَه وبَولَه في ميزانِه يَومَ القيامةِ}[1].

---

[1] يُنظر: ((تفسير السمعاني)) (2/ 165).

[2] يُنظر: ((تفسير البغوي)) (2/ 180).

[3] يُنظر: ((تفسير البغوي)) (3/ 290).

[4] أخرجه البخاري (7563) واللَّفظُ له، ومسلم (2694).

[5] أخرجه مسلم (223) مطولًا.

﴿المطلب الثالث﴾

﴿صفة الميزان﴾

جُمهورُ العُلَماءِ على أنَّ الميزانَ له كِفَّتانِ حِسِّيَّتانِ مُشاهَدَتانِ، وله لِسانٌ كذلك.

قال أبو الحَسَن الأشعَريُّ: اختَلَفوا في الميزانِ: فقال أهلُ الحَقِّ له لِسانٌ وكِفَّتانِ، تُوزَنُ في إحدى كِفَّتَيه الحَسَناتُ وفي الأخرى السَّيِّئاتُ، فمَن رَجَحَت حَسَناتُه دَخلَ الجَنةَ، ومَن رَجَحَت سَيِّئاتُه دَخلَ النَّارَ، ومن تَساوَتْ حَسَناتُه وسيِّئاتُه، تَفضَّلَ اللهُ عليه فأدخَلَه الجَنَّةَ[2].

قال البَغَويُّ: إنَّ اللهَ تعالى يَنصِبُ ميزانًا له لِسانٌ وكِفَّتانِ[3].

قال ابنُ قُدامةَ: الميزانُ له كِفَّتانِ ولِسانٌ، تُوزَنُ به الأعمالُ، ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: 102 – 103].

قال القُرطُبيُّ في تَفسيرِ سورةِ القارِعةِ: قد تَقَدَّمَ القَولُ في الميزانِ في "الأعرافِ والكَهفِ والأنبياءِ"، وأنَّ له كِفَّةً ولِسانًا تُوزَنُ فيه الصُّحُفُ المَكتوبُ فيها الحَسَناتُ والسِّيِّئاتُ[4].

وقال رَدًّا على مَن يُنكِرُ الميزانَ، ويُؤَوِّلُ الوَزنَ بأنَّه من ضَربِ المَثَلِ، وأنَّ الوَزنَ يُرادُ به العَدلُ والقَضاءُ: هذا القَولُ مَجازٌ، وليس بشَيءٍ، وإن كان شائِعًا في اللُّغةِ؛ للسُّنَّةِ الثَّابِتةِ في الميزانِ الحَقيقيِّ، ووَصفِه بكِفَّتينِ ولِسانٍ، وأنَّ كُلَّ كِفَّةٍ منها طِباقُ السَّمَواتِ والأرضِ[5].

وقال ابنُ كثيرٍ: بَيانُ كونِ الميزانِ له كِفَّتانِ حِسِّيَّتانِ مُشاهَدَتانِ، قال الإمامُ أحمَدُ: حَدَّثنا إبراهيمُ بنُ إسحاقَ الطَّالِقانيُّ، حَدَّثنا ابنُ المُبارَكِ، عن لَيثِ بنِ سَعدٍ، حَدَّثَني عامِرُ بن يَحيى، عن أبي عَبدِ الرَّحمَنِ الحبليِّ، واسمُه عَبدُ اللهِ بنُ يَزيدَ: سَمِعتُ عَبدَ اللهِ بنَ عَمرٍو يَقولُ: قال رَسولُ اللهِ ﷺ: {إنَّ اللهَ تعالى يَستَخلِصُ رَجُلًا من أمَّتي على رُءوسِ الخَلائِقِ يومَ القيامةِ، فيَنشُرُ

---

[1] أخرجه البخاري (2853).

[2] يُنظر: ((مقالات الإسلاميين)) (2 / 353).

[3] يُنظر: ((تفسير البغوي)) (2/ 180).

[4] يُنظر: ((تفسير القرطبي)) (20/ 166).

[5] يُنظر: ((التذكرة)) (2/ 9).

عليه تِسعةً وتِسعينَ سِجِلًّا، كُلُّ سِجِلٍّ مَدَّ البَصَرِ، ثُمَّ يَقولُ له: أتُنكِرُ مِن هذا شَيئًا؟ أظلَمَك كَتَبتي الحافِظونَ؟ قال: لا يا رَبِّ. فيَقولُ: ألك عُذرٌ أو حَسَنةٌ؟ فيُبهَتُ الرَّجُلُ، فيَقولُ: لا يا رَبِّ. فيَقولُ: بَلى، إنَّ لَك عِندَنا حَسَنةً واحِدةً، لا ظُلْمَ عليك اليَومَ، فتَخرُجُ له بطاقةٌ، فيها: أشهَدُ أنْ لَا إلَهَ إلَّا اللهُ، وأنَّ مُحَمَّدًا عَبدُه ورَسولُه، فيَقولُ: أحضِروه. فيَقولُ: يا رَبِّ، ما هذه البِطاقةُ مَعَ هذه السِّجِلَّاتِ؟! فيَقولُ: إنَّك لا تُظلَمُ، قال: فتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ في كِفَّةٍ، والبِطاقةُ في كِفَّةٍ، قال: فطاشَتِ السِّجِلَّاتُ، وثَقُلَتِ البِطاقةُ، ولا يَثقُلُ شَيءٌ مَعَ اسمِ اللهِ الرَّحمَنِ الرَّحيمِ}[1].

قال ابنُ جَريرٍ قال ابنُ جُرَيجٍ: قال لي عَمْرُو بنُ دينارٍ: قَولُه: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ﴾ [الأعراف: 8] قال: إنَّا نَرى ميزانًا وكِفَّتينِ...والصَّوابُ من القَولِ في ذلك عِندي القَولُ الذي ذَكَرناه عن عَمرِو بن دينارٍ من أنَّ ذلك: هو الميزانُ المَعروفُ الذي يُوزَنُ به، وأنَّ اللهَ جَلَّ ثَناؤُه يَزِنُ أعمالَ خَلقِه الحَسَناتِ منها والسَّيِّئاتِ، كما قال جَلَّ ثَناؤُه: {فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ}: موازينُ عَمَلِه الصَّالِحِ، فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ يَقولُ: فأولِئك همُ الذينَ ظَفِروا بالنَّجاحِ وأدرَكوا الفَوزَ بالطِّلباتِ، والخُلودَ والبَقاءَ في الجَنَّاتِ؛ لتَظاهُرِ الأخبارِ عن رَسولِ اللهِ ﷺ بقَولِه: {ما وُضِعَ في الميزانِ شَيءٌ أثقَلُ من حُسْنِ الخُلُقِ}[2]، ونَحوِ ذلك من الأخبارِ التي تُحَقِّقُ أنَّ ذلك ميزانٌ يُوزَنُ به الأعمالُ على ما وصفت[3].



---

[1] أخرجه الترمذي (2639)، وابن ماجه (4300)، وأحمد (6994) باختلافٍ يسيرٍ صحَّحه ابن حبان في ((صحيحه)) (225)، والحاكم على شرط مسلم في ((المستدرك)) (46/1)، وابن الملقن على شرط مسلم في ((شرح البخاري)) (595/33). يُنظر: ((البداية والنهاية)) (19/ 499).

[2] أخرجه أبو داود (4799) واللفظ له، والترمذي (2002) مطولاً، وأحمد (27517) باختلاف يسير، وصححه الألباني.

[3] يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (10/ 70).

﴿المطلب الرابع﴾

﴿هل هو ميزان واحد أم موازين؟﴾

قال ابنُ حَجَرٍ: المَوازينُ جَمعُ ميزانٍ... واختُلِفَ في ذِكرِه هنا بلَفظِ الجَمعِ: هَلِ المُرادُ أنَّ لكُلِّ شَخصٍ ميزانًا، أو لكُلِّ عَمَلٍ ميزانٌ، فيَكونُ الجَمعُ حَقيقةً، أو ليس هناك إلَّا ميزانٌ واحِدٌ والجَمعُ باعتِبارِ تَعَدُّدِ الأعمالِ أوِ الأشخاصِ؟ ويَدُلُّ على تَعَدُّدِ الأعمالِ قَولُه تعالى: وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ويُحتَمَلُ أن يَكونَ الجَمعُ للتَّفخيمِ، كما في قَولِه تعالى: كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ مَعَ أنَّه لَم يُرسَلْ إليهم إلَّا واحِدٌ. والذي يَتَرَجَّحُ أنَّه ميزانٌ واحِدٌ ولا يُشْكِلُ بكَثرةِ مَن يُوزَنُ عَمَلُه؛ لأنَّ أحوالَ القيامةِ لا تُكيَّفُ بأحوالِ الدُّنيا[1].

وقال السَّفارينيُّ: الأصَحُّ الأشهَرُ أنَّه ميزانٌ واحِدٌ لجَميعِ الأمَمِ ولِجَميعِ الأعمالِ، كِفَّتاه كأطباقِ السَّمَواتِ والأرضِ كما مَرَّ، وقيلَ: لكُلِّ أمَّةٍ ميزانٌ، وقال الحَسَنُ البَصريُّ: «لكُلِّ واحِدٍ من المُكَلَّفينَ ميزانٌ»، واستَظهَرَ بَعضُهم إثباتَ مَوازينَ يَومَ القيامةِ، لا ميزانٍ واحِدٍ؛ لظاهِرِ قَولِه عزَّ وجَلَّ: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ﴾ [الأنبياء: 47] ، وقَولُه: ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ [الأعراف: 8]، وقال: لا يَبعُدُ على هذا أن يَكونَ لأعمالِ القُلوبِ ميزانٌ، ولِأفعالِ الجَوارِحِ ميزانٌ، ولِما يَتَعَلَّقُ بالقَولِ ميزانٌ[2].

ورَدَّ هذا ابنُ عَطيَّةَ وقال: النَّاسُ على خِلافِه، وإنَّما لكُلِّ واحِدٍ وزنٌ مُختَصٌّ به، والميزانُ واحِدٌ[3]. وقال بَعضُهم: إنَّما جمعَ المَوازينَ في الآيةِ الكَريمةِ لكَثرةِ من تُوزَنُ أعمالُهم، وهو حَسَنٌ، وباللهِ التَّوفيقُ[4].

---

[1] يُنظر: ((فتح الباري)) (13/ 537).

[2] قال الرازي: (الأظهَرُ إثباتُ موازينَ في يوم القيامة لا ميزانٍ واحدٍ، والدليلُ عليه قوله: وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ [الأنبياء: 47] وقال في هذه الآية: فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ، وعلى هذا فلا يبعد أن يكون لأفعالِ القلوب ميزانٌ، ولأفعال الجوارِح ميزانٌ، ولما يتعلق بالقول ميزانٌ آخرُ). يُنظر: ((تفسير الرازي)) (14/ 203).

[3] قال ابن عطية: (قال الحسن فيما روي عنه: بلغني أن لكلِّ أحدٍ يوم القيامة ميزانًا على حدة. وهذا قولٌ مردودٌ، النَّاسُ على خلافه، وإنما لكل أحدٍ وزنٌ يختص به، والميزان واحد... وجمع لفظ «الموازين» إذ في الميزان موزونات كثيرة، فكأنه أراد التنبيهَ عليها بجمعه لفظ الميزان). يُنظر: ((تفسير ابن عطية)) (2/ 376).

[4] يُنظر: ((لوائح الأنوار السنية)) (2/ 194-196).

والذي يظهر لي أنه ميزان واحد، وعلَّة ذلك، طول مقام الكفرة والمجرمين يوم القيامة ينتظرون وزنهم، وهذا فيه عذاب نفسي شديد، فيبدأ الله تعالى بوزن المؤمنين، فيمرون سريعا بلا تدقيق في الصغائر، ثمَّ يطول مقام أهل الكفر انتظارا لوزنهم، والله أعلم.



﴿المطلب الخامس﴾

﴿ما الذي يوزن في الميزان؟﴾

يوزن يوم القيامة في الميزان ثلاثة أشياء:

الأول: الأعمال:

الثاني: الصحيفة:

الثالث: الشخص نفسه:

الأوَّل: دليل وزن الأعمال: حَديثِ أبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ عنه عن رَسولِ اللهِ ﷺ: {كلِمَتانِ حَبيبَتانِ إلى الرَّحمَنِ، خَفيفَتانِ على اللِّسانِ، ثَقيلَتانِ في الميزانِ: سُبحانَ اللهِ وبِحَمدِه، سُبحانَ اللهِ العَظيمِ}[1].

وعن أبي الدَّرداءِ رَضِيَ اللهُ عنه عن النَّبيِّ ﷺ قال: {ما من شيءٍ أثقَلُ في الميزانِ من حُسْنِ الخُلُقِ}[2].

وقال رَسولُ اللهِ ﷺ: {الطُّهورُ شَطرُ الإيمانِ، والحَمدُ للهِ تَملأُ الميزانَ...،}[3].

قال ابن كثير: فيه دَلالةٌ على أنَّ العَمَلَ نَفسَه يُوزَنُ[4].

الثاني: دليل وزن الصحيفة: رَوى الإمامُ أحمَدُ من حَديثِ أبي عَبدِ الرَّحمَنِ الحبليِّ، قال سَمِعتُ عَبدَ اللهِ بنَ عَمرٍو يَقولُ: قال رَسولُ اللهِ ﷺ: {إنَّ اللهَ سَيَختَصُّ رَجُلًا من أمَّتي على رُءوسِ الخَلائِقِ يَومَ القيامةِ، فيَنشُرُ عليه تِسعةً وتِسعينَ سِجِلًّا، كُلُّ سِجِلٍّ مَدَّ البَصَرِ، ثُمَّ يَقولُ له: أتُنكِرُ من هذا شَيئًا أظلَمَتْك كَتَبَتي الحافِظونَ؟ قال: لا، يا رَبِّ، فيَقولُ: ألك عُذرٌ أو حَسَنةٌ؟ فيُبهَتُ الرَّجُلُ، فيَقولُ: لا يا رَبِّ، فيَقولُ: بَلى، إنَّ لَك عِندَنا حَسَنةً واحِدةً، لا ظُلمَ اليَومَ عليك، فتُخرَجُ له بطاقةٌ فيها: أشهَدُ أنْ لَا إلهَ إلَّا اللهُ، وأنَّ مُحَمَّدًا عَبدُه ورَسولُه، فيَقولُ:

---

[1] أخرجه البخاري (7563) واللَّفظُ له، ومسلم (2694).

[2] أخرجه من طرُقٍ: أبو داود (4799) واللَّفظُ له، والترمذي (2002)، وأحمد (27555). صحَّحه الترمذي، وابن حبان في ((صحيحه)) (481)، والألباني في ((صحيح سنن أبي داود)) (4799)، والوادعي في ((الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين)) (1041)، وشعيب الأرناؤوط في تخريج ((مسند أحمد)) (27555).

[3] أخرجه مسلم (223).

[4] يُنظر: ((البداية والنهاية)) (19/ 504).

أحضِروه، فيَقولُ: يا رَبِّ، وما هذه البِطاقةُ مَعَ هذه السِّجلَّاتِ؟ فيقالُ: إنَّك لا تُظلَمُ، قال: فتُوضَعُ السِّجلَّاتُ في كِفَّةٍ، والبِطاقةُ في كِفَّةٍ، قال: فطاشَتِ السِّجلَّاتُ، وثَقُلَتِ البِطاقةُ، ولا يَثقُلُ شَيءٌ بسمِ اللهِ الرَّحمَنِ الرَّحيمِ}.

وهَكَذا رَوى التِّرمِذيُّ، وابنُ ماجِهْ، وابنُ أبي الدُّنيا، من حَديثِ اللَّيثِ، زادَ التِّرمِذيُّ: {ولا يَثقُلُ مَعَ اسمِ اللهِ شَيءٌ}[1].

الثالث: دليل وزن العامل:

عن أبي قال: قال النبي ﷺ:{إنَّه لَيَأْتي الرَّجُلُ العَظِيمُ السَّمِينُ يومَ القِيامَةِ، لا يَزِنُ عِنْدَ اللهِ جَناحَ بَعُوضَةٍ، اقْرَؤُوا ﴿فَلا نُقِيمُ لهمْ يومَ القِيامَةِ وزْنًا﴾ [الكهف: 105]}[2].

وعن ابنِ مَسعودٍ رَضِيَ اللهُ عنه أنَّه كان يَجتَني سِواكًا من الأراكِ، وكان دَقيقَ السَّاقينِ، فجَعَلَتِ الرِّيحُ تَكفَؤُه، فضَحِكَ القَومُ منه! فقال رَسولُ اللهِ ﷺ: {مِمَّ تَضحَكونَ؟! قالوا: يا نَبيَّ اللهِ، من دِقَّةِ ساقَيه! فقال: والذي نَفسي بيدِه لهما أثقَلُ في الميزانِ من أُحُدٍ}[3].

قال الشِّنقيطيُّ: قد دَلَّتِ السُّنَّةُ الصَّحيحةُ على أنَّ مَعنى الآيةِ يَدخُلُ فيه الكافِرُ السَّمينَ العَظيمُ البَدَنِ، لا يَزِنُ عِندَ اللهِ يَومَ القيامةِ جَناحَ بَعُوضةٍ، قال البُخاريُّ في صَحيحِه في تَفسيرِ هذه الآيةِ: حَدَّثنا مُحَمَّدُ بنُ عَبدِ اللهِ، حَدَّثنا سَعيدُ بن أبي مَريَم، أخبَرَنا المُغيرةُ بنُ عَبدِ الرَّحمَنِ، حَدَّثَني أبو الزِّنادِ عن الأعرَجِ عن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ عنه، عن رَسولِ اللهِ ﷺ قال: {إنَّه لَيَأتي الرَّجُلُ العَظيمُ السَّمينُ يَومَ القيامةِ لا يَزِنُ عِندَ اللهِ جَناحَ بَعُوضةٍ، وقال: اقرَؤوا فلا نُقيمُ لهم يَومَ القيامةِ وزنًا}، وعن يَحيى بن بَكيرٍ، عن المُغيرةِ بن عَبدِ الرَّحمَنِ، عن أبي الزِّنادِ مِثلَه.اهـ

---

[1] أخرجه الترمذي (2639)، وابن ماجه (4300)، وأحمد (6994) باختلافٍ يسيرٍ. صحَّحه ابن حبان في ((صحيحه)) (225)، والحاكم على شرط مسلم في ((المستدرك)) (46/1)، وابن الملقن على شرط مسلم في ((شرح البخاري)) (595/33).

[2] أخرجه مسلم 2785.

[3] أخرجه أحمد (3991) واللَّفظُ له، وابن حبان (7069)، والطبراني (75/9) (8452). صحَّحه ابن حبان، والألباني بطرقه في ((سلسلة الأحاديث الصحيحة)) (2750)، وصحَّحه لغيره شعيب الأرناؤوط في تخريج ((مسند أحمد)) (3991)، وحسَّنه ابن كثير في ((إرشاد الفقيه)) (32/1)، والوادعي في ((الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين)) (849)، وجود إسناده وقواه ابن كثير في ((نهاية البداية والنهاية)) (29/2).

وهذا الحَديثُ أخرَجَه أيضًا مُسلِمٌ في صَحيحِه، وهو يَدُلُّ على أنَّ نَفسَ الكافِرِ العَظيمِ السَّمينِ لا يَزِنُ عِندَ الله جَناحَ بَعوضةٍ، وفيه دَلالةٌ على وزنِ الأشخاصِ[1].

وقال ابن كثير رحمه الله: وقد يمكن الجمع بين هذه الآثار بأن يكون ذلك كله صحيحًا فتارة توزن الأعمال، وتارة توزن محالها، وتارة يوزن فاعلها والله أعلم[2]، واختاره الحافظ حكمي[3].

وقال ابن أبي العز: ... فثبَتَ وزنُ الأعمالِ والعامِلِ وصَحائِفِ الأعمالِ، وثَبَتَ أنَّ الميزانَ له كِفَّتانِ. واللهُ تعالى أعلَمُ بما وراءَ ذلك من الكَيفيَّاتِ، فعلينا الإيمانُ بالغَيبِ، كما أخبَرَنا الصَّادِقُ ﷺ من غَيرِ زيادةٍ ولا نُقصانٍ[4].



---

[1] يُنظر: ((أضواء البيان)) (3/ 352).

[2] ينظر: تفسير ابن كثير 202/3.

[3] ينظر: معارج القبول 272/2.

[4] يُنظر: ((معارج القبول)) (2/848).

﴿ فرع ﴾

﴿ الحساب ﴾

أهل السنة والجماعة نؤمن بالحساب يوم القيامة، وأنَّ من الناس من يحاسب حسابا يسرا، وعكسه من يحاسب حسابا عسيرا، ومن الناس من لا يحاسب فيدخل الجنة بلا حساب، وهذا ما عليه جمهور أهل العلم.

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾[الانشقاق: 7 – 8].

قال السعدي: وهو العرض اليسير على الله، فيقرره الله بذنوبه، حتى إذا ظن العبد أنه قد هلك، قال الله تعالى له: {إني قد سترتها عليك في الدنيا، فأنا أسترها لك اليوم}[1].

وقال اللهُ تعالى: ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [الرعد: 18].

قال ابنُ عَطِيَّةَ: الذينَ لَم يَستَجيبوا هُم: الكَفَرةُ، وسوءُ الحِسابِ هو: التَّقَصي على المُحاسَبِ، وألَّا يَقَعَ في حِسابِه من التَّجاوُزِ شَيءٌ[2].

وعن عائِشةَ رَضِيَ اللهُ عنها قالت: قال رَسولُ الله ﷺ: مَن حُوسِبَ يَومَ القيامةِ عُذِّبَ، فقُلتُ: أليسَ قد قال اللهُ عزَّ وجَلَّ: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾[الإنشقاقُ: 8]، فقال: ليس ذاكِ الحِسابُ، إنَّما ذاكِ العَرضُ، من نوقِشَ الحِسابَ يَومَ القيامةِ عُذِّبَ}[3].

وعن عبدِ اللهِ بنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ الله عنهما عن النَّبيِّ ﷺ قال: {عُرِضَتْ عليَّ الأمَمُ، فرَأيتُ النَّبيَّ ومَعَه الرُّهَيطُ، والنَّبيَّ ومَعَه الرَّجُلُ والرَّجُلانِ، والنَّبيَّ ليس مَعَه أحَدٌ؛ إذ رُفِعَ لي سَوَادٌ عَظيمٌ فظَنَنتُ أنَّهم أمَّتي، فقيلَ لي: هذا موسى ﷺ وقومُه، ولَكِنِ انظُر إلى الأفُقِ، فنَظَرتُ فإذا سَوادٌ

---

[1] ينظر: تفسير السعدي.

[2] يُنظر: ((تفسير ابن عطية)) (3/ 308).

[3] أخرجه البخاري (103)، ومسلم (2876) واللَّفظُ له

عَظيمٌ فقيلَ لي: انظُر إلى الأفُقِ الآخَرِ، فإذا سَوادٌ عَظيمٌ، فقيلٌ لي: هذه أمَّتُك ومَعَهم سَبعونَ ألفًا يَدخُلونَ الجَنَّةَ بغَيرِ حِسابٍ ولا عَذابٍ...}[1].

عن مَحمودِ بنِ لَبيدٍ رَضِيَ اللهُ عنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: {اثنَتانِ يَكرَهُهما ابنُ آدَمَ: المَوتُ، والمَوتُ خَيرٌ للمُؤمِنِ من الفِتنةِ، ويَكرَهُ قِلَّةَ المالِ، وقِلَّةُ المالِ أقَلُّ للحِسابِ}[2].



[1] أخرجه البخاري (6541)، ومسلم (220) واللَّفظُ له.

[2] أخرجه أحمد (23674) واللَّفظُ له، وأبو نعيم في ((معرفة الصحابة)) (6114)، والداني في ((السنن الواردة في الفتن)) (36). صحَّحه الألباني في ((صحيح الجامع)) (139)، وجوَّد إسناده شعيب الأرناؤوط في تخريج ((مسند أحمد)) (23674)، وقال الهيثمي في ((مجمع الزوائد)) (324/2): رجاله رجال الصحيح، وقال المنذري في ((الترغيب والترهيب)) (147/4) إنه رُوِيَ بإسنادين رواة أحدهما محتجٌّ بهم في الصحيح، ومحمود له رؤية، ولم يصِحَّ له سماعٌ فيما أرى.

﴿المسألة السادسة﴾

﴿الإيمان بالشفاعة﴾

وفيه أربعة مطالب:

1 – معنى الشفاعة:

2 – شروط الشفاعة:

3 – أنواع الشفاعة:

4 – أنواع الشفاعة المقبولة:



﴿المطلب الأول﴾

﴿معنى الشفاعة﴾

الشَّفاعةُ لُغةً: الانضِمامُ إلى آخَرَ ناصِرًا له وسائِلًا عنه، وأكثَرُ ما يُستعمَلُ في انضمامِ مَن هو أعلى حُرمةً ومرتبةً إلى من هو أدنى، ومنه: الشَّفَاعَةُ في القيامةِ، وأصلُ (شفع) يدُلُّ على مقارنةِ الشَّيئينِ[1].

الشَّفاعةُ في الِاصطِلاحِ: تَعني: طَلَبَ النَّبيِّ ﷺ أو غَيرِه من اللهِ حُصولَ مَنفَعةٍ لأحَدٍ من الخَلقِ في الدَّارِ الآخِرةِ[2].

ويَدخُلُ تَحتَ هذا التَّعريفِ جَميعُ أنواعِ الشَّفاعاتِ.

قال أبو السُّعودِ: الشَّفاعةُ هيَ التَّوسُّطُ بالقَولِ في وُصولِ شَخصٍ إلى مَنفَعةٍ من المَنافِعِ الدُّنيويَّةِ أوِ الأُخرَويَّةِ، أو خَلاصِه من مَضَرَّةٍ[3].



[1] يُنظر: ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (3/ 201)، ((المفردات في غريب القرآن)) (ص: 457).

[2] ينظر: موقع الدرر السنية: الشفاعة في الاصطلاح.

[3] يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (2/ 210).

﴿ المطلب الثاني ﴾

﴿ شروط الشفاعة ﴾

حُصولُ الشَّفاعةِ والِانتِفاعُ بها أمرٌ مُتَوَقِّفٌ على ثُبوتِ شُروطٍ وانتِفاءِ مَوانِعَ.

ولِلشَّفاعةِ شَرطانِ، هما:

1 - الإذْنُ مِنَ اللهِ تعالى:

الدَّليلُ:

قَولُه تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ [النجم: 26].

قال البَغَويُّ: وكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ مِمَّن يَعبُدُهم هؤلاء الكُفَّارُ ويَرْجونَ شفاعتَهم عِندَ اللهِ، لا تُغني شفاعتُهم شَيئًا إلَّا من بَعدِ أن يَأذَنَ اللهُ في الشَّفاعةِ لِمَن يَشاءُ ويَرضى، أي: مِن أهلِ التَّوحيدِ[1].

2 - رِضاه عن الشَّافِعِ والمَشفوعِ له:

الدَّليلُ:

قَولُ اللهِ عزَّ وجَلَّ: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء: 28].

قال ابنُ جَريرٍ: {وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى}، يَقولُ: ولا تَشفَعُ المَلائِكةُ إلَّا لِمن رَضِيَ اللهُ عنه[2].



[1] يُنظر: ((تفسير البغوي)) (4/ 310).

[2] يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (16/ 252).

﴿المطلب الثالث﴾

﴿أنواع الشفاعة﴾

وفيه فرعان:

الفرع الأوَّل: الشفاعة المثبتة:

الفرع الثاني: الشفاعة المنفية:

﴿الفرع الأول﴾

﴿الشفاعة المثبتة﴾

أ – شفاعة النبي ﷺ:

ب – شفاعة بقية الأنبياء:

ج – شفاعة الملائكة:

د – شفاعة الشهداء:

هـ – شفاعة الولدان:

و – شفاعة المؤمنين لبعضهم:

ز – شفاعة القرآن لأصحابه:

ح – شفاعة الله تبارك وتعالى:



أولا: شفاعة النبي ﷺ:

– الشَّفاعةُ العُظمى يَومَ القيامةِ، هي الشَّفاعةُ الأولى لنَبِيِّنا مُحَمَّدٍ ﷺ، وهيَ أعظَمُ الشَّفاعاتِ، وهيَ المَقامُ المَحمودُ الذي ذَكَرَ اللهُ عزَّ وجَلَّ له ووَعَدَه إيَّاه:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: { أُتِيَ رَسولُ الله ﷺ يَوْمًا بلَحْمٍ، فَرُفِعَ إلَيْهِ الذِّراعُ، وكانَتْ تُعْجِبُهُ فَنَهَسَ مِنْها نَهْسَةً فقالَ: أنا سَيِّدُ النَّاسِ يومَ القِيامَةِ، وهلْ تَدْرُونَ بمَ ذاكَ؟ يَجْمَعُ اللَّهُ يَومَ القِيامَةِ الأوَّلِينَ والآخِرِينَ في صَعِيدٍ واحِدٍ، فيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي، ويَنْفُذُهُمُ البَصَرُ، وتَدْنُو الشَّمْسُ فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الغَمِّ والْكَرْبِ ما لا يُطِيقُونَ، وما لا يَحْتَمِلُونَ، فيَقولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: ألا تَرَوْنَ ما أنتُمْ فِيهِ؟ ألا تَرَوْنَ ما قدْ بَلَغَكُمْ؟ ألا تَنْظُرُونَ مَن يَشْفَعُ لَكُمْ إلى رَبِّكُمْ؟ فيَقولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: ائْتُوا آدَمَ، فَيَأْتُونَ آدَمَ، فيَقولونَ: يا آدَمُ، أنْتَ أبو البَشَرِ، خَلَقَكَ اللَّهُ بيَدِهِ، ونَفَخَ فِيكَ مِن رُوحِهِ، وأَمَرَ المَلائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، اشْفَعْ لنا إلى رَبِّكَ، ألا تَرَى إلى ما نَحْنُ فِيهِ؟ ألا تَرَى إلى ما قدْ بَلَغَنا؟ فيَقولُ آدَمُ: إنَّ رَبِّي غَضِبَ اليومَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، ولَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وإنَّه نَهانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إلى غيرِي، اذْهَبُوا إلى نُوحٍ، فَيَأْتُونَ نُوحًا، فيَقولونَ: يا نُوحُ، أنْتَ أوَّلُ الرُّسُلِ إلى الأرْضِ، وسَمَّاكَ اللَّهُ عَبْدًا شَكُورًا، اشْفَعْ لنا إلى رَبِّكَ، ألا تَرَى ما نَحْنُ فِيهِ؟ ألا تَرَى ما قدْ بَلَغَنا؟ فيَقولُ لهمْ: إنَّ رَبِّي قدْ غَضِبَ اليومَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، ولَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وإنَّه قدْ كانَتْ لي دَعْوَةٌ دَعَوْتُ بها علَى قَوْمِي، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إلى إبْراهِيمَ ﷺ، فَيَأْتُونَ إبْراهِيمَ، فيَقولونَ: أنْتَ نَبِيُّ اللهِ وخَلِيلُهُ مِن أهْلِ الأرْضِ، اشْفَعْ لنا إلى رَبِّكَ، ألا تَرَى إلى ما نَحْنُ فِيهِ؟ ألا تَرَى إلى ما قدْ بَلَغَنا؟ فيَقولُ لهمْ إبْراهِيمُ: إنَّ رَبِّي قدْ غَضِبَ اليومَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، ولا يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وذَكَرَ كَذَباتِهِ، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إلى غيرِي، اذْهَبُوا إلى مُوسَى، فَيَأْتُونَ مُوسَى ﷺ، فيَقولونَ: يا مُوسَى، أنْتَ رَسولُ اللهِ فَضَّلَكَ اللَّهُ برِسالاتِهِ، وبِتَكْلِيمِهِ علَى النَّاسِ، اشْفَعْ لنا إلى رَبِّكَ، ألا تَرَى إلى ما نَحْنُ فِيهِ؟ ألا تَرَى ما قدْ بَلَغَنا؟ فيَقولُ لهمْ مُوسَى ﷺ: إنَّ رَبِّي قدْ غَضِبَ اليومَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، ولَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وإنِّي قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أُومَرْ بقَتْلِها، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إلى عِيسَى ﷺ، فَيَأْتُونَ عِيسَى، فيَقولونَ: يا عِيسَى أنْتَ رَسولُ اللهِ، وكَلَّمْتَ النَّاسَ في المَهْدِ، وكَلِمَةٌ منه ألْقاها إلى مَرْيَمَ، ورُوحٌ منه، فاشْفَعْ لنا إلى رَبِّكَ، ألا تَرَى ما نَحْنُ فِيهِ؟ ألا تَرَى ما قدْ بَلَغَنا؟ فيَقولُ لهمْ عِيسَى ﷺ: إنَّ رَبِّي قدْ غَضِبَ اليومَ غَضَبًا

لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، ولَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، ولَمْ يَذْكُرْ له ذَنْبًا، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إلى غيرِي، اذْهَبُوا إلى مُحَمَّدٍ، فَيَأْتُونِّي فيَقولونَ: يا مُحَمَّدُ، أنْتَ رَسولُ اللهِ، وخاتَمُ الأنْبِياءِ، وغَفَرَ اللَّهُ لكَ ما تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ، وما تَأَخَّرَ، اشْفَعْ لنا إلى رَبِّكَ، ألا تَرَى ما نَحْنُ فِيهِ؟ ألا تَرَى ما قدْ بَلَغَنا؟ فأنْطَلِقُ، فَآتي تَحْتَ العَرْشِ، فأقَعُ ساجِدًا لِرَبِّي، ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ ويُلْهِمُنِي مِن مَحامِدِهِ، وحُسْنِ الثَّناءِ عليه شيئًا لَمْ يَفْتَحْهُ لأَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يُقالُ: يا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَهْ، اشْفَعْ تُشَفَّعْ، فأرْفَعُ رَأْسِي، فأقولُ: يا رَبِّ، أُمَّتي أُمَّتِي، فيُقالُ: يا مُحَمَّدُ، أدْخِلِ الجَنَّةَ مِن أُمَّتِكَ مَن لا حِسابَ عليه مِنَ البابِ الأيْمَنِ مِن أبْوابِ الجَنَّةِ، وهُمْ شُرَكاءُ النَّاسِ فِيما سِوَى ذلكَ مِنَ الأبْوابِ، والذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بيَدِهِ، إنَّ ما بيْنَ المِصْراعَيْنِ مِن مَصارِيعِ الجَنَّةِ لَكَما بيْنَ مَكَّةَ وهَجَرٍ، أوْ كما بيْنَ مَكَّةَ وبُصْرَى}[1].

– من شَفاعاتِ النبي محمَّدٍ ﷺ: الشَّفاعةُ في استِفتاحِ بابِ الجَنَّةِ:

عن أنسِ بنِ مالِكٍ رَضِيَ الله عنه قال: قال رَسولُ اللهِ ﷺ: {أنا أوَّلُ النَّاسِ يَشفَعُ في الجَنَّةِ، وأنا أكثَرُ الأنبياءِ تَبَعًا}[2].

وعنه أيضا مالِكٍ رَضِيَ الله عنه قال: قال رَسولُ اللهِ ﷺ: {أنا أكثَرُ الأنبياءِ تَبَعًا يَومَ القيامةِ، وأنا أوَّلُ مَن يَقرَعُ بابَ الجَنَّةِ}[3].

وعنه كذلك رَضِيَ الله عنه قال: قال رَسولُ اللهِ ﷺ: {آتي بابَ الجَنَّةِ يَومَ القيامةِ فأستَفتِحُ، فيَقولُ الخازِنُ، من أنتَ؟ فأقولُ: مُحَمَّدٌ، فيَقولُ: بك أُمِرْتُ لا أفتَحُ لأحَدٍ قَبلَك}[4].

– شفاعة النبي ﷺ في أهل الكبائر من أمته ممن دخل النار:

عن أنسٍ رَضِيَ الله عنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: {يُحبَسُ المُؤمِنونَ يَومَ القيامةِ حَتَّى يُهَمُّوا بذلك، ... إلى أن قال: فيَأتون عيسى فيَقولُ: لَستُ هُناكم، ولَكِنِ ائتُوا مُحَمَّدًا ﷺ عَبدًا غَفرَ اللهُ له ما تَقَدَّمَ من ذَنبِه وما تَأخَّرَ، فيَأتوني فأستَأذِنُ على رَبي في دارِه، فيُؤذَنُ لي، فإذا رَأيتُه وقَعتُ ساجِدًا، فيَدَعُني ما شاءَ اللهُ تعالى أن يَدَعَني، فيَقولُ: ارفَعْ مُحَمَّدُ، وقُلْ يُسمَعْ، واشفَعْ تُشفَّعْ،

---

[1] أخرجه مسلم 194.

[2] أخرجه مسلم (196).

[3] أخرجه مسلم (196).

[4] أخرجه مسلم (197).

وسَلْ تُعْطَ. قال: فأرفَعُ رَأسي فأُثني على رَبِّي بثناءٍ وتَحميدٍ يُعَلِّمُنيه، ثُمَّ أشفَعُ فيُحِدُّ لي حَدًّا فأخرُجُ فأُدخِلُهمُ الجَنَّةَ، قال قتادةُ: وقد سَمِعتُه يَقولُ فأخرُجُ فأُخرِجُهم من النَّارِ وأُدخِلُهمُ الجَنَّةَ، ثُمَّ أعودُ الثَّانيةَ فأستَأذِنُ على رَبي في دارِه فيُؤذَنُ لي عليه، فإذا رَأيتُه وقَعتُ له ساجِدًا، فيَدَعُني ما شاءَ اللهُ أن يَدَعَني، ثُمَّ يَقولُ: ارفَعْ مُحَمَّدُ، وقُلْ يُسمَعْ، واشفَعْ تُشفَّعْ، وسَلْ تُعْطَ. قال: فأرفَعُ رَأسي فأُثني على رَبِّي بثناءٍ وتَحميدٍ يُعَلِّمُنيه، ثُمَّ أشفَعُ فيُحِدُّ لي حَدًّا فأخرُجُ فأُدخِلُهمُ الجَنَّةَ، قال قتادةُ: وقد سَمِعتُه يَقولُ فأخرُجُ فأُخرِجُهم من النَّارِ وأُدخِلُهمُ الجَنَّةَ، ثُمَّ أعودَ الثَّالثةَ فأستَأذِنُ على رَبي في دارِه فيُؤذِنُ لي عليه، فإذا رَأيتُه وقَعْتُ ساجِدًا فيَدَعُني ما شاءَ اللهُ أن يَدَعَني، ثُمَّ يَقولُ: ارفَعْ مُحَمَّدُ، وقُلْ يُسمَعْ، واشفَعْ تُشفَّعْ، وسَلْ تُعْطَ. قال: فأرفَعُ رَأسي فأُثني على رَبِّي بثناءٍ وتَحميدٍ يُعَلِّمُنيه، ثُمَّ أشفَعُ فيُحِدُّ لي حَدًّا فأخرُجُ فأُدخِلُهمُ الجَنَّةَ قال قتادةُ: وقد سَمِعتُه يَقولُ فأخرُجُ فأُخرِجُهم من النَّارِ وأُدخِلُهمُ الجَنَّةَ حَتَّى ما يَبقى في النَّارِ إلَّا من حَبسَه القُرآنُ، أي: وجَب عليه الخُلودُ، قال: ثُمَّ تَلا هذه الآيةَ: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء: 79] قال: وهذا المَقامُ المَحمودُ الذي وُعِدَه نَبيُّكم ﷺ[1].

وعن أنسِ بنِ مالِكٍ رضيَ اللهُ عنه عن النَّبيِّ ﷺ قال: {يَخرُجُ قَومٌ من النَّارِ بَعدَ ما مَسَّهم منها سَفعٌ، فيَدخُلونَ الجَنَّةَ، فيُسَمِّيهم أهلُ الجَنةِ الجَهَنَّمِيِّينَ}[2].

قال ابن الأثير: {ليصيبَنَّ أقوامًا سَفعٌ من النار} أي: علامةٌ تغير ألوانهم، يقال: سفعتُ الشَّيءَ: إذا جعَلْتَ عليه علامةً، يريد أثرًا من النَّارِ[3].

– شفاعة النبي ﷺ لمن سكن المدينة ومات فيها:

عن أبي سَعيدٍ مولى المَهريِّ أنَّه جاءَ أبا سَعيدٍ الخُدْريَّ ليالِيَ الحَرَّةِ فاستَشارَه في الجَلاءِ عن المَدينةِ، وشَكا إليه أسعارَها وكَثرةَ عيالِه، وأخبَرَه ألَّا صَبْرَ له على جَهدِ المَدينةِ ولَأْوائِها. فقال له: ويحَكَ لا آمُرُك بذلك: إنِّي سَمِعتُ رَسولَ اللهِ ﷺ يَقولُ: {لا يَصبِرُ أحَدٌ على لَأْوائِها فيَموتُ إلَّا كُنتُ له شَفيعًا أو شَهيدًا يَومَ القيامةِ إذا كان مُسلِمًا}[4].

---

[1] أخرجه البخاري (7440) واللَّفظُ له، ومسلم (193).
[2] أخرجه البخاري (6559).
[3] ((النهاية)) (2/ 374).
[4] أخرجه مسلم (1374).

ثانيا: شفاعة بقية الأنبياء:

وعن أبي بَكْرةَ رَضِيَ الله عنه، عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: {يَحمِلُ النَّاسُ على الصِّراطِ يَومَ القيامةِ، فتُقادِعُ بهم جَنبَتا الصِّراطِ تَقادُعَ الفَراشِ في النَّارِ، قال: فيُنجِّي اللهُ برَحمَتِه من يَشاءَ، قال: ثُمَّ يُؤذَنُ للمَلائِكةِ والنَّبِيِّينِ والشُّهداءِ أن يَشفَعوا، فيَشفَعونَ ويُخرِجونَ، ويَشفَعونَ ويُخرِجونَ، ويَشفَعونَ ويُخرِجونَ، وزادَ عَفَّانُ مَرَّةً، فقال أيضًا: ويَشفَعونَ ويُخرِجونَ مَن كان في قَلبِه ما يَزِنُ ذَرَّةً من إيمانٍ}[1].

ثالثا: شفاعة الملائكة:

عن صالِحِ بن أبي طَرِيفٍ قال: قُلتُ لأبي سَعيدٍ الخُدْريِّ: {أسمِعتَ رَسولَ الله ﷺ يَقولُ في هذه الآيةِ: ﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ [الحجر: 2] فقال: نَعَم، سَمِعتُه يَقولُ: يُخرِجُ اللهُ أناسًا من النَّارِ بَعدَما يَأخُذُ نِقمَتَه منهم، قال: لَمَّا أدخَلَهمُ اللهُ النَّارَ مَعَ المُشرِكينَ قال المُشرِكونَ: أليسَ كُنتُم تَزعُمونَ في الدُّنيا أنَّكم أولياءُ، فما لَكم مَعنا في النَّارِ؟! فإذا سَمِعَ اللهُ ذلك منهم أَذِنَ في الشَّفاعةِ، فيَتَشَفَّعُ لهمُ المَلائِكةُ والنَّبيونُ حَتَّى يَخرُجوا بإذْنِ اللهِ، فلَمَّا أُخرِجوا قالوا: يا لَيتَنا كُنَّا مِثلَهم فتُدرِكَنا الشَّفاعةُ فنَخرُجَ من النَّارِ! فذلك قَولُ اللهِ جَلَّ وعلا {رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ}، قال: فيُسَمَّونَ في الجَنَّةِ الجَهَنَّمِيِّينَ من أجلِ سَوَادٍ في وُجوهِهم، فيَقولونَ: رَبَّنا أذهِبْ عنَّا هذا الاِسمَ، قال: فيَأمُرُهم فيَغتَسِلونَ في نَهرِ الجَنَّةِ فيَذهَبُ ذلك منهم}[2].

---

[1] أخرجه أحمد (20440) واللَّفظُ له، والبزار (3671)، والطبراني في ((المعجم الصغير)) (929). حسن إسناده الألباني في تخريج ((كتاب السنة)) (837)، وشعيب الأرناؤوط في تخريج ((مسند أحمد)) (20440)، ووثق رواته البوصيري في ((إتحاف الخيرة المهرة)) (166/8)، وقال الهيثمي في ((مجمع الزوائد)) (362/10): رجاله رجال الصحيح.

[2] أخرجه ابن حبان (7432) واللَّفظُ له، وقوام السنة في ((الحجة في بيان المحجة)) (493). صحَّحه ابن حبان، وشعيب الأرناؤوط في تخريج ((صحيح ابن حبان)) (7432).

رابعا: شفاعة الشهداء:

عن نمرانَ بنِ عُتبةَ الذماريِّ قال: {دَخَلْنا على أمِّ الدَّرداءِ ونَحنُ أيتامٌ، فقالت: أبشِروا، فإنِّي سَمِعتُ أبا الدَّرداءِ يَقولُ: قال رَسولُ اللهِ ﷺ: يَشفَعُ الشَّهيدُ في سَبعينَ من أهلِ بَيتِه}[1].

خامسا: شفاعة الولدان:

عن أبي هُريرةَ رَضِيَ الله عنه أنَّ رَسولَ الله ﷺ قال لِنسوةٍ من الأنصارِ: {لا يَموتُ لإحداكُنَّ ثَلاثةٌ من الوَلَدِ فتَحتَسِبُه إلَّا دَخَلَتِ الجَنَّةَ، فقالتِ امرَأةٌ منهنَّ: أوِ اثنينَ يا رَسولَ اللهِ؟ قال: أوِ اثنينِ}[2].

سادسا: شفاعة المؤمنين لبعضهم:

عن أبي سَعيدٍ الخُدْريِّ رَضِيَ الله عنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: {... فما أنتم بأشَدَّ لي مُناشَدةً في الحَقِّ قد تَبَيَّنَ لَكم من المُؤمِنِ يَومَئِذٍ للجَبَّارِ، وإذا رَأوا أنَّهم قد نَجَوا في إخوانِهم، يَقولونَ: رَبَّنا إخوانُنا كانوا يُصَلُّونَ مَعنا، ويَصومونَ مَعنا، ويَعمَلونَ مَعنا، فيَقولُ الله تعالى: اذهَبوا فمَن وجَدتُم في قَلبِه مِثقالَ دينارٍ من إيمانٍ فأخرِجوه، ويُحرِّمُ اللهُ صُوَرَهم على النَّارِ، فيَأتونَهم وبَعضُهم قد غابَ في النَّارِ إلى قَدَمِه، وإلى أنصافِ ساقَيه، فيُخرِجونَ من عَرَفوا، ثُمَّ يَعودونَ، فيَقولُ: اذهَبوا فمَن وجَدتُم في قَلبِه مِثقالَ نِصفِ دينارٍ فأخرِجوه، فيُخرِجونَ من عَرَفوا، ثُمَّ يَعودونَ، فيَقولُ: اذهَبوا فمَن وجَدتُم في قَلبِه مِثقالَ ذَرَّةٍ من إيمانٍ فأخرِجوه، فيُخرِجونَ من عَرَفوا. قال أبو سَعيدٍ: فإن لَم تُصدِّقوني فاقرَؤوا: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا}، فيَشفَعُ النَّبيونُ، والمَلائِكةُ، والمُؤمِنونَ، فيَقولُ الجَبَّارُ: بَقِيَت شفاعتي}[3].

---

[1] أخرجه من طرق أبو داود (2522) واللَّفظُ له، والبزار (4085)، وابن حبان (4660). صحَّحه ابن حبان، وابن باز في ((فتاوى نور على الدرب)) (338/4)، والألباني في ((صحيح سنن أبي داود)) (2522)، وصحَّحه لغيره شعيب الأرناؤوط في تخريج ((سنن أبي داود)) (2522).

[2] أخرجه مسلم (2632).

[3] أخرجه مطولًا البخاري (7439) واللَّفظُ له، ومسلم (183) باختلافٍ يسيرٍ.

سابعا: شفاعة القرآن لأصحابه:

عن أبي أُمامةَ رَضِيَ الله عنه قال: سَمِعتُ رَسولَ الله ﷺ يَقولُ: {اقرَءوا القُرآنَ؛ فإنَّه يَأتي يَومَ القيامةِ شَفيعًا لأصحابِه}[1].

ثامن: شفاعة الله تبارك وتعالى:

عنّ أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ: {...يقولُ اللَّهُ عزَّ وجلَّ: شَفَعَتِ المَلائِكَةُ، وشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وشَفَعَ المُؤْمِنُونَ، ولَمْ يَبْقَ إلَّا أرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ، فيُخْرِجُ مِنْها قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ قدْ عادُوا حُمَمًا، فيُلْقِيهِمْ في نَهَرٍ في أفْواهِ الجَنَّةِ يُقالُ له: نَهَرُ الحَياةِ، فَيَخْرُجُونَ كما تَخْرُجُ الحِبَّةُ في حَمِيلِ السَّيْلِ، ألا تَرَوْنَها تَكُونُ إلى الحَجَرِ، أوْ إلى الشَّجَرِ، ما يَكونُ إلى الشَّمْسِ أُصَيْفِرُ وأُخَيْضِرُ، وما يَكونُ مِنْها إلى الظِّلِّ يَكونُ أبْيَضَ؟ فقالوا: يا رَسولَ اللهِ، كَأنَّكَ كُنْتَ تَرْعَى بالبادِيَةِ، قالَ: فَيَخْرُجُونَ كاللُّؤْلُؤِ في رِقابِهِمُ الخَواتِمُ، يَعْرِفُهُمْ أهْلُ الجَنَّةِ هَؤُلاءِ عُتَقاءُ اللهِ الَّذِينَ أدْخَلَهُمُ اللَّهُ الجَنَّةَ بغيرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ، ولا خَيْرٍ قَدَّمُوهُ، ثُمَّ يقولُ: ادْخُلُوا الجَنَّةَ فَما رَأَيْتُمُوهُ فَهو لَكُمْ، فَيَقولونَ: رَبَّنا، أعْطَيْتَنا ما لَمْ تُعْطِ أحَدًا مِنَ العالَمِينَ، فيَقولُ: لَكُمْ عِندِي أفْضَلُ مِن هذا، فيَقولونَ: يا رَبَّنا، أيُّ شيءٍ أفْضَلُ مِن هذا؟ فيَقولُ: رِضايَ، فلا أسْخَطُ علَيْكُم بَعْدَهُ أبَدًا}[2].



[1] أخرجه مسلم (804) مطولًا من حديثِ أبي أمامة الباهلي رَضِيَ اللهُ عنه.

[2] أخرجه مسلم مطوّلا 183

﴿الفرع الثاني﴾

﴿الشفاعة المنفية﴾

الشَّفاعةُ المنفيَّةُ لها عِدَّةُ أنواعٍ، هيَ:

1 – الشَّفاعةُ التي تُطلَبُ من غيرِ اللهِ فيما لا يَقدِرُ عليه إلَّا اللهُ.

2 – الشَّفاعةُ للكُفَّارِ.

3 – الشَّفاعةُ بدونِ إذْنِ رَبِّ السَّموَاتِ والأرضِ.

قال ابنُ تَيميَّةَ: الشَّفاعةُ المَنفيَّةُ في القُرآنِ، كقَولِه تعالى: ﴿واتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾[البقرة: 48]، **وقَولِه تعالى:** ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ﴾[البقرة: 123]، **وقَولِه:** ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ﴾[البقرة: 254]. . . **وأمثالِ ذلك**[1].

وقال أيضًا عن المُشرِكينَ: كانوا مُعترِفينَ بأنَّ آلِهَتَهم لَم تُشارِكِ اللهَ في خَلقِ السَّموَاتِ والأرضِ ولا خَلقِ شَيءٍ، بَل كانوا يَتَّخِذونَهم شُفَعاءَ ووَسائِطَ، كما قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾[يونس: 18]، **وقال عن صاحِبِ يَس:** ﴿وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ﴾ **[يس: 22 – 23]، وقال تعالى:** ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ **[الأنعام: 51]، وقال تعالى:** ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾[السجدة: 4] ... ، **فنَفى عَمَّا سِواه كُلَّ ما يَتَعَلَّقُ به المُشرِكونَ، فنَفى أن يَكونَ لغَيرِه مُلْكٌ أو قِسْطٌ مِنَ الْمُلكِ، أو يَكونَ عونًا للهِ، ولَم يَبقَ إلَّا الشَّفاعةُ؛ فبيَّنَ أنَّها لا تَنفَعُ إلَّا**

---

[1] يُنظر: ((مجموع الفتاوى)) (**1/ 116**).

لِمَن أذِنَ له الرَّبُّ، كما قال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾[آية الكرسي]، وقال تعالى عن المَلائِكةِ: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى، وقال: وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾[النجم: 26]، فهذه الشَّفاعةُ التي يَظُنُّها المُشرِكونَ هيَ مُنتَفيةٌ يَومَ القيامةِ، كما نَفاها القُرآنُ[1].

وقال ابنُ القَيِّمِ: الذي في قُلوبِ هؤلاء المُشرِكينَ وسَلَفِهم أنَّ آلِهَتَهم تَشفَعُ لهم عِندَ اللهِ، وهذا عَينُ الشِّركِ، وقد أنكَرَ اللهُ عليهم ذلك في كِتابِه وأبطَلَه، وأخبَرَ أنَّ الشَّفاعةَ كُلَّها له، وأنَّه لا يَشفَعُ عِندَه أحَدٌ إلَّا لِمَن أذِنَ اللهُ أن يَشفَعَ فيه، ورَضِيَ قَولَه وعَمَلَه، وهم أهلُ التَّوحيدِ الذينَ لَم يَتَّخِذوا من دونِ اللهِ شُفَعاءَ، فإنَّه سُبحانَه يَأذَنُ لِمَن شاءَ في الشَّفاعةِ لهم؛ حَيثُ لَم يَتَّخِذْهم شُفَعاءَ مِن دُونِه، فيَكونُ أسعَدَ النَّاسِ بشفاعةِ مَن يَأذَنُ اللهُ له صاحِبُ التَّوحيدِ الذي لَم يَتَّخِذ شَفيعًا من دونِ الله رَبِّه ومَولاه.

والشَّفاعةُ التي أثبَتَها اللهُ ورَسولُه ﷺ هيَ الشَّفاعةُ الصَّادِرةُ عن إذْنِه لِمَن وحَّدَه، والتي نَفاها اللهُ هيَ الشَّفاعةُ الشِّرْكيَّةُ التي في قُلوبِ المُشرِكينَ المُتَّخِذينَ من دونِ اللهِ شُفَعاءَ، فيُعامَلونَ بنَقيضِ قَصدِهم من شُفَعائِهم، ويَفوزُ بها المُوَحِّدونَ.

وتَأمَّلْ قول النبي ﷺ لأبي هُريرةَ –وقد سَألَه: من أسعَدُ النَّاسِ بشَفاعتِك يا رَسولَ اللهِ؟– قال: {أسعَدُ النَّاسِ بشفاعتي من قال: لا إلَهَ إلَّا اللهُ خالِصًا من قَلبِه}[2]، كيفَ جَعَلَ أعظَمَ الأسبابِ التي تُنالُ بها شفاعتُه تَجريدَ التَّوحيدِ، عَكسَ ما عِندَ المُشرِكينَ أنَّ الشَّفاعةَ تُنالُ باتِّخاذِهم أولياءَهم شُفعاءَ، وعِبادَتِهم ومُوالاتِهم من دونِ اللهِ، فقَلبَ النَّبيُّ ﷺ ما في زَعمِهمُ الكاذِبِ، وأخبَرَ أنَّ سَبَبَ الشَّفاعةِ هو تَجريدُ التَّوحيدِ، فحينَئِذٍ يَأذَنُ اللهُ للشَّافِعِ أن يَشفَعَ.

ومِن جَهلِ المُشرِكِ اعتِقادُه أنَّ من اتَّخَذَه وَلِيًّا أو شَفيعًا أنَّه يَشفَعُ له، ويَنفَعُه عِندَ اللهِ، كما يَكونُ خَواصُّ المُلوكِ والوُلاةِ تَنفَعُ شفاعتُهم من والاهِم، ولَم يَعلَموا أنَّ اللهَ لا يَشفَعُ عِندَه أحَدٌ إلَّا بإذْنِه، ولا يَأذَنُ في الشَّفاعةِ إلَّا لِمَن رَضِيَ قَولَه وعَمَلَه، كما قال تعالى في الفَصلِ الأوَّلِ:

---

[1] يُنظر: ((مجموع الفتاوى)) (7/ 77).

[2] أخرجه البخاري (99) باختلافٍ يسيرٍ

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾[البقرة: 255]، **وفي الفَصلِ الثَّاني:** ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾[الأنبياء: 28] ، **وبَقِيَ فصلٌ ثالِثٌ، وهو أنَّه لا يَرضى من القَولِ والعَمَلِ إلَّا التَّوحيدَ، واتِّباعَ الرَّسولِ ﷺ، وعن هاتينِ الكَلِمَتينِ يَسألُ الأوَّلينَ والآخِرينَ، كما قال أبو العاليةِ: كلِمَتانِ يُسألُ عنهما الأولونُ والآخِرونَ: ماذا كُنتُم تَعْبُدونَ؟ وماذا أجبْتُمُ المُرسَلينَ؟ فهذه ثَلاثةُ أصولٍ، تَقطَعُ شَجَرةَ الشِّرْكِ من قَلبِ مَن وعاها وعَقِلَها: لا شفاعةَ إلَّا بإذْنِه، ولا يَأذَنُ إلَّا لِمَن رَضِيَ قَولَه وعَمَلَه، ولا يَرضى من القَولِ والعَمَلِ إلَّا تَوحيدَه، واتِّباعَ رَسولِه ﷺ**[1].

وقال أيضًا في الشَّفاعةِ: بهذا السِّرِّ (أي: الشفاعة) عُبِدَتِ الكَواكِبُ، واتُّخِذَت لها الهياكِلُ، وصُنِّفَت لها الدَّعَواتُ، واتُّخِذَتِ الأصنامُ المُجَسَّدةُ لها، وهذا بعينِه هو الذي أوجَب لعُبَّادِ القُبورِ اتِّخاذَها أعيادًا، وتَعليقَ السُّتورِ عليها، وإيقادَ السُّرُجِ عليها، وبِناءَ المَساجِدِ عليها، وهو الذي قَصَدَ رَسولُ اللهِ ﷺ إبطالَه ومَحْوَه بالكُلِّيَّةِ، وسَدَّ الذَّرائِعَ المُفْضيَةَ إليه، فوَقَفَ المُشرِكونَ في طَريقِه، وناقَضوه في قَصدِه، وكان صلَّى اللهُ عليه وسلَّم في شِقٍّ، وهؤلاء في شِقٍّ.

وهذا الذي ذَكَرَه هؤلاء المُشرِكونَ في زيارةِ القُبورِ هو الشَّفاعةُ التي ظَنُّوا أنَّ آلِهَتَهم تَنفَعُهم بها، وتَشفَعُ لهم عِندَ اللهِ.

قالوا: فإنَّ العَبدَ إذا تَعَلَّقَت رُوحُه برُوحِ الوَجيهِ المُقَرَّبِ عِندَ الله تعالى، وتوَجَّهَ بهِمَّتِه إليه، وعَكَفَ بقَلبِه عليه؛ صارَ بينَه وبينَه اتِّصالٌ يُفيضُ به عليه منه نَصيبٌ مِمَّا يَحصُلُ له من اللهِ تعالى، وشَبَّهوا ذلك بمَن يَخدُمُ ذا جاهٍ وحظوةٍ وقُربٍ من السُّلطانِ، فهو شَديدُ التَّعَلُّقِ به، فما يَحصُلُ لذلك من السُّلطانِ من الإنعامِ والإفضالِ، يَنالُ ذلك المُتَعَلِّقَ به بحَسَبِ تَعَلُّقِه به.

فهذا سِرُّ عِبادةِ الأصنامِ، وهو الذي بَعثَ اللهُ رُسُلَه وأنزلَ كُتُبَه بإبطالِه، وتَكفيرِ أصحابِه ولَعْنِهم، وأباحَ دِماءَهم وأموالَهم، وسَبْيَ ذَرارِيِّهم، وأوجَب لهمُ النَّارَ، والقُرآنُ من أوَّلِه إلى آخِرِه مَملوءٌ من الرَّدِّ على أهلِه، وإبطالِ مَذهَبِهم.

قال تعالى: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ * قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[الزمر: **43 – 44] فأخبَرُ أنَّ الشَّفاعةَ لِمَن له مُلكُ**

---

[1] يُنظر: ((مدارج السالكين)) (**1/ 349**).

السَّمَواتِ والأرضِ، وهو اللهُ وحدَه، فهو الذي يَشفَعُ بنَفسِه إلى نَفسِه ليَرحَمَ عَبدَه، فيَأذَنُ هو لِمَن يَشاءُ أن يَشفَعَ فيه، فصارَتِ الشَّفاعةُ في الحَقيقةِ إنَّما هيَ له، والذي يَشفَعُ عِندَه إنَّما يَشفَعُ بإذْنِه له وأمرِه، بَعدَ شفاعتِه سُبحانَه إلى نَفسِه، وهى إرادَتُه من نَفسِه أن يَرحَمَ عَبدَه.

وهذا ضِدُّ الشَّفاعةِ الشِّركيَّةِ التي أثبَتَها هؤلاء المُشرِكونَ ومن وافَقَهم، وهي التي أبطَلَها اللهُ سُبحانَه في كِتابِه، بقَولِه: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ﴾ [البقرة: 123]، وقَولُه: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ﴾ [البقرة: 254] ...

فأخبَرَ سُبحانَه أنَّه ليس للعِبادِ شَفيعٌ من دونِه، بَل إذا أرادَ اللهُ سُبحانَه رَحمةَ عَبدِه أَذِنَ هو لِمَن يَشفَعُ فيه، كما قال تعالى: ﴿مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ [يونس: 3] ، وقال: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: 255].

فالشَّفاعةُ بإذنِه ليست شفاعةً مِن دُونِه، ولا الشَّافِعُ شَفيعٌ مِن دُونِه، بَل شَفيعٌ بإذْنِه.

والفَرقُ بينَ الشَّفيعينِ كالفَرقِ بينَ الشَّريكِ والعَبدِ المَأمورِ.

فالشَّفاعةُ التي أبطَلَها شفاعةُ الشَّريكِ؛ فإنَّه لا شَريكَ له، والتي أثبَتَها شفاعةُ العَبدِ المَأمورِ الذي لا يَشفَعُ ولا يَتَقَدَّمُ بينَ يَدَيْ مالِكِه حَتَّى يَأذَنَ له، ويَقولَ: اشفَعْ في فُلانٍ؛ ولِهذا كان أسعَدَ النَّاسِ بشفاعةِ سَيِّدِ الشُّفَعاءِ يَومَ القيامةِ أهلُ التَّوحيدِ، الذينَ جَرَّدوا التَّوحيدَ وخَلَّصوه من تَعَلُّقاتِ الشِّرْكِ وشَوائِبِه، وهمُ الذينَ ارتَضى اللهُ سُبحانَه، قال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء: 28]، وقال: ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ [طه: 109].

فأخبَرَ أنَّه لا يَحصُلُ يَومَئِذٍ شفاعةٌ تَنفَعُ إلَّا بَعدَ رِضاه قَولَ المَشفوعِ له، وإذْنِه للشَّافِعِ.

فأمَّا المُشرِكُ فإنَّه لا يَرتَضيه، ولا يَرضى قَولَه، فلا يَأذَنُ للشُّفعاءِ أن يَشفَعوا فيه؛ فإنَّه سُبحانَه عَلَّقَها بأمرينِ: رِضاه عن المَشفوعِ له، وإذْنِه للشَّافِعِ، فما لَم يوجَدْ مَجموعُ الأمرينِ لَم توجَدِ الشَّفاعةُ.

وسِرُّ ذلك أنَّ الأمرَ كُلَّه للهِ وَحْدَه، فليس لأحَدٍ مَعَه من الأمرِ شَيءٌ، وأعلى الخَلقِ وأفضَلُهم وأكرَمُهم عِندَه همُ الرُّسُلُ والمَلائِكةُ المُقَرَّبونَ، وهم عَبيدٌ مَحضٌ، لا يَسبِقونَه بالقَولِ، ولا يَتَقَدَّمونَ بينَ يَدَيه، ولا يَفعَلونَ شَيئًا إلَّا بَعدَ إذْنِه لهم وأمرِهم، ولا سيَّما يَومَ لا تَملِكُ نَفسٌ لنَفسٍ شَيئًا، فهم مَملوكونُ مَربوبونَ، أفعالُهم مُقَيَّدةٌ بأمرِه وإذْنِه، فإذا أشرَك بهم المُشرِكُ، واتَّخَذهم شُفَعاءَ من دونِه، ظَنًّا منه أنَّه إذا فعَلَ ذلك تَقَدَّموا وشَفَعوا له عِندَ الله؛ فهو من أجهَلِ النَّاسِ بحَقِّ الرَّبِّ سُبحانَه، وما يَجِبُ له، ويَمتَنِعُ عليه[1].



[1] يُنظر: ((إغاثة اللهفان)) (1/ 394-396).

﴿المسألة السابعة﴾

﴿الإيمان بالصراط﴾

وفيه خمسة مطالب:

1 – معنى الصراط:

2– أدلة ثبوت الصراط:

3 – وصف الصراط:

4 – تمييز المؤمنين عن المنافقين يوم القيامة:

5 – كيفية المرور على الصراط:

6 – أول من يجيز الصراط:



﴿المطلب الأول﴾

﴿معنى الصراط﴾

الصِّراطُ لُغةً: الطَّريقُ، وهو بالصَّادِ لُغةُ قُرَيشٍ التي جاء بها الكِتابُ، وعامَّةُ العَرَبِ تجعلُه بالسِّينِ، وإنَّما قيل للطَّريقِ الواضِحِ: سِراطٌ؛ لأنَّه يَستَرِطُ المارَّةَ لكَثرةِ سُلوكِهم إيَّاه، وأصلُ (سرط) يدُلُّ على غَيبةٍ في مَرٍّ وذَهابٍ[1].

قال ابنُ حَزمٍ عن الصِّراطِ: هو طَريقٌ يُوضَعُ بينَ ظَهْرانَيْ جهنَّمَ فيَنجو من شاءَ اللهُ تعالى ويَهلِكُ من شاءَ[2].

وقال النَّوَويُّ: الصِّراطُ، وهو جِسرٌ مَنصوبٌ على ظَهرِ جَهَنَّمَ، عافانا اللهُ منها[3].

قال ابنُ تَيميَّةَ: الصِّراطُ مَنصوبٌ على مَتنِ جهنَّمَ. وهو الجِسرُ الذي بينَ الجَنةِ والنَّارِ، يَمُرُّ النَّاسُ عليه على قَدرِ أعمالِهم[4].

قال ابنُ أبي العِزِّ: هو جِسرٌ على جَهَنَّمَ، إذا انتَهى النَّاسُ بَعدَ مُفارَقَتِهم مَكانَ المَوقِفِ إلى الظُّلْمةِ التي دونَ الصِّراطِ... وفي هذا المَوضِعِ يَفتَرِقُ المُنافِقونَ عن المُؤمِنينَ، ويَتَخَلَّفونَ عنهم، ويَسبِقُهمُ المُؤمِنونَ، ويُحالُ بينَهم بسورٍ يَمنَعُهم من الوُصولِ إليهم[5].

قال السَّفارينيُّ: الصِّراطُ... في الشَّرعِ: جِسمٌ مَمدودٌ على مَتنِ جَهنَّمَ يَرِدُه الأوَّلونُ والآخِرونَ، فهو قَنطَرةُ جَهنَّمَ بينَ الجَنَّةِ والنَّارِ[6].



---

[1] يُنظر: ((تهذيب اللغة)) للأزهري (12/ 232)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (3/ 152) (3/ 349).

[2] يُنظر: ((المحلى)) (1/ 15).

[3] يُنظر: ((رياض الصالحين)) (ص: 285).

[4] يُنظر: ((العقيدة الواسطية)) (ص: 99).

[5] يُنظر: ((شرح الطحاوية)) (2/ 605).

[6] يُنظر: ((لوامع الأنوار البهية)) (2/ 189).

﴿المطلب الثاني﴾

﴿أدلة ثبوت الصراط﴾

يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَإِنْ مِنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا * ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾[مريم: 71 – 72].

قال ابنُ جَريرٍ: قال ابنُ زيدٍ في قَولِه: {وَإِنْ مِنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا}، وُرودُ المُسلِمينَ: المُرورُ على الجِسرِ بينَ ظَهرَيها، وورودُ المُشرِكينَ أن يَدخُلوها[1].

وقال النَّوويُّ: الصَّحيحُ أنَّ المُرادَ بالوُرودِ في الآيةِ المُرورُ على الصِّراطِ، وهو جِسرٌ مَنصوبٌ على جَهَنَّمَ، فيَقَعُ فيها أهلُها ويَنجو الآخَرونَ[2].

عن أم مبشر الأنصارية قالت: أنَّها سَمِعَت النَّبيَّ ﷺ يقولُ عندَ حَفْصةَ: {لا يَدْخُلُ النَّارَ – إنْ شاءَ اللَّهُ – مِن أصْحابِ الشَّجَرَةِ أحَدٌ، الَّذِينَ بايَعُوا تَحْتَها، قالَتْ: بَلَى يا رَسولَ اللهِ، فانْتَهَرَها، فقالَتْ حَفْصَةُ: {وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا، فقالَ النَّبيُّ ﷺ: قدْ قالَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ: {ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا}[3].

فأشارَ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم إلى أنَّ وُرودَ النَّارِ لا يَستَلزِمُ دُخولَها، بل هو المرور على الجسر.

فعن أبي سَعيدٍ الخُدْريِّ رَضِيَ اللهُ عنه قال: قال النَّبيُّ ﷺ: {يُؤتى بالجِسرِ فيُجعَلُ بينَ ظَهْرَي جَهَنَّمَ، قُلنا: يا رَسولَ اللهِ، وما الجِسرُ؟ قال: مَدحَضةٌ مَزِلَّةٌ[4]، عليه خَطاطيفُ وكَلاليبُ

---

[1] يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (15/ 597).

[2] يُنظر: ((شرح مسلم)) (16/ 58).

[3] أخرجه مسلم (2496).

[4] قال ابن بطال: (قوله: الجِسرُ مَدحَضةٌ مَزِلَّة. يقال: دَحضَت رجلُه دَحْضًا: زَلِقَت، والدَّحضُ: ما يكون عنه الزَّلَقُ، ودحضت الشمسُ عن كبد السماء: زالت، ودَحضَت حُجَّته: بطلَت، والمزِلَّة: موضِعُ الزَّلَل، فزلَّت القَدَمُ: سقَطَت). ((شرح صحيح البخاري)) (10/ 470).

وحَسَكةٌ[1] مُفَلطَحةٌ لها شَوكةٌ عُقَيفاءُ [2] تَكونُ بنَجْدٍ يُقالُ لها السَّعدانُ[3]، المُؤمِنُ عليها كالطَّرْفِ وكالبَرقِ وكالرِّيحِ وكَأجاويدِ الخَيلِ[4] والرِّكابِ؛ فناجٍ مَخدوشٌ، ومَكدوسٌ في نارِ جَهنَّمَ}[5].

قال أبو الحَسَنِ الأشعَريُّ: أجمَعوا على أنَّ الصِّراطَ جِسرٌ مَمدودٌ على جَهَنَّمَ، يَجوزُ عليه العِبادُ بقَدرِ أعمالِهم، وأنَّهم يَتَفاوَتونَ في السُّرعةِ والإبطاءِ على قَدرِ ذلك[6].



---

[1] قال ابن بطال: ((كلاليب) جمع كَلُّوب، وهو الذي يتناول به الحدَّادُ الحديدَ من النار، والخطاطيف جمع خُطَّاف، والخُطَّاف حديدة معوجَّة الطرف يجذب بها الأشياء... والحَسَك: معروف، وهو شيءٌ مُضَرَّس ذو شوكٍ يَنشِبُ به كلُّ ما مرَّ به). ((شرح صحيح البخاري)) (10/ 468).

قال العيني: (قوله: مُفلَطحةٌ:... أي: عريضة... قوله: عُقَيفاء:... هي المنعَطِفة المُعوَّجة). ((عمدة القاري)) (25/ 130[2]).

[3] قال أبو العباس القرطبي: (السعدان نبتٌ كثيرُ الشَّوكِ، شوكُه كالخطاطيف والمحاجِن). ((المفهم)) (420/1).

[4] قال ابن الأثيرِ: (هي جمعُ أجوادٍ، وأجوادٌ جَمعُ جوَادٍ). ((النهاية)) (312/1).

[5] أخرجه مطولًا البخاري (7439) واللَّفظُ له، ومسلم (183).

[6] يُنظر: ((رسالة إلى أهل الثغر)) (ص: 163).

﴿المطلب الثالث﴾

﴿وصف الصراط﴾

الصِّراطُ زَلِقٌ:

عن أبي سَعيدٍ الخُدْريِّ رَضِيَ اللهُ عنه، قُلنا: ما الجِسرُ يا رَسولَ اللهِ؟ قال: {مَدحَضةٌ مَزِلَّةٌ}[1].

قال ابنُ الأثيرِ: في صِفةِ الصِّراطِ {مَدحَضةٌ مَزِلَّةٌ} المَزلَّةُ: مَفعلةٌ مِن زَلَّ يَزِلُّ: إذا زَلِقَ، وتُفتَحُ الزَّاي وتُكسَرُ، أرادَ أنَّه تَزْلَقُ عليه الأقدامُ ولا تَثبُتُ[2].

له جَنبَتانِ أو حافَتانِ وفيهما كَلاليبُ:

عن أبي هُريرةَ وحُذَيفةَ رَضِيَ اللهُ عنهما أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: {وفي حافَتيِ الصِّراطِ كَلاليبُ مُعَلَّقةٌ مَأمورةٌ بأخذِ مَن أُمِرَت به}[3].

وعن أبي سَعيدٍ الخُدْريِّ رَضِيَ اللهُ عنه: قُلْنا: يا رَسولَ اللهِ، وما الجِسرُ؟ قال: {مَدحَضةٌ مَزِلَّةٌ، عليه خَطاطيفُ، وكَلاليبُ، وحَسَكةٌ مُفَلطَحةٌ لها شَوكةٌ عُقَيفاءُ تَكونُ بنَجْدٍ يُقالُ لها السَّعدانُ}[4].

قال ابنُ بطَّالٍ: قَولُه: {في جَهَنَّمَ كَلاليبُ} جَمعُ كَلُّوبٍ، وهو الذي يَتَناوَلُ به الحَدَّادُ الحَديدَ من النَّارِ، والخَطاطيفُ جَمعَ خُطَّافٍ، والخُطَّافُ حَديدةٌ مُعْوَجَّةُ الطَّرَفِ يُجذَبُ بها الأشياءُ... والحَسَكُ: مَعروفٌ، وهو شَيءٌ مُضَرَّسٌ ذو شَوكٍ يَنشِبُ به كُلُّ ما مَرَّ به[5].

قال العَينيُّ: قَولُه: {حَسَكةٌ} بفَتَحاتٍ، وهيَ شَوكةٌ صُلبةٌ مَعروفةٌ، قاله ابنُ الأثيرِ[6]، وقال صاحِبُ التهذيبِ[7] وغيرِه: الحَسَكُ: نَباتٌ له ثَمَرٌ خَشِنٌ يَتَعَلَّقُ بأصوافِ الغَنَمِ، ورَبَّما اتُّخِذَ مِثلُه

---

[1] أخرجه مطولًا البخاري (7439) واللَّفظُ له، ومسلم (183) باختلافٍ يسيرٍ.

[2] يُنظر: ((النهاية)) (2/ 310).

[3] أخرجه مسلم (195) مطولًا.

[4] أخرجه مطولًا البخاري (7439) واللَّفظُ له، ومسلم (183).

[5] يُنظر: ((شرح صحيح البخاري)) (10/ 468).

[6] يُنظر: ((النهاية)) (1/ 386).

[7] يُنظر: ((تهذيب اللغة)) للأزهري (4/ 57).

مِثلُه من حَديدٍ، وهو من آلاتِ الحَربِ... قَولُه: مُفَلطَحةٌ:... أي عَريضةٌ... قَولُه: عُقَيفاءُ:... هيَ المُنعَطِفةُ المُعْوَجَّةُ[1].

قال أبو العباس القرطبي: السعدان نبتٌ كثيرُ الشَّوكِ، شوكُه كالخطاطيف والمحاجِن[2].

الصِّراطُ مِثلُ حَدِّ المُوسى أو حَدِّ السَّيفِ وأدَقَّ مِنَ الشَّعرة:

عن ابنِ مَسعودٍ رَضِيَ اللهُ عنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: {والصِّراطُ كحَدِّ السَّيفِ، دَحْضٌ مَزِلَّةٌ}[3].



[1] يُنظر: ((عمدة القاري)) (25/ 129).

[2] ((المفهم)) (420/1).

[3] أخرجه من طرق مطولًا الطبراني (417/9) (9763)، والحاكم (8751) واللَّفظُ له، والدارقطني في ((رؤية الله)) (160). صحَّحه الحاكم، والألباني في ((صحيح الترغيب)) (3591)، وحسَّنه الذهبي في ((العرش)) (76)، وابن القيم في ((حادي الأرواح)) (262)، ووثق رجاله شعيب الأرناؤوط في تخريج ((العواصم والقواصم)) (143/5)، وذكر ابن خزيمة في ((التوحيد)) (2/ 583) أن إسناده متصلاً، وذكر المنذري في ((الترغيب والترهيب)) (296/4) أنه روي من طرقٍ أحدها صحيح، وقال الهيثمي في ((مجمع الزوائد)) (343/10): إنه روي من طرق ورجال أحدها رجال الصحيح غير أبي خالد الدالاني وهو ثقة. وأخرجه محمد بن نصر المروزي في ((تعظيم قدر الصلاة)) (278)، والطبراني (230/9) (8992)، والدارقطني في ((رؤية الله)) (162) موقوفا مطولاً صححه لغيره الألباني في ((صحيح الترغيب)) (3627)، وحسن إسناده المنذري في ((الترغيب والترهيب)) (316/4)، وجوده ابن تيمية في ((مجموع الفتاوى)) (493/6)، وقال الهيثمي في ((مجمع الزوائد)) (362/10): رجاله رجال الصحيح غير عاصم وقد وثق.

﴿المطلب الرابع﴾

﴿تمييز المؤمنين عن المنافقين يوم القيامة﴾

قال ابنُ رَجَبٍ: اعلَمْ أنَّ النَّاسَ مُنقَسِمونَ إلى مُؤمِنٍ يَعبُدُ اللهَ وحدَه ولا شَريكَ به شَيئًا، ومُشرِكٌ يَعبُدُ مَعَ اللهِ غيرَه، فأمَّا المُشرِكونَ فإنَّهم لا يَمرُّونَ على الصِّراطِ إنَّما يَقَعونَ في النَّارِ قَبلَ وضع الصِّراطِ[1].

فكُلُّ فِرقةٍ من الكُفَّارِ والمُشركينَ تَتبَعُ ما كانت تَعبُدُ في الدُّنيا، فتَرِدُ النَّارَ مَعَ مَعبودِها، ولا يَبقى بَعدَ ذلك إلَّا من كان يَعبُدُ اللهَ وحدَه في الظَّاهِرِ سَواءٌ كان صادِقًا أو مُنافِقًا من هذه الأمَّةِ وغَيرِها، ثُمَّ يَتَمَيَّزُ المُنافِقونَ عن المُؤمِنينَ بامتِناعِهم عن السُّجودِ (حتى يكشف عن ساق)، وكَذلك يَمتازونَ عنهم بالنُّورِ الذي يُقسَمُ للمُؤمِنينَ[2].

قال اللهُ تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ * يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ * فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [الحديد: 12-15].

قال السَّعديُّ: يَقولُ تعالى - مُبَيِّنًا لفَضلِ الإيمانِ واغتِباطِ أهلِه به يَومَ القيامةِ -: {يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ} أي: إذا كان يَومُ القيامةِ... وصارَ النَّاسُ في الظُّلْمةِ، ونُصِبَ الصِّراطُ على مَتنِ جهنَّمَ، فحينَئِذٍ تَرى المُؤمِنينَ والمُؤمِناتِ يَسعى نُورُهم بينَ أيديهم وبِأيمانِهم، فيَمشُونَ بأيمانِهم ونُورِهم في ذلك المَوقِفِ الهائِلِ الصَّعبِ، كُلٌّ على قَدْرِ إيمانِه، ويُبَشَّرونَ عِندَ ذلك بأعظَمِ بشارةٍ، فيُقالُ: {بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ

[1] يُنظر: ((التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار)) (ص: 235).

[2] يُنظر: ((القيامة الكبرى)) لعمر الأشقر (ص: 275). ويُنظر: ((التخويف من النار)) لابن رجب (ص: 236-239).

تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} فإذا رَأى المُنافِقونَ نُورَ المُؤمِنينِ يَمشونَ به وهم قد طُفِئَ نُورُهم وبَقُوا في الظُّلُماتِ حائِرينَ، قالوا للمُؤمِنينَ: {انْظُرُونا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ} أي: أمهِلونا لنَنالَ من نورِكم ما نَمشي به، لنَنجوَ من العَذابِ، ف {قِيلَ} لهم: {ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا} أي: إن كان ذلك مُمكِنًا، والحالُ أنَّ ذلك غَيرُ مُمكِنٍ، بَل هو من المُحالاتِ، {فَضُرِبَ} بينَ المُؤمِنينَ والمُنافِقينَ {بِسُورٍ} أي: حائِطٍ مَنيعٍ، وحِصنٍ حَصِينٍ، {لَهُ بَابٌ بِاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ}، وهو الذي يَلي المُؤمِنينَ {وَظَاهِرُه مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ} وهو الذي يَلي المُنافِقينَ، فيُنادي المُنافِقونَ المُؤمِنينَ، فيَقولونَ لهم تَضرُّعًا وتَرحُّمًا: {أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ} في الدُّنيا نَقولُ: لَا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، ونُصَلِّي ونَصومُ ونُجاهِدُ، ونَعمَلُ مِثلَ عَمَلِكم؟ {قَالُوا بَلَى} كُنتُم مَعنا في الدُّنيا، وعَمِلتُم في الظَّاهرِ مِثلَ عَمَلِنا، ولَكِنَّ أعمالَكم أعمالُ المُنافِقينَ، من غَيرِ إيمانٍ ولا نيَّةٍ صادِقةٍ صالِحةٍ، بَل {فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ} أي: شَكَكتُم في خَبرِ اللهِ الذي لا يَقبَلُ شَكًّا، (أو في شيءٍ من أخباره)، {وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ} الباطِلةُ؛ حَيثُ تَمنيتُم أن تَنالوا مَنالَ المُؤمِنينَ، وأنتم غَيرُ مَوقِنينَ، {حَتَّى جاءَ أَمْرُ اللَّهِ} أي: حَتَّى جاءَكم المَوتُ وأنتم بتِلك الحالِ الذَّميمةِ، {وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ} وهو الشَّيطانُ، الذي زَيَّنَ لَكمُ الكُفرَ والرَّيبَ، فاطمَأننتُم به، ووَثِقتُمْ بوعدِه، وصَدَّقتُم خبرَه، {فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا} فلَو افتَديتُم بمِثلِ الأرضِ ذَهَبًا ومِثلِه مَعَه، لَمَا تُقُبِّلَ مِنكم، {مَأْوَاكُمُ النَّارُ} أي: مُستَقَرُّكم، {هِيَ مَوْلَاكُمْ} التي تَتَوَلَّاكمُ وتَضُمَّكم إليها، {وَبِئْسَ الْمَصِيرُ} النَّارُ[1].



[1] ينظر: تفسير السعدي.

﴿المطلب الخامس﴾

﴿كيفية المرور على الصراط﴾

أولا: يُعطي اللهُ كُلَّ إنسانٍ نُورًا على قَدْرِ عَمَلِه:

عن عَبدِ اللهِ بنِ مَسعودٍ رَضِيَ الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ قال: {يَنزِلُ اللهُ عزَّ وجَلَّ في ظُلَلٍ من الغَمامِ من العَرْشِ إلى الكُرسيِّ، ثُمَّ يُنادي مَنادٍ: أيُّها النَّاسُ، ألَم تَرْضَوا من رَبِّكم الذي خَلَقَكم ورَزَقَكم وأمَرَكم أن تَعبُدوه ولا تُشرِكوا به شَيئًا أن يولِّيَ كُلَّ أُناسٍ مِنكم ما كانوا يَعبُدونَ في الدُّنيا، أليسَ ذلك عَدْلًا من رَبِّكم؟. قالوا: بَلى. قال: فيَنطَلِقُ كُلُّ قَومٍ إلى ما كانوا يَعبُدونَ، ويَتَولَّونَ في الدُّنيا. قال: فيَنطَلِقونَ ويُمَثَّلُ لهم أشباهُ ما كانوا يَعبُدونَ؛ فمنهم مَن يَنطَلِقُ إلى الشَّمسِ، ومنهم مَن يَنطَلِقُ إلى القَمَرِ، والأوثانِ من الحِجارةِ، وأشباهِ ما كانوا يَعبُدونَ. قال: ويُمَثَّلُ لِمَن كان يَعبُدُ عيسى شَيطانُ عيسى، ويُمَثَّلُ لمَن كان يَعبُدُ عُزَيرًا شَيطانُ عُزيزٍ، ويَبقى مُحَمَّدٌ ﷺ وأمَّتُه. قال: فيَتَمَثَّلُ الرَّبُّ تَبارَك وتعالى فيَأتيهم، فيَقولُ: ما لَكم لا تَنطَلِقونَ كانطِلاقِ النَّاسِ؟ فيَقولونَ: إنَّ لَنا لإلهًا ما رَأيناه بَعدُ، فيَقولُ: هَل تَعرِفونَه إن رَأيتُموه؟ فيَقولونَ: إنَّ بينَنا وبينَه عَلامةً إذا رَأيناها عَرَفْناها. قال: فيَقولُ: ما هيَ؟ فتَقولُ: يَكشِفُ عن ساقِه. قال: فعِندَ ذلك يَكشِفُ عن ساقِه، فيَخِرُّ كُلُّ من كان نَظَرَه، ويَبقى قَومٌ ظُهورُهم كصَياصِي البَقَرِ، يُريدونَ السُّجودَ فلا يَستَطيعونَ، وقد كانوا يُدْعَونَ إلى السُّجودِ وهم سالِمون، ثُمَّ يَقولُ: ارفَعوا رُؤوسَكم، فيَرفَعونَ رُؤوسَهم، فيُعطيهم نُورَهم على قَدرِ أعمالِهم؛ فمنهم مَن يُعطى نُورَه مِثلَ الجَبَلِ العَظيمِ، يَسعى بينَ يَدَيه، ومنهم مَن يُعطى نُورَه أصغَرَ من ذلك، ومنهم من يُعطى نُورًا مِثلَ النَّخلةِ بيَدِه، ومنهم مَن يُعطى أصغَرَ من ذلك، حَتَّى يَكونَ آخِرُهم رَجُلًا يُعطى نُورَه على إبهامِ قَدَمَيه يُضيءُ مَرَّةً ويُطفَأُ مَرَّةً، فإذا أضاءَ قَدَّمَ قَدَمَه، وإذا طُفِئَ قامَ.

قال: والرَّبُّ تَبارَك وتعالى أمامَهم حَتَّى يَمُرَّ في النَّارِ، فيَبقى أثَرُه كحَدِّ السَّيفِ. قال: فيَقولُ: مُرُّوا، فيَمُرُّونَ على قَدرِ نُورِهم، منهم مَن يَمُرُّ كطَرفةِ العينِ، ومنهم مَن يَمُرُّ كالبَرقِ، ومنهم مَن يَمُرُّ كالسَّحابِ، ومنهم مَن يَمُرُّ كانقِضاضِ الكَوكَبِ، ومنهم مَن يَمُرُّ كالرِّيحِ، ومنهم مَن يَمُرُّ كشَدِّ الفَرَسِ، ومنهم مَن يَمُرُّ كشَدِّ الرجلِ، حَتَّى يَمُرَّ الذي يُعطى نُورَه على ظَهرِ قَدَمَيه، يَجثو على وَجْهِه ويَدَيه ورِجْلَيه، تَخِرُّ يَدٌ وتَعلقُ يَدٌ، وتَخِرُّ رِجْلٌ وتَعلقُ رِجْلٌ، وتُصيبُ جَوانِبَه النَّارُ، فلا

يَزالُ كذلك حَتَّى يَخْلُصَ، فإذا خَلَصَ وقَفَ عليها، فقال: الحَمدُ للهِ، فقد أعطاني اللهُ ما لَم يُعطِ أحَدًا؛ إذ نَجَّاني منها بَعدَ إذ رَأيتُها}[1].

وعلى هذا في كل مخلوق يرى من كان يعبد يوم القيامة، ثُمَّ بَعدَ ذلك يُنادِي المَنادي فيرى المُسلِمونَ ربهم بمَن مَعَهم من المُنافِقينَ، وينطلق على الصراط كل فئة وأمامهم ما كانوا يعبدون في الدنيا، ويبقى المسلمون، فيتمثل لهم اله تعالى ويقول: مالكم لا تنطلقون كانطلاق الناس على الصراط، وتلك رؤياهم لربهم، فيقولون: إنَّ لنا إلها لم نره بعد، وكانت أمة محمد من أهل العلم، فيقول الرب، هل تعرفونه إذا رأيتموه، فيقولون: إنَّ بيننا وبنه أمارة نعرفها، علمها لنا ربنا في دنايانا في القرآن الكريم، فيقول الحق، وماهي؟ فيقولون: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾[القمر: 42]، فعند ذلك يكشف الحق عن ساقه، فيخر الكل ساجدا، إلا المنافقون تتصلب ضهورهم فلا يستطيعون السجود، فيأمرهم الحق برفع رؤوسهم، فيرفعون، فيعطي كل واحد منهم نورا على قدر عمله كي يمر به على الصراط، إذ الحال حينها أظلم لا نور فيه إلا من أعطاه الله نورا يمشي به على الصراط وإلا وقع في النار، حيث أنه لا يرى شيئا، فعطي أحدهم مثل الجبل ومنهم دون ذللك كل على قدر عمله، حتى يعطي أدناهن نورا قدر إبهامه، أو على أبهام قدميه، كي يرى به الطريق، ولكنه تارة يضيء وتارة ينطفئ، فيمر الرب أمام ثمَّ يصير الصراط كحد السيف، فيقول الحق تعالى مرُّوا، فيمرون كل على قدر نوره، فمن كان نوره مثل الجبل العظيم يمر في طرفة عين، وهكذا الأدنى فالأدنى، فأعلاهم نورا يرى الصراط بوضوح من شدة نوره، كذلك يعطيه الله السرعة في المرور، حتى يصل إلى يمرث راكضا، فهذا أعطي نورا يرى به ولم يعطى الشرعة في المرور، وهذه الفئة على أقسام على قد أعمالها، حتى يصل إلى من نوره على إبهام قدميه، تارة يضيء وتارة ينطفئ، فإذا انطفأ فإنه لا يرى حيث يضع قدمه فيسقط، فيمسك بيده فيقوم، فيضيء نوره فيمشي، وهكذا والنار تلفحه والكلاليب تقرضه حتى يمر على الصراط، فإذا سلك، نظر إلى من سقط في النار، وإلى من هو دونه، ولا

---

[1] أخرجه ابن أبي الدنيا في ((صفة الجنة)) (31)، والطبراني (417/9) (9763) واللفظ له، والحاكم (8751). صحَّحه الحاكم، والألباني في ((صحيح الترغيب)) (3591)، وحسَّنه الذهبي في ((العرش)) (76)، وابن القيم في ((حادي الأرواح)) (262)، ووثق رجاله شعيب الأرناؤوط في تخريج ((العواصم والقواصم)) (143/5)، وذكر المنذري في ((الترغيب والترهيب)) (296/4) أنه روي من طرقٍ أحدها صحيح.

دونه إلا ساقط في النار، فعلم بذلك أنه نجى وفاز، فيظن أنَّ ذلك الفوز لم ينله أحد غيره فيقول: الحَمدُ لله، فقد أعطاني اللهُ ما لَم يُعطِ أحَدًا؛ إذ نَجَّاني منها بَعدَ إذ رَأيتُها.

ثانيا: انطِفاءُ نُورِ المُنافِقينَ:

عن جابرٍ رَضِيَ الله عنه أنَّه سُئِلَ عن الوُرودِ فقال: تُدعى الأمَمُ بأوثانِها، وما كانت تَعْبُدُ، الأوَّلُ فالأوَّلُ، ثُمَّ يَأتينا رَبُّنا بَعدَ ذلك، فيَقولُ: مَن تَنظُرونَ؟ فيَقولونَ: نَنظُرُ رَبَّنا، فيَقولُ: أنا رَبُّكم، فيَقولونَ: حَتَّى نَنظُرَ إليك، فيَتَجَلَّى لهم يَضحَكُ، قال: فيَنطَلِقُ بهم، ويَتَبْعونَه، ويُعطى كُلُّ إنسانٍ منهم مُنافِقًا أو مُؤمِنًا نُورًا، ثُمَّ يَتْبَعونَه، وعلى جِسرِ جَهَنَّمَ كَلاليبُ وحَسَكٌ، تَأخُذُ من شاءَ اللهُ، ثُمَّ يُطفَأُ نُورُ المُنافِقينَ، ثُمَّ يَنجو المُؤمِنونَ، فتَنجو أوَّلُ زُمرةٍ وُجوهُهم كالقَمَرِ لَيلةَ البَدْرِ سَبعونَ ألفًا لا يُحاسَبونَ، ثُمَّ الذينَ يَلُونَهم كأضوأِ نَجمٍ في السَّماءِ، ثُمَّ كذلك[1].

ثالثا: اختِلافُ سُرعةِ النَّاسِ في المُرورِ على الصِّراطِ:

تَختَلِفُ سُرعةُ النَّاسِ في المُرورِ على الصِّراطِ، وذلك باختِلافِ قوَّةِ النُّورِ الذي يُعطى لهم على قَدْرِ أعمالِهم[2].

عن عبدِ اللهِ بنِ مَسعودٍ رَضِيَ اللهُ عنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: {ويَمُرُّونَ على الصِّراطِ، والصِّراطُ كحَدِّ السَّيفِ دَحْضٌ مَزِلَّةٌ، فيقال: انجُوا على قَدرِ نُورِكم؛ فمنهم مَن يَمُرُّ كانقِضاضِ الكَوكَبِ، ومنهم مَن يَمُرُّ كالطَّرْفِ، ومنهم مَن يَمُرُّ كالرِّيحِ، ومنهم مَن يَمُرُّ كشَدِّ الرجلِ، ويَرمُلُ رَمَلًا، فيَمرُّونَ على قَدرِ أعمالِهم حَتَّى يَمُرَّ الذي نُورُه على إبهامِ قَدَمِه، قال: يَجُرُّ يَدًا ويُعلِّقُ يَدًا ويَجرُّ رِجْلًا ويُعلِّقُ رِجلًا وتَضرِبُ جَوانِبَه النَّارُ، قال: فيَخلُصونَ، فإذا خَلَصوا قالوا: الحَمدُ للهِ الذي نَجَّانا مِنكِ بَعدَ الذي أراناكِ، لَقد أعطانا اللهُ ما لَم يُعطِ أحَدًا}[3].

---

[1] أخرجه مسلم (191) مطولًا.

[2] ينظر: موقع الدرر السنية

[3] أخرجه مطولًا الطبراني (417/9) (9763)، والحاكم (8751) واللَّفظُ له، والدارقطني في ((رؤية الله)) (160). صحَّحه الحاكم، والألباني في ((صحيح الترغيب)) (3591)، وحسَّنه الذهبي في ((العرش)) (76)، وابن القيم في ((حادي الأرواح)) (262)، ووثق رجاله شعيب الأرناؤوط في تخريج ((العواصم والقواصم)) (143/5)، وذكر ابن خزيمة في ((التوحيد)) (2/ 583) أن إسناده متصلاً، وذكر المنذري في ((الترغيب والترهيب)) (296/4) أنه روي من طرقٍ أحدها صحيح، وقال الهيثمي في ((مجمع الزوائد)) (343/10): إنه روي من طرق ورجال أحدها رجال الصحيح غير أبي خالد الدالاني وهو ثقة.

وعن أبي سَعيدٍ الخُدْريِّ رَضِيَ اللهُ عنه قال: قال النَّبيّ ﷺ: {...المُؤمِنُ عليها كالطَّرْفِ وكالبَرقِ وكالرِّيحِ وكَأجاويدِ الخَيلِ والرِّكابِ؛ فناجٍ مَخدوشٌ، ومَكدوسٌ في نارِ جَهنَّمَ}[1].

رابعا: قيامُ الأمانةِ والرَّحِمِ على الصِّراطِ:

عن أبي هُريرةَ وحُذَيفةَ رَضِيَ اللهُ عنهما عن النَّبيِّ ﷺ عِندَما ذكَرَ ذَهابَ النَّاسِ إلى آدَمَ، ثُمَّ إبراهيمَ، ثُمَّ موسى، ثُمَّ عيسى، ثُمَّ مُحَمَّدٍ، قال صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: {وتُرسَلُ الأمانةُ والرَّحِمُ فتَقومانِ جَنبَتيِ الصِّراطِ يَمينًا وشِمالًا}[2].

ولعلَّ قيماها يكون للأمين والواصل، وللقاطع والخائن، فأما الأمين والواصل فتذودان عنه الكلاليب والسك ولفح النار، وأما القاطع والخائن فلا تذودان عنه، بل تقطعان عنه مروره على الصراط، فتبطآنه، أو تسقطانه كل على قدر عمله، وذلك من أبي هريرة عن النبي قال: { إنَّ الرَّحِمَ شَجْنَةٌ مُتَعَلِّقَةٌ بمَنْكِبَيِ الرحمنِ تبارك وتعالى قال اللهُ تعالى لها : مَن وَصَلَكِ وَصَلْتُه ومن قَطَعَكِ قَطَعْتُه}[3].

شجِنة من الرحمن، أي: أنَّ الرَّحِمَ شِجْنَةٌ، أي: شُعبةٌ متَّصلةٌ، «مِن الرَّحمنِ»؛ لأنَّ اسمَها مُشتَقٌّ مِن اسمِ الله: الرَّحمنِ، كما في الحَديثِ القُدسيِّ عند الترمذيِّ: «أنا الرَّحمنُ، خلَقْتُ الرَّحِمَ وشَقَقتُ لها اسمًا مِن اسمِي»[4].

هذا والله أعلم.



[1] أخرجه مطولًا البخاري (7439) واللَّفظُ له، ومسلم (183).

[2] أخرجه مسلم (195).

[3] أخرجه البخاري (5988) دون قوله: "متعلقة بمنكبي"، ومسلم (2554) مطولاً بنحوه

[4] أخرجه أبو داود (1694)، والترمذيِّ (1907)، وأحمد (1659) باختلاف يسير، وصححه الأرناؤوط، وأحمد شاكر، والسيوطي وغيرهم.

﴿المطلب السادس﴾

﴿أول من يُجيزُ الصراط﴾

أوَّلُ مَن يُجيزُ الصِّراطَ النَّبيُّ ﷺ ثُمَّ أمَّتُه.

عن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ عنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: {ويُضرَبُ السِّراطُ بينَ ظَهْرَي جَهَنَّمَ، فأكونُ أنا وأمَّتي أوَّلَ مَن يُجيزُها}[1].

وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ عنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: {فيُضرَبُ الصِّراطُ بينَ ظَهْراني جَهَنَّمَ فأكونُ أوَّلَ مَن يَجوزُ من الرُّسُلِ بأمَّتِه، ولا يَتكَلَّمُ يومَئِذٍ أحَدٌ إلَّا الرُّسُلُ، وكَلامُ الرُّسُلِ يومَئِذٍ: اللهمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ}[2].

قال علي القاري: {يُضرَبُ الصِّراطُ} أي: يُمَدُّ {بينَ ظَهْرانَي جَهَنَّمَ} أي: بينَ طَرَفَيها، فيوافِقُ رِوايةَ: على مَتنِها وظَهْرِها وفَوقَها، {فأكونُ أوَّلَ مَن يَجوزُ من الرُّسُلِ بأمَّتِه}: الباءُ للتَّعديةِ، أي: مَن يُجاوِزُهم عنها {ولا يَتَكَلَّمُ يومَئِذٍ} أي: في ذلك المَقامِ {إلَّا الرُّسُلُ}[3].



---

[1] أخرجه مطولًا البخاري (7437) واللَّفظُ له، ومسلم (182).

[2] أخرجه مطولًا البخاري (806) واللَّفظ له، ومسلم (182).

[3] يُنظر: ((مرقاة المفاتيح)) (8/ 3554).

﴿المسألة الثامنة﴾

﴿الإيمان بالقنطرة﴾

ونؤمن بالقنطرة وهي طرف الصراط، أو صراط ثاني يلي الصراط الذي فوق جهنَّم، وقبل الجنَّة، يجتمع فيه من سلك من الصراط، فيقتصون من بعضهم قبل دخول الجنَّة.

عن أبي سَعيدٍ الخُدْريِّ رَضِيَ الله عنه أنَّ رَسولَ الله ﷺ قال: {يَخلُصُ المُؤمنونَ من النَّارِ، فيُحبَسونَ على قَنطَرةٍ بينَ الجَنَّةِ والنَّارِ، فيُقَصُّ لبَعضِه من بَعضٍ مَظالِمُ كانت بينَهم في الدُّنيا حَتَّى إذا هُذِّبوا ونُقُّوا أُذِنَ لهم في دُخولِ الجَنةِ، فوالذي نَفسُ مُحَمَّدٍ بيدِه لأَحَدُهم أهَدى بمَنزِلِه في الجَنَّةِ منه بمَنزِلِه كان في الدُّنيا}[1].

قال القُرطُبيُّ: بابُ ذِكرِ الصِّراطِ الثَّاني: وهو القَنطَرةُ التي بينَ الجَنَّةِ والنَّارِ: اعلَم -رَحِمَك اللهُ- أنَّ في الآخِرةِ صِراطين: أحَدُهما: مَجازٌ لأهلِ المَحْشَرِ كُلِّهم، ثَقيلِهم وخَفيفِهم، إلَّا من دَخلَ الجَنَّةَ بغَيرِ حِسابٍ، أو مَن يَلتَقِطُه عُنُقُ النَّارِ، فإذا خَلَصَ من خَلصَ من هذا الصِّراطِ الأكبَرِ الذي ذَكَرْناه -ولا يَخلُصُ منه إلَّا المُؤمنونَ الذينَ عَلِمَ اللهُ منهم أنَّ القِصاصَ لا يَستَنفِدُ حَسَناتِهم- حُبِسوا على صِراطٍ آخَرَ خاصٍّ لهم، ولا يَرجِعُ إلى النَّارِ من هؤلاء أحَدٌ إنْ شاءَ اللهُ؛ لأنَّهم قد عَبَروا الصِّراطَ الأوَّلَ المَضروبَ على مَتنِ جهنَّمَ، الذي يَسقُطُ فيها من أَوبَقَه ذَنْبُه، وأربى على الحَسَناتِ بالقِصاصِ جُرْمُه[2].

وقال ابنُ حَجَرٍ: اختُلِفَ في القَنطَرةِ المَذكورةِ، فقيلَ: هيَ من تَتِمَّةِ الصِّراطِ، وهيَ طَرَفُه الذي يَلي الجَنَّةَ، وقيلَ: إنَّهما صِراطانِ، وبِهذا الثَّاني جَزمَ القُرطُبيُّ[3].

وقال السُّيوطيُّ مُعَلِّقًا على كلامِ ابنِ حَجَرٍ: الأوَّلُ هو المُختارُ الذي دَلَّت عليه أحاديثُ القَناطِرِ[4].

وأقول: بل هو صراط ثانٍ على ما قال القرطبي، والدليل قول النبي ﷺ: {يَخلُصُ المُؤمِنونَ من النَّارِ، فيُحبَسونَ على قَنطَرةٍ بينَ الجَنَّةِ والنَّارِ}، ومن المعلوم أنَّ الصراط الأول ممدود فوق نار

---

[1] أخرجه البخاري (6535).

[2] يُنظر: ((التذكرة)) (2/ 36).

[3] يُنظر: ((فتح الباري)) (11/399).

[4] يُنظر: ((البدور السافرة)) (ص: 382).

جهنَّم، فيخلص المؤمنون من النار من على هذا الصراط، فيكونون على صراط آخر بعد جهنّم وصراطها، وقبل الجنَّة، والله أعلم.



﴿المسألة التّاسعة﴾

﴿الإيمان الجنّة والنّار﴾

وفيه مطلبان:

1 – الإيمان بالجنَّة:

2 – الإيمان بالنَّار:

﴿المطلب الأول﴾

﴿الإيمان بالجنَّة﴾

وفيه: ثمانية فروع:

1 – تعريف الجنَّة:

2 – أسماء الجنَّة:

3 – دخول الجنَّة:

4 – صفة الجنَّة:

5 – أصحاب الجنَّة:

6 – سادة أهل الجنَّة:

7 – صفة أهل الجنَّة ونعيمهم فيها:

8 – الجنَّة خالدة وأهلها خالدون:



﴿ الفرع الأول ﴾

﴿ تعريف الجنَّة ﴾

الجنة لغة: البستان، ومنه الجنان، والعرب تسمي النخيل: جنّة[1].

وفي مختار القاموس: الجنَّة: الحديقة ذات الشجر والنخل، وجمعها: جنان[2].

وأصل اشتقاق هذه اللفظة من: الستر، والتغطية، ومنه سُمِّي الجنين؛ لاستتاره في البطن، ومنه سُمِّي البستان: جنة؛ لأنه يستر داخله بالأشجار، ويغطيه، ولا يستحقّ هذا الاسم إلا موضع كثير الأشجار، مختلف الأنواع[3].

الجنة في الاصطلاح: هو الاسم العام المتناول لتلك الدار التي أعدها الله لمن أطاعه، وما اشتملت عليه من أنواع النعيم، واللذة، والبهجة والسرور، وقرة العين[4].

فالجَنَّةُ هي الجَزاءُ العَظيمُ، والثَّوابُ الجَزيلُ، الَّذي أعَدَّه اللهُ لِأَوليائِه وأهلِ طاعَتِه، وهي نَعيمٌ كامِلٌ لا يَشُوبُه نَقصٌ، ولا يُعكِّرُ صَفْوَه كَدَرٌ، وما حَدَّثَنا اللهُ به عَنها، وما أخبَرَنا به الرَّسولُ ﷺ يُحيِّرُ العَقلَ ويُذهِلُه؛ لِأنَّ تَصَوُّرَ عَظَمةِ ذَلِكَ النَّعيمِ يَعجِزُ العَقلُ عَن إدراكِه واستيعابِه[5].

وفي الحَديثِ القُدُسيِّ عَن أبي هريرةَ رَضيَ اللهُ عنه عَنِ النَّبيِّ ﷺ: {يَقُولُ اللهُ تعالى: أعدَدتُ لِعِبادِيَ الصَّالِحينَ ما لا عينٌ رَأت، ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ، ولا خَطَرَ على قَلبِ بَشَرٍ، ذُخرًا، بَلَه ما أُطلِعتُم عليه، ثُمَّ قَرَأ ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة: 17]}[6].



---

[1] مختار الصحاح، ص 48، وانظر: لسان العرب لابن منظور، 13/ 99، ومفردات القرآن للأصفهاني، ص204.

[2] الطاهر أحمد الزاوي، مختار القاموس 117.

[3] انظر: حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، لابن القيم 111.

[4] مجموعة رسائل عبد الرحمن بن وهف القحطاني 166.

[5] ينظر: ((فتاوى نور على الدرب)) لابن باز (4/ 308)، ((مجموع فتاوى ابن عثيمين)) (3/ 253).

[6] أخرجه البخاري (4780) واللَّفظُ له، ومسلم (2824).

﴿الفرع الثاني﴾

﴿من أسماء الجنَّة﴾

قال ابنُ القيِّم عَنِ الجَنَّةِ: لَها عِدَّةُ أسماءٍ باعتِبارِ صِفاتِها، ومُسَمَّاها واحِدٌ باعتِبارِ الذَّاتِ؛ فهي مُترادِفةٌ مِن هذا الوَجهِ، وتَختَلِفُ باعتِبارِ الصِّفاتِ فهي مُتَبايِنةٌ مِن هذا الوَجهِ، وهَكَذا أسماءُ الرَّبِّ سُبحانَه وتعالى، وأسماءُ كِتابِه، وأسماءُ رُسُلِه، وأسماءُ اليَومِ الآخِرِ، وأسماءُ النَّارِ[1].

الِاسمُ الأولُ: الجَنَّةُ:

وهو الِاسمُ العامُّ المُتَناوِلُ لِتِلكَ الدَّارِ وما اشتَمَلت عليه مِن أنواعِ النَّعيمِ.

قال تعالى: ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا﴾[مريم: 63].

وقال تعالى: ﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ ۚ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا﴾[مريم: 61].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[الأعراف: 42].

وردت مادة (جنن) في القرآن201 مرة، منها 147 مرة للجنّة[2].

وجاءت لفظة الجنّة في الاستعمال القرآني على وجهين:

الأول: البستان في الدنيا: ومنه قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾[الكهف: 35]، أي: بستانه. قاله كل أهل التفسير.

الثاني: دار الثواب: ومنه قوله تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[الشعراء: 90][3].

وسميت الجنَّة جنَّة؛ لأنها مستورة عن عقول النَّاس فلا يمكن تخيُلها.

الاسمُ الثَّاني: دارُ السَّلامِ:

قال اللّٰه تعالى: ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾[الأنعام: 127].

---

[1] يُنظر: ((حادي الأرواح)) (ص: 94).

[2] يُنظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبدالباقي ص 179 – 182.

[3] يُنظر: الوجوه والنظائر، الدامغاني ص 153. ينظر: موقع الاتفسير الموضوعي مادة (الجنة).

قال البَغَويُّ: سُمِّيَت دارَ السَّلامِ؛ لِأنَّ كُلَّ مَن دَخلَها سَلِمَ مِنَ البلايا والرَّزايا.

وقيلَ: سُمِّيَتْ بذَلِكَ لِأنَّ جَميعَ حالاتِها مَقرُونةٌ بالسَّلام، فقال في الِابتِداءِ: ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ﴾ [الحجر: 46].

الاسم الثالث: دار المقامة:

قال اللهُ تعالى حكايةً عن أهلِها: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ * الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ﴾ [فاطر: 34 – 35].

قال مقاتل: يعني دار الخلود...[1].

الاسم الرابع: الفردوس:

قال اللهُ تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: 10- 11].

قال ابنُ القيِّم: الفِردَوسُ: اسمٌ يُقالُ على جَميعِ الجَنَّةِ، ويُقالُ على أفضَلِها وأعلاها، كَأنَّه أحَقُّ بهذا الِاسمِ مِن غيرِه مِنَ الجَنات[2].

والفردوس: هو بستان جامع لكل ما في البساتين، لا ينقصه شيء[3].

الاسم الخامس: المقام الأمين:

قال ابنُ القيِّم: المَقامُ الأمينُ مَوضِعُ الإقامةِ، والأمينُ: الآمِنُ مِن كُلِّ سُوءٍ وآفةٍ ومَكرُوهٍ، وهو الَّذي قَد جَمَعَ صِفاتِ الأمنِ كُلَّها، فهو آمِنٌ مِنَ الزَّوالِ والخَرابِ وأنواعِ النَّقصِ، وأهلُه آمِنُونَ فيه مِنَ الخُرُوجِ والنَّغصِ والنَّكدِ، والبَلَدُ الأمينُ الَّذي قَد أمِنَ أهلُه فيه مِمَّا يَخافُ مِنه سِواهُمْ، وتَأمَّل كيفَ ذَكَرَ سُبحانَه الأمنَ في قَولِه تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ [الدخان: 51]، وفي قَولِه تعالى: ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ﴾ [الدخان: 55]، فجَمعَ لَهم بينَ أمنِ المَكانِ وأمنِ

---

[1] يُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (3/ 558).

[2] يُنظر: ((حادي الأرواح)) (ص: 99).

[3] ينظر: معاجم اللغة.

الطَّعامِ، فلا يخافُونَ انقِطاعَ الفاكِهةِ ولا سُوءَ عاقِبَتِها ومَضَرَّتَها، وأَمْنِ الخُرُوجِ مِنها، فلا يخافُونَ ذَلِكَ، وأمْنٍ مِنَ المَوتِ، فلا يخافُونَ فيها مَوتًا[1].

الاسم السادس: مقعد الصدق:

قال اللهُ تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ * فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾[القمر: 54-55].

الاسم السابع: قدم الصدق:

قال اللهُ سُبحانَه: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾[يونس: 2].

قال ابنُ القيِّمِ: فسَمَّى الجَنَّةَ مَقعَدَ صِدْقٍ لِحُصُولِ كُلِّ ما يُرادُ مِنَ المَقعَدِ الحَسَنِ فيها، كما يُقالُ: مَوَدَّةٌ صادِقةٌ: إذا كانَت ثابتةً تامَّةً، وحَلاوةٌ صادِقةٌ، وجُملةٌ صادِقةٌ، ومِنه الكَلامُ الصِّدقُ لِحُصُولِ مَقصُودِه مِنه، ومَوضِعُ هذه اللَّفظةِ في كَلامِهم الصِّحَّةُ والكَمالُ، ومِنه الصِّدقُ في الحَديثِ، والصِّدقُ في العَمَلِ، والصِّدِّيقُ الَّذي يُصَدِّقُ قَولَه بالعَمَلِ، والصَّدْقُ -بالفَتحِ- الصُّلبُ مِنَ الرِّماحِ، ويُقالُ لِلرَّجُلِ الشُّجاعِ: إنَّه لذُو مَصدَقٍ، أي: صادِقُ الجُملةِ، وهذا مِصداقُ هذا: أي ما يُصَدِّقُه، ومنه الصَّداقةُ لِصَفاءِ المَودَّةِ والمُخالَّةِ، ومِنه صَدَقَني القِتالَ وصَدَقَني المَودةَ، ومِنه قَدَمُ صِدقٍ، ولِسانُ صِدقٍ، ومُدخَلُ صِدقٍ ومُخرَجُ صِدقٍ، وذَلِكَ كُلُّه لِلحَقِّ الثَّابتِ المَقصُودِ الَّذي يُرغَبُ فيه بخِلافِ الكَذِبِ الباطِلِ الَّذي لا شيءَ تَحتَه، ولا يَتَضَمَّنُ أمرًا ثابتًا.

وفَسَّرَ قَومٌ قَدَمَ صِدْقٍ بالجَنَّةِ، وفُسِّرَ بالأعمالِ الَّتي تُنالُ بها الجَنَّةُ، وفُسِّر بالسَّابقةِ الَّتي سَبَقَت لَهم مِنَ اللهِ تعالى، وفُسِّر بالرَّسولِ الَّذي على يَدِه وهدايَتِه نالُوا ذَلِكَ، والتَّحقيقُ أنَّ الجَميعَ حَقٌّ؛ فإنَّهم سَبَقَت لَهم مِنَ اللهِ الحُسنى بتِلكَ السَّابقةِ، أي: بالأسباب الَّتي قَدَّرها لَهم على يَدِ رَسولِه وادَّخَرَ لَهم جَزاءَها يَومَ لِقائِه[2].

---

[1] يُنظر: ((حادي الأرواح)) (ص: 100).

[2] يُنظر: ((حادي الأرواح)) (ص: 101).

الاسم الثامن: دار الحيوان:

لأنَّ فيها الحياة الدائمة، قال تعالى: قال اللهُ تعالى: ﴿ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ ﴾ [العنكبوت: 64]، قال الطبري: يَقُولُ: وإنَّ الدَّارَ الآخِرةَ لَفيها الحياةُ الدَّائِمةُ الَّتي لا زَوالَ لَها ولا انقِطاعَ، ولا مَوتَ مَعَها[1].

وقال السَّفارينيُّ: قال أهلُ التَّفسيرِ: وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ يَعني: الجَنَّةَ لَهِيَ الْحيَوَانُ هي: دارُ الحياةِ الَّتي لا مَوت فيها.

قال أهلُ اللُّغةِ: الحيَوانُ بمَعنى: الحياةِ.

قال أبو عُبيدةَ وابنُ قُتيبةَ: الحياةُ: الحيَوانُ.

وقال أبو عُبيدةَ: الحياةُ والحيَوانُ والحِيُّ بكَسرِ الحاءِ واحِدٌ...[2].

وصف الله تعالى للجنة:

1 – جنَّة الخلد:

لخلود كل من يسكنها، قال اللهُ تعالى: ﴿ قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا * لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا ﴾ [الفرقان: 15 – 16].

2 – جنَّة المأوى:

لأنها تأوي المتّقين، قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾ [النازعات: 40–41].

3 – جنَّات عدن:

العدْنُ، هو الإقامة، قال ابن القيم: والاشتِقاقُ يَدُلُّ على أنَّ جَميعَها جَناتُ عَدْنٍ؛ فإنَّه مِنَ الإقامةِ والدَّوامِ، يُقالُ: عَدَن بالمَكانِ: إذا أقامَ به، وعَدَنتُ البَلَدَ: توطَّنْتُه، وعَدنَتِ الإبلُ مَكانَ كَذا: لَزِمَتْه فلَم تَبرَح منه. قال الجَوهَريُّ: ومِنه جَناتُ عَدنٍ، أيْ إقامةٍ، ومِنه سُمِّيَ المَعدِنُ –

---

[1] ينظر: تفسير الطبري.

[2] يُنظر: ((البحور الزاخرة)) (3/ 1004). ويُنظر: ((حادي الأرواح)) لابن القيم (ص: 98).

بكَسرِ الدَّالِ- لِأنَّ النَّاسَ يُقيمُونَ فيه الصَّيفَ والشِّتاءَ، ومَركَزُ كُلِّ شيءٍ مَعدِنُه، والعادِنُ النَّاقةُ المُقيمةُ في المَرعى[1].

جنات النعيم:

لأنَّ فيها كل النعيم الذي يمكن تخيله، والذي لا يمكن تخيله، وما لم يخطر على قلب بشر،

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ﴾ [لقمان: 8].



[1] يُنظر: ((الصحاح)) للجوهري (6/ 2162). ويُنظر: ((حادي الأرواح)) (ص: 98).

﴿ الفرع الثالث ﴾

﴿ دخول الجنَّة ﴾

وفيه ستة وجوه:

1 – الشَّفاعة في دخول الجنَّة:

2 – تهذيب المؤمنين وتنقيتهم قبل دخول الجنَّة:

3 – الأوائل في دخول الجنَّة:

4 – الذين يدخلون الجنَّة بغير حساب:

5 – دخول عصاة المؤمنين الجنَّة:

6 – آخر من يدخل الجنَّة:



﴿الوجه الأول﴾

﴿الشّفاعة في دخول الجنّة﴾

عَن حُذَيفةَ بنِ اليَمانِ وأبي هريرةَ رَضيَ اللهُ عَنهما قالا: {قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: يَجمَعُ اللهُ تَبارَكَ وتعالى النَّاسَ، فيَقومُ المُؤمِنونَ حَتَّى تُزلَفَ لهمُ الجَنةُ، فيَأتون آدَمَ فيَقولونَ: يا أبانا استَفتِحْ لَنا الجَنَّةَ، فيَقولُ: وهَل أخرَجَكم من الجَنَّةِ إلَّا خَطيئةُ أبيكم آدَمَ! لَستُ بصاحِبِ ذلك، اذهَبوا إلى ابني إبراهيمَ خَليلِ اللهِ، قال: فيَقولُ إبراهيمُ: لَستُ بصاحِبِ ذلك، إنَّما كُنتُ خَليلًا مِن وراءَ وراءَ، اعمِدوا إلى موسى ﷺ الذي كلَّمُه اللهُ تَكليمًا، فيَأتونَ موسى ﷺ فيَقولُ: لَستُ بصاحِبِ ذلك، اذهَبوا إلى عيسى كلِمةِ اللهِ ورُوحِه، فيَقولُ عيسى ﷺ: لَستُ بصاحِبِ ذلك. فيَأتون مُحَمَّدًا ﷺ، فيَقومُ فيُؤذَنُ له وتُرسَلُ الأمانةُ والرَّحِمُ، فتَقومانِ جَنَبَتَي الصِّراطِ يَمينًا وشِمالًا، فيَمُرُّ أوَّلُكم كالبَرقِ، قال: قُلتُ: بأبي أنتَ وأُمّي، أيُّ شيءٍ كَمَرِّ البَرقِ؟ قال: ألَم تَرَوا إلى البَرْقِ كيفَ يَمُرُّ ويَرجِعُ في طَرفةِ عَينٍ؟ ثُمَّ كَمرِّ الرِّيحِ، ثُمَّ كَمرِّ الطَّيرِ، وشَدِّ الرِّجالِ، تَجري بهم أعمالُهم، ونَبيُّكم قائِمٌ على الصِّراطِ يَقُولُ: رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ، حَتَّى تَعجِزَ أعمالُ العِبَادِ، حَتَّى يَجيءَ الرَّجُلُ فلا يَستَطيعُ السَّيرَ إلَّا زَحْفًا، قال: وفي حافَتيِ الصِّراطِ كَلاليبُ مُعَلَّقةٌ مَأمُورةٌ بأخذِ مَن أُمِرَت به، فمَخدُوشٌ ناجٍ، ومَكدُوسٌ في النَّارِ. والَّذي نَفسُ أبي هريرةَ بيَدِه إنَّ قَعرَ جَهَنَّم لَسَبعُون خريفًا}[1].

قال ابنُ رَجَبٍ: وأمَّا الشَّفاعةُ الَّتي اختَصَّ بها النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم مِن بينِ الأنبياءِ، فليسَت هي الشَّفاعةَ في خُرُوجِ العُصاةِ مِنَ النَّارِ؛ فإنَّ هذه الشَّفاعةَ يُشارِكُ فيها الأنبياءُ والمُؤمِنونَ أيضًا، كَما تَواتَرَت بذَلِكَ النُّصُوصُ، وإنَّما الشَّفاعةُ الَّتي يَختَصُّ بها مَن دُونَ الأنبياءِ أربَعةُ أنواعٍ:

أحَدُها: شَفاعتُه لِلخَلقِ في فصلِ القَضاءِ بينَهم.

والثَّاني: شَفاعتُه لِأهلِ الجَنةِ في دُخُولِ الجَنةِ.

والثَّالِثُ: شَفاعتُه في أهلِ الكَبائِرِ مِن أهلِ النَّارِ، فقَد قيلَ: إنَّ هذه يَختَصُّ هو بها.

---

[1] أخرجه مسلم (195).

والرَّابعُ: كَثرةُ مَن يَشفَعُ لَه مِن أمَّتِه؛ فإنَّه وفَّرَ شَفاعتَه وادَّخَرَها إلى يَومِ القيامةِ[1].

﴿الوجه الثاني﴾

﴿تهذيب المؤمنين وتنقيتهم قبل دخول الجنّة﴾

عن أبي سَعيدٍ الخُدْريِّ رَضِيَ الله عنه أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ قال: {يَخلُصُ المُؤمِنونَ من النَّارِ، فيُحبَسونَ على قَنطَرةٍ بينَ الجَنَّةِ والنَّارِ، فيُقَصُّ لبَعضِه من بَعضٍ مَظالِمُ كانت بينَهم في الدُّنيا حَتَّى إذا هُذِّبوا ونُقُّوا أُذِنَ لهم في دُخولِ الجَنةِ، فوالذي نَفسُ مُحَمَّدٍ بيدِه لأَحَدُهم أهَدى بمَنزِلِه في الجَنَّةِ منه بمَنزِلِه كان في الدُّنيا}[2].

﴿الوجه الثالث﴾

﴿الأوائل في دخول الجنّة﴾

أولا: أوَّلُ مَن يَقرَعُ بابَ الجَنَّةِ ويَدخُلُها رَسُولُ اللهِ محمد ﷺ:

عَن أنسٍ رَضيَ اللهُ عَنه أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ قال: {آتي بابَ الجَنَّةِ يَومَ القيامةِ فأستَفتِحُ، فيَقُولُ الخازِنُ: مَن أنتَ؟ فأقُولُ: مُحَمَّدٌ، فيَقُولُ: بكَ أُمِرْتُ لا أفتَحُ لِأحَدٍ قَبلَكَ}[3].

ثانيا: أولُ الأُمَمِ دُخولًا الجَنَّةَ هم أمَّةُ مُحَمَّدٍ ﷺ:

عَن أبي هريرةَ رَضيَ اللهُ عَنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال:{نَحنَ الآخِرُونَ الأَوَّلُون يَومَ القيامةِ، ونَحنُ أوَّلُ مَن يَدخُلُ الجَنَّةَ، بَيْدَ أنَّهم أُوتُوا الكِتابَ مِن قَبلِنا، وأُوتيناه مِن بَعدِهم}[4].

ثالثا: أَوَّلُ زُمْرةٍ تَدخُلُ الجَنَّةَ صُورَتُهم على صُورةِ القَمَرِ ليلةَ البَدْرِ:

عَن أبي هُرَيرةَ رَضيَ اللهُ عَنه قال: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: {أوَّلُ زُمْرةٍ تَلِجُ الجَنَّةَ صُورَتُهم على صُورةِ القَمَرِ ليلةَ البَدْرِ...}[5].

---

[1] يُنظر: ((فتح الباري)) (2/ 22).
[2] أخرجه البخاري (6535).
[3] أخرجه مسلم (197).
[4] أخرجه البخاري (896)، ومسلم (855) واللَّفظُ له.
[5] أخرجه البخاري (3245) واللَّفظُ له، ومسلم (2834).

﴿الوجه الرابع﴾

﴿الذين يدخلون الجنّة بغير حساب﴾

عَن أبي أُمامةَ الباهليِّ رَضيَ اللهُ عَنه أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ قال: {وعَدَني رَبِّي أن يُدخِلَ الجَنَّةَ مِن أمَّتي سَبعينَ ألفًا بغيرِ حِسابٍ ولا عَذابٍ، مَعَ كُلِّ ألفٍ سَبعينَ ألفًا، وثَلاث حَثيَاتٍ مِن حَثيَاتِ رَبِّي}[1].

وعَن أبي هريرةَ رَضيَ اللهُ عَنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال في حَديثِ الشَّفاعةِ: ثُمَّ يُقالُ: {يا مُحَمَّدُ، ارفَعْ رَأسَك، سَلْ تُعطَه، اشفَعْ تُشَفَّعْ، فأرفَعُ رَأسي فأقولُ: يا رَبِّ أُمَّتي أُمَّتي، فيُقالُ: يا مُحَمَّدُ، أدخَلِ الجَنَّةَ من أمَّتِك من لا حِسابَ عليه من البابِ الأيمَنِ من أبوابِ الجَنَّةِ، وهم شُركاءُ النَّاسِ فيما سِوى ذلك من الأبوابِ}[2].

صِفات السبعين ألفا الَّتي نالُوا بها هذا الفَضلَ العَظيمَ:

عنِ ابنِ عَبَّاسٍ رَضيَ اللهُ عَنهما قال: قال النَّبيُّ ﷺ: {عُرِضَتْ عليَّ الأمَمُ، فأخذُ النَّبيُّ يَمُرُّ مَعَه الأمَّةُ، والنبيُّ يَمُرُّ مَعَه النَّفَرُ، والنبيُّ يَمُرُّ مَعَه العشَرَةُ، والنبيُّ يَمُرُّ مَعَه الخَمسةُ، والنَّبيُّ يَمُرُّ وحدَه، فنَظَرتُ فإذا سَوادٌ كَثيرٌ، قُلتُ: يا جِبريلُ، هَؤُلاءِ أمَّتي؟ قال: لا، ولَكِنِ انظُر إلى الأفُقِ، فنَظَرتُ فإذا سَوادٌ كَثيرٌ، قال: هَؤُلاءِ أمتُكَ، وهَؤُلاءِ سَبعُونَ ألفًا قُدَّامَهم لا حِسابَ عليهم ولا عَذابَ، قُلتُ: ولِمَ؟ قال: كانُوا لا يَكتَوُونَ، ولا يَستَرْقُونَ، ولا يَتَطيَّرُونَ، وعلى رَبِّهم يَتَوكَّلُونَ، فقامَ إليه عُكَّاشةُ بنُ مِحصنٍ، فقال: ادعُ اللهَ أن يَجعَلَني مِنهم، قال: اللَّهمَّ اجعَلْه مِنهم، ثُمَّ قامَ إليه رَجُلٌ آخَرُ فقال: ادْعُ اللهَ أن يَجعَلَني مِنهم، قال: سَبَقَكَ بها عُكَّاشةُ}[3].

---

[1] أخرجه الترمذي (2437)، وابن ماجه (4286)، وأحمد (22303) واللَّفظُ له صحَّحه الألباني في ((صحيح سنن ابن ماجه)) (4286)، وشعيب الأرناؤوط في تخريج ((مسند أحمد)) (22303)، وحسَّنه الوادعي في ((الشفاعة)) (130)، وقوَّى إسناده الذهبي في ((سير أعلام النبلاء)) (460/16)، وجوَّده ابن كثير في ((تفسير القرآن)) (82/2). وأخرجه من طريقٍ آخَرَ عن أبي أمامة رضي الله عنه: أحمد (22156)، وابن حبان (7246)، والطبراني (181/8) (7665) مطولًا. صحَّحه ابن حبان، والألباني في ((صحيح الترغيب)) (3614)، وشعيب الأرناؤوط في تخريج ((مسند أحمد)) (22156)، وصحَّح إسنادَه ابن حجر في ((الإصابة)) (651/3)، وحسَّنه ابن كثير في ((تفسير القرآن)) (82/2).

[2] أخرجه مطولًا البخاري (4712)، ومسلم (194) واللَّفظُ له.

[3] أخرجه البخاري (6541).

﴿ الوجه الخامس ﴾

﴿ دخول عصاة المؤمنين الجنَّة ﴾

عَن أبي سَعيدٍ رَضيَ اللهُ عَنه قال: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: {أمَّا أهلُ النَّارِ الَّذينَ هم أهلُها فإنَّهم لا يَمُوتُونَ فيها ولا يَحيَونَ، ولَكِنْ ناسٌ أصابَتْهمُ النَّارُ بذُنُوبِهم –أو قال: بخَطاياهم– فأماتَهم إماتةً، حَتَّى إذا كانُوا فَحمًا أُذِنَ بالشَّفاعةِ، فجيءَ بهم ضَبائِرَ ضَبائِرَ، فبُثُّوا على أنهارِ الجَنَّةِ، ثُمَّ قيلَ: يا أهلَ الجَنَّةِ أفيضُوا عليهم، فيَنبُتونَ نَباتَ الحِبَّةِ تَكُونُ في حَميلِ السَّيلِ}[1].

قال النووي: ... فمَعناه أنَّ المُذنِبينَ مِنَ المُؤمِنينَ يُميتُهمُ اللهُ تعالى إماتةً بَعدَ أن يُعَذَّبُوا المُدَّةَ الَّتي أرادَها اللهُ تعالى، وهذه الإماتةُ إماتةٌ حَقيقيَّةٌ يَذهَبُ مَعَها الإحساسُ، ويَكُونُ عَذابُهم على قَدرِ ذُنُوبِهم ثُمَّ يُميتُهم، ثُمَّ يَكُونُونَ مَحبُوسينَ في النَّارِ مِن غيرِ إحساسِ المُدَّةِ الَّتي قَدَّرَها اللهُ تعالى، ثُمَّ يَخرُجُونَ مِنَ النَّارِ مَوتى قَد صارُوا فَحمًا، فيُحمَلُونَ ضَبائِرَ كَما تُحمَلُ الأمتِعةُ، ويُلقَونَ على أنهارِ الجَنَّةِ، فيُصَبُّ عليهم ماءُ الحياةِ، فيَحْيَونَ ويَنبُتونَ نَباتَ الحِبَّةِ في حَميلِ السَّيلِ في سُرعةِ نَباتِها وضَعفِها، فتَخرُجُ لِضَعفِها صَفراءَ مُلتَويةً، ثُمَّ تَشتَدُّ قُوَّتُهم بَعدَ ذَلِكَ ويَصيرُونَ إلى مَنازِلِهم، وتَكمُلُ أحوالُهم، فهذا هو الظَّاهِرُ مِن لَفظِ الحَديثِ... وأمَّا قَولُه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: ضَبائِرَ ضَبائِرَ... قال أهلُ اللُّغةِ: الضَّبائِرُ: جَماعاتٌ في تَفرِقةٍ، ورُوِيَ ضُباراتٍ ضُباراتٍ[2]، وأمَّا قولُه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: ((فبُثُّوا))... معناه: فُرِّقُوا، واللهُ أعلَمُ[3].

---

[1] أخرجه مسلم (185).

[2] أخرجه أحمد (11201)، والنسائي في ((السنن الكبرى)) (11327)، وابن حبان (7379) مطولًا من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عنه. صحَّحه ابن حبان، وصحَّح إسنادَه على شرط مسلم شعيب الأرناؤوط في تخريج ((مسند أحمد)) (11201).

[3] يُنظر: ((شرح مسلم)) (3/ 37).

﴿الوجه السادس﴾

﴿آخر من يدخل الجنَّة﴾

عَن عَبدِ اللهِ بنِ مَسعُودٍ رَضيَ اللهُ عَنه قال: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: {إنِّي لأعلَمُ آخِرَ أهلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنها، وآخِرَ أهلِ الجَنَّةِ دُخُولًا الجَنَّةَ: رَجُلٌ يَخرُجُ مِنَ النَّارِ حَبْوًا، فيَقُولُ اللهُ تبارك وتعالى لَه: اذهَب فادخُلِ الجَنَّةَ، فيَأتيها فيُخَيَّلُ إليه أنَّها مَلأى، فيَرجِعُ فيَقُولُ: يا رَبِّ، وجَدْتُها مَلأى، فيَقُولُ اللهُ تبارك وتعالى لَه: اذهَبْ فادخُلِ الجَنَّةَ، قال: فيَأتيها فيُخَيَّلُ إليه أنَّها مَلأى، فيَرجِعُ فيَقُولُ: يا رَبِّ، وجَدْتُها مَلأى، فيَقُولُ اللهُ لَه: اذهَبْ فادخُلِ الجَنَّةَ؛ فإنَّ لَكَ مِثلَ الدُّنيا وعَشَرةَ أمثالِها –أو إنَّ لَكَ عَشَرةَ أمثالِ الدُّنيا– قال: فيَقُولُ: أتَسخَرُ بي –أو أتضحَكُ بي– وأنتَ المَلِكُ؟ قال: لَقَد رَأيتُ رَسولَ اللهِ ﷺ ضَحِكَ حَتَّى بَدَت نَواجِذُه، قال: فكانَ يُقالُ: ذاكَ أدنى أهلِ الجَنَّةِ مَنزِلةً}[1].

وعَن عَبد اللهِ بن مَسعُودٍ رَضيَ اللهُ عنه أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ قال: {آخِرُ مَن يَدخُلُ الجَنَّةَ رَجُلٌ، فهو يَمشي مَرَّةً، ويَكبُو مَرَّةً، وتَسفَعُه النَّارُ مَرَّةً، فإذا ما جاوزها التَفَتَ إليها، فقال: تبارك الَّذي نَجَّاني مِنكِ، لَقَد أعطاني اللهُ شيئًا ما أعطاه أحَدًا مِنَ الأوَّلينَ والآخِرينَ، فتُرفَعُ لَه شَجَرةٌ، فيَقُولُ: يا رَبِّ، أدنِني مِن هذه الشَّجَرةِ فلأستَظِلَّ بَظِلِّها، وأشرَب مِن مائِها، فيَقُولُ الله عَزَّ وجَلَّ: يا ابنَ آدَمَ لَعَلِّي إنْ أَعطيتُكَها سَألتَني غيرَها؟ فيَقُولُ: لا، يا رَبِّ ويُعاهِدُه أن لا يَسألَه غيرَها، قال: ورَبُّه عَزَّ وجَلَّ يَعذِرُه؛ لِأنَّه يَرى ما لا صَبْرَ لَه عليه، فيُدْنيه مِنها، فيَستَظِلُّ بَظِلِّها، ويَشرَبُ مِن مائِها، ثُمَّ تُرفَعُ لَه شَجَرةٌ هي أحسَنُ مِنَ الأُولى، فيَقُولُ: أيْ رَبِّ، أدنِني مِنَ الشَّجَرةِ لِأشرَبَ مِن مائِها وأستَظِلَّ بَظِلِّها، لا أسألُكَ غيرَها، فيَقُولُ: يا ابنَ آدَمَ، ألَم تُعاهِدْني أن لا تَسألَني غيرَها؟ فيَقُولُ: لَعَلِّي إنْ أدنيتُكَ مِنها تَسألُني غيرَها؟ فيُعاهِدُه أن لا يَسألَه غيرَها، ورَبُّه تعالى يَعذِرُه؛ لِأنَّه يَرى ما لا صَبْرَ لَه عليه، فيُدْنيه مِنها، فيَستَظِلُّ بَظِلِّها، ويَشرَبُ مِن مائِها، ثُمَّ تُرفَعُ لَه شَجَرةٌ عِندَ باب الجَنَّةِ، وهي أحسَنُ مِنَ الأُولَيينِ، فيَقُولُ: أيْ رَبِّ أدنِني مِن هذه لِأستَظِلَّ بَظِلِّها، وأشرَبَ مِن مائِها، لا أسألُكَ غيرَها، فيَقُولُ: يا ابنَ آدَمَ، ألَم تُعاهِدْني أن لا تَسألَني غيرَها؟ قال: بلى، يا رَبِّ لا أسألُكَ غيرَها، ورَبُّه عَزَّ وجَلَّ يَعذِرُه؛ لِأنَّه يَرى ما لا صَبْرَ لَه

---

[1] أخرجه البخاري (6571)، ومسلم (186) واللَّفظُ له.

عليه، فيُدْنيه مِنها، فإذا أدناه مِنها سَمِعَ أصَواتَ أهلِ الجَنَّةِ، فيَقُولُ: أي رَبِّ أدخِلْنيها، فيَقُولُ: يا ابنَ آدَم، ما يَصْريني مِنكَ، أيُرضِيكَ أن أُعطِيَكَ الدُّنيا ومِثلَها مَعَها؟ قال: يا رَبِّ، أتَستَهزِئُ مِني وأنتَ رَبُّ العالَمينَ؟ فضَحِكَ ابنُ مَسعُودٍ، فقال: ألَا تَسألُوني مِمَّ أضحَكُ؟ فقالُوا: مِمَّ تَضْحَكُ؟ قال: هَكَذا ضَحِكَ رَسولُ اللهِ ﷺ، فقالُوا: مِمَّ تَضْحَكُ يا رَسولَ اللَّهِ؟ فقال: مِن ضَحِكِ رَبِّ العالَمينِ، حينَ قال: أتَستَهزِئُ مِني وأنتَ رَبُّ العالَمينَ؟ فيَقُولُ: إنِّي لا أستَهزِئُ مِنكَ، ولَكِنِّي على ما أشاءُ قادِرٌ}[1].

قَولُه عَزَّ وجَلَّ: ((يا بنَ آدَمَ ما يَصْريني مِنكَ)) هو بفَتحِ الياءِ وإسكانِ الصَّادِ المُهمَلةِ، ومَعناه: يَقطَعُ مَسألَتَكَ مِني. قال أهلُ اللُّغةِ: الصَّرْيُ –بفَتحِ الصَّادِ وإسكانِ الرَّاءِ– هو القَطعُ...

والمَعنى: أيُّ شيءٍ يُرضيكَ ويَقطَعُ السُّؤالُ بيني وبينَكَ؟ واللهُ أعلَمُ[2].

الفقراء يسبقون الأغنياء في دخولهم الجنَّة:

عَن عَبدِ اللهِ بنِ عَمرٍو رَضيَ اللهُ عَنهما قال: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: {إنَّ فُقَراءَ المُهاجِرينَ يَسبِقُونَ الأغنياءَ يَومَ القيامةِ إلى الجَنَّةِ بأربَعينَ خَريفًا}[3].



[1] أخرجه مسلم (187).

[2] يُنظر: ((شرح مسلم)) (3/ 42).

[3] أخرجه مسلم (2979).

﴿ الفرع الرابع ﴾

﴿ صفات الجَنَّة ﴾

وفيه عشرة وجوه:

الأول: درجات الجنة:

الثاني: أبواب الجنة:

الثالث: تربة الجنة:

الرابع: أشجار الجنة وثمارها:

الخامس: أنهار الجنة:

السادس: عيون الجنة:

السابع: قصور الجنة وخيامها:

الثامن: نور الجنة:

التاسع: ريح الجنة:

العاشر: دواب الجنة:



﴾الوجه الأول﴿

﴾ الجنة درجات﴿

إن الجنَّة درجات، كل على حسب عمله، قال اللهُ تعالى: ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُوْلَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى﴾[طه: 75].

قال الطبري: يَقولُ: فأُولِئِكَ الَّذينَ لَهم دَرَجاتُ الجَنَّةِ العُلى[1].

وفيها دَرَجاتٌ دُونَ الَّتي فوقَها كما قال اللهُ سُبحانَه: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ إلى أن قال: ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾[الرحمن: 46 – 62].

وقال ابنُ كَثيرٍ: هاتانِ الجِنَّتانِ دُونَ اللَّتينِ قَبلَهما في المَرتَبةِ والفَضيلةِ والمَنزِلةِ بنَصِّ القُرآنِ، قال اللهُ تعالى: {وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ}.

وقَد تقَدَّم في الحَديثِ: {جَنَّتانِ مِن ذَهَبٍ آنيتُهما وما فيهما، وجَنَّتانِ مِن فِضَّةٍ آنيتُهما وما فيهما}[2]؛ فالأُوليَانِ لِلمُقَرَّبينَ، والأُخريانِ لِأصحاب اليَمينِ[3].

وقال اللهُ عَزَّ وجَلَّ: ﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا * دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾[النساء: 95 – 96].

عَن أبي سَعيدٍ الخُدريِّ أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ قال: {إنَّ في الجَنَّةِ مِائةَ دَرَجةٍ، أعَدَّها اللهُ لِلمُجاهِدينَ في سَبيلِه، ما بينَ كُلِّ دَرَجَتينِ كما بينَ السَّماءِ والأرضِ}[4].

وعَن أبي سَعيدٍ الخُدريِّ رَضيَ اللهُ عَنه أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ قال: {إنَّ أهلَ الجَنَّةِ لَيَتَراءَوْنَ أهلَ الغُرَفِ مِن فوقِهم كما تَتَراءَونَ الكَوكَبَ الدُّرِّيَّ الغابرَ مِنَ الأُفُقِ مِنَ المَشرِقِ أوِ المَغربِ لِتَفاضُلِ

---

[1] ينظر: تفسير الطبري.

[2] أخرجه البخاري (4878)، ومسلم (180) مطولًا باختلافٍ يسيرٍ من حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللهُ عنه.

[3] يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (7/ 506).

[4] أخرجه مسلم (1884) بلفظ: ((..وأخرى يرفع بها العبد مائة درجة في الجنة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض). قال: وما هي يا رسول الله؟ قال: الجهاد في سبيل الله. الجهاد في سبيل الله)).

ما بينَهم، قالُوا: يا رَسولَ اللهِ، تِلكَ مَنازِلُ الأنبياءِ لا يَبلُغُها غيرُهم؟ قال: بلى والَّذي نَفسي بيَدِه رَجالٌ آمَنُوا باللهِ وصَدَّقوا المُرْسَلينَ}[1].

وعَن أبي هُرَيرةَ رَضيَ اللهُ عَنه أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ قال: {إنَّ أهلَ الجَنَّةِ لَيَتَراءَونَ في الجَنَّةِ كَما تَراءَونَ أو تَرَونَ الكَوكَبَ الدُّرِّيَّ الغارِبَ في الأفُقِ الطَّالِعَ، في تَفاضُلِ الدَّرَجاتِ، قالُوا: يا رَسولَ اللهِ، أُولَئِكَ النَّبيُّونَ؟ قال: بلى، والَّذي نَفسي بيدِه وأقوامٌ آمَنُوا باللهِ وصَدَّقُوا المُرْسَلينَ}[2].

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: {يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلك عند آخر آية تقرؤها}[3].

وأفضَلُ الأنبياءِ دَرَجةً نبينا مُحَمَّدٌ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم:

عَن عَبدِ اللهِ بنِ عَمرٍو رَضيَ اللهُ عَنهما أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: {إذا سَمِعتُمُ المُؤَذِّنَ فقُولُوا مِثلَ ما يَقُولُ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ؛ فإنَّه مَن صَلَّى عليَّ صَلاةً صَلَّى اللهُ عليه بها عَشرًا، ثُمَّ سَلُوا اللهَ لي الوسيلةَ؛ فإنَّها مَنزِلةٌ في الجَنَّةِ لا تَنبَغي إلَّا لِعَبدٍ مِن عِبادِ اللهِ، وأرجُو أن أكُونَ أنا هو}[4].

نسأل الله العظيم أن يكون هو صلى الله عليه.

---

[1] أخرجه البخاري (3256)، ومسلم (2831) واللَّفظُ له.

[2] أخرجه الترمذي (2556)، وأحمد (8471) واللَّفظُ له صحَّحه الترمذي، والألباني في ((صحيح سنن الترمذي)) (2556)، وشعيب الأرناؤوط في تخريج ((مسند أحمد)) (8471)، وقال المنذري في ((الترغيب والترهيب)) (370/4): رواته محتجٌّ بهم في الصحيحِ، وقال ابن القيم في ((حادي الأرواح)) (73): على شرط البخاري.

[3] أخرجه أبو داود (1464) واللفظ له، والترمذي (2914)، وأحمد (6799) صححه الترمذيُّ، وابنُ حِبَّان في ((صحيحه)) (766)، والألبانيُّ في ((صحيح سنن الترمذي)) (2914)، وصحَّحه لغيرِه شعيب الأرناؤوط في تخريج ((سنن أبي داود)) (1464)، وحَسَّنه الوادعي في ((الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين)) (798).

[4] أخرجه مسلم (384).

﴿الوجه الثاني﴾

﴿أبواب الجنة﴾

أولا: عدد أبواب الجنة:

عَن سَهلِ بن سَعدٍ رَضيَ اللهُ عَنهما أنَّ رَسولَ الله ﷺ قال: {في الجَنَّةِ ثَمانيةُ أبوابٍ، فيها بابٌ يُسَمَّى الرَّيانَ لا يَدخُلُه إلَّا الصَّائِمُونَ}[1].

ثانيا: تنوَّع أبواب الجنَّة بحسب العبادات:

عَن أبي هُرَيرَةَ رَضيَ اللهُ عَنه أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ قال: {مَن أنفَقَ زَوجينِ مِن شيءٍ مِنَ الأشياءِ في سَبيلِ اللهِ دُعِيَ مِن أبواب –يَعني الجَنَّةَ– يا عَبدَ اللهِ، هذا خيرٌ، فمَن كانَ مِن أهلِ الصَّلاةِ دُعيَ مِن باب الصَّلاةِ، ومَن كانَ مِن أهلِ الجِهادِ دُعيَ مِن باب الجِهادِ، ومَن كانَ مِن أهلِ الصَّدَقةِ دُعيَ مِن باب الصَّدَقةِ، ومَن كانَ مِن أهلِ الصِّيامِ دُعيَ مِن باب الصِّيامِ، وبابِ الرَّيَّانِ، فقال أبُو بَكْرٍ: ما على هذا الَّذي يُدعى مِن تِلكَ الأبوابِ مِن ضَرُورةٍ، وقال: هَل يُدعى مِنها كُلِّها أحَدٌ يا رَسولَ اللهِ؟ قال: نَعَم، وأرجُو أن تَكُونَ مِنهم يا أبا بَكرٍ}[2].

ثالثا: سَعة أبواب الجنة:

عَن أبي هُرَيرَةَ رَضيَ اللهُ عَنه قال: {وُضِعَت بينَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَصعةٌ مِن ثَريدٍ ولَحمٍ، فتَناولَ الذِّراعَ، وكانَت أحبَّ الشَّاةِ إليه، فنَهَسَ نَهسةً ، فقال: أنا سيِّدُ النَّاسِ يَومَ القيامةِ، ثُمَّ نَهسَ أُخرى، فقال: أنا سيِّدُ النَّاسِ يَومَ القيامةِ، فلَمَّا رَأى أصحابَه لا يَسألُونَه قال: ألَّا تَقُولُونَ: كيفَهْ؟ قالُوا: كيفَهْ يا رَسولَ اللَّهِ؟ قال: يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ العالَمينَ... إلى أن قال: والَّذي نَفسُ مُحَمَّدٍ بيدِه إنَّ ما بينَ المِصراعينِ من مصاريعِ الجنَّةِ إلى عِضادَتَي الباب لَكَمَا بين مكَّةَ وهَجَر ، أو هَجَر ومكَّة)). قال: لا أَدري أيَّ ذَلِكَ قال[3]. وفي رِوايةٍ: إن ما بينَ المِصراعينِ مِن مَصاريعِ الجَنةِ كَما بينَ مَكَّةَ وحِمْيَرٍ – أو كَما بينَ مَكَّةَ وبُصْرى}[4].

هَجَر: مدينة في البحرين.

---

[1] أخرجه البخاري (3257) واللَّفظُ له، ومسلم (1152).

[2] أخرجه البخاري (3666) واللَّفظُ له، ومسلم (1027).

[3] أخرجه مسلم (194).

[4] أخرجها البخاري (4712) مطولًا.

﴿ الوجه الثالث ﴾

﴿ تربة الجنة ﴾

عَن أبي ذَرٍّ رَضيَ اللهُ عَنه أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ قال: {أُدخِلْتُ الجَنَّةَ فإذا فيها جَنابذُ اللُّؤلُؤِ، وإذا تُرابُها المِسْكُ}[1].

الجنابذ جمع جنبذ، وهو ما ارتفع من البناء.

﴿ الوجه الرابع ﴾

﴿ أشجار الجنة وثمارها ﴾

أولا: صفة أشجار الجنَّة:

عَن أنسٍ رَضِيَ اللهُ عَنه أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ قال: {إنَّ في الجَنَّةِ لِشَجَرةً يَسيرُ الرَّاكِبُ في ظِلِّها مِائةَ عامٍ لا يَقطَعُها}[2].

ثانيا: كيف يملك المسلم أشجارا في الجنَّة:

عَن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عَنه أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ مَرَّ به وهو يَغرِسُ غَرسًا، فقال: {يا أبا هُرَيرة ما الَّذي تَغرِسُ؟ قُلتُ: غِراسًا لي، قال: ألَا أدُلُّك على غِراسٍ خيرٍ لَكَ مِن هذا؟))، قال: بلى يا رَسولُ اللهِ، قال: قُلْ: سُبحانَ اللهِ، والحَمدُ لِلَّهِ، ولا إلَهَ إلَّا اللهُ، واللَّهُ أكبَرُ؛ يُغرَسْ لَكَ بكُلِّ واحِدةٍ شَجَرةٌ في الجَنَّةِ}[3].

---

[1] أخرجه البخاري (3342)، ومسلم (163) مطولًا.

[2] أخرجه البخاري (3251).

[3] أخرجه ابن ماجه (3807) واللَّفظُ له، والحاكم (1887). صحَّحه الألباني في ((صحيح سنن ابن ماجه)) (3807)، وصحَّح إسنادَه الحاكم، وحسَّنه المنذري في ((الترغيب والترهيب)) (2/349)، والبوصيري في ((مصباح الزجاجة)) (2/263).

﴿الوجه الخامس﴾

﴿أنهار الجنة﴾

أجناس أنهار الجنَّة أربع: أنهار من لبن، وأنهار من عسل، وأنهار من خمر، وأنهار من ماء.

قال تعالى: ﴿مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾[محمد: 15].

ماءٍ آسن: يعني صافٍ لا كدر فيه.

﴿الوجه السادس﴾

﴿عيون الجنة﴾

قال اللهُ تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾[الحجر: 45].

قال ابنُ جَريرٍ: العُيُونُ: عُيُونُ الماءِ المُطَّرِدِ في أُصولِ أشجارِ الجَناتِ[1].

وقال اللهُ سُبحانَه: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ﴾[المرسلات: 41].

قال السَّعْديُّ: وعُيُونٍ جارِيةٍ مِنَ السَّلْسَبيلِ والرَّحيقِ وغيرِهما[2].

وقال اللهُ عَزَّ وجَلَّ في وصفِ الجَنتينِ اللَّتينِ أعَدَّهما لِمَن خاف مَقامَ رَبِّه: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾[الرحمن: 50].

قال السَّمعاني: هما التَّسنيمُ والسَّلْسَبيلُ، وعَن بَعضِهم: تَجريانِ بكُلِّ خيرٍ وبركةٍ[3].

---

[1] ينظر: تفسير الطبري.

[2] ينظر: تفسير السعدي.

[3] ينظر: تفسير السمعاني.

عدد عيون الجنة:

المنصوص عليه أنها ثلاثة:

الأولى: عين الكافور:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ [الإنسان: 5-6].

أي: بيضاء بلون الكافور.

الثانية: عين السلسبيل:

قال الله تعالى: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا * عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا﴾ [الإنسان: 17 – 18].

والسلسبيل: أي: متسلسلة غير منقطعة، كذلك شدة جريانها، كذلك من سلاسة جريانها في الحلوق، فهي من التسلسل ومن السلاسة.

الثالثة: عين التسنيم:

قال الله سُبحانَه: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ * تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ * يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ * خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ * وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ * عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ [المطففين: 22 – 28].

وقال ابنُ جَريرٍ: يَقُولُ تعالى ذِكرُه: ومِزاجُ هذا الرَّحيقِ مِن تَسنيمٍ، والتَّسنيمُ: التَّفعيلُ مِن قَولِ القائِلِ: سَنَّمتُهمُ العينَ تَسنيمًا: إذا أجريتَها عليهم مِن فوقِهم، فكانَ مَعناه في هذا المَوضِعِ: ومِزاجُه مِن ماءٍ يَنزِلُ عليهم مِن فوقِهم فيَنحَدِرُ عليهم. وقَد كانَ مُجاهِدٌ والكَلبيُّ يَقُولانِ في ذَلِكَ كَذَلِكَ... وأمَّا سائِرُ أهلِ التَّأويلِ، فقالُوا: هو عينٌ يُمزَجُ بها الرَّحيقُ لِأصحابِ اليَمينِ، وأمَّا المُقَرَّبُونَ فيَشرَبُونَها صِرفًا[1].

---

[1] ينظر: تفسير الطبري.

﴿الوجه السابع﴾

﴿قصور الجنة وخيامها﴾

قال تعالى في أبنية الجنة:

قال اللهُ تعالى: ﴿وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾ [التوبة: 72].

قال اللهُ سُبحانَه: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ﴾ [سبأ: 37].

الغرفات بيوت فوق الأبنية.

وقال اللهُ عَزَّ وجَلَّ في جزاءِ عِبادِ الرَّحمنِ: ﴿أُوْلَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا﴾ [الفرقان: 75].

قال ابنُ جَريرٍ: الْغُرْفَةَ وهي مَنزِلةٌ مِن مَنازِلِ الجَنَّةِ رَفيعةٌ[1].

قال اللهُ تعالى: ﴿لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ﴾ [الزمر: 20].

قال ابن كثير: أي: طِباقٌ فوقَ طِباقٍ، مَبنيَّاتٌ مُحكَماتٌ مُزخْرَفاتٌ عالياتٌ[2].

وقال تعالى في الخيام:

قال اللهُ تعالى: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ [الرحمن: 72].

والقصر الحبس، فهنَّ محبوسات في الخيام، قد تهيَّأن وأعددن أنفسهنَّ لأزواجهنَّ.

وعَن أبي مَوسى الأشعَريِّ رَضِيَ اللهُ عَنه قال: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: {الخيمةُ دُرَّةٌ مُجَوَّفةٌ طُولُها في السَّماءِ ثَلاثُونَ ميلًا، في كُلِّ زاويةٍ مِنها لِلمُؤمِنِ أهلٌ لا يَراهمُ الآخَرُونَ}[3].

[1] ينظر: تفسير الطبري.

[2] ينظر: تفسير ابن كثير.

[3] أخرجه البخاري (3243).

قصور الجنة:

عَن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عَنه قال: {أتى جِبريلُ ﷺ النَّبيَّ ﷺ فقال: يا رَسولَ اللهِ، هذه خَديجةُ قَد أتَت مَعَها إناءٌ فيه إدامٌ وطَعامٌ، فإذا أتَتْكَ فاقرَأْ عليها السَّلامَ مِن رَبِّها ومِني، وبَشِّرْها ببيتٍ في الجَنَّةِ مِن قَصبٍ، لا صَخَبَ فيه ولا نَصَبَ}[1].

قال الخَطَّابي: (البيتُ: القَصْرُ. قال ابنُ الأعرابيِّ: يُقالُ: هذا بيتُ فُلانٍ، أي قَصْرُه. والقَصَبُ: الدُّرُّ المُجَوَّفُ[2].

وعَن جابرٍ رَضِيَ اللهُ عَنه قال: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: {رَأيتُني دَخَلْتُ الجَنَّةَ، فإذا أنا بالرُّمَيصاءِ امرَأةِ أبي طَلحةَ، وسَمِعتُ خَشَفةً، فقُلتُ: مَن هذا؟ فقال: هذا بلالُ، ورَأيتُ قَصرًا بِفِنائِه جاريةٌ، فقُلتُ: لِمَن هذا؟ فقال: لِعُمَرَ، فأرَدتُ أن أدخُلَه فأنظُرَ إليه، فذَكَرتُ غيرَتَكَ، فقال عُمَرُ: بأبي وأُمِّي يا رَسولَ اللهِ! أعليكَ أغارُ؟}[3].

الرميصاء: واسمها سهلة، وقيل رملة.

الخشفة الصوت، وفي الحديث يعني صوت القدم وهي تمشي.

كيفية امتلاك القصور في الجنة:

قال النبي ﷺ: {من ثابرَ على ثنتي عشرةَ رَكعةً منَ السُّنَّةِ بنى اللَّهُ لَهُ بيتًا في الجنَّةِ أربعِ رَكعاتٍ قبلَ الظُّهرِ ورَكعتينِ بعدَها ورَكعتينِ بعدَ المغربِ ورَكعتينِ بعدَ العشاءِ ورَكعتينِ قبلَ الفجرِ}[4].

وعنه صلى الله عليه وسلم: {مَن بنى مَسْجِدًا، -قال بكيرٌ: حَسِبتُ أنَّه قال- يَبتَغي به وجهَ اللهِ، بنى اللهُ لَه مِثلَه في الجَنَّةِ}[5].

---

[1] أخرجه البخاري (3820)، ومسلم (2432).

[2] يُنظر: ((شرح رياض الصالحين)) (4/ 121-123).

[3] أخرجه البخاري (3679) واللَّفظُ له، ومسلم (2394).

[4] أخرجه الترمذي (414) واللفظ له، والنسائي (1794)، وابن ماجه (1140).

[5] أخرجه البخاري (450) واللَّفظُ له، ومسلم (533). وفي رِوايةِ هارُون: ((بَنى اللهُ لَه بيتًا في الجَنَّةِ)) . أخرجها مسلم (533).

﴿ الوجه الثامن ﴾

﴿ نور الجنة ﴾

قال اللهُ تعالى: ﴿ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴾ [مريم: 62 – 63].

قال ابنُ جَريرٍ: يَقُولُ: ولَهم طَعامُهم وما يَشتَهونَ مِنَ المَطاعِمِ والمَشارِبِ في قَدرِ وقتِ البُكْرةِ ووقتِ العَشِيِّ مِن نَهارِ أيَّامِ الدُّنيا، وإنَّما يَعني أنَّ الَّذي بينَ غَدائِهم وعَشائِهم في الجَنَّةِ قَدرُ ما بينَ غَداءِ أحَدِنا في الدُّنيا وعَشائِه، وكَذَلِكَ ما بينَ العَشاءِ والغَداءِ؛ وذَلِكَ لِأنَّه لا ليلَ في الجَنَّةِ ولا نَهارَ، وذَلِكَ كَقَولِه: ﴿ خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ ﴾ [فصلت: 9]، وخَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ يَعني به: مِن أيَّامِ الدُّنيا[1].

وقال اللهُ سُبحانَه: ﴿ وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا * مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴾ [الإنسان: 12 – 13].

قال القُرطُبيُّ: {لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا} أي: لا يَرَونَ في الجَنَّةِ شِدَّةَ حَرٍّ كَحرِّ الشَّمسِ، ولا زَمْهريرًا، أي: ولا بَردًا مُفرِطًا...[2].

والراجح عندي؛ أنَّ الجنَّة مستنيرة بنور الله تعالى، وهي من أعظم العطايا، ودليلنا قوله تعالى: ﴿ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا ﴾ [الزمر: 69]، وإن كان الإشراق هنا في وقت الحساب، إلا أنَّ اشراق الجنَّة بنور ربها من باب أولى، والله أعلم.

---

[1] ينظر: تفسير الطبري.

[2] ينظر: تفسير القرطبي.

﴿الوجه التاسع﴾

﴿ريح الجنة﴾

ريح الجنة، يوجد على مسيرة أربعين عاما:

عَن عَبدِ اللهِ بنِ عَمرٍو رَضِيَ اللهُ عَنهما أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: {مَن قَتلَ مُعاهَدًا لَم يَرَحْ رائِحةَ الجَنَّةِ، وإنَّ ريحَها تُوجَدُ مِن مَسيرةِ أربَعينَ عامًا}[1].

وريحُ الجَنَّةِ نَوعانِ: ريحٌ يُوجَدُ في الدُّنيا تَشَمَّه الأرواحُ أحيانًا لا يُدرِكُه العِبادُ، وريحٌ يُدرَكُ بحاسةِ الشَّمِّ لِلأبَدانِ كَما تُشَمُّ رَوائِحُ الأزهارِ، وغيرُها، وهذا يَشترِكُ أهلُ الجَنةِ في إدراكِه في الآخِرةِ مِن قُربٍ وبُعدٍ، وأمَّا في الدُّنيا فقَد يُدرِكُه مَن شاءَ اللهُ مِن أنبيائِه ورُسُلِه، وهذا الَّذي وَجَدَه أنسُ بنُ النَّضْرِ رَضِيَ اللهُ عَنه يَجُوزُ أن يَكُونَ مِن هذا، وأن يَكُونَ مِنَ الأوَّلِ، واللهُ أعلَمُ[2].

﴿الوجه العاشر﴾

﴿دواب الجنة﴾

عَن أنسِ بنِ مالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنه قال: سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ما الكَوثَرُ؟ قال: {ذاكَ نَهرٌ أعطانيه اللهُ، يَعني في الجَنَّةِ، أشَدُّ بياضًا مِنَ اللَّبَنِ، وأحلى مِنَ العَسَلِ، فيها طيرٌ أعناقُها كَأعناقِ الجُزُرِ، قال عُمَرُ: إنَّ هذه لَناعِمةٌ! قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: أكَلَتُها أحسَنُ مِنها}.

لناعِمةٌ، أي: لِمُتَنَعِّمةٌ أو لِنِعمةٌ طَيِّبةٌ[3].

وعَن أبي مَسعُودٍ عُقْبةَ بنِ عَمرٍو رَضِيَ اللهُ عَنه قال: {جاءَ رَجُلٌ بناقةٍ مَخطُومةٍ، فقال: هذه في سَبيلِ اللهِ، فقال رَسُولُ اللهِ ﷺ: لَكَ بها يَومَ القيامةِ سَبعُمِائةِ ناقةٍ كُلُّها مَخطُومةٌ}[4].

---

[1] أخرجه البخاري (3166).

[2] يُنظر: ((حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح)) (ص: 160).

[3] أخرجه الترمذي (2542) واللَّفظُ له، وأحمد (13480). صحَّحه الألباني في ((صحيح سنن الترمذي)) (2542)، وشعيب الأرناؤوط في تخريج ((مسند أحمد)) (13480)، وقال الترمذي: حسنٌ غريبٌ.

[4] أخرجه مسلم (1892).

وعن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال : كنت قائماً عند رسول الله ﷺ فجاء حبر من أحبار اليهود فقال السلام عليك يا محمد فدفعته دفعة كاد يصرع منها .... قال: فما غذاؤهم على إثرها؟ قال – صلى الله عليه وسلم – : يُنحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها ...[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنها قال: قال رسول الله ﷺ: {صلوا في مراح الغنم وامسحوا رغامها فإنها من دواب الجنة}[2].

والرغام (بالغين) هو التراب.

عن سليمان بن بريدة عن أبيه أن رجلا سأل النبي ﷺ فقال: يا رسول الله هل في الجنة من خيل ؟ قال: إنِ اللهُ أدخلك الجنة فلا تشاء أن تحمل فيها على فرس من ياقوتة حمراء يطير بك في الجنة حيث شئت، قال: وسأله رجل فقال يا رسول الله هل في الجنة من إبل؟ قال: فلم يقل له مثل ما قال لصاحبه، قال: إن يدخلك الله الجنة يكن لك فيها ما اشتهت نفسك ولذت عينك[3].

يسأل سائل فيقول: إنَّ لي حيوانا أليفا مما يجوز تربيته، كالقطط وغيرها، وإني لأحبه، والحيوانات توكنوا ترابا آخر المطاف، وإني لأهوى لو أدخلني ربي الجنَّة أن أجد ذاك الحيوان فيها.

نجيب: بقوله تعالى: ﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾[ق: 35]**، ويتبين لنا من هذا أنَّ كل ما يتمناه المسلم في الدنيا ويشتهيه يجده ويجد خيرا منه في الجنة، وهو كذلك تصديق لقول النبي ﷺ: {إن يدخلك الله الجنة يكن لك فيها ما اشتهت نفسك ولذت عينك}[4].**



[1] رواه مسلم (315).

[2] رواه البيهقي (2/449) وصححه الألباني في "صحيح الجامع" (3789).

[3] رواه الترمذي (2543) . وحسَّنه الألباني في " صحيح الترغيب " (3 / 522).

[4] رواه الترمذي (2543) . وحسَّنه الألباني في " صحيح الترغيب " (3 / 522).

﴿الفرع الخامس﴾

﴿أصحاب الجنّة﴾

أولا: المستضعفون أكثر أهل الجنّة:

عَن حارِثةَ بنِ وهْبٍ الخُزاعيِّ رَضِيَ اللهُ عَنه أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ قال: {ألا أُخبِرُكم بأهلِ الجَنَّةِ؟ كُلُّ ضَعيفٍ مُتَضَعِّفٍ، لَو أقسَمَ على اللهِ لأبَرَّه}[1].

قال النَّوويُّ: مَعناه: يَستَضعِفُه النَّاسُ ويَحتَقِرُونَه ويَتَجَبَّرُونَ عليه؛ لِضَعفِ حالِه في الدُّنيا... والمُرادُ أنَّ أغلَبَ أهلِ الجَنةِ هَؤُلاءِ... وليسَ المُرادُ الِاستيعاب[2].

وعَن أسامةَ بنِ زَيدٍ رَضِيَ اللهُ عَنهما أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ قال: {قُمْتُ على بابِ الجَنةِ، فكانَ عامَّةُ مَن دَخَلَها المَساكينَ، وأصحابُ الجَدِّ مَحبُوسُونَ، غيرَ أنَّ أصحابَ النَّارِ قَد أُمِرَ بهم إلى النَّارِ}[3].

أصحاب الجد: أي: أصحاب الحظ، من ذلك قوله ﷺ: {ولا ينفع ذا الجد منك الجد}[4].

أي: لا ينفع هذا الحظ من الدنيا من سعادة وغنى، فإنَّ هذا الحظَّ منك.

ثانيا: مقدار من يدخل الجنَّة من هذه الأمة:

عَن عَبدِ اللهِ بنِ مَسعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنه قال: {كُنَّا مَعَ رَسولِ اللهِ ﷺ في قُبَّةٍ نَحوًا مِن أربَعينَ رَجُلًا، فقال: أترْضَونَ أن تَكُونُوا رُبُعَ أهلِ الجَنةِ؟ قال: قُلنا: نَعَم، فقال: أترْضَونَ أن تَكُونُوا ثُلُثَ أهلِ الجَنَّةِ؟ فقُلنا: نَعَم، فقال: والَّذي نَفسي بيَدِه، إنِّي لَأرجُو أن تَكُونُوا نِصفَ أهلِ الجَنَّةِ، وذاكَ أنَّ الجَنةَ لا يَدخُلُها إلَّا نَفسٌ مُسلِمةٌ، وما أنتَم في أهلِ الشِّركِ إلَّا كالشَّعرةِ البيضاءِ في جِلدِ الثَّورِ الأسوَدِ، أو كالشَّعرةِ السَّوداءِ في جِلدِ الثَّورِ الأحمَرِ}[5].

---

[1] أخرجه البخاري (4918)، ومسلم (2853) مطولًا.

[2] يُنظر: ((شرح مسلم)) (187/17).

[3] أخرجه البخاري (5196)، ومسلم (2736).

[4] أخرجه مسلم 478.

[5] أخرجه البخاري (6528)، ومسلم (221) واللَّفظُ له.

عَن بُريدةَ بنِ الحصيبِ الأسلَميِّ رَضِيَ اللهُ عَنه أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ قال: {أهلُ الجَنَّةَ عِشرُونَ ومِائةُ صَفٍّ، ثَمانُونَ مِنها مِن هذه الأُمَّةِ، وأربَعُونَ مِن سائِرِ الأُمَمِ}[1].

قال ابنُ القيِّمِ: هذه الأحاديثُ قَد تَعَدَّدت طُرُقُها، واختَلَفَت مَخارِجُها، وصَحَ سَنَدُ بَعضِها، ولا تَنافيَ بينَها وبينَ حَديثِ الشَّطرِ؛ لِأنَّه رَجا أولًا أن يَكُونُوا شَطرَ أهلِ الجَنَّةِ فأعطاه اللهُ سُبحانَه رَجاءَه، وزادَ عليه سُدسًا آخَرَ[2].

ثالثا: أهلُ الجَنَّةِ يَرِثُونَ نَصيبَ أهلِ النَّارِ في الجَنَّةِ:

عَن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عَنه قال: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: {ما مِنكم مِن أحَدٍ إلَّا ولَه مَنزِلانِ: مَنزِلٌ في الجَنةِ، ومَنزِلٌ في النَّارِ، فإذا مات فدَخلَ النَّارَ ورِثَ أهلُ الجَنَّةِ مَنزِلَه، فذَلِكَ قَولُه: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾ [المؤمنون: 10]}.



[1] أخرجه الترمذي (2546) واللَّفظُ له، وابن ماجه (4289)، وأحمد (23061). صحَّحه ابن حبان في ((صحيحه)) (7460)، والحاكم على شرط مسلم في ((المستدرك)) (273)، والألباني في ((صحيح سنن الترمذي)) (2546)، وحسَّنه الوادعي في ((الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين)) (156)، وصحَّح إسنادَه شعيب الأرناؤوط في تخريج ((مسند أحمد)) (23061)، وقال ابن القيم في ((حادي الأرواح)) (113): إسناده على شرط الصحيح.

[2] يُنظر: ((حادي الأرواح)) (ص: 124).

﴿الفرع السادس﴾

﴿سادة أهل الجنّة﴾

أولا سيدا شباب أهل الجنَّة:

عَن أبي سَعيدٍ الخُدريِّ رَضِيَ اللهُ عَنه أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ قال: {الحَسَنُ والحُسَينُ سيِّدَا شَبابِ أهلِ الجَنَّةِ}[1].

ثانيا: أفضل نساء الجنة:

عَن عَبدِ اللهِ بنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنهما قال: {خَطَّ رَسولُ اللهِ ﷺ في الأرضِ أربعَةَ خُطُوطٍ، قال: تَدرُونَ ما هذا؟ فقالُوا: اللهُ ورَسولُه أعلَمُ. فقال رَسُولُ اللهِ ﷺ: أفضَلُ نِساءِ أهلِ الجَنَّةِ: خَديجةُ بنتُ خُويلِدٍ، وفاطِمةُ بنتُ مُحَمَّدٍ، وآسيَّةُ بنتُ مُزاحِمٍ امرَأةُ فِرعَونَ، ومَريَمُ ابنةُ عِمرانَ}[2].

ثالثا: المبشرون بالجنَّة:

أبو بكر، عمر، عثمان، علي، طلحة، الزبير، عبد الرحمن بن عوف، سعد، سعيد، أبو عبيدة بن الجرَّاح، عبد الله بن سلام، زيد بن حارثة، حارثة بن النعمان، بلال بن رباح، أبو الدَّحداح، الغُميصان بنت ملحان، خديجة بنت خويلد، فاطمة بنت محمد، جعفر بن عبد المطلب، حمزة بن عبد المطلب، وغيرهم...

عَن عَبدِ الرَّحمَنِ بنِ عَوفٍ رَضِيَ اللهُ عَنه قال: {قال رَسُول الله ﷺ: أبُو بَكرٍ في الجَنَّةِ، وعُمرُ في الجَنَّةِ، وعُثمانُ في الجَنَّةِ، وعَليٌّ في الجَنَّةِ، وطَلحةُ في الجَنَّةِ، والزُّبيرُ في الجَنَّةِ، وعَبدُ

---

[1] أخرجه الترمذي (3768)، وأحمد (11594). صحَّحه الترمذي، وابن حبان في ((صحيحه)) (6959)، والحاكم في ((المستدرك)) (4778).

[2] أخرجه أحمد (2668) واللَّفظُ له، والنسائي في ((السنن الكبرى)) (8357)، وابن حبان (7010). صحَّحه ابن حبان، والوادعي في ((صحيح دلائل النبوة)) (474)، وصحَّح إسنادَه الحاكم في ((المستدرك)) (4754)، وابن حجر في ((فتح الباري)) (543/6)، وأحمد شاكر في تخريج ((مسند أحمد)) (323/4)، وشعيب الأرناؤوط في تخريج ((مسند أحمد)) (2668)، وحسَّنه النووي في ((تهذيب الأسماء واللغات)) (341/2).

الرَّحمَنِ بنُ عَوفٍ في الجَنَّةِ، وسَعدٌ في الجَنةِ، وسَعيدٌ في الجَنَّةِ، وأبُو عُبيدةَ بنُ الجَرَّاحِ في الجَنَّةِ}[1].

وعَن يَزيدَ بنِ عُمَيرةَ قال: {لَمَّا حَضرَ مُعاذَ بنَ جَبَلٍ المَوتُ قيلَ لَه: يا أبا عَبدِ الرَّحمَنِ، أوصِنا، قال: أجلِسُوني، فقال: إنَّ العِلمَ والإيمانَ مَكانَهما مَن ابتَغاهما وجَدَهما، يَقُولُ ذَلِكَ ثَلاثَ مَرَّاتٍ، والتَمِسُوا العِلمَ عِندَ أربَعةِ رَهطٍ؛ عِندَ عُويمِرٍ أبي الدَّرداءِ، وعِندَ سَلمانَ الفارِسيِّ، وعِندَ عَبدِ اللهِ بنِ مَسعُودٍ، وعِندَ عَبدِ اللهِ بنِ سَلامٍ، الَّذي كانَ يَهوديًّا فأسلَمَ؛ فإنِّي سَمِعتُ رَسولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: إنَّه عاشِرُ عَشَرةٍ في الجَنَّةِ}[2].

قال المُناويُّ: «عَبدُ اللهِ بنُ سَلَامٍ» بالتَّخفيفِ، بنِ الحارِثِ بن يُوسُفَ الإسرائيليُّ، كانَ مِن عُلَماءِ الصَّحْبِ وأكابرِهم ((عاشِرُ عَشَرةٍ في الجَنَّةِ)) لا يُناقِضُه أنَّه لَم يُعَدَّ في العَشَرةِ المَشهودِ لَهم بالجَنَّةِ الَّذينَ مِنهمُ الخُلفاءُ الأربَعةُ؛ لِأنَّ هذه عَشَرةٌ غيرُها، وسَبَقَ أنَّ ذِكرَ العَشَرةِ لا يَنفي ما زادَ[3].

وقال الصَّنعانيُّ: ((عاشِرُ عَشَرةٍ في الجَنَّةِ)) اللهُ أعلَمُ مَن أرادَ صلَّى اللهُ عليه وسلم بالتِّسعةِ الَّذي هو عاشِرُهم، وتقَدَّم حَديثُ العَشَرةِ المُبَشَّرينَ بالجَنَّةِ، وهو ما يَنفي كَونَ غيرِهم مَحكُومًا لَه بها في دارِ الدُّنيا، وفي هذا بُشْرى لِعَبدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنه وفَضْله[4].

وعَن بُرَيدةَ بنِ الحصيبِ الأسلَميِّ رَضِيَ اللهُ عَنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: {دَخَلْتُ الجَنَّةَ فاستَقبَلَتْني جاريةٌ شابَّةٌ، فقُلتُ: لِمَن أنتِ؟ قالت: أنا لِزَيدِ بنِ حارِثةَ}[5].

---

[1] أخرجه الترمذي (3747) واللَّفظُ له، وأحمد (1675)، والنسائي في ((السنن الكبرى)) (8194). صحَّحه ابن حبان في ((صحيحه)) (7002)، والألباني في ((صحيح سنن الترمذي)) (3747)، وصحَّح إسنادَه أحمد شاكر في تخريج ((مسند أحمد)) (136/3)، وشعيب الأرناؤوط على شرط مسلم في تخريج ((صحيح ابن حبان)) (7002).

[2] أخرجه الترمذي (3804) واللَّفظُ له، وأحمد (22104). صحَّحه الترمذي، وابن حبان في ((صحيحه)) (7165)، والحاكم على شرط الشيخين في ((المستدرك)) (334).

[3] يُنظر: ((فيض القدير)) (4/ 300).

[4] يُنظر: ((التنوير شرح الجامع الصغير)) (7/ 200).

[5] أخرجه ابن أبي عاصم في ((الآحاد والمثاني)) (256)، وابن عساكر في ((تاريخ دمشق)) (371/19). صحَّحه الألباني في ((صحيح الجامع)) (3366)، وحسَّن إسنادَه الذهبي في ((تاريخ الإسلام)) (496/2)، وشعيب الأرناؤوط في تخريج ((سير أعلام النبلاء)) (230/1).

وعَن عائِشةَ رَضِيَ اللهُ عَنها أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ قال: {دَخَلْتُ الجَنَّةَ، فسَمِعتُ فيها قِراءةً، قُلتُ: مَن هذا؟ قالُوا: حارِثةُ بنُ النُّعمانِ، كَذاكمُ البِرُّ، كَذاكمُ البِرُّ}[1].

أي: أنَّ هذه الدرجة تُنال بالبرِّ.

وعَن جابِرِ بنِ عَبدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنهما أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: {رَأيتُني دَخَلْتُ الجَنَّةَ.. وسَمِعتُ خَشَفةً، فقُلتُ: مَن هذا؟ فقال: هذا بِلالٌ}[2].

وعَن جابِرِ بنِ سَمُرةَ رَضِيَ اللهُ عَنه أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ قال: {كَم مِن عِذْقٍ مُعَلَّقٍ أو مُدلًّى في الجَنَّة لِابنِ الدَّحداحِ} أو قال شُعبةُ: {لِأبي الدَّحداحِ}[3].

وعَن أنسِ بنِ مالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: {دَخَلْتُ الجَنَّةَ فسَمِعْتُ خَشَفةً، فقُلتُ: مَن هذا؟ قالُوا: هذه الغُميصاءُ بنتُ مِلحانَ أمُّ أنس بن مالِكٍ}[4].

وعن عبد بن عبَّاس قال النبي ﷺ: {أفضَلُ نساءِ أهلِ الجَنَّةِ خَديجةُ بنتُ خُوَيلِدٍ، وفاطمةُ بنتُ محمَّدٍ، ومَريَمُ بنتُ عِمرانَ، وآسِيةُ بنتُ مُزاحِمٍ امرأةُ فِرعَونَ}[5].

وعن عبد الله بن عباس، عن النبي ﷺ قال: { دَخلتُ الجنةَ البارِحةَ فنظرتُ فيها ، فإذا جَعفرٌ يَطيرُ مع الملائكةِ ، و إذا حَمزةُ مُتَّكِىءٌ على سريرٍ}[6].

وعن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ قال: {...حمزةُ سيِّدُ الشُّهداءِ عندَ اللهِ يومَ القيامةِ }[7].

---

[1] أخرجه أحمد (24080) واللَّفظُ له، والنسائي في ((السنن الكبرى)) (8233)، وابن حبان (7014). صحَّحه ابن حبان، والحاكم على شرط الشيخين في ((المستدرك)) (4929)، والألباني في ((صحيح الجامع)) (3371)، والوادعي في ((الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين)) (1555)، وصحَّح إسنادَه البوصيري في ((إتحاف الخيرة المهرة)) (265/7)، وابن حجر في ((الإصابة)) (298/1)، وشعيب الأرناؤوط في تخريج ((مسند أحمد)) (24080).

[2] أخرجه البخاري (3679) واللَّفظُ له مطولًا، ومسلم (2457) بلفظ: ((خشخشة)) من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللهُ عنهما.

[3] أخرجه مسلم (965).

[4] أخرجه مسلم (2456).

[5] أخرجه أحمد (2901)، والنسائي في ((السنن الكبرى)) (8357)، وابن حبان (7010) مطولاً، وصححه السيوطي في الجامع الصغير 1301، والأرناؤوط في تخريج مشكاة الآثار 148، وأحمد شاكر في تخريج المسند 323/4.

[6] أخرجه الطبراني (107/2) (1466) مختصراً، وابن عدي في ((الكامل في الضعفاء)) (339/3) مطولاً، والحاكم (4890) واللفظ له وصححه الألباني.

[7] أخرجه الحاكم (2557) والكمال بن الهمام في شرح فتح القدير وقال: لا يقصر عن درجة الحسن

﴿الفرع السابع﴾

﴿صفة أهل الجنَّة ونعيمها﴾

أولا: صفة أهل الجنَّة:

عَن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عَنه أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ قال: {خَلَقَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ آدَمَ على صُورَتِه، طُولُه سِتُّون ذِراعًا... فكُلُّ مَن يَدخُلُ الجَنَّةَ على صُورةِ آدَمَ، وطُولُه سِتُّونَ ذِراعًا، فلَم يَزَلِ الخَلقُ يَنقُصُ بَعدَه حَتَّى الآنَ}[1].

وعَن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عَنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: {أولُ زُمْرةٍ تَدخُلُ الجَنَّةَ مِن أمَّتي على صُورةِ القَمَرِ ليلةَ البَدْرِ، ثُمَّ الَّذينَ يَلُونَهم على أشَدِّ نَجمٍ في السَّماءِ إضاءةً، ثُمَّ هم بَعدَ ذَلِكَ مَنازِلُ، لا يَتَغَوَّطُونَ ولا يَبُولُونَ ولا يَمتَخِطُونَ ولا يَبزُقُونَ، أمشاطُهمُ الذَّهَبُ، ومَجامِرُهمُ الألوةُ، ورَشحُهمُ المِسْكِ، أخلاقُهم على خُلُقِ رَجُلٍ واحِدٍ، على طُولِ أبيهم آدَمَ، سِتُّون ذِراعًا}[2].

وعَن جابرِ بنِ عَبدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنه أنَّ النَّبي ﷺ قال: {إنَّ أهلَ الجَنَّةِ يَأكُلُونَ فيها ويَشرَبُونَ، ولا يَتفلُونَ ولا يَبُولُونَ ولا يَتَغَوطُونَ ولا يَمتَخِطُونَ، قالُوا: فما بالُ الطَّعامِ؟ قال: جُشاءٌ ورَشحٌ كَرَشحِ المِسْكِ، يُلهَمُونَ التَّسبيحَ والتَّحميدَ، كَما تُلهمُونَ النَّفس}[3].

ثانيا: نعيم أهل الجنة:

1 – طعام أهل الجنة وشرابهم:

قال اللهُ تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ❁ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[المرسلات: 41 – 42].

قال ابنُ جَريرٍ: وَعُيُونٌ أنهارٌ تَجري خِلالَ أشجارِ جَنَّاتِهم، وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ يَأكُلُونَ مِنها كُلَّما اشتَهَوا لا يَخافُونَ ضَرَّها، ولا عاقِبةَ مَكرُوهِها[4].

---

[1] أخرجه البخاري (6227)، ومسلم (2841) واللَّفظُ له.

[2] أخرجه البخاري (3246)، ومسلم (2834) واللَّفظُ له.

[3] أخرجه مسلم (2835).

[4] ينظر: تفسير الطبري.

وقال اللهُ سُبحانَه: ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [الزخرف: 72– 73].

وقال اللهُ سُبحانَه في جزاءِ السَّابقينَ المُقَرَّبينَ: ﴿وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ * وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ [الواقعة: 20 – 21].

وعن ابنِ عَبَّاسٍ في صلاةِ الكُسُوفِ، وفيه قالُوا: {يا رَسولَ اللهِ، رَأيناكَ تَناولتَ شيئًا في مَقامِكَ هذا، ثُمَّ رَأيناكَ تَكَعكَعْتَ، فقال: إنِّي رَأيتُ الجَنَّةَ –أو: أُريتُ الجَنَّةَ– فتَناولْتُ مِنها عُنقُودًا، ولَو أخَذْتُه لأكَلْتُم مِنه ما بَقِيَتِ الدُّنيا}[1].

وعَن زيدِ بن أرقَمَ رَضِيَ اللهُ عَنه قال: قال: {أتى النَّبيَّ ﷺ رَجُلٌ مِنَ اليُهودِ، فقال: يا أبا القاسِمِ، ألَسْتَ تَزعُمُ أنَّ أهلَ الجَنَّةِ يَأكُلُونَ فيها ويَشرَبُونَ؟ وقال لِأصحابه: إنْ أقَرَّ لي بهذه خَصَمْتُه، قال: فقال رَسولُ الله ﷺ: بلى والَّذي نَفسي بيدِه، إنَّ أحَدَهم ليُعطى قُوةَ مِائةِ رَجُلٍ في المَطعَمِ والمَشرَبِ والشَّهوةِ والجِماعِ، قال: فقال لَه اليُهوديُّ: فإنَّ الَّذي يَأكُلُ ويَشرَبُ تَكُونُ لَه الحاجةُ، قال: فقال رَسولُ اللهِ ﷺ: حاجةُ أحَدِهم عَرَقٌ يَفيضُ مِن جُلُودِهم مِثلَ رِيحِ المِسْكِ، فإذا البَطنُ قَد ضَمُرَ}[2].

2 – خمر أهل الجنَّة:

﴿قال اللهُ تعالى: وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ﴾ [محمد: 18].

وقال اللهُ سُبحانَه: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِن مَّعِينٍ * بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ * لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾ [الصافات: 45 – 47].

---

[1] أخرجه مطولًا البخاري (5197) واللَّفظُ له، ومسلم (907).

[2] أخرجه أحمد (19269) واللَّفظُ له، والنسائي في ((السنن الكبرى)) (11478)، وابن حبان (7424). صحَّحه ابن حبان (7424)، والألباني في ((صحيح الجامع)) (1627)، والوادعي في ((الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين)) (350)، وشعيب الأرناؤوط في تخريج ((مسند أحمد)) (19269)، وصحَّح إسنادَه ابن حزم في ((الأصول والفروع)) (188)، وابن القيم على شرط الصحيح في ((حادي الأرواح)) (169)، والعراقي في ((تخريج الإحياء)) (305/5).

وقال اللهُ عَزَّ وجَلَّ: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ * بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّنْ مَّعِينٍ * لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ﴾ [الواقعة: 17-19].

والغول وجه البطن، أو ذهاب العقل بالكلية من شربها.

التصديع، أثار ما بعد الشرب من ألم الرأس.

ثالثا: أول طعام أهل الجنَّة:

زيادة كبد الحوت وثور الجنَّة:

عَن أبي سَعيدٍ الخُدريِّ رَضِيَ اللهُ عَنه قال: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: {تكُونُ الأرضُ يَومَ القيامةِ خُبزةً واحِدةً يَتَكَفَّؤُها الجَبَّارُ بيَدِه كما يَكفَأُ أحَدُكم خُبْزَتَه في السَّفَرِ؛ نُزُلًا لِأهلِ الجَنَّةِ. فأتى رَجُلٌ مِنَ اليَهودِ فقال: بارَكَ الرَّحمَنُ عَليكَ يا أبا القاسِمِ، ألا أُخبرُكَ بنُزُلِ أهلِ الجَنَّةِ يَومَ القيامةِ؟ قال: بلى. قال: تَكُونُ الأرضُ خُبزةً واحِدةً. كما قال النبيُّ ﷺ، فنَظَرَ النَّبيُّ ﷺ إلينا ثُمَّ ضَحِكَ حَتَّى بدت نَواجِذُه! ثُمَّ قال: ألا أُخبِرُكَ بإدامِهم؟ قال: إدامُهم بالَامُ ونُونٌ، قالُوا: وما هذا؟ قال: ثَورٌ ونُونٌ، يَأكُلُ مِن زائِدةِ كَبِدِهما سَبعُونَ ألفًا}[1].

ونون: الحوت.

وزائدة الكبد: قطعة منفردة في الكبد، وهي ألذ مكا فيها.

رابعا: آنية طعام أهل الجنة وشرابهم:

وقال اللهُ عَزَّ وجَلَّ: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ [الإنسان: 15-16].

وعَن حُذَيفةَ بنِ اليَمانِ رَضِيَ اللهُ عَنهما أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: {لا تَشرَبُوا في آنيَةِ الذَّهَبِ والفِضَّةِ، ولا تَأكُلُوا في صِحافِها؛ فإنَّها لَهم في الدُّنيا ولَنا في الآخِرةِ}[2].

---

[1] أخرجه البخاري (6520)، ومسلم (2792).

[2] أخرجه البخاري (5426) واللَّفظُ له، ومسلم (2067).

خامسا: لباس أهل الجنة:

وقال اللهُ سُبحانَه: ﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان: 21].

قال ابن كثير: أي: لِباسُ أهلِ الجَنَّةِ فيها الحَريرُ، ومِنه سُنْدُسٌ، وهو رَفيعُ الحَريرِ كالقُمصانِ ونَحوِها مِمَّا يَلي أبدانَهم، والإستَبرَقُ مِنه ما فيه بَريقٌ ولَمَعانٌ[1].

سادسا: فرش أهل الجنة وأسرتهم وأرائكهم:

﴿ قال اللهُ تعالى: فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ * وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ * وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ * وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴾

[الغاشية: 13-16].

قال البَغَويُّ: فِيهَا سُرُرٌ مَرفُوعَةٌ، قال ابنُ عَبَّاس: ألواحُها مِن ذَهَبٍ مُكَلَّلَةٌ بالزَّبرجَدِ والدُّرِّ والياقُوتِ، مُرتَفِعةٌ ما لَم يَجيءْ أهلُها، فإذا أرادَ أن يَجلِسَ عليها تَواضَعَت لَه حَتَّى يَجلِسَ عليها ثُمَّ تَرتَفِعُ إلى مَواضِعِها. وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ، عِندَهم، جَمعُ كُوبٍ، وهو الإبريقُ الَّذي لا عُروةَ لَه. ونَمَارِقُ، وسائِدُ ومَرافِقُ، مَصفُوفةٌ، بَعضُها بجَنب بَعضٍ، واحِدَتها نُمرُقةٌ بضَمِّ النُّونِ.

وَزَرَابِيُّ، يَعني البُسُطَ العَريضةَ، قال ابنُ عَبَّاس: هي الطَّنافِسُ الَّتي لَها خَملٌ، واحِدَتُها زَربيةٌ مَبثُوثةٌ مَبسُوطةٌ، وقيلَ: مُتَفَرِّقةٌ في المَجالِسِ[2].

وقال اللهُ سُبحانَه: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾[الرحمن: 54].

وقال السَّعْديُّ: {مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ} هذه صِفةُ فُرُشِ أهلِ الجَنَّةِ وجُلُوسِهم عليها، وأنَّهم مُتَّكِئُونَ عليها... وتِلكَ الفُرُشُ لا يَعلَمُ وصْفَها وحُسْنَها إلَّا اللهُ عَزَّ وجَلَّ، حَتَّى إنَّ بطائِنَها الَّتي تَلي الأرضَ مِنها، مِن إستَبرَقٍ، وهو أحسَنُ الحَريرِ وأَفخَرُه، فكيفَ بظَواهِرِها الَّتي تَلي بَشَرَتَهم[3].

وقال اللهُ عَزَّ وجَلَّ: ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ﴾[الكهف: 31].

---

[1] ينظر: تفسير ابن كثير.

[2] ينظر: تفسير البغوي.

[3] ينظر: تفسير السعدي.

الأريكة: السرير، وهي: كُلُّ ما اتُّكئ عليه من سرير أو فراش أو منصَّة.

سابعا: خدم أهل الجنَّة:

قال اللهُ سُبحانَه: ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴾[الإنسان: 19].

قال ابنُ كَثيرٍ: يَطُوفُ على أهلِ الجَنَّةِ لِلخِدمةِ وِلْدانٌ مِن وِلْدانِ الجَنَّةِ مُخَلَّدُونَ أي: على حالةٍ واحِدةٍ مُخَلَّدُونَ عليها، لا يَتَغيَّرُونَ عَنها، لا تَزيدُ أعمارُهم عَن تِلكَ السِّنِّ، وقَولُه تعالى: {إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا}، أي: إذا رَأيتَهم في انتِشارِهم في قَضاءِ حَوائِجِ السَّادةِ وكَثرَتِهم وصَباحةِ وُجُوهِهم وحُسنِ ألوانِهم وثيابِهم وحُلِيِّهم، حَسِبْتَهم لُؤْلُؤًا مَنثورًا، ولا يَكُونُ في التَّشبيهِ أحسَنَ مِن هذا، ولا في المَنظَرِ أحسَنَ مِنَ اللُّؤْلُؤِ المَنثُورِ على المَكانِ الحَسَنِ[1].

ثامنا: سوق أهل الجنَّة:

عَن أنسِ بنِ مالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنه أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ قال: {إنَّ في الجَنَّةِ لَسُوقًا يَأتُونَها كُلَّ جُمُعةٍ فتَهُبُّ ريحُ الشَّمالِ فتَحثُو في وُجُوهِهم وثيابِهم، فيَزدادُونَ حُسْنًا وجَمالًا، فيَرجِعُونَ إلى أهليهم وقَدِ ازدادُوا حُسْنًا وجَمالًا، فيَقُولُ لَهم أهلُوهم: واللهِ لَقَدِ ازدَدْتُم بَعْدَنا حُسْنًا وجَمالًا، فيَقُولُونَ: وأنتُم واللهِ لَقَدِ ازدَدتُم بَعْدَنا حُسْنًا وجَمالًا}[2].

تاسعا: نساء أهل الجنَّة:

قال اللهُ تعالى: ﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ ﴾ [الرعد: 23].

قال ابنُ كَثيرٍ: يُجمَعُ بينَهم وبينَ أحبابِهم فيها مِنَ الآباءِ والأهلِينَ والأبناءِ، مِمَّن هو صالِحٌ لِدُخولِ الجَنةِ مِنَ المُؤمِنينَ؛ لِتَقَرَّ أعيُنُهم بهم، حَتَّى إنَّه تُرفَعُ دَرَجةُ الأدنى إلى دَرَجةِ الأعلى مِن غيرِ تَنقيصٍ لِذَلِكَ الأعلى عَن دَرَجَتِه، بَلِ امتِنانًا مِنَ اللهِ وإحسانًا، كَما قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴾ [الطور: 21][3].

---

[1] ينظر: تفسير ابن كثير.

[2] أخرجه مسلم (2833).

[3] ينظر: تفسير ابن كثير.

وقال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ [الدخان: 54].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: {إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر، ثم الذين يلونهم كأشد كوكب دري في السماء إضاءة، قلوبهم على قلب رجل واحد لا اختلاف بينهم ولا تباغض، لكل امرئ منهم زوجتان من الحور العين، يرى مخ سوقهن من وراء العظم واللحم من الحسن}[1].

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: {لو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت إلى الأرض لأضاءت ما بينهما، ولملأت ما بينهما ريحا، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيه}[2].

عَن عَبد الله بنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنهما أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: {إنَّ أزواجَ أهلِ الجَنَّةِ ليُغَنِّينَ أزواجَهنَّ بأحسَنِ أصَواتٍ سَمعَها أحَدٌ قَطُّ، إنَّ مِمَّا يُغَنِّينَ: نَحنُ الخَيراتُ الحِسانُ، أزواجُ قَومٍ كرامٍ، يَنظُرْنَ بِقُرَّةِ أعيانٍ. وإن مِمَّا يُغَنِّينَ به: نَحنُ الخالِداتُ فلا يَمُتْنَهْ، نَحنُ الآمِناتُ فلا يُخَفْنَهْ، نَحنُ المُقيماتُ فلا يَظْعَنَّهْ}[3].

عاشرا: رؤية الله عزَّ وجلَّ ورضاه عنهم أفضل ما يُعطاه أهل الجنَّة:

عَن أبي سَعيدٍ الخُدْريِّ رَضِيَ اللهُ عَنه أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ قال: {إنَّ الله تبارك وتعالى يَقُولُ لِأهلِ الجَنَّةِ: يا أهلَ الجَنَّةِ، فيَقُولُونَ: لَبَّيكَ رَبَّنا وسَعْدَيْكَ، فيَقُولُ: هَل رَضِيتُم؟ فيَقُولُونَ: وما لَنا لا نَرضى وقَد أعطَيتَنا ما لَم تُعطِ أحَدًا مِن خَلْقِكَ؟ فيَقُولُ: أنا أُعطِيكم أفضَلَ مِن ذَلِكَ، قالُوا: يا رَبِّ، وأيُّ شيءٍ أفضَلُ مِن ذَلِكَ؟ فيَقُولُ: أُحِلُّ عَليكم رِضْواني، فلا أسخَطُ عَليكم بَعدَه أبَدًا}[4].

---

[1] رواه البخاري (**3081**) ومسلم (**2834**).

[2] رواه البخاري (**2643**) .

[3] أخرجه الطبراني في ((المعجم الأوسط)) (**4917**)، وأبو نعيم في ((صفة الجنة)) (**322**)، والضياء في ((الأحاديث المختارة)) (**303**). صحَّحه الألباني في ((صحيح الجامع)) (**1561**)، وقال المنذري في ((الترغيب والترهيب)) (**392/4**): رواته رواة الصحيح، وقال الهيثمي في ((مجمع الزوائد)) (**422/10**): رجاله رجال الصحيح.

[4] أخرجه البخاري (**6549**) واللَّفظُ له، ومسلم (**2829**).

وعَن صُهَيبِ بنِ سِنانٍ الرُّوميِّ رَضِيَ اللهُ عَنه أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ قال: {إذا دَخلَ أهلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ، يَقُولُ اللهُ تباركَ وتعالى: تُريدُونَ شيئًا أزيدُكم؟ فيَقُولُونَ: ألَم تُبَيِّضْ وُجُوهَنا؟ ألَم تُدخِلْنا الجَنَّةَ، وتُنَجِّنا مِنَ النَّارِ؟ قال: فيُكشَفُ الحِجابُ فما أُعطُوا شيئًا أَحَبَّ إليهم مِنَ النَّظَرِ إلى رَبِّهم عَزَّ وجَلَّ}[1].



[1] أخرجه مسلم (181).

﴿ الفرع الثامن ﴾

﴿ الجنّة خالدة وأهلها خالدون ﴾

قال اللهُ تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: 122].

قال ابنُ جَريرٍ: خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا، يَقُولُ: باقينَ في هذه الجَنَّاتِ الَّتي وصَفَها أبَدًا دائمًا[1].

وقال اللهُ سُبحانَه: ﴿وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التغابن: 9].

قال ابنُ جَريرٍ: قَولُه: خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا يَقُولُ: لابِثينَ فيها أبَدًا، لا يَموتُونَ، ولا يُخرَجُونَ مِنها[2].

وقَولُه: ذَلِكَ الفوزُ العَظِيمُ يَقُولُ: خُلُودُهم في الجَنَّاتِ الَّتي وصَفْنا النَّجاةُ العَظيمُ

عَن أبي سَعيدٍ الخُدريِّ رَضِيَ اللهُ عنه أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ قال: {يُجاءُ بالمَوتِ يَومَ القيامةِ، كَأنَّه كَبشٌ أملَحُ، فيُوقَفُ بينَ الجنةِ والنَّارِ، فيُقالُ: يا أهلَ الجَنَّةِ هَل تَعرِفُونَ هذا؟ فيشرَئِبُّونَ ويَنظُرُونَ ويَقُولُونَ: نَعَم، هذا المَوتُ، قال: ويُقالُ: يا أهلَ النَّارِ هَل تَعرِفُونَ هذا؟ قال فيشرَئِبُّونَ ويَنظُرُونَ ويَقُولُونَ: نَعَم، هذا المَوتُ، قال: فيُؤمَرُ به فيُذبَحُ، قال: ثُمَّ يُقالُ: يا أهلَ الجَنَّةِ خُلُودٌ فلا مَوتَ، ويا أهلَ النَّارِ خُلُودٌ فلا موتَ، قال: ثُمَّ قَرَأ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم: 39]، **وأشارَ بيدِه إلى الدُّنيا**[3].

وأمَّا قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ۖ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: 108].

---

[1] ينظر: تفسير الطبري.

[2] ينظر: تفسير الطبري.

[3] أخرجه البخاري (**4730**)، ومسلم (**2849**) واللَّفظُ له.

فالاستثناء بقوله تعالى { إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ} ليس معناه أنَّ من أهل من لا يخلدون، فهذا يناقض صرح النصوص، بل معنى الاستثناء في المسلمين الذي دخلوا النار ثمَّ أُدخلوا الجنَّة، فهم خالدين إلا ما شاء الله في الفترة التي قضوها في النار، وبما قلت قال الطبري: من قدر ما مكثوا في النار قبل دخُولهم الجنة.

وقال آخرون: معنى ذلك: (إلا ما شاء ربك)، من الزيادة على قدر مُدّة دوام السموات والأرض، قالوا: وذلك هو الخلود فيها أبدًا.

وعلى كلا القولين هم خالدون أبدا، وأما وجه الاستثناء فقيل فيه: أحدهما : أن تجعله استثناءً يستثنيه ولا يفعله، كقولك: (والله لأضربنَّك إلا أن أرى غير ذلك)، وعزمُك على ضربه. قال: فكذلك قال: (خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك) ، ولا يشاؤه.

والقول الآخر: أنّ العرب إذا استثنت شيئًا كثيرًا مع مثله، ومع ما هو أكثر منه، كان معنى (إلا) ومعنى (الواو) سواء. فمن كان قوله: (خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض)، سوى ما شاء الله من زيادة الخلود، فيجعل (إلا) مكان (سوى) فيصلح، وكأنه قال: (خالدين فيها ما دامت السموات والأرض سوى ما زادهم من الخلود والأبد).

ومثله في الكلام أن تقول: لي عليك ألف إلا ألفين اللذين مِنْ قِبَل فلان، أفلا ترى أنه في المعنى : لي عليك ألفٌ سِوَى الألفين؟[1]



[1] ينظر: تفسير الطبري.

﴿المطلب الثاني﴾

﴿الإيمان بالنار[1]﴾

وفيه تسعة فروع:

الفرع الأول: تعريف النار:

الفرع الثاني: خزنة النار:

الفرع الثالث: صفة النار:

الفرع الرابع: أهل النَّار:

الفرع الخامس: كثرة أهل النار:

الفرع السادس: عِظم خلق أهل النَّار:

الفرع السابع: طعام أهل النار وشرابهم ولباسهم:

الفرع الثامن: شدَّة عذاب أهل النار، وصُور عذابهم:

الفرع التاسع: بقاء النار وعدم فَنائها:



[1] موقع الدرر السنية.

﴿ الفرع الأول ﴾

﴿ تعريف النار ﴾

النَّارُ هي الدَّارُ الَّتي أعَدَّها اللهُ لِلكافِرين به المُكَذِّبينَ لِرُسُلِه، ولِلمُتَمَرِّدينَ على طاعَتِه واتِّباعِ دينِه وتَرْكِ مَعصيَتِه، فيُعذِّبُهم ويُخزِيهم فيها.

قال اللهُ تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: 63].

قال ابنُ جَريرٍ: يَقُولُ تعالى ذِكرُه: ألَم يَعلَمْ هَؤُلاءِ المُنافِقُونَ الَّذينَ يَحلِفُونَ باللهِ كَذِبًا لِلمُؤمِنينَ لِيُرضُوهم وهم مُقيمُونَ على النِّفاقِ، أنَّه مَن يُحارِبِ اللهَ ورَسولَه ويُخالِفْهما فيُناوِئْهما بالخِلافِ عليهما فَأَنَّ لَهُ نارَ جَهَنَّمَ في الآخِرةِ. خَالِدًا فيها يَقُولُ: لابثًا فيها مَقيمًا إلى غيرِ نِهايةٍ. ذَلِكَ الخِزْيُ العَظِيمُ يَقُولُ: فلُبْثُه في نارِ جَهَنَّم وخُلُودُه فيها هو الهَوانُ والذُّلُّ العَظيمُ[1].



[1] ينظر تفسير الطبري.

﴿ الفرع الثاني ﴾

﴿ خزنة النار ﴾

قال الله تعالى: ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا ﴾[الزمر: 71].

قال ابنُ جرير: {خَزَنَتُهَا} قُوَّامُها[1].

وقال اللهُ سُبحانَه: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴾ **[**غافر: **49]**.

اسم خزنة النار:

قال تعالى: ﴿ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴾[العلق: 18].

قال ابن كثير: وهم ملائكة العذاب[2].

قال القرطبي: وهو مأخوذ من الزبن وهو الدفع[3].

صفة خزنة النار:

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾[التحريم: 6].

قال ابنُ كَثيرٍ: قَولُه: {عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ} أي: طِباعُهم غليظةٌ، قد نُزِعَت مِن قُلُوبهمُ الرَّحمةُ بالكافِرين باللهِ تعالى، {شِدَادٌ} أي: تَركيبُهم في غايةِ الشِّدَّةِ والكَثافةِ والمَنظَرِ المُزعِ[4].

---

[1] ينظر: تفسير الطبري.

[2] ينظر: تفسير ابن كثير.

[3] ينظر: تفسير القرطبي.

[4] ينظر: تفسير ابن كثير.

كبير خزنة النار:

﴿ قال اللهُ تعالى: وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ ﴾ [الزخرف: 77].

وعن سَمُرةَ رَضِيَ اللهُ عنه قال: قال النَّبيُّ ﷺ: {رأيتُ اللَّيلةَ رَجُلينِ أتياني، قالا: الذي يوقِدُ النَّارَ مالِكٌ خازِنُ النَّارِ، وأنا جِبريلُ، وهذا ميكائيلُ}[1].

عَن سَمُرةَ بنِ جُندُبٍ رَضِيَ اللهُ عَنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: {إنَّه أتاني اللَّيلةَ آتيانِ –فذَكَرَ رُؤيا طَويلةً وفيها–: قال: فأتينا على رَجُلٍ كَريهِ المَرآةِ، كَأَكْرَهِ ما أنتَ راءٍ رَجُلًا مَرآةً، وإذا عِندَه نارٌ يَحُشُّها ويَسعى حَولَها، قال: قُلتُ لَهما: ما هذا؟ قالا لي: انطَلِقِ انطَلِق...} وفي آخِرِ الحَديثِ أنَّ المَلَكينِ قالا لَه: {أمَّا الرَّجُلُ الكَريهُ المَرآةِ الَّذي عِندَ النَّارِ يَحُشُّها ويَسعى حَولَها فإنَّه مالِكٌ خازِنُ جَهَنَّمَ}[2].



[1] أخرجه البخاري (3236).

[2] أخرجه مطولًا البخاري (7047) واللَّفظُ له، ومسلم (2275).

﴿ الفرع الثالث ﴾

﴿ صفة النار ﴾

أولا: مكان النار:

قال السَّفارينيُّ: النَّارُ في الأرضِ السَّابعةِ على الصَّحيحِ المُعتَمَدِ[1].

وقال ابنُ عُثيمين رحمه الله تعالى: مَكانُ الجَنَّةِ والنَّارِ:

الجَنةُ في أعلى عِلِّيِّينَ؛ لِقَولِه تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾[المطففين: 18].

وقَولُه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم في حَديثِ البراءِ بن عازِبٍ المَشهورِ في قِصَّةِ فتنةِ القَبرِ: {فيَقُولُ اللهُ عَزَّ وجَلَّ: اكتُبُوا كِتابَ عَبدي في عِلِّيِّينَ وأَعيدُوه إلى الأرضِ}[2].

والنَّارُ في أسفَلِ سافِلينَ؛ لِقَولِه تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾ [المُطففين: 7].

وقَولُه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم في حَديثِ البراءِ بن عازِبٍ السَّابقِ: {فيَقُولُ اللهُ تعالى: اكتُبُوا كِتابَ عَبدي في سِجِّينٍ في الأرضِ السُّفلى}[3].

فسِجِّينٌ هو أسفَلُ ما يَكُونُ مِنَ الأرضِ الَّذي هو مَقرُّ النَّارِ، نَعُوذُ باللهِ مِنها، فهذا الكِتابُ في سِجِّينٍ[4].

وقال السُّيُوطيُّ: نَقِف عَنِ النَّارِ، أي: نَقُولُ فيها بالوقفِ، أي: مَحَلُّها حيثُ لا يَعلَمُه إلَّا اللهُ، فلَم يَثبُت عِندي حَديثٌ أعتَمِدُه في ذَلِكَ، وقيلَ: تَحتَ الأرضِ...[5].

---

[1] يُنظر: ((لوامع الأنوار البهية)) (2/ 239).

[2] أخرجه مطولًا أحمد (18534) واللَّفظُ له، والحاكم (107)، والبيهقي في ((شعب الإيمان)) (395). صحَّحه القرطبي في ((التذكرة)) (119)، والألباني في ((صحيح الجامع)) (1676)، وحسَّنه المنذري في))الترغيب والترهيب)) (280/4)، والوادعي في ((الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين)) (150)، وصحَّح إسنادَه الطبري في ((مسند عمر)) (494/2)، والبيهقي، والبوصيري في ((إتحاف الخيرة المهرة)) (436/2).

[3] أخرجه أبو داود (4753) واللفظ له، والنسائي (2001)، وابن ماجه (1549) مختصراً، وأحمد (18557) باختلاف يسير. يُنظر: ((شرح لمعة الاعتقاد)) (ص: 132).

[4] يُنظر: ((تفسير جزء عم)) (ص: 97).

[5] يُنظر: ((إتمام الدراية لقراء النقاية)) (ص: 15).

ثانيا: سعة جهنم وقعرها:

سعة جهنم:

عن عَبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ رَضِيَ اللهُ عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: {يؤتَى بجهنَّمَ يومَئذٍ لها سبعونَ ألفَ زِمامٍ، مع كلِّ زمامٍ سبعونَ ألْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَها}[1].

عَن مُجاهِدٍ أنَّ عَبدَ اللهِ بنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنهما قال: أتدَري ما سَعةُ جَهَنَّم؟ قُلتُ: لا، قال: أجَلْ، واللهِ ما تَدري، إنَّ بينَ شَحمةِ أُذُنِ أحَدِهم وبينَ عاتِقِه مَسيرةَ سَبعينَ خَريفًا تَجري فيها أودِيَةُ القَيحِ والدَّمِ، قُلْتُ: أنهارًا؟ قال: لا، بَل أُودية، ثُمَّ قال: أتدرُونَ ما سَعةُ جَهَنَّمَ؟ قُلتُ: لا، قال: أجَلْ، واللهِ ما تدري، حَدَّثَتْني عائِشةُ أنَّها سَألَت رَسولَ اللهِ صَلى الله عليه وعلى آلِه وسَلَّمَ عَن قَوله: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: 67]، فأينَ النَّاسُ يَوْمَئِذٍ يا رَسولَ اللَّه؟ قال: {هم على جِسْرِ جَهَنَّمَ}[2].

استَدَلَّ عَبدُ اللهِ بنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنهما بسَعةِ جَهَنَّم بحَديثِ عائِشةَ رَضِيَ اللهُ عَنها المُتقَدِّمِ ذِكرُه، ومُرادُه أنَّ النَّاسَ جَميعًا يَجتَمِعُونَ على الصِّراطِ المَمدُودِ على مَتْنِ جَهَنَّمَ، وهذا فيه دَلالةٌ على سَعةِ النَّارِ العَظيمةِ. واللهُ أعلَمُ.

قعر جهنَّم:

عَن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عَنه قال: {كُنَّا مَعَ رَسولِ اللهِ ﷺ إذ سَمِعَ وَجْبةً، فقال النَّبيُّ ﷺ: تَدرُونَ ما هذا؟ قال: قُلنا: اللهُ ورَسولُه أعلَمُ. قال: هذا حَجَرٌ رُمِيَ به في النَّارِ مُنذُ سَبعينَ خَريفًا، فهو يَهوي في النَّارِ الآنَ، حَتَّى انتَهى إلى قَعرِها}[3].

---

[1] أخرجه مسلم (2842) مرفوعًا. وأخرجه الترمذي في ((السنن)) (2573) وابن أبي شيبة في ((المصنف)) (34117) وغيرهما، موقوفا على ابن مسعود رضي الله عنه، وقال الدراقطني: (الموقوف أصح عندي، وإن كان مسلم قد أخرج حديث عمر بن حفص في الصحيح). ((العلل)) (732). وقال أيضا: (رفعه وهم، رواه الثوري، ومروان، وغيرهما، عن العلاء بن خالد، موقوفا) ((التتبع)) (93)

[2] أخرجه الترمذي (3241)، وأحمد (24856) واللَّفظُ له، والنسائي في ((السنن الكبرى)) (11453). صحَّحه الترمذي، وابن الملقن في ((شرح البخاري)) (178/19)، والوادعي في ((الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين)) (599)، وصحَّح إسنادَه الحاكم (3630)، والمنذري في ((الترغيب والترهيب)) (3684)، والألباني في ((صحيح سنن الترمذي)) (3241)، وشعيب الأرناؤوط في تخريج ((مسند أحمد)) (24856).

[3] أخرجه مسلم (2844).

ثالثا: دركات النار:

عَذابُ النَّارِ مُتَفاوِتٌ؛ فبَعضُه أشَدُّ مِن بَعضٍ، ومَنازِلُ أهلِ النَّارِ مُتَفاوِتةٌ بتَفاوُتِ دَرَكاتِها.

قال الرَّاغِبُ الأصفَهانيُّ: ((الدَّرْكُ كالدَّرَجِ، لَكِنَّ الدَّرَجَ يُقالُ اعتِبارًا بالصُّعُودِ، والدَّركُ اعتِبارًا بالحُدُورِ؛ ولِهذا قيلَ: دَرَجاتُ الجَنَّةِ، ودَرَكاتُ النَّارِ))[1].

وقَد تُسَمَّى النَّارُ دَرَجاتٍ أيضًا، قال اللهُ سُبحانَه: ﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ * هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران: 162 – 163].

عَن سَمُرَةَ بنِ جُندُبٍ رَضِيَ اللهُ عَنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال في أهلِ النَّارِ: {مِنهم مَن تَأخُذُه النَّارُ إلى كَعْبَيه، ومِنهم مَن تَأخُذُه النَّارُ إلى رُكبَتيه، ومِنهم مَن تَأخُذُه النَّارُ إلى حُجزَتِه، ومِنهم مَن تَأخُذُه النَّارُ إلى تَرقُوَته}[2].

الحجزة، معقد السروال والإيزار.

وأقَلُّ أهلِ النَّارِ عَذابًا هم عُصاةُ المُؤمِنينَ الَّذينَ يَدخُلُونَ النَّارَ فيُعذَّبُونَ فيها على قَدرِ أعمالِهم، ثُمَّ يَخرُجُونَ مِنها:

عَن أبي سَعيدٍ رَضِيَ اللهُ عَنه قال: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: {أمَّا أهلُ النَّارِ الَّذينَ هم أهلُها، فإنَّهم لا يَمُوتُونَ فيها ولا يَحيَونَ، ولَكِن ناسٌ أصابَتْهمُ النَّارُ بذُنُوبِهم –أو قال بخَطاياهم– فأماتَهم إماتةً حَتَّى إذا كانُوا فَحمًا أَذِنَ بالشَّفاعةِ، فجيءَ بهم ضَبائِرَ ضَبائِرَ، فبُثُّوا على أنهارِ الجَنَّةِ، ثُمَّ قيلَ: يا أهلَ الجَنَّةِ أفيضُوا عليهم، فيَنبُتُونَ نَباتَ الحِبَّةِ تَكُونُ في حَميلِ السَّيلِ}[3].

قال النووي: قال أهلُ اللُّغةِ: الضَّبائِرُ: جماعاتٌ في تَفرِقةٍ[4].

---

[1] يُنظر: ((المفردات في غريب القرآن)) (ص: 311).

[2] أخرجه مسلم (2845).

[3] أخرجه مسلم (185).

[4] ((شرح مسلم)) (3/ 37).

أهون الناس عذابا يوم القيامة:

وعَنِ النُّعمانِ بن بَشيرٍ رَضِيَ اللهُ عَنهما أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: {إنَّ أهونَ أهلِ النَّارِ عَذابًا مَن لَه نَعلانِ وشِراكانِ مِن نارٍ، يَغلي مِنهما دِماغُه، كَما يَغلي الْمِرْجَلُ، ما يَرى أنَّ أحَدًا أشَدُّ مِنه عَذابًا، وإنَّه لَأهونُهم عَذابًا}[1].

والمُنافِقُونَ في الدَّركِ الأسفَلِ مِنَ النَّارِ:

قال اللهُ تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾[النساء: 145].

رابعا: سجْر النار وتسعُّرُها:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: {أُوقِد على النَّارِ ألفَ سنةٍ حتَّى احمرَّت، ثمَّ أُوقِد عليها ألفَ سنةٍ حتَّى ابيضَّت، ثمَّ أُوقِد عليها ألفَ سنةٍ حتَّى اسودَّت، فهي سوداءُ كاللَّيلِ المُظلِمِ}[2].

---

[1] أخرجه البخاري (6562) بنحوه، ومسلم (213) واللَّفظُ له.

[2] أخرجه الترمذي (2591)، وابن ماجه (4320) باختلاف يسير، وصححه السيوطي في الجامع الصغير 2784، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع 2125، وقال: شريك وهو ابن عبد الله النخعي القاضي ، وهو سيء الحفظ ، فهو علة الحديث ، ويؤكد ذلك اضطرابه فيه فتارة يرفعه وأخرى يوقفه ، وتارة يجزم في إسناده فيقول : عن أبي صالح ، وتارة يشك فيه فيقول : عن أبي صالح أو عن رجل آخر ، وذلك من علامات قلة ضبطه وسوء حفظه فلا جرم ضعفه أهل العلم والمعرفة بالرجال، اهـ.

وأقول: شريك بن عبد الله بن الحارث بن شريك بن عبد الله، مشهور بـ شريك القاظي، قال فيه: أبو أحمد بن عدي الجرجاني: في بعض ما لم أتكلم على حديثه مما أمليت بعض الإنكار، والغالب على حديثه الصحة والاستواء.

وقال أبو دواد السجستاني: ثقة يخطئ علي الأعمش.

وقال أحمد بن حنبل: صدوق ثقة إذا لم يخالف، ومرة: كان عاقلا صدوقا محدثا عندي، وكان شديدا على أهل الريب والبدع...

وقال أحمد بن شعيب النسائي: ليس به بأس، ومرة: ليس بالقوي.

على كل حال في شريك صدوق ثقة عنده أخطاء من جراء سوء الحفظ، وقيل أنه يخطأُ على الأعمش فقط، وفي هذا الحديث كان خطأه، في قوله: عن أبي صالح (وهو تابعي من كبار علماء المدينة واسمه ذكوان بن عبد الله روى عن كبار الصحابة كعائشة وأبو هريرة وغيرهما) والذي عندي أنَّ التابعين عدول وقد كتبنا في هذا كتابات منها عدالة التابعين المطلقة، فسواء كان الراوي عن أبي هريرة أبو صالح أو غيره من التابعين فالحديث سليم، وعليه فنقول الحديث، حسن، وهو من بابه حسن لأن شريك من أصله من رجال الحسن، لا من رجال الصحيح، وإن كان يخطئ فهو يخطئ في ألفاظ الحديث، كما قاليحيى بن سعيد القطان: "سألت شريكاً عن حديث، فلم يحسن يقيمه، اهـ، والمعلوم عند=

خامسا: أبواب النار:

لِلنَّارِ سَبعةُ أبوابٍ:

قال اللهُ تعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ * لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ [الحجر: 43 – 44].

قال ابنُ جَريرٍ: لَها سَبْعَةُ أَبْوَابٍ يَقُولُ: لِجَهَنَّم سَبعةُ أطباقٍ، لِكُلِّ طَبَقٍ مِنهم –يَعني مِن أتباعِ إبليسَ– جُزْءٌ، يَعني: قِسمًا ونَصيبًا مَقسُومًا. وذُكِرَ أنَّ أبوابَ جَهَنَّم طَبَقاتٌ بَعضُها فوقَ بَعضٍ[1].

عِندَما يَرِدُ الكُفَّارُ النَّارَ تُفتَّحُ أبوابُها:

قال اللهُ تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [الزمر: 71].

قال ابنُ كَثيرٍ: قَولُه: حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا أي: بمُجَرَّدِ وُصُولِهم إليها فُتِحَت لَهم أبوابُها سَريعًا، لِتُعَجَّلَ لَهمُ العُقُوبةُ[2].

سادسا: وقود النار:

قال اللهُ تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [التحريم: 6].

قال ابنُ جَريرٍ: قَولُه: وَقُودُهَا النَّاسُ يَقُولُ: حَطَبُها الَّذي يُوقَدُ على هذه النَّارِ بنُو آدَمَ وحِجارةُ الكِبريتِ[3].

=أهل الحديث جواز رواية الحديث بالمعنى لمن كان يفهمه أي: يفهم معاني الحديث، ومن يفهم الحديث أكثر من واحد من كبار علماء المدينة وهو شريك؟ وقد صحح هذا الحديث السيوطي كما سبقنا وأشرنا، وصحح إسناده المنذري في الترغيب والترهيب 339/4 وقال: إسناده صحيح أو حسن أو ما قاربهما، وأخرجه الديلمي أيضا في مسند الفردوس، 1627 هذا والله أعلم.

[1] يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (14/ 72).

[2] ينظر: تفسير ابن كثير.

[3] ينظر: تفسير الطبري.

سابعا: شدة حرهاّ، وعظم دخانها، وشرارها، وزمهريرها:

شدة حر جهنَّم:

عَن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عَنه أيضًا أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ قال: {نارُكم هذه الَّتي يُوقِدُ ابنُ آدَم جُزءٌ مِن سَبعينَ جُزءًا مِن حَرِّ جَهَنَّمَ، قالُوا: واللهِ إن كانَت لكافيةً يا رَسولَ الله، قال: فإنَّها فُضِّلت عليها بتِسعةٍ وسِتِّين جُزءًا، كُلُّها مِثلُ حَرِّها. وفي رِوايةٍ: كُلُّهنَّ مِثلُ حَرِّها}[1].

عظم دخانها:

قال اللهُ تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾ [الواقعة: 41–44].

قال ابن كثير: {في سَمُومٍ} وهو: الهَواءُ الحارُّ {وَحَمِيمٍ} وهو: الماءُ الحارُّ، {وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ} قال ابنُ عَبَّاس: ظِلُّ الدُّخانِ، وكَذا قال مُجاهِدٌ، وعِكرِمةُ، وأبُو صالِحٍ، وقَتادةُ، والسُّدِّيُّ، وغيرُهم. وهذه كَقَولِه تعالى: ﴿انطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ * لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ * إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ * كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ * وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المُرسلاتُ: 29، 34]؛ ولِهذا قال هاهنا: وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ وهو الدُّخَانُ الأسوَدُ {لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ} أي: ليسَ طَيِّبَ الهبُوبِ ولا حَسَنَ المَنظَرِ، كَما قال الحَسَنُ وقَتادةُ: وَلَا كَرِيمٍ أي: ولا كَريمِ المُنظَرِ. وقال الضَّحَّاكُ: كُلُّ شَرابٍ ليسَ بعَذبٍ فليسَ بكريمٍ[2].

واليحموم في اللغة: ما ينبعث من البُرْكان (حُمَم غازيَّة) عندما لا يكون ثائرًا.

وعليه فدخان جهنم أسود حارق خانق.

زمهرير جهنم:

عَن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عَنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: {قالتِ النَّارُ: ربِّ أَكَلَ بَعضي بَعضًا، فأْذَنْ لي أتَنَفَّسْ، فأَذِنَ لَها بنَفَسينِ، نَفَسٍ في الشِّتاءِ، ونَفَسٍ في الصَّيفِ، فما وجَدْتُم مِن بَردٍ أو زَمْهَريرٍ فمِن نَفَسِ جَهَنَّم، وما وجَدْتُم مِن حَرٍّ أو حَرُورٍ فمِن نَفَسِ جَهَنَّمَ}[3]. الزمهرير: شدة البرد.

---

[1] أخرجه البخاري (3265)، ومسلم (2843) واللَّفظُ له.

[2] ينظر: تفسير ابن كثير.

[3] أخرجه البخاري (537)، ومسلم (617) واللَّفظُ له.

ثامنا: النار تتكلم وتسمع وتبصر:

قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾[ق: 30]، **يخبر تعالى أنه يقول لجهنم يوم القيامة: هل امتلأت؟ وذلك أنه تبارك وتعالى وعدها أنه سيملؤها من الجِّنة والناس أجمعين، حيث قال تعالى:** ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾[السجدة: 13].

فهو يأمر بمن يأمر به إليها ويُلقَى وهي تقول: هل من مزيد أي هل بقي شيء تزيدوني؟

عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: { لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد، حتى يضع رب العزة قدمه فيها فينزوي بعضها إلى بعض وتقول: قط قط وعزتك وكرمك، ولا يزال في الجنة فضلٌ حتى ينشئ الله لها خلقاً آخر فيسكنهم الله تعالى في فضول الجنة }[1].

قال الله تعالى عن النَّارِ: ﴿إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾[الفرقان: 12].

تغيظا: أي: حقنا وغضبا على من كفر بالله.

وقال تعالى: ﴿إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ * تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾[الملك: 7 – 8]، **والشهيق هو ضد الزفير، وهو سحب النفس بقوة وبصوت فضيع إن كان من النار، وهي تفور: أي: تغلي، تكاد جهنم تتمزق مِن شدة غضبها على الكفار.**



[1] رواه مسلم **2848**، وأحمد **13457**.

﴿الفرع الرابع﴾

﴿أهل النّار﴾

أولا: الدعاة إلى النار:

أصحابُ المِلَلِ الضَّالَّةِ الباطِلةِ همُ الدَّعاةُ إلى النَّارِ:

فمِن هؤلاءِ فِرْعَونُ:

قال اللّهُ تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾[القصص: 41].

قال ابنُ جَريرٍ: يَقُولُ تعالى ذِكرُه: وجعَلنا فرعَونَ وقومَه أئِمَّةً يَأتَمُّ بهم أهلُ العُتوِّ على الله، والكُفْرِ به، يَدعُونَ النَّاسَ إلى أعمالِ أهلِ النَّارِ[1].

علماء السوء:

عن حذيفة بن اليمان قال: {كانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الخَيْرِ، وكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي، فَقُلتُ: يا رَسولَ اللَّهِ، إنَّا كُنَّا في جَاهِلِيَّةٍ وشَرٍّ، فَجَاءَنَا اللَّهُ بهذا الخَيْرِ، فَهلْ بَعْدَ هذا الخَيْرِ مِن شَرٍّ؟ قالَ: نَعَمْ، قُلتُ: وهلْ بَعْدَ ذلكَ الشَّرِّ مِن خَيْرٍ؟ قالَ: نَعَمْ، وفيهِ دَخَنٌ، قُلتُ: وما دَخَنُهُ؟ قالَ: قَوْمٌ يَهْدُونَ بغيرِ هَدْيِي، تَعْرِفُ منهمْ وتُنْكِرُ، قُلتُ: فَهلْ بَعْدَ ذلكَ الخَيْرِ مِن شَرٍّ؟ قالَ: نَعَمْ، دُعَاةٌ إلى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَن أَجَابَهُمْ إلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا، قُلتُ: يا رَسولَ اللَّهِ، صِفْهُمْ لَنَا؟ فَقالَ: هُمْ مِن جِلْدَتِنَا، ويَتَكَلَّمُونَ بأَلْسِنَتِنَا...}[2].

وفي رواية: تكونُ دعاةٌ على أبوابِ جهنمَ ، مَنْ أجابَهم إليها قذفوه فيها ، هم قومٌ مِنْ جِلْدَتِنا ، يَتَكَلَّمُونَ بألسنتِنا ، فالزمْ جماعَةَ المسلمينَ وإمامَهم ، فإنْ لم تَكُنْ جماعَةٌ ولَا إمامٌ فاعتزِلْ تِلْكَ الفِرَقَ كُلَّها ، ولَو أنْ تَعَضَّ بأصلِ شجَرَةٍ حتى يُدْرِكَكَ الموتُ وأنتَ كذلِكَ}[3].

---

[1] ينظر: تفسير الطبري.

[2] أخرجه البخاري 3606.

[3] صحيح الجامع للألباني 2994.

ثانيا: أعظم جرائم الخالدين في النار:

الكفر والشرك:

قال اللهُ تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ [غافر: **10**].

قال ابنُ جَريرٍ: في هذا الكَلامِ مَترُوكٌ استُغني بدَلالةِ الظَّاهِرِ مِن ذِكرِه عليه، وهو: فأُجيبُوا أنْ لا سَبيلَ إلى ذَلِكَ، هذا الَّذي لَكم مِنَ العَذابِ أيُّها الكافِرُون {بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ} فأنكَرتُم أن تَكُونَ الأُلُوهةُ لَه خالِصةً، وقُلتُم: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا﴾[ص: 5] **{وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا} يَقُولُ: وإن يُجعَلْ للهِ شَريكٌ تُصَدِّقُوا مَن جَعلَ ذَلِكَ لَه {فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الكَبِيرِ} يَقُولُ: فالقَضاءُ للهِ العَليِّ على كُلِّ شيءٍ، الكَبيرِ الَّذي كُلُّ شيءٍ دُونَه مُتَصاغِرٌ لَه اليَومَ**[1].

وأبشع ما قيل في هؤلاء قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾[الزمر: 45]، **والاشمئزاز في اللغة، هو: التكره، والاحتقار، والتقزز، فهؤلاء إذا ذكر الله وحده تقزّزت قلوبهم والعياذ بالله تعالى، وإذا الذين من دونه من أصحاب القبور وغيرهم تراهم مستبشرون، وهؤلاء نرام في أيامنه كثير بل الغالب على أهل الأرض هم، فإذا قلت لأحدهم ما تفعله من دعوة القبور وأصحابها هو شرك بالله، فوحد الله الواحد القهار، اشمأزَّ من قولك بل وتطيَّر من قولك، بل ويقول لك سيصيبك صاحب القبر بضرر، وأمَّا إذا ذكر من دون الله تعالى، ممن يدعونهم من أصحاب القبور تراهم مستبشرين على الحقيقة، وهذا نراه عيانا في زمننا والعياذ بالله من ذلك.**

---

[1] ينظر: تفسير الطبري.

طاعةُ رُؤساءِ الضَّلالِ وزُعَماءِ الكُفْرِ في كُفرِهم وضَلالِهم:

﴿ وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ ۚ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ ۖ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴾ [إبراهيم: 212].

وهذا والله ما وقع فيه الكثيرون، فيطيعون أئمة الكفر، فإذا نهرتهم قالوا لك هم ولاة الأمور وواجب طاعتهم واتباعهم، وهذا لعمري لهو الضلال البعيد، فإنَّ النبي ﷺ يقول: {لا طاعة لمخلوق في معصية الله}[1]، فعصوا الله تعالى مرضاة لأسيادهم، فإن كان الأمر تقيَّة أو ضرورة فلا ضير، ولكنَّهم أحبوا اتباع أسيادهم، فكانوا جميعا في النار، ولن يغني عنهم أسيادهم شيئا من عذاب الله تعالى.



[1]أخرجه البخاري (**7257**)، ومسلم (**1840**)، وأبو داود (**2625**)، والنسائي (**4205**) بنحوه مطولاً، وأحمد (**1095**) واللفظ له أحمد **248/2**، وصححه أحمد شاكر، وقال الأرناؤوط صحيح على شرط الشيخين، المعجم الأوسط للطبري **321/4**، وسير أعلام النبلاء **392/13**، وصححه الأرناؤوط.

﴿الفرع الخامس﴾

﴿كثرة أهل النار﴾

قال تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾[السجدة: 13].

وعَن أبي سَعيدٍ الخُدريِّ رَضِيَ اللهُ عَنه أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ قال: {يَقُولُ اللهُ تعالى: يا آدَمُ، فيَقُولُ: لَبَّيكَ وسَعْدَيكَ، والخيرُ في يَديكَ، فيَقُولُ: أَخرِجْ بَعْثَ النَّارِ، قال: وما بَعثُ النَّارِ؟ قال: مِن كُلِّ ألفٍ تِسعَمِئةٍ وتِسعةً وتِسعينَ، فعِندَه يَشيبُ الصَّغيرُ، وتَضَعُ كُلُّ ذاتِ حَملٍ حَمْلَها، وترى النَّاسَ سُكارى وما هم بسُكارى، ولَكِنَّ عَذابَ اللهِ شَديدٌ...}[1].

قال ابنُ رَجَبٍ: هذه الأحاديثُ وما في مَعناها تَدُلُّ على أنَّ أكثَرَ بني آدَمَ مِن أهلِ النَّارِ، وتَدُلُّ أيضًا على أنَّ أتباعَ الرُّسُلِ قَليلٌ بالنِّسبةِ إلى غيرِهم...[2].

يقول الله تعالى في ذكر قلة أهل الجنة، من السابقين بالإحسان: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ * وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾[الواقعة: 13 – 14].

وقال في ذكر أصحاب اليمين: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ * وَثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾[الواقعة: 39 – 40].

وهذا يدل على قلة اهل الجنّة بالنسبة لأهل النار، فقوله: {ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلينَ * وقَليلٌ مِّنَ الآخِرينَ} الظاهر أنهم قليل من الثلة، والثلة هي الجماعة، والله اعلم

وقال النبي ﷺ: {لا تَزالُ جهنمُ يُلْقَى فيها وتقولُ: (هَلْ مِنْ مَزِيدٍ) حتى يضعَ فيها ربُّ العزة قدمَه، فيَنْزَوِي بعضُها إلى بعضٍ، وتقولُ: قَطْ قَطْ، وعِزَّتِكَ وكَرَمِكَ، ولا يَزالُ في الجنةِ فَضْلٌ، حتى يُنْشِئَ اللهُ لها خَلْقًا آخَرَ، فيُسْكِنَهم في فُضولِ الجنةِ}[3].

أي: يبقى في الجنة فضل بعد أن يدخل أهل الجنة للجنة، فيشنأ الله تعالى لها خلقا يسكنونها.

---

[1] أخرجه مطولًا البخاري (3348) واللَّفظُ له، ومسلم (222).

[2] يُنظر: ((التخويف من النار)) (ص: 265).

[3] أخرجه مسلم (2848)، وأحمد 13457 والألباني في صحيح الجامع 7286.

﴿الفرع السادس﴾

﴿عِظم خلق أهل النّار﴾

عَن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عَنه أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ قال: {ما بينَ مَنكِبَي الكافِرِ في النَّارِ مَسيرةُ ثَلاثةِ أيَّامٍ لِلرَّاكِبِ المُسْرِعِ}[1].

وعَن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عَنه أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ قال: {ضِرْسُ الكافِرِ، أو نابُ الكافِرِ، مِثلُ أحُدٍ، وغِلَظُ جِلْدِه مَسيرةُ ثَلاثٍ}[2].

قال النَّوويُّ: هذا كُلُّه لِكَونِه أبلَغَ في إيلامِه، وكُلُّ هذا مَقدُورٌ للهِ تعالى يَجِبُ الإيمانُ به؛ لِإخبارِ الصَّادِقِ به[3].



[1] أخرجه البخاري (6551)، ومسلم (2852) واللَّفظُ له.

[2] أخرجه مسلم (2851).

[3] يُنظر: ((شرح مسلم)) (17/ 186).

﴿الفرع السابع﴾

﴿طعام أهل النار وشرابهم ولباسهم﴾

أولا: طعام أهل النار:

الضريع:

قال اللهُ تعالى: ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ﴾ [الغاشية: 6 – 7].

قال البُخاريُّ: قال مُجاهِدٌ: الضَّريعُ نبتٌ يُقالُ لَه: الشبرَقُ، يُسَمِّيه أهلُ الحِجازِ الضَّريعَ إذا يَبِسَ، وهو سُمٌّ....[1]

الزقوم:

قال اللهُ تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ * طَعَامُ الْأَثِيمِ * كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ * كَغَلْيِ الْحَمِيمِ﴾ [الدخان: 43–46].

والذي نعلمه منها أنَّ ثمرها كأنه رؤوس الشياطين، لقوه تعالى: ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ [الصافات: 65]، **ولا ندري كيف هي رؤوس الشياطين.**

ثانيا: شراب أهل النار:

الحميم:

قال اللهُ تعالى: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ [محمد: 15].

قال ابنُ كَثيرٍ: {وسُقُوا مَاءً حَمِيمًا} أي: حارًّا شَديدَ الحَرِّ، لا يُستَطاعُ. {فقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ} أي: قَطَّعَ ما في بُطُونِهم مِنَ الأمعاءِ والأحشاءِ، عياذًا باللهِ مِن ذَلِكَ.[2]

الغسَّاق:

قال اللهُ سُبحانَه: ﴿هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾ [ص: 57].

---

[1] يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (8/ 385).

[2] يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (7/ 314).

قال السَّمعانيُّ: وأمَّا الغَسَّاقُ فهو القيحُ الَّذي يَسيلُ مِن جُلُودِهم[1].

وقال ابن الجزي: هو صديد أهل النار[2].

المهل:

قال اللهُ سُبحانَه: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: 29].

قال السَّعْديُّ: وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا أي: يَطلُبُوا الشَّرابَ، لِيُطفِئَ ما نَزَلَ بهم مِنَ العَطَشِ الشَّديدِ. يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ أي: كالرَّصاصِ المُذابِ، أو كعَكَرِ الزَّيتِ، مِن شِدَّةِ حَرارَتِه[3].

الصديد:

قال اللهُ عَزَّ وجَلَّ: ﴿وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ * يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ﴾ [إبراهيم: 16-17].

قال ابنُ جَريرٍ: بيَّنَ ذَلِكَ الماءَ جَلَّ ثَناؤُه وما هو، فقال: هو صَديدٌ؛ ولِذَلِكَ رَدَّ الصَّديدَ في إعرابِه على الماءِ، لِأنَّه بَيانٌ عَنه، والصَّديدُ: هو القَيحُ والدَّمُ[4].

ثالثا: لباس أهل النار:

تُفَصَّلُ لِأهلِ النَّارِ حُلَلٌ مِنَ النَّارِ:

قال اللهُ تعالى: ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾ [الحج: 19].

قال السَّمعانيُّ: قَولُه: {فالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ} أي: نُحاسٍ مُذابٍ، ويُقالُ: سَمَّى النَّارَ الَّتي يُعَذَّبُونَ بها لِباسًا؛ لِأنَّها تُحيطُ بهم كَإحاطةِ اللِّباسِ، وقال بَعضُهم: يَلبَسُ أهلُ النَّارِ مُقَطَّعاتٍ مِنَ النَّارِ، وهذا أَولى الأقاويلِ[5].

---

[1] ينظر: تفسير السمعاني.

[2] يُنظر: ((تفسير ابن جزي)) (2/ 211).

[3] ينظر: تفسير السعدي.

[4] ينظر: تفسير الطبري.

[5] ينظر: تفسير السمعاني.

وعَن أبي مالِكٍ الأشعَريِّ رَضِيَ اللهُ عَنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: {النَّائِحةُ إذا لَم تَتُبْ قَبلَ مَوتِها، تُقامُ يَومَ القيامةِ وعليها سِربالٌ مِن قَطِرانٍ ودِرْعٌ مِن جَرَبٍ}[1].



[1] أخرجه مسلم (934) مطولًا.

﴿ الفرع الثامن ﴾

﴿ شدَّة عذاب أهل النار، وصُور عذابهم ﴾

أولا: شدة عذاب أهل النار:

عَن أنسِ بنِ مالِكٍ رَضِيَ اللهُ عنه أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ قال: {يُؤتى بأنعَمِ أهلِ الدُّنيا مِن أهلِ النَّارِ يَومَ القيامةِ، فيُصبَغُ في النَّارِ صَبغةً، ثُمَّ يُقالُ: يا ابنَ آدَمَ، هَل رَأيتَ خيرًا قَطُّ؟ هَل مَرَّ بك نَعيمٌ قَطُّ؟ فيَقُولُ: لا واللهِ يا رَبِّ}[1].

وعَن أنسِ بنِ مالِكٍ رَضِيَ اللهُ عنه أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ قال: {يَقُولُ اللهُ تبارك وتعالى لِأهوَنِ أهلِ النَّارِ عَذابًا: لَو كانَت لَكَ الدُّنيا وما فيها أكُنتَ مُفتَديًا بها؟ فيَقُولُ: نَعَم، فيَقُولُ: قَد أرَدتُ مِنكَ أهوَنَ مِن هذا، وأنتَ في صُلبِ آدَمَ، أنْ لا تُشرِكَ «أحسَبُه قال:» ولا أُدخِلُكَ النَّارَ، فأَبَيتَ إلَّا الشِّرْكَ}[2].

ثانيا: صور من عذاب اهل النار:

النضج: تُنضِجُ النَّارُ جُلُودَ الكافِرينَ وتُبَدَّلُ جُلُودًا غيرَها:

قال اللهُ تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: 56].

الصهر: يَكُونُ الصَّهرُ لِما في بُطُونِ الكافِرينَ ولِجُلُودِهم:

قال اللهُ تعالى: ﴿ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ * يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴾ [الحج: 19-20].

اللفح:

قال اللهُ تعالى: ﴿ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴾ [المؤمنون: 104].

---

[1] أخرجه مسلم (2807).

[2] أخرجه البخاري (3334)، ومسلم (2805) واللَّفظُ له.

قال ابنُ جَريرٍ: تَأويلُ الكَلامِ: يَسفَعُ وُجوهَهم لَهَبُ النَّارِ فتُحرِقُها، وهم فيها مُتَقَلِّصُو الشِّفاهِ عَنِ الأسنانِ مِن إحراقِ النَّارِ وُجوهَهم[1].

السحب:

قال اللهُ تعالى: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ * يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ [القمر: 47–48].

وقال اللهُ سُبحانَه: ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ [غافر: 70–72].

يسجرون: أي: يُوقَدُونَ في النَّارِ كما تُوقَدُ التَّنانيرُ بالخَشَبِ.

إحاطة النار بأهل النار:

قال اللهُ تعالى: ﴿لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف: 41].

قال السَّعْديُّ: لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهادٌ أي: فِراشٌ مِن تَحتِهم وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ أي: ظُلَلٌ مِنَ العَذابِ، تَغْشاهم. وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ لِأنفُسِهم، جَزاءً وِفاقًا، وما رَبُّكَ بظَلَّامٍ لِلعَبيدِ[2].

وقال اللهُ سُبحانَه: ﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [العنكبوت: 55].

اطلاع النار على أفئدة أهل النار:

قال اللهُ تعالى: ﴿كَلَّا لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ * نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ * الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ﴾ [الهمزة: 4–7].

---

[1] ينظر: تفسير الطبري.

[2] ينظر: تفسير السعدي.

قال السَّمعانيُّ: قَولُه: نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ * الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ يَعني: يَصِلُ ألَمُها ووجَعُها إلى الفُؤادِ. قال مُحَمَّدُ بنُ كَعبٍ القُرظيُّ: تَأكُلُ النَّارُ أجسادَهم، فإذا وصَلَتِ النَّارُ إلى القَلب أُعيدُوا كَما كانُوا، وتَعُودُ النَّارُ إلى أكلِهم، فهَكَذا أبَدًا[1].

انْدِلاق الأمعاء من النار:

عَن أسامةَ بنِ زَيدٍ رَضِيَ اللهُ عَنهما أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: {يُجاءُ بالرَّجُلِ يَومَ القيامةِ، فيُلقى في النَّارِ، فتَندَلِقُ أقتابُه في النَّارِ، فيَدُورُ كَما يَدُورُ الحِمارُ برَحاه، فيَجتَمِعُ أهلُ النَّارِ عليه، فيَقُولُونَ: أيْ فُلَانُ، ما شَأنُكَ؟ أليسَ كُنتَ تَأمُرُنا بالمَعرُوفِ وتَنهانا عَنِ المُنكَرِ؟ قال: كُنتُ آمُرُكم بالمَعرُوفِ ولا آتيه، وأنهاكم عَنِ المُنكَرِ وآتيه}[2].

قال الخَطَّابي: قَولُه: ((فتَندَلِقُ أقتابُه)) مَعناه: تَندرُ، وتَسقُطُ مِن جَوفِه. ومِنه قَولُهم: اندَلَقَ السَّيفُ مِن غِمْدِه: إذا خَرجَ مِن غيرِ أن يُسَلَّ. ويُقالُ: أدلَقْتُه، فاندَلَقَ بسُرعةٍ. والأقتابُ: الأمعاءُ، واحِدُها: قَتَبٌ[3].

قُيُودُ أهلِ النَّارِ وأغلالُهم وسَلاسِلُهم ومَطارِقُهم:

قال اللهُ تعالى: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا﴾[الإنسان: 4].

عظم السلاسل والأغلال:

قال اللهُ تعالى: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾[الحاقة: 30-32].

يَقُولُ: ثُمَّ اسلُكُوه في سِلسِلةٍ ذَرعُها سَبعُونَ ذِراعًا، بذِراعِ اللهُ أعلَمُ بقَدرِ طُولِها. وقيلَ: إنَّها تَدخُلُ في دُبُرِه، ثُمَّ تَخرُجُ مِن مِنخَرَيه. وقال بَعضُهم: تَدخُلُ في فيه، وتَخرُجُ مِن دُبُرِه[4].

---

[1] ينظر: تفسير السمعاني.
[2] أخرجه البخاري (3267) واللَّفظُ له، ومسلم (2989).
[3] يُنظر: ((أعلام الحديث)) (2/ 1496).
[4] ينظر: تفسير الطبري.

قَرْنُ مَعبُوداتِهم وشياطينِهم بهم في النَّارِ:

قال اللهُ تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ * لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الأنبياء: 98-99].

قال ابنُ رَجَبٍ: إنَّ الكُفَّارَ لَمَّا عَبَدُوا الآلِهةَ مِن دُونِ اللهِ واعتَقَدُوا أنَّها تَشفَعُ لَهم عِندَ اللهِ وتُقَرِّبُهم إليه، عُوقِبُوا بأن جُعِلتْ مَعَهم في النَّارِ إهانةً لَها وإذلالًا، ونِكايةً لَهم، وإبلاغًا في حَسرَتِهم ونَدامَتِهم؛ فإنَّ الإنسانَ إذا قُرِنَ في العَذاب بمَن كانَ سَبَبَ عَذابه كانَ أشَدَّ في ألَمِه وحَسرَتِه. ولِهذا المَعنى يُقرَنُ الكُفَّارُ بشياطينِهم الَّتي أضَلَّتْهم[1].

وقال اللهُ تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ * وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ * حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ * وَلَن يَنفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ [الزخرف: 36-39].

قال السمعاني: ... وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ أي: لَن يُسَهِّلَ عَليكم عَذابَكم رُؤيَتُكم غيرَكم مُشارِكينَ لَكم في العَذاب، فكَأنَّ اللهَ تعالى مَنعَهمُ التَّأسيَ بما يُسهِّلُ على الإنسانِ المُصيبةَ والعُقُوبةَ؛ فإنَّه إذا كانَ في مُصيبةٍ فرأى غيرِه في مِثلِها سَهُلَ عليه. والتَّأسِّي التَّسَلِّي[2].

حَسْرَتُهم ونَدَمُهم ودُعاؤُهم:

عندما يرى الكُفَّارُ النَّارَ يَندَمونَ أشَدَّ النَدَمِ:

قال اللهُ تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [يونس: 54].

---

[1] يُنظر: ((التخويف من النار)) (ص: 133).

[2] ينظر: تفسير السمعاني.

وقال اللهُ عَزَّ وجَلَّ: ﴿وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا * لا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا﴾[الفرقان:13-14].

وقال اللهُ تعالى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم ما يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تذَكَّرَ وَجَاءكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾[فاطر: 37].

يَعترِفُونَ بضَلالِهِم وكُفرِهِم وقِلَّةِ عُقُولِهِم:

قال اللهُ سُبحانَه: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾[الملك: 10].

وقال اللهُ عَزَّ وجَلَّ: ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّنْ سَبِيلٍ﴾[غافر: 11].

طَلَبُهم يُرفَضُ بشِدَّةٍ:

قال اللهُ تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ * رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ * قَالَ اخْسَؤُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾[المؤمنون:106-108].

وقال اللهُ سُبحانَه: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُؤُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ * وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ * فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[السجدة: 12-14].

يَتوجَّه أهلُ النَّارِ بالنِّداءِ إلى خزَنةِ النَّارِ، يَطلُبونَ مِنهم أن يَشْفَعُوا لَهم كي يُخَفِّفَ اللهُ عَنهم شيئًا مِمَّا يُعانُونَ:

قال اللهُ عَزَّ وجَلَّ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ * قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾[غافر: 49-50].

لما ييأسوا من الرحمة حينها يطلبون الموت:

قال اللهُ تعالى: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَاكِثُونَ﴾[الزخرف: 77].

فيرفِضَ كُلُّ ما يَطلُبُه أهلُ النَّارِ، فلا خُرُوجَ مِنها، ولا تَخفيفَ مِن عَذابها، ولا إهلاكَ وقَضاءَ عليهم بالمَوتِ والفَناءِ، بَل لَهم عَذابٌ أَبَديٌّ سَرمَديٌّ دائِمٌ فحينها يزدادون غما على غم:

وقَد ذَكَرَ اللهُ تعالى أنَّه يُقالُ لَهم: ﴿اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[الطور: 16].

أهلُ النَّارِ يَشتَدُّ نَحيبُهم، وتَفيضُ دُمُوعُهم، ويَطُولُ بُكاؤُهم:

قال اللهُ تعالى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾[فاطر: 37].

قال اللهُ تعالى: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾[الأحزاب: 66-68].

فليس لهم فيها إلا الحسرة على ما فاتهم:

قال تعالى: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ﴾[الزمر: 56].



﴿الفرع التاسع﴾

﴿بقاء النار وعدم فنَائها﴾

أخبَرَ اللهُ تعالى بأنَّ أهلَ النَّارِ خالِدُونَ فيها خُلُودًا مُؤَبَّدًا:

قال اللهُ تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا * إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ [النساء: 168-169].

وقال اللهُ سُبحانَه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [الأحزاب: 64].

وقال اللهُ عَزَّ وجَلَّ: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ [الجن: 23].

قال ابنُ كثيرٍ عَنِ الآياتِ السَّابقةِ: (هذه ثَلاثُ آياتٍ، فيهنَّ الحُكمُ عليهم بالخُلُودِ في النَّارِ[1].



[1] يُنظر: ((البداية والنهاية)) (**20/ 254**).

﴿أسماء دركات النار﴾

قال تعالى: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾[الحجر: 44].

قال ابن جريج: النار سبع دركات: أولها جهنم، ثم لظى، ثم الحطمة، ثم السعير، ثم سقر، ثم الجحيم، ثم الهاوية، لكل باب منهم جزء مقسوم، أي: لكل دركة قوم يسكنونها[1].

1 – جهنم: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[الحجر: 43].

سميت بجهنم عند البعض لبعد قعرها، من ذلك قولهم: بِئْرٌ جِهِنّام، أي بعيد القعر.

2 – الجحيم: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾[المائدة: 86].

قال صاحب الفروق اللغوية: والجحيم نار على نار وجمر على جمر، وجاحمة شدة تلهبه وجاحم الحرب أشد موضع فيها ويقال لعين الاسد جحمة لشدة توقدها.

3 – لظى: ﴿كَلَّا ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ * نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ﴾[المعارج: 15 – 16].

جاء في المعجم اللغة أنه: لَهَبُ النَّار الخالص لا دُخان فيه، وفي مختار الصحاح الْتِظاءُ: النار التهابها، و(تَلَظِّيها) تلهُّبُها.

4 – الحطمة : ﴿كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ * نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ﴾[الهمزة: 4–6].

جاء في معجم اللغة: لأنّها تَحْطِم ما تَلْقَى وتذهب به.

5 – سقر: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾[القمر: 48].

جاء في المعجم الغني: سَقَرَ، يَسْقُرُ، مص. سَقْرٌ سَقَرَ الشَّيْءُ: بَعُدَ سَقَرَتْهُ الشَّمْسُ أوِ النَّارُ: لَوَّحَتْ جِلْدَهُ وَغَيَّرَتْ لَوْنَهُ سَقَرَتْهُ الشَّمْسُ: آذَتْهُ، آلَمَتْهُ بِحَرِّهَا.

6 – السعير: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾[الملك: 10].

لأنها مسعرة بالناس والحجارة.

---

[1] ينظر: تفسير الطبري.

7 – الهاوية: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ * فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ * نَارٌ حَامِيَةٌ﴾[القارعة: 8-11].

النار العميقة يهوي أهل النار فيها مهوى بعيداً، أي فمأواه النار، يقال للمأوى أم على التشبيه، لأن الأم مأوى الولد، وقيل: أم رأسه هاوية في قعر جهنم لأنه يطرح فيها منكوساً.



﴿أحوال الناس يوم القيامة﴾

قال اللهُ تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ [المؤمنون:101].

قال السَّمعانيُّ: قَولُه تعالى: {فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ} أي: لا أنسابَ يَتَفاخَرونَ ويَتَواصَلونَ بها، وأمَّا أصلُ الأنسابِ فباقيةٌ[1].

قال ابنُ كثيرٍ: قَولُه: {ولا يَسألُ حَميم حَميمًا يُبَصَّرُونَهُمْ} أي: لا يَسألُ القَريبُ عن حالِه، وهو يَراه في أسوَأِ الأحوالِ، فتَشغَلُه نَفسُه عن غَيرِه. قال العَوفيُّ عن ابنِ عَباسٍ: يَعرِفُ بَعضُهم بَعضًا، ويَتَعارَفونَ بينَهم، ثُمَّ يَفِرُّ بَعضُهم من بَعضٍ بَعدَ ذلك، يَقولُ: لكُلِّ امرِئٍ منهم يومَئِذٍ شَأنٌ يُغْنِيهِ.

عن قتادةَ أنَّه قال في قَولِ الله عزَّ وجَلَّ: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ﴾ [عبس: 34 – 36]: يَفِرُّ هابيلُ مِن قابيلَ، ويَفِرُّ النَّبيُّ ﷺ من أمِّه، وإبراهيمُ عليه السَّلامُ من أبيه، ولوطٌ عليه السَّلامُ من صاحِبَتِه، ونوحٌ عليه السَّلامُ من ابنِه ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: 37] يَشغَلُه عن شَأنِ غَيرِه[2].

وقال اللهُ تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: 18].

يقول الطبري: يَقولُ تعالى ذِكرُه: إذ قُلوبُ العِبادِ من مَخافةِ عِقابِ اللهِ لَدى حَناجِرِهم قد شَخَصَت من صُدورِهم، فتَعَلَّقَت بحُلوقِهم كاظِميها، يَرومونَ رَدَّها إلى مَواضِعِها من صُدورِهم فلا تَرجِعُ، ولا هيَ تَخرُجُ من أبدانِهم فيموتوا...[3].

---

[1] ينظر: تفسير السمعاني.

[2] نظر: تفسير ابن كثير.

[3] ينظر: تفسير الطبري.

وقال اللهُ عَزَّ وجلَّ: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ * إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ [إبراهيم: 42-43].

قال السَّمعانيُّ: قَولُه تعالى: {وَلَا تَحسَبَنَّ اللهَ غافِلًا عَمَّا يعمَلُ الظَّالِمونَ الآية} الغَفلةُ مَعنًى يَمنَعُ الإنسانَ من الوُقوفِ على حَقيقةِ الأمورِ... وقَولُه: {إنَّما يُؤَخِّرُهمُ} مَعناه: إنَّما يُمهِلُهم. وقَولُه: {لِيَومٍ تَشْخَصُ فيه الأبصارُ} يَعني: من الدَّهشِ والحَيرةِ وشِدَّةِ الأمرِ، ومَعنى تَشْخَصُ، أي: تَرتَفِعُ وتَزولُ عن أماكِنِها. وقَولُه: {مُهْطِعِينَ} الأكثَرونَ أنَّ مَعناه مُسْرِعينَ... وقيلَ: مُهطِعينَ، أي: مُدِيمي النَّظَرِ لا يَطرِفونَ. ومَعنى الإسراعِ الذي ذَكَرنا هو أنَّهم لا يَلتَفِتونَ يَمينًا ولا شِمالًا، ولا يَعرِفونَ مواطِنَ أقدامِهم، وليس لهم هِمَّةٌ ولا نَظَرٌ إلى ما يُساقُونَ إليه! وقَولُه: {مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ} يُقالُ: أقنَعَ رَأسَه، أي: رَفعَه، وأقنَعَ رَأسَه: إذا خَفَّضَه، فإن كان المُرادُ هو الرَّفعَ فمَعناه: أنَّ أبصارَهم إلى السَّماءِ يَنظُرونَ ماذا يَرِدُ عليهم من اللهِ تعالى، وإنْ حُمِلَ الإقناعُ على خَفضِ الرَّأسِ فمَعناه: مُطرِقونَ ناكِسونَ... وقَولُه: {لا يَرتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ} يَعني: لا يَرجِعُ إليهم طَرْفُهم، فكأنَّه ذَهَلَهم ما بينَ أيديهم، فلا يَنظُرونَ لشَيءٍ سِواه. وقَولُه: {وأفئِدَتُهم هَواءٌ} قال أبو عُبَيدةَ: مُتَخَرِّقةٌ لا تَعي شَيئًا، وقال قتادةُ: خَرَجَت قُلوبُهم عن صُدورِهم حَتَّى بَلَغَتِ الحَناجِرَ من شِدَّةِ ذلك اليَومِ وهولِه، فهذا مَعنى قَولِه: {وبَلَغَتِ القُلوبُ الحَناجِرَ}، فعلى هذا قَولُه: {وأفئِدَتُهم هَواءٌ} أي: خاليةٌ، ومنه سُمِّيَ الجَوُّ هَواءً لخُلُوِّه، وقيلَ: خاليةٌ عن العُقولِ؛ فكأنَّها ذَهَبَت من الفَزعِ والخَوفِ.

وقال سَعيدُ بنُ جُبَيرٍ: {وأفئِدَتُهم هَواءٌ} أي: مُتَرَدِّدةٌ لا تَستَقِرُّ في مَكانٍ، وقيلَ: هَواءٌ، أي: مُتَخرِّبةٌ من الجُبنِ والفَزَعِ... حَقيقةُ المَعنى من الآيةِ أنَّ القُلوبَ زائِلةٌ عن أماكِنِها، والأبصارَ شاخِصةٌ من هولِ ذلك اليَومِ[1].

وعن المِقدادِ بنِ الأسوَدِ رَضِيَ اللهُ عنه قال: سَمِعتُ رَسولَ اللهِ ﷺ يَقولُ: {تُدنَى الشَّمسُ يَومَ القيامةِ من الخَلقِ، حَتَّى تَكونَ منهم كمِقدارِ مِيلٍ. قال سليمُ بنُ عامِرٍ: فواللهِ ما أدري ما يَعني بالمِيلِ، أمسافةَ الأرضِ، أمِ المَيلَ الذي تَكتَحِلُ به العَينُ؟ قال: فيَكونُ النَّاسُ على قَدرِ أعمالِهم

---

[1] ينظر: تفسير السمعاني.

في العَرَقِ؛ فمنهم مَن يَكونُ إلى كعبَيه، ومنهم مَن يَكونُ إلى رُكبَتَيه، ومنهم مَن يَكونُ إلى حقْوَيه، ومنهم مَن يُلجِمُه العَرَقُ إلجامًا. قال: وأشارَ رَسولُ اللهِ ﷺ بيَدِه إلى فيه}[1].

وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ عنه أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ قال: {يَعرَقُ النَّاسُ يَومَ القيامةِ حَتَّى يَذهَبَ عَرَقُهم في الأرضِ سَبْعينَ ذِراعًا، ويُلجِمُهم حَتَّى يَبلُغَ آذانَهم}[2].



[1] أخرجه مسلم (2864).

[2] أخرجه البخاري (6532) واللَّفظُ له، ومسلم (2863).

﴿أهوال يوم القيامة﴾

أولا: دك الأرض ونسف الجبال:

قال اللهُ تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ [الحاقة: 13-15].

قال السمعاني: زُلزِلَتا زَلزَلةً واحِدةً. ويُقالُ: فُتَّتا فَتَّةً واحِدةً. وقيلَ: ضُرِبَ أحَدُهما بالآخَرِ فانهَدَمَتا وهَلَكَتا[1].

وقال اللهُ سُبحانَه: ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ [الفجر: 21].

قال القُرطُبيُّ: الدُّكُّ: الكَسرُ والدَّقُّ، وقد تَقَدَّمَ، أي: زُلزِلتِ الأرضُ، وحُرِّكَت تَحريكًا بَعدَ تَحريكٍ... ويَقولونَ: دَكَّ الشَّيءُ، أي: هُدِمَ[2].

وقال اللهُ تعالى: ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ﴾ [المرسلات: 10].

قال ابن كثير: أي: ذُهِبَ بها، فلا يَبقى لها عَينٌ ولا أثَرٌ[3].

وبيَّنَ اللهُ عزَّ وجَلَّ حالَ الأرضِ بَعدَ تَسييرِ الجِبالِ، فقال: {وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً} [الكهف: 47].

قال القُرطُبيُّ: أي نُزيلُها من أماكِنِها مِن على وَجهِ الأرضِ، ونُسَيِّرُها كما نُسَيِّرُ السَّحابَ[4].

وقال اللهُ تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا * فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا * لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾ [طه: 105-107] .

قال السعدي: أي: يُزيلُها ويَقلَعُها من أماكِنِها فتَكونُ كالعِهْنِ وكالرَّملِ، ثُمَّ يَدُكُّها فيَجعَلُها هَباءً مُنبَثًّا، فتَضمَحِلُّ وتَتَلاشى، ويُسَوِّيها بالأرضِ، ويَجعَلُ الأرضَ قاعًا صَفصفًا، مُستَويًا لا تَرى فيه

---

[1] ينظر: تفسير السمعاني.

[2] ينظر: تفسير القرطبي.

[3] ينظر: تفسير ابن كثير.

[4] ينظر: تفسير القرطبي.

أيُّها النَّاظِرُ عِوَجًا، هذا من تَمامِ استِوائِها[1].

ثانيا: تفجير البحار وتسجيرها:

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ [الانفطار: 3].

قال ابن عاشور: تَفجيرُ البِحارِ انطِلاقُ مائِها من مُستَواه وفَيضانُه على ما حَولها من الأرَضِين، كما يَتَفَجَّرُ ماءُ العينِ حينَ حَفْرِها لَفَسادِ كُرةِ الهَواءِ التي هيَ ضاغِطةٌ على مياه البِحارِ، وبِذلك التَّفجيرِ يَعُمُّ الماءُ على الأرضِ، فيَهلِكُ ما عليها ويَختَلُّ سَطحُها[2].

وقال اللهُ سُبحانَه: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ [التكوير: 6].

أي: توقد البحار بالنار، فتراها وهي تحمل ثلاثة أرباع الأرض مشتعلة نارا.

ثالثا: دوران السماء، وانفطارها، وتشققها:

قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا﴾ [الطور: 9].

قال البغوي: أي: تَدورُ كدَوَرانِ الرَّحى وتَتَكَفَّأُ بأهلِها تَكفُّؤَ السَّفينةِ. قال قتادةُ: تَتَحَرَّك. قال عَطاءٌ الخُراسانيُّ: تَختَلِفُ أجزاؤُها بَعضُها في بَعضٍ: وقيلَ: تَضطَرِبُ، والمورُ يَجمَعُ هذه المَعاني، فهو في اللُّغةِ: الذَّهابُ والمَجيءُ والتَّرَدُّدُ والدَّوَرانُ والاضطِرابُ[3].

وقال اللهُ سُبحانَه: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ﴾ [الانفطار: 1].

قال ابنُ عَطِيَّةَ: انفِطارُ السَّماءِ: تَشَقُّقُها على غَيرِ نِظامٍ مَقصودٍ، إنَّما هو انشِقاقٌ لتَزُولَ بِنْيَتُها[4].

وقال اللهُ عَزَّ وجلَّ: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ * وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ [الانشقاق: 1-2].

قال ابنُ جَريرٍ: يَقولُ تعالى ذِكرُه: إذا السَّماءُ تَصَدَّعَت وتَقَطَّعَت فكانت أبوابًا[5].

وقال اللهُ سُبحانَه: ﴿فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ [الرحمن: 37].

---

[1] ينظر: تفسير السعدي.

[2] ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور.

[3] ينظر: تفسير البغوي.

[4] ينظر: تفسير ابن عطية.

[5] ينظر: تفسير الطبري.

قال ابنُ جَريرٍ: يَقولُ تعالى ذِكرُه: فإذا انشَقَّتِ السَّماءُ وتَفَطَّرَت، وذلك يَومَ القيامةِ، فكان لَونُها لَونَ البِرْذَونِ الوَردِ الأحمَرِ، وبِنَحوِ الذي قُلْنا في ذلك قال أهلُ التَّأويلِ[1].

رابعا: تكوير الشمس: وخسوف القمر، وجمعهما، وتناثر الكواكب، وانكدار النجوم:

تكوير الشمس:

قال اللهُ تعالى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير: 1].

قال ابنُ جَريرٍ: اختَلَفَ أهلُ التَّأويلِ في تَأويلِ قَولِه: {إذا الشَّمسُ كُوِّرَتْ}، فقال بَعضُهم: مَعنى ذلك: إذا الشَّمسُ ذَهَبَ ضَوءُها... وقال آخَرونَ: مَعنى ذلك: رُمِيَ بها... والصَّوابُ من القَولِ في ذلك عِندَنا: أن يُقالَ: {كُوِّرَتْ} كما قال اللهُ جَلَّ ثَناؤُه، والتَّكويرُ في كَلامِ العَرَبِ: جَمعُ بَعضِ الشَّيءِ إلى بَعضٍ، وذلك كَتَكويرِ العِمامةِ، وهو لَفُّها على الرَّأسِ، وكَتَكويرِ الكارةِ، وهيَ جَمعُ الثِّيابِ بَعضِها إلى بَعضٍ، ولَفُّها، وكَذلك قَولُه: {إذا الشَّمسُ كُوِّرَتْ} إنَّما مَعناه: جَمعُ بَعضِها إلى بَعضٍ، ثُمَّ لُفَّتْ فرُمِيَ بها، وإذا فُعِلَ ذلك بها ذَهَبَ ضَوءُها. فعلى التَّأويلِ الذي تَأوَّلناه لكِلا القَولينِ اللذينِ ذَكَرتُ عن أهلِ التَّأويلِ وجهٌ صَحيحٌ، وذلك أنَّها إذا كُوِّرَت ورُمِيَ بها، ذَهَبَ ضَوءُها[2].

خامسا: خسف القمر:

قال اللهُ سُبحانَه: ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ * وَخَسَفَ الْقَمَرُ﴾ [القيامة: 7-8].

قال البَغَويُّ: وخَسَفَ القَمَرُ، أظلَمَ وذَهَبَ نَورُه وضَوءُه[3].

سادسا: جمع الشمس والقمر:

قال اللهُ عَزَّ وجلَّ: ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ [القيامة: 9].

قال ابنُ عاشور: (عَنى جَمعِ الشَّمسِ والقَمَرِ: التِصاقُ القَمَرِ بالشَّمسِ فتَلتَهِمُه الشَّمسُ؛ لأنَّ القَمَرَ مُنفَصِلٌ من الأرضِ التي هيَ من الأجرامِ الدَّائِرةِ حَولَ الشَّمسِ كالكَواكِبِ، ويَكونُ ذلك

---

[1] ينظر: تفسير الطبري.

[2] ينظر: تفسير الطبري.

[3] ينظر: تفسير البغوي.

بسَبَبِ اختِلالِ الجاذِبيَّةِ التي وضَعَ اللهُ عليها النِّظامَ الشَّمسيَّ[1].

ثامنا: الكَواكِبُ يَنفَرِطُ عِقْدُها فتَتَناثَرُ:

قال اللهُ تعالى: ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ﴾ [الانفطار: 2].

وقال ابنُ عاشور: انتِثارُ الكَواكِبِ مُستَعارٌ لتَفَرُّقِ هَيئاتِ اجتِماعِها المَعروفةِ في مَواقِعِها، أو مُستَعارٌ لخُروجِها من دَوائِرِ أفلاكِها وسُموتِها فتَبدو مُضطَرِبةً في الفَضاءِ بَعدَ أن كانت تَلوحُ كأنَّها قارَّةٌ، فانتِثارُها تَبَدُّدُها وتَفَرُّقُ مُجتَمِعِها، وذلك من آثارِ اختِلالِ قوَّةِ الجاذِبيَّةِ التي أقيمَ عليها نِظامُ العالَمِ الشَّمسيِّ[2].

تاسعا: انكدار النجوم:

قال اللهُ سُبحانَه: ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ﴾ [التكوير: 2].

قال ابنُ جَريرٍ: يَقولُ: وإذا النُّجومُ تناثَرَت من السَّماءِ فتَساقَطَت، وأصلُ الِانكِدارِ: الِانصِبابُ... قال ابنُ زيدٍ في قَولِه: {وإذا النُّجومُ انكَدَرَت} قال: رُميَ بها من السَّماءِ إلى الأرضِ، وقال آخَرونَ: انكَدَرَت: تَغَيَّرَت[3].



[1] ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور.

[2] ينظر: شرح الآية في السابق.

[3] ينظر: تفسير الطبري.

﴿ مدة الوقوف يوم القيامة ﴾

قال اللهُ تعالى: ﴿ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ [المعارج: 4].

فقيلُ: المُرادُ باليَومِ هنا: يَومُ القيامةِ، وذلك على أحَدِ الأقوالِ في التَّفسيرِ.

وقيلَ: يَكونُ هذا المِقدارُ الطَّويلُ خاصًّا بالكافِرِ، وأمَّا المُؤمِنُ فيُخَفَّفُ عليه الوُقوفُ جِدًّا.

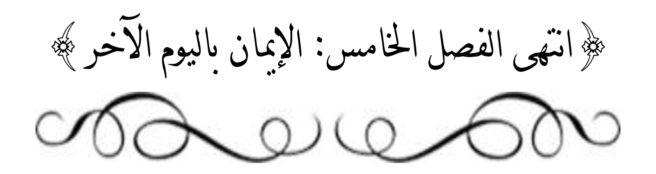
وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ الله عنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: {ما من صاحِبِ ذَهَبٍ ولا فِضَّةٍ لا يُؤَدِّي منها حَقَّها إلَّا إذا كان يَومُ القيامةِ صُفِّحَت له صَفائحُ من نارٍ، فأحميَ عليها في نارِ جَهَنَّمَ، فيُكوى بها جَنبُه وجَبِينُه وظَهْرُه، كُلَّما بَرَدَت أُعيدَت له في يومٍ كان مِقدارُه خمسينَ ألفَ سَنةٍ، حَتَّى يُقضى بينَ العِبادِ، فيُرى سَبيلَه، إمَّا إلى الجَنةِ، وإمَّا إلى النَّارِ}[1].

وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ الله عنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: {يَوم يَقومُ النَّاسُ لرَبِّ العالَمينَ مِقدارُ نِصفِ يَومٍ من خَمسينَ ألفَ سَنةٍ، فيهونَ ذلك على المُؤمِنِ كتَدلِّي الشَّمسِ للغُروبِ إلى أن تَغرُبَ}[2].

قال الطبري: عن ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ الله عنهما أنَّه قال في قَولِ الله تعالى: {تَعرُجُ المَلائِكةُ والرُّوحُ إليه في يَومٍ كان مِقدارُه خَمسينَ ألفَ سَنةٍ}: فهذا يَومُ القيامةِ، جَعلَه اللهُ على الكافِرين مِقدارَ خَمسينَ ألفَ سَنةٍ[3].

قال السَّمعانيُّ: قَولُه: {في يَومٍ كان مِقدارُه خَمسينَ ألفَ سَنةٍ} قال ابنُ عَبَّاسٍ: هو يَومُ القيامةِ، وهو أصَحُّ القَولينِ[4].

﴿انتهى الفصل الخامس: الإيمان باليوم الآخر﴾



---

[1] أخرجه مسلم (987) مطولًا.

[2] أخرجه أبو يعلى (6025)، وابن حبان (7333). صحَّحه ابن حبان، وصحَّح إسناده المنذري في ((الترغيب والترهيب)) (295/4)، والألباني في ((سلسلة الأحاديث الصحيحة)) (769/6)، وشعيب الأرناؤوط على شرط البخاري في تخريج ((صحيح ابن حبان)) (7333).

[3] ينظر: تفسير الطبري.

[4] ينظر: تفسير السمعاني.

انتهى الجزء الثاني من كتاب القول المتين في الضروري من أصول الدين، ونستفتح الجزء الثالث والأخير بالأصل السادس وهو: الإيمان بالقدر، ونرجئ ذكر المصادر والمراجع للجزء الأخير.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات



﴾الفهرس﴿

﴿الحمد لله رب العالمين﴾

